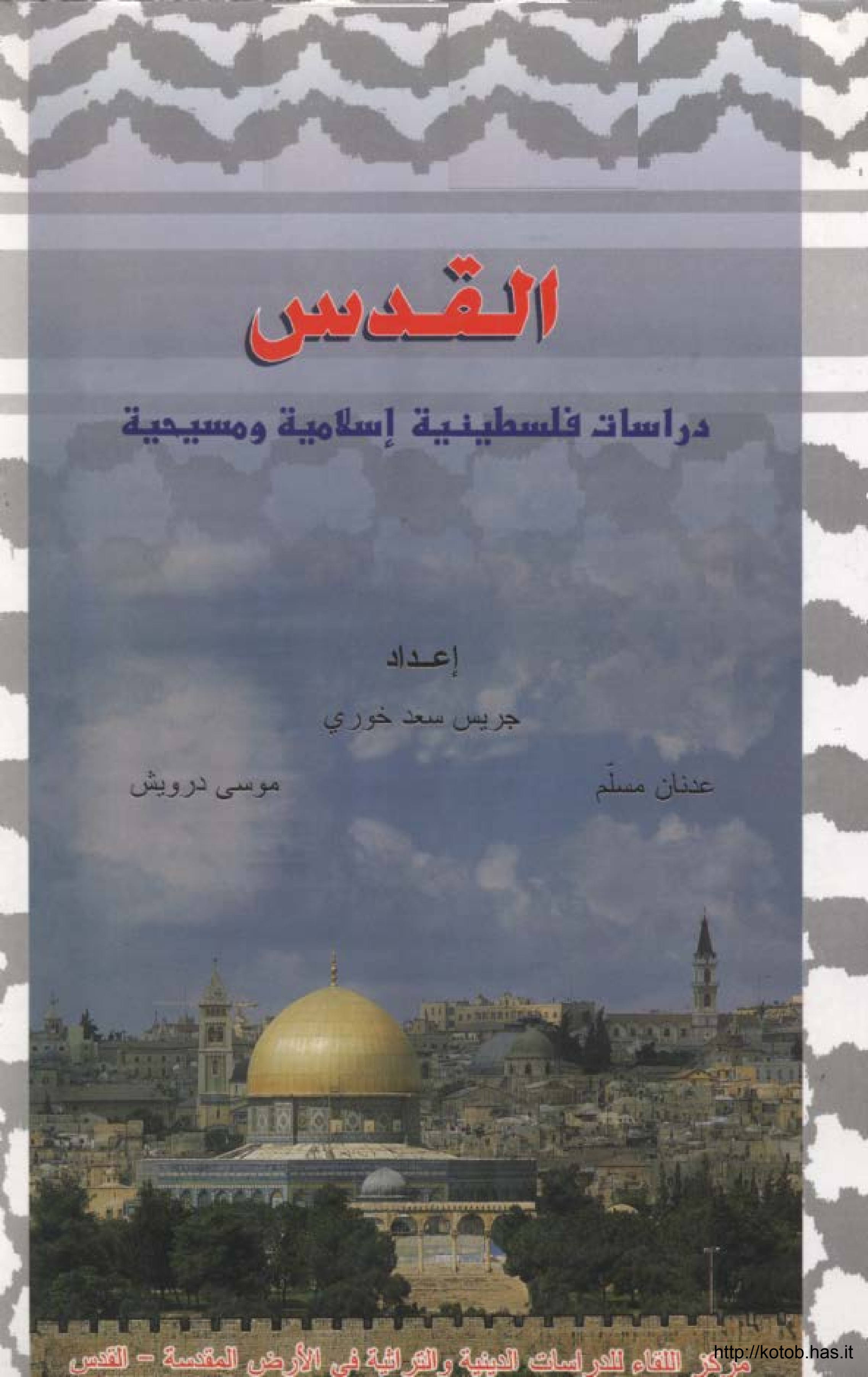

القدس
دراسات فلسطينية إسلامية ومسيحية
إعداد
جريس سعد خوري
عدنان مسلّم
موسى درويش
مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة - القدس
http://kotob.has.it

القــــدس

دراسات فلسطينية إسلامية ومسيحية

إعداد

د. جريس سعد خوري

د. عدنان مسلّم   أستاذ موسى درويش

اللقاء
AL-LIQA

مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة–القدس

القدس
دراسات فلسطينية اسلامية مسيحية

الطبعة الأولى

اللقاء
AL-LIQA

مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة
ص.ب. ١١٣٢٨ - القدس
تلفون وفاكس ٧٤١٦٣٩-٠٢

JERUSALEM

PALESTINIAN CHRISTIAN - MUSLIM STUDIES

Edited By

Dr. Geries S. Khoury

Dr. Adnan Musallam Mr. Musa Darwish



Al-Liqa` Center for Religious and Heritage Studies in the Holy Land

JERUSALEM
Palestinian Christian - Muslim Studies

First Edition



Al-Liqa` Center for Religious and Heritage Studies in the Holy Land
P.O.Box 11328 - Jerusalem
Tel. & Fax. 02-741639

المحتويات

* مقدمة	جريس سعد خوري	١
	عدنان مسلّم	
	موسى درويش	
* دعاء من أجل القدس	لورنس سمور	٧
	علي رافع	١١

آفاق دينية إسلامية

* الأقصى من الناحية الدينية	الشيخ عكرمة صبري	١٣
* القدس في الاسلام	يونس عمرو	١٧
* العهدة العمرية	الشيخ نجيب الجعبري	٢٧

آفاق دينية مسيحية

* القدس مدينة السلام	البطريرك ميشيل صبّاح	٣١
* القدس بالنسبة للمسيحيين	جريس سعد خوري	٣٧
* القدس في المسيحية	المطران لطفي لحام	٤٧
* القدس في المسيحية	الأب جورج سابا	٦٥
* إرتباط المسيحيين بالقدس	القس متري الراهب	٧٩

آفاق تاريخية وأثرية

* التعايش بين المسلمين والمسيحيين في القدس على مر العصور
عبداللطيف البرغوثي ٨٧
* أسوار القدس: معالمها التاريخية والأثرية الأب لويس حزبون ١١٩
* المتحف الإسلامي في رحاب الحرم القدسي الأب لويس حزبون ١٤٥
* رقوم المسجد الأقصى في القدس ودورها في فنون العمارة
ومكانتها في الحضارة العربية يونس عمرو ١٥٩
* منذ فجر التاريخ والقدس هنا القس كمال فرح ١٨٥
* عروبة القدس ... عبر التاريخ رائف نجم ١٨٩

آفاق دينية وسياسية

* سلام العالم من سلام القدس الوزير حسن طهبوب ١٩٩
* الاسرائيليون ملزمون فيصل الحسيني ٢٠٣
* القدس جوهر الصراع الاب عطاالله حنا ٢٠٩
* قراءة في ملف القدس مهدي عبد الهادي ٢١٣
* القدس بين الولاية الدينية والسيادة السياسية زياد أبو زيّاد ٢٢٣
* القدس بين الولاية الدينية والسيادة الوطنية المطران لطفي لحام ٢٢٩
* القدس بين الولاية الدينية والسيادة الوطنية محمد جاد الله ٢٣٥
* القدس أو الموت الأب رفيق خوري ٢٤٥
* القدس مدينة السلام للديانات السماوية الثلاث الأب مارون لحام ٢٥١
* مركز اللقاء في عيده العاشر جريس سعد خوري ٢٥٧

آفاق قانونية

* الحق العربي في القدس — إبراهيم شعبان — ٢٦٣
* هوية القدس بين القانون الدولي والقانون الاسرائيلي — علي رافع — ٢٨٥
* سحب مكتب الداخلية الإسرائيلية لبطاقات هوية مواطني القدس وقواعد القانون الدولي العام — موسى دويك — ٣٥١

آفاق إستيطانية وديمغرافية

* الإستيطان في مدينة القدس — خليل التفكجي — ٣٥٩
* تهويد القدس ... في ظل السلام — خليل التفكجي — ٣٧٥
* التغيير الديمغرافي في القدس وعملية السلام — ذياب عيوش — ٣٨٥
* هجرة الفلسطينيين المسيحيين من منطقة القدس — برنارد سابيلا — ٤٠١

آفاق تربوية

* المشكلات التربوية في مؤسسات القدس التعليمية — سفيان كمال — ٤٢١
* مار كيرلس المقدسي: الواعظ والمربي — الأب رفيق خوري — ٤٣٥

آفاق أدبية

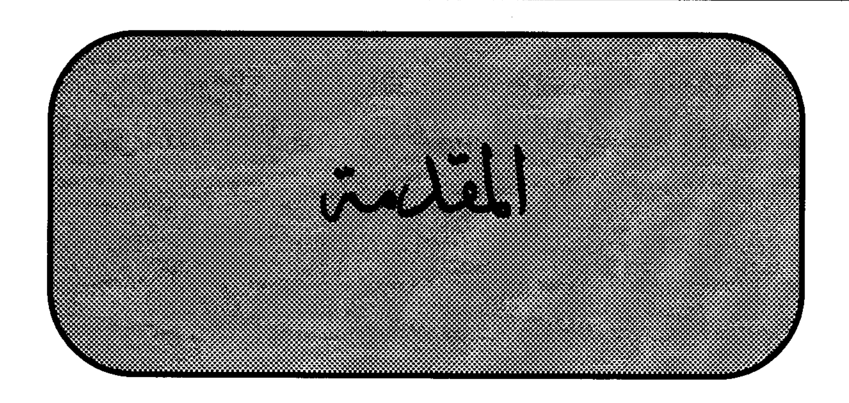
* القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر — عبد الرحمن عباد — ٤٥٥
* صورة القدس في الأدب العربي الحديث — قسطندي الشوملي — ٤٧٩
* القدس — حنا فارس خوري — ٤٩٩

وثائق ونصوص دينية

* في القدس يتعانق العدل والسلام — ٥٠١
* المفهوم المسيحي للقدس (مذكرة) — ٥١٣
* البيان الختامي لمؤتمر التراث ١٩٩٢ — ٥٢١
* البيان الختامي لمؤتمر التراث ١٩٩٥ — ٥٢٥
* القدس في الكتب المقدسة — ٥٢٩
* الأماكن المقدسة تشهد لتجسد السيد المسيح — ٥٣٣

* الملاحق — ٥٣٥

* الفهارس — ٥٤٧



من أولى من القدس في أن تتآلف حولها قلوب المؤمنين، فتلفها بكل الرعاية والحب؟ هذه المدينة التي تطلعت إليها عيون الأنبياء، بعد أن جعلها الله مدينة السلام. وأمّها هؤلاء الأنبياء ليجعلوا منها مكانا ينطلقون منه لينشروا رسالاتهم السماوية، فكانت المنارة التي اهتدى بها كل الموحدين في هذا العالم، فأخذ كل نبي منها قبساً أضاء به ظلام النفوس الذي كان يجثم على قلوب البشرية وعقولها.

هذه القدس التي كانت مرتعا خصيباً للحوار بين الأنبياء جميعا؛ الحوار الذي جرى بينهم وبين خالق السماوات والأرض، الحوار الذي انساب خفيفا لطيفا بين الإنسان وخالقه فارتفع إيمان هذا الإنسان إلى الأعالي ليلتقي بصوت الله جل جلاله، يأمره بالمحبة وبالمعروف وينهاه عن المنكر والظلم، ويقول له بأن الناس سواسية وأنه لا فرق بين عجمي وعربي الا بالتقوى. فالقدس هي مدينة التقوى مثلما هي مدينة المحبة والسلام. في القدس يمتد جسر إيماني بين الخالق والمخلوق بين العابد والمعبود، في صوت القدس رنة الفرح العظيم الذي غمر البشرية، وفي القدس اليوم تنهيدة حارة، ونغم حزين يعلن أن القدس تعاني مرارة الأسر وآسارها أنانية عاتية، وحب ذات شديد أما اسراها فإنهم أبناؤها الذي احتموا بأسوارها منذ آلاف السنين والتجأوا الى خالقهم وخاطبوه من على مآذانها وكنائسها مرددين أنك يا رب أنت الذي باركت حولها وأمنت كل من سكن أكنافها.

إن جميع المؤمنين في العالم لهم قلب واحد، فإذا حاولت جهة ما أن تمزقه فإنها تطعن بخنجر الأنانية وحب الذات كل المؤمنين الذين تتجمع كل قلوبهم في هذا القلب الكبير الذي هو القدس.

إن أبناء إبراهيم في مغارب الأرض ومشارقها تهفوا قلوبهم جميعا الى القدس، ويتطلعون الى اليوم الذي يستطيعون فيه زيارتها والتبرك بترابها، يحدوهم أمل عظيم في أن تكون القدس مفتاح سلام العالم وسلام البشرية وسلام الأبدان وسلام النفوس والأذهان.

ولم تغب القدس يوما عن رسالة اللقاء منذ تأسيسه، فالقدس هي أم المدن، وهي زناد الفكر والإيمان، وقد تناولها المركز منذ تأسيسه فنشر المقالات العديدة حول هذه المدينة المقدسة، وعقد المؤتمرات لمناقشة وضعها ومستقبلها، فعقد أول مؤتمر عن القدس عام ١٩٩٢ تحت عنوان "القدس مدينة السلام"، وفي عام ١٩٩٥ نظم يوما دراسيا تناول فيه "الواقع والمستقبل للقدس"، كما عقد مؤتمرا تحت عنوان "سلام العالم من سلام القدس" في نفس العام. وقد تم نشر أعمال اليوم الدراسي باللغة الإنجليزية، أما المؤتمران فقد نشرت أعمالهما باللغة العربية.

وكان المركز قد اصدر عام ١٩٨٦ كتابا بعنوان "القدس مدينة الله" للدكتور يونس عمرو، كما نشر سنة ١٩٨٨ وثيقة بعنوان "في القدس يتعانق العدل والسلام".

ولم يقتصر عمل مركز اللقاء في موضوع القدس على المجال المحلي، بل تعدى ذلك الى آفاق إقليمية وعالمية، من أجل شرح قضيتنا قضية كل الفلسطينيين قضية القدس. وقد شارك مركز اللقاء في مؤتمر دولي عقد في سويسرا، نظمه مجلس الكنائس العالمي وشارك فيه عدد من المسلمين والمسيحيين واليهود، وقد عقد هذا المؤتمر تحت عنوان "المعنى الروحي للقدس في الديانات السماوية الثلاث". وفي الأونة الأخيرة ساهم مركز اللقاء في الإعداد لمؤتمر عقد في القدس حول "القدس والعملية السلمية"، أسهم فيه عدد من رجال الدين اليهود والمسيحيين والمسلمين.

ولم تغفل عين اللقاء عن الممارسات اللاإنسانية واللاأخلاقية، والتي تتعارض مع الشرائع السماوية والقوانين الدولية؛ من عمليات تهويد واستيطان وامتهان للأماكن

المقدسة المسيحية والإسلامية. وعمليات الإغلاق المستمرة لمدينة القدس التي جعلها الله مفتوحة القلب والذراعين لكل المؤمنين فأغلقها الإسرائيليون بالحواجز والحصار ومنعوا أبناءها المؤمنين من تأدية شعائرهم الدينية فيها.

كيف يحتفل المسيحيون بعيد الفصح وهم لا يستطيعون الصلاة في كنيسة القيامة، كنيسة الفصح؟ وكيف لا يستطيع المسلمون الوصول الى الأقصى الذي بارك الله حوله؟

وتعبيرا عن رسالة اللقاء، فقد قام بإصدار العديد من بيانات الشجب والإستنكار لهذه الممارسات ونظم الندوات التي حضرها العديد من رجال الدين والمفكرين وناقشوا فيها هذه القضايا.

إن ممثلي مركز اللقاء الى كل المؤتمرات والاجتماعات العالمية كانوا يؤكدون على حق الشعب العربي الفلسطيني في السيادة على القدس، لأنها جزء من الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولهذا ينبغي أن يتم التوصل الى الحل الذي يضمن انسحاب إسرائيل منها على أن تتاح حرية العبادة لكل أصحاب الديانات الثلاث.

وظلت مشاركة مركز اللقاء في المؤتمرات الدولية التي تتناول قضية القدس مستمرة. ففي هذه الأيام التي يصدر فيها هذا الكتاب، يشارك المركز في مؤتمر يعقد في بيروت نظمه وأعد له مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي تربطه بالمركز علاقات ممتازة. حيث أن هذا المجلس كان سباقا في المبادرات الخيّرة التي يتم من خلالها دعم قضية القدس بصفة خاصة، وقضايا شعبنا بصفة عامة. ولقد انعقد هذا المؤتمر لاتخاذ موقف إسلامي مسيحي موحد حول القدس، بمشاركة عدد من كبار رجال الدين والشخصيات المسيحية والإسلامية. ومن الجدير ذكره؛ إن المركز قد ساهم في اللجنة التحضيرية التي قامت بالإعداد لهذا المؤتمر.

لقد كان مركز اللقاء سباقا في التصدي لكل الممارسات اللاشرعية التي يتعامل بها الاحتلال مع أبناء الأراضي المحتلة بمجملها، أو مع القدس بصفة خاصة. ان إغلاق مدينة القدس ترك أسوأ الأثر في نفوس جميع محبي السلام حيث أن هذا الإغلاق ترك آثارا مدمرة على الاقتصاد الفلسطيني وعلى البنية التحتية.

وإغلاق القدس أمام الفلسطينيين لا يسمح لعمليـة السـلام أن تتقدم ولا للسـلام أن يتم. إننا جميعا بحاجة الى السلام؛ سلام متوازن يرضى عنه الجميع، ان السلام هـو الذي يحقق الأمن والأمان، وبغير سلام عادل متوازن لا يمكن أن نقضي نهائيا علـى دابر العنف والعنف المضـاد. ان دائرة العنف ستظل تحصد الأخضر واليـابس، الـى ان يتم التوصل الى تحقيق العدل ودعونا نقول العدل المتوازن لأنه ليس هنـاك عـدل مطلق الا عدل الله سبحانه وتعالى.

واليوم ونحن ندفع بهذا الكتاب الى المطبعة، نعيش فـي جـو مـن التوتـر والألـم والغضب على ما يجري على الساحة اللبنانية من تدمير وقتـل. إن الشـعب العربـي اللبناني في هذه الآونـة يتعـرض لكـل أنـواع الدمـار والإبـادة والقتـل، وسـنظل نقـول وبإستمرار ان الحدود ليست هي التي تجلب الأمن ويبقى السلام هو الدواء السـحري الذي ان تحقق فإن جميع سكان هذه المنطقة سوف ينعمون بالأمان. ونحن على ثقـة بأن هذا السلام لن تحمله دبابة أو صاروخ، بل إنـه يحمـل علـى الرغبـة الأكيـدة فـي العيش مع الآخرين بصيغة لا غالب ولا مغلوب واننا جميعا أبناء اللـه وأحـب النـاس اليه من يعمل لمنفعة أبنائه.

ولقد أردنا في مركز اللقاء ان نتـوج مـا فعلنـاه سـابقا بـإصدار هـذا الكتـاب الـذي جمعنا فيه كل ما كتب، أو قيل من الندوات والمؤتمرات واللقاءات والمنشورات التـي نظمها المركز على مدى سنوات عديدة. اضافة الـى مقـالات وأبحـاث جديـدة كتبهـا باحثون فلسطينيون، لتنشر في هذا الكتاب وقد تناولوا فيها موضوعات متعـددة تـدور حول مدينة القدس.

وغرضنا من ذلك أنه وقبل بدء المفاوضـات حـول مسـتقبل القـدس أن نضـع فـي متناول اليد جميع الأبحاث والمقالات الدينية والتراثية والتاريخية والقانونيـة ... الـخ، فلعل السياسيين والمثقفين وأساتذة الجامعات وطلبتهـا والمعلميـن والمؤسسـات، لعلهـم جميعا يفيدون من ذلك في إثراء علمهم أو تكوين صورة لديهم عن الموضوع.

وقد قمنا بمراجعة المقالات وتدقيقها وتصنيفها ووضعنا فهارس للأعلام والمواقع وآيات الكتب السماوية والأحاديث الشريفة راجين من ذلك تسهيل البحث أمام الراغبين.

ومن أجل إتاحة الفرصة للقارئ الأجنبي للإطلاع على جميع ما في هذا الكتاب، فسوف يقوم المركز بنشر ترجمة إنجليزية لعدد من المقالات التي وردت فيه والتي سوف تزيد من معرفته بقضية القدس وأهميتها لدى أبنائها الفلسطينيين.

الشكر كل الشكر للباحثين، والكتّاب الذين زودونا بمقالاتهم التي تتسم بالعلمية والموضوعية. ونحن على ثقة بأن المكتبة الفلسطينية سوف تضيف إليها مرجعا جديدا لطالبي العلم والمعرفة فتتوفر فرصة ثمينة لإغناء ثروتهم الثقافية والمعرفية.

ولا يفوتنا أن نتوجه بالشكر العظيم لأسرة اللقاء التي لاقينا منها الحماس والتشجيع لنشر هذا المجلد، فقدمت لنا الدعم المعنوي والمادي ليصبح حقيقة تلمسونها.

كما ونتقدم بشكرنا الى موظفات مركز اللقاء اللواتي عملن بجد وتعاون لاخراج هذا المجلد بصورته الحالية.

ولا نجد خاتمة لهذه المقدمة أجمل مما قالته الديانات السماوية في مدينة القدس. "أدعو السلام لأورشليم" (مزمور ١٢١)، "ليتك عرفت أنت أيضا طريق السلام" (لوقا ٤٢:١٩)، "نعم المسكن بيت المقدس، ومن صلى فيه صلاة بألف صلاة فيما سواه" (حديث شريف).

والسلام عليك يا مدينة الصلاة

د. جريس سعد خوري

د. عدنان مسلّم

أستاذ موسى درويش



دعـــاء من أجل القدس

لورنس سمور*

يا قدس!

أنت قلب العالم، صميم الدنيا، ينبوع الوجود، أنت إنحناء السماء على الأرض.

أنت مركع البشرية التائبة الى ربها، الملتمسة وجهه من خلال المعابد والكنائس والمساجد.

يا قدس!

لست مدينة كباقي مدن البشر لأنك مدينة الله، أنت مدينة الصلاة، فيك يلتقي الحجاج من كل أنحاء الدنيا كل يسبح الله بلغته في تناغم روحي واحد.

الصلاة فيك كما روي عن النبي الكريم قوله خير من ألف صلاة في غيرك. من صلّى في بيت المقدس فكأنما صلى في السماء.

يا قدس!

لست رقعة من الأرض، بل أنت إمتداد الى اللانهاية الى الأبد الى الأعلى إنك معراج.

غالية أنت على كل موحدي الأرض فأنت مدينة الخلاص. من بين دروبك إنطلقت كلمات الحياة تعزي وتشفي.

---

* لورنس سمور، بكالوريوس في الآداب، دبلوم في التربية، عضو مجلس أمناء مركز اللقاء ومدرّس في مدرسة طاليثا قومي - بيت جالا.
دعاء من أجل القدس في افتتاح مؤتمر التراث العربي للمسيحيين والمسلمين في الأرض المقدسة، الدورة العاشرة، ١٩٩٢.

فيك حمل يسوع الناصري آلام الناس، وفيك فجّر قيامتهم. اليك كان الإسراء، ومنك عرج الرسول الكريم الى السماء.

لقد كنت يا قدس على الدوام ملجأ آمنا للجميع لأنك مدينة السلام ولكن يحق لنا اليوم ان نتساءل في دهشة وإستغراب أين هو هذا الأمن والإطمئنان والسلام؟ أهو في إغتصاب القدس العربية ووضعها تحت السيادة الإسرائيلية؟ أم هو في محاولة حرق المسجد الأقصى المبارك؟ أم هو في إقتحام المستوطنين اليهود لدير مار يوحنا وإستيلائهم عليه بالقوة؟ أم هو في المجزرة المروعة التي إرتكبت في ساحة الحرم الشريف؟ هل هو في العبث بالمقدسات وسرقة الأواني المقدسة أو طمس الآثار الدينية؟ هل هو في إنتهاك حرمة المساجد والكنائس أو الإعتداء على الرموز الدينية؟ هل هو في محاولات التهويد المستمرة أو هدم الكنائس كما حدث بالأمس القريب على جبل الزيتون؟

يا قدس!

نتساءل اليوم في قلق عظيم لماذا يستبدل محبك وسليلك منذ فجر التاريخ بمن كان عنك غريبا؟ لماذا يطرد الأصيل ليؤتى بالدخيل؟ لماذا يسمح للسياح وللزوار من شتى أقطار الدنيا على إختلاف مذاهبهم وأجناسهم بالتجول بحرية تامة في شوارع القدس العتيقة في الوقت الذي يحرم المواطن الفلسطيني إبن البلد من الوصول اليك حتى للصلاة إلا بتصاريح خاصة وفي أوقات محددة؟ أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس؟!

يا قدس!

نضرع الى الله العلي القدير في هذه الأيام التي تجري فيها المفاوضات من أجل إحلال السلام في الشرق الأوسط أن يلهم القادة الكبار في هذا العالم كي لا يدخلوا في مساومة على أرض المسيح أرض الإسراء والمعراج، ونتمنى على الكنائس والقيادات المسيحية في الغرب أن تصحو من غفلتها فتعمل على وقف التهويد المستمر لمعالم المدينة المقدسة.

نسألك اللهم

أن تجعل القدس علامة أمل ورجاء للبشرية جمعاء. علامة سلام ووئام، نموذجا للعيش بإخاء قائم على العدل والإحترام المتبادل كي تتحقق أمنية رسول المحبة والسلام التي أرادها في جميع أبناء القدس كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها.

نسألك اللهم

أن تجعل بالقدس رمزا للّقاء والوفاق وتسدد خطى مركز اللقاء وتبارك عمل القائمين على هذا المؤتمر عن القدس والعاملين والمشاركين فيه راجين لهم جميعا كل النجاح والتوفيق كي يؤدي المؤتمر رسالته في الدفاع عن عروبة القدس وإستقلالها. لأن القدس ستبقى التحدي الأكبر لنا جميعا وما سلام فلسطين إلا سلام القدس فالقدس هي المشكلة والقدس هي الحل.

"ليحل السلام بأسوارك والرخاء داخل قصورك

واني حبا بأخوتي وخلاني

سأحييك تحية السلام"



دعـاء من أجل القدس

علي رافع*

بسم الله الرحمن الرحيم

"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير".

سبحان من جعل هذه المدينة الغالية، القدس، ملتقى لكل أحباء الله. والحمد لله الذي يجمعنا في كل عام فوق ترابها المقدّس لنتشاور ونتحاور ونفكر ونتدّبر فيما يدور في العالم، وكيف نتعامل معه.

ان لقاء مركز اللقاء الذي يتم كل عام في المدينة التي أرادها الله مهدا لرسالاته السماوية ومعراجا لنفوسنا الى السماوات العلوية، هذا اللقاء يعلمنا حب الإنسان لأخيه الإنسان الذي كرّمه الله على كثير مما خلق وفضّله تفضيلا لعلّه يشكر الله الذي لا تعد ولا تحصى فضائله.

فندعو الله ان يجمع شمل شعبنا فوق ترابه الوطني، ويلم شتاتنا بعد طول الغياب فقد طال الشوق وشربنا كأس العذاب مرات ومرات حتى أصبح العذاب والمعاناة جزءا من حياتنا اليومية مقيمين ومبعدين ولاجئين ومشردين!

---

* علي رافع، بكالوريس في القانون ويعمل محاميا في حيفا.
دعاء من أجل القدس، في افتتاح مؤتمر التراث العربي للمسيحيين والمسلمين في الأرض المقدسة، الدورة العاشرة، ١٩٩٢.

اللهم ردّنا الى دينك ردّا جميلا وهيىء لنا أسباب النصر المؤزر الكريم وارفع الظلم عن المظلومين هنا وفي أفريقيا وأوروبا وفوق كل أرض وتحت كل سماء وعليك بالظالمين القتلة منهم لا يعجزونك يا من تمهل ولا تهمل.

اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام متعنا بالسلام القائم على العدل الثابت الذي يعيد الحقوق الى أصحابها الشرعيين الذين طال شوقهم وانتظارهم لتحقيق العدل والسلام.

اللهم اجعل جمعنا معصوما وتفرقنا مرحوما ولا تجعل فينا ولا بيننا شقيا ولا محروما، اللهم ارحمنا برحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك، ومتّعنا باسماعنا وأبصارنا وتراثنا أبدا ما أحييتنا واجعله الوارث منا!

اللهم فرحنا بنصرك ومدّنا بمدد منك لنكون من المؤمنين الذين يفرحون بنصر الله.

اللهم ارحم شهداءنا واشف مرضانا وجرحانا وفكّ أسرانا واغفر لحيّنا وميّتنا وشاهدنا وغائبنا.

اللهم فرّج الهمّ والكرب عنا وعن شعبنا هنا وفي الشتات وفي كل مكان، وفرّج الهمّ عن كل المعذبين في الأرض.

اللهم وفّق القائمين على هذا اللقاء، ووفّق المشاركين فيه لتكون الأبحاث والحوارات والنقاشات لما فيه خيرنا وخير شعبنا واجعل كل عملنا خالصا لوجهه الكريم وفي ميزان حسناتنا يوم القيامة يا رب العالمين واجعلنا الداعين الى سبيلك بالحكمة والموعظة الحسنة.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما. **اللهم** ارفع مقتك وغضبك عنا ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا يا أرحم الراحمين. **اللهم** اعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

"ويا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون."
وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

آمين



بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اطلعت على مقالة للأستاذ مصطفى الشهابي في مجلة منبر الإسلام الصادرة بالقاهرة في جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ وفق آذار ١٩٨٣م ومما جاء بمقالته ان المسجد الأقصى المبارك يقوم على معبد سليمان، "هيكل سليمان".

كما اطلعت على مقالة الدكتور حمد أحمد عبد الله يوسف - رئيس قسم احياء التراث الإسلامي بالقدس والمنشورة في صحيفة القدس بتاريخ ١٩٨٣/٤/١١م يرد فيها على مقالة الأستاذ الشهابي من الناحية التاريخية الأثرية.

وكان لزاما عليّ أن اتناول الرد من الناحية الدينية العقائدية وأدلي بدلوي في هذا الموضوع فأضع بين يدي القارىء الحقائق التالية.

١. ان تسمية المسجد "الأقصى" جاءت بقرار رباني ووردت صريحة في القرآن الكريم في أول آية من سورة الإسراء بقوله تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ..." ...

* الشيخ عكرمة صبري، ماجستير في التربية، مفتي القدس والديار الفلسطينية. محاضرة في مؤتمر اللقاء بدولة السويد، ١٩٩٠.

فلا يجوز التغيير أو التلاعب في هذه التسمية اذ لاحظنا تجاهلا متعمدا في هذه التسمية ويستبدلونها باسـم مسجد عمر. نعم ان عمـر ابـن الخطـاب جـاء الـى المسجد الأقصى كما جـاء المئـات مـن الصحابـة الكـرام، ولكـن مـا دام القـرآن الكريم قد ذكر المسجد الأقصى فلا يجوز العدول عن هذه التسمية الـى تسـمية أخرى.

٢. حينما يطلق اسم المسجد الأقصى فان ذلـك يشـمل جميـع المنطقـة التـي تقـارب مساحتها ١٤٠ دونما و ٩٠٠ مـترا مربعـا أي يشـمل سـور المسـجد والبوابـات الخارجيـة والمسـاحات والممـرات والقبـاب والمحـاريب والقسـم المغطـــى مـــن المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة. وذكـرت كتـب السـيرة النبويـة وصفا لبيت المقدس ولموقع الأقصى منه في حادثة الإسراء والمعراج وان اللـه سبحانه وتعالى قد جلّـى لرسوله الكريـم عليـه السـلام بيـت المقـدس وأخـذ فـي وصفه لأهل مكة باباً، وذلك حينما لم يصدقـوه بحادثـة الإسـراء والمعـراج فـي حين صدقه الصحابة الكرام وكان من أوائل المصدقين أبو بكر الصديق رضـي الله عنه، وأكد وصف بيت المقدس عمر بن الخطاب وجمهور الصحابة الذيـن شاركوا فتح بيت المقدس عام ١٥ هـ.

ومع مرور الأيام أخذ الناس يطلقـون "الأقصـى" علـى الجـزء المغطـى أي مـن قبيل اطلاق الكل على الجزء، ولكن هذا لا يغـير الحقيقـة الدينيـة العقائديـة بـأن الأقصى هو الكل وانه يشمل جميع المناطق.

٣. ان ارتباطنـا بالمسـجد الأقصـى هـو إرتبـاط عقـدي لأن المسـجد الأقصـى كــان محـورا لحادثـة الإسـراء والمعـراج "اليـه انتهـى الإسـراء مـن مكـة، ومنـه بـدأ المعراج الى السموات العـلا" وبمـا ان حادثـة الإسـراء والمعـراج معجـزة مـن معجزات الله، والمعجزات خارقة للعادة وهـي جـزء مـن الغيبيـات، والغيبيـات جزء من العقيدة الإسلامية لذا كـان ارتباطنـا بالمسـجد الأقصـى ارتباطـاً عقديـاً وهذا النوع من الإرتباط هو أقوى الإرتباطات "من قومية ووطنية وعرقية".

٤. من الأمور البدهية ومن المسلمات بأن الإسلام يحافظ على أماكن العبادة لأصحاب الديانات الأخرى فلا يجوز الإعتداء على أي كنيس أو كنيسة أو صومعة ... فلو كان المسجد الأقصى مكان عبادة لليهود لما أمر الله بتحويله مسجدا للمسلمين، فالله عادل ويتنزه عن الظلم، وطلب منا ان نقيم العدل بين المسلمين وغير المسلمين وهذا ما أكده عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أتى الى منطقة المسجد الأقصى فلم يجد أي أثر لمكان عبادة لليهود وإنما وجد ساحة مملوءة بالنفايات، كما ان عمر رفض الصلاة في كنيسة القيامة خوفا من أن يدّعي المسلمون من بعده بهذه الكنيسة وصلى الظهر خارج الكنيسة وبُني مسجد عمر مقابل كنيسة القيامة رمزا للتسامح الإسلامي.

وما دام عمر الإنسان لم يعتد على مكان عبادة للنصارى فكيف بالله سبحانه وتعالى الذي يتصف بالعدل المطلق وبالكمال المطلق، كيف بالله خالق العباد، هل يتصور منه "عز وجل" ان يعتدي على أصحاب ديانة لأجل ديانة أخرى؟ حاشا وكلا وسبحان الله عما يصفون وعما يدّعون، وعليه فنحن المسلمين - من الناحية العقائدية - لا نقر ان المسجد الأقصى قائم على انقاض معبد سليمان، كما ان الأقصى لم يكن مكان عبادة لغير المسلمين.

في الوقت نفسه نوضح بأنه يمكن ان يكون معبد سليمان في مدينة القدس ولكن وبكل تأكيد ليس في منطقة الأقصى.

والسؤال: أين كان معبد "هيكل سليمان"؟

والجواب هذا ما لا نعرفه حتى اليهود أنفسهم لا يعرفون، فهم يظنون ويخمنون ويفترضون عدة مواقع ويضعون عدة إحتمالات ولم يصلوا الى نتيجة، ويمكننا ان نقول "لن يصلوا".

٥. ان القرآن الكريم قد ذكر قصص الأمم السابقة وأخبار الأنبياء والرسل وما تضمنت من المعجزات التي أيدهم الله بها كما تضمنت موقف المصدّقين والمكذبين، وطلب منا القرآن الكريم ان نؤمن بنبوة الأنبياء والمرسلين وان

نصدق الأخبار التي تحدثت عنهم، فصلة المسلمين بأصحاب الديانات الأخرى مبنية على ضوء ما ورد بحقهم في القرآن الكريم وما شرحته السنة النبوية، وما عدا ذلك فلا نؤمن به ولا نصدقه فما يقوله أصحاب الديانات السابقة وليس له ذكر في القرآن الكريم والسنّة النبوية فنحن كمسلمين غير مطالبين بتصديقه، وعليه لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنّة النبوية ان الأقصى كان مكان عبادة لليهود، فلا مجال للتسليم بدعوى اليهود بأن المسجد الأقصى قائم على أنقاض معبد سليمان وان هذه الدعوى تعتبر من الروايات الإسرائيلية ومن السذاجة في بعض المسلمين ان يعتمدوا على الإسرائيليات في أبحاثهم وتفسيراتهم ولم يكونوا يدركون الأخطار المستقبلية والنتائج السلبية المترتبة على ذلك.

أرجو ان أكون في مقالتي هذه قد وضعت النقاط على الحروف وأوضحت الناحية الدينية العقدية المرتبطة بالمسجد الأقصى المبارك.





القدس قبل الإسلام

تعتبر مدينة القدس من أقدم مدن فلسطين، بل ومن أقدم مدن الأرض كافة، اذ يرجع تاريخ نشأتها الى حوالي (٢٠٠٠ ق.م.)، حين أنشأها العرب اليبوسيون، وأطلقوا أسمهم عليها، أنشأوها على أنقاض بلدة قديمة، عرفت بإسم (بيت نيفورتا)، أو قد يكون ذلك الموقع قريبا من موقعها. [١]

إن مدينة القدس من أقدس مدن الأرض، بل إنها المدينة الوحيدة التي يجمع على قداستها أهل الديانات السماوية جميعا، مما جعل لها مكانة مرموقة في تراث هذه الأديان ومعتقداتها. ولسوف نعرض في هذه الورقة لمكانة هذه المدينة الروحية في الدين الإسلامي، منذ بدء الدعوة الإسلامية والى الأبد.

---

* يونس عمرو، دكتوراه في اللغة العربية واللغات السامية، عضو مجلس أمناء مركز اللقاء، مدير جامعة القدس المفتوحة – فرع الخليل، ونائب رئيس الجامعة للشؤون الادارية، كما أنه رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني ونائب رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين. محاضرة في الدورة العاشرة لمؤتمر التراث ١٩٩٢.

مكانة القدس في الإسلام

لقد أجمعت المصادر على أن الوجود العربي في مدينة القدس، تواصل منذ نشأتها وحتى الفتح الإسلامي، بل كانت ذات شأن في أنفس العرب في تلك الأيام، فهي معروفة لعرب الجزيرة الذين كانوا يفدون اليها ويقيمون علاقات طيبة مع أهلها من إخوانهم العرب بالتجارة وغيرها، وإن كانت تحت الحكم الروماني قبل الفتح الإسلامي. وبظهور الدعوة الإسلامية تحول الأمر بهذه المدينة الى إرتباط عقدي وتعبدي بالإسلام والمسلمين في الإسراء والمعراج، ثم بإتخاذها قبلة أولى للمسلمين لتتخذ مكانة روحية قدسية في الإسلام، لا تقل عن مكانة مكة والمدينة المنورة، ويتضح ذلك من خلال الأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة "رضي الله عنهم"، التي تحض المسلمين على تقديس المدينة ومراعاة مكانتها الدينية، إعتقادا وعبادة بل تمجيدها والتأكيد على رفعة قدرها بين مدن الإسلام، فقد قال النبي "صلى الله عليه وسلم": "لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى".

وعن عمران بن حصين أن النبي "صلى الله عليه وسلم" قال: "قلت يا رسول الله ما أحسن المدينة، قال: "كيف لو رأيت بيت المقدس". قلت: "وهل هي أحسن؟" قال: "كيف لا، وكل من بها يُزار ولا يَزور، وتهدي إليها الأرواح ولا تهدى روح بيت المقدس لغيرها". وعن أبي هريرة أن النبي قال: "أربع من مدائن الجنة: مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس". وقال الإمام علي بن أبي طالب: "وسط الأرضين أرض بيت المقدس، وأرفع الأرض كلها الى السماء بيت المقدس". كما قال: "كرم الله وجهه (لصعصعة)" نعم المسكن بيت المقدس، القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله، وليأتين على الناس زمان يقول أحدهم: "ليتني تبنة في لبنة في بيت المقدس". وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) إن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء".

ثم إن عيون المسلمين منذ فجر الإسلام، توجهت الى فتح مدينة القدس، لما يعرفونه عن أهميتها ومكانتها في عقيدة الإسلام، مما دفع بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) الى طمأنة المسلمين وتبشيرهم بذلك الفتح وهو لا ينطق عن الهوى، إذ

روي عن محمد بن حسن بن قتيبة العسقلاني أنه قال: "حدثنا محمد بن النعمان عن سليمان بن غبد الرحمن عن بنت شرحبيل عن هانيء ابن عبد الرحمن عن إبراهيم عن أبي عبلة عن عبد الله بن الديلمي عن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعت معاذ بن جبل يقول، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ، إنه سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش الى الفرات، رجالهم ونسائهم، وهم مرابطون الى يوم القيامة. فمن إحتل ساحلا من سواحل الشام وبيت المقدس، فهو في جهاد الى يوم القيامة".

وروى شداد بن أوس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "ألا أن الشام ستفتح، وبيت المقدس سيفتح، وتكون أنت وولدك أئمة بها إن شاء الله". (٢)

أما عن مكانة القدس في العبادة عند المسلمين، فقد أجمعت المصادر على فضل الإقامة والزيارة في بيت المقدس على غيرها من أقطار الإسلام، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من خرج الى بيت المقدس لغير حاجة إلا الصلاة فصلى فيه خمس صلوات صبحا وظهرا وعصرا ومغربا وعشاء، خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه".

وعن انس رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من زار بيت المقدس محتسبا أعطاه الله أجر الف شهيد". وروي عنه صلى الله عليه وسلم قوله: "من زار عالما فكأنما زار بيت المقدس، ومن زار بيت المقدس محتسبا حرم الله لحمه وجسده على النار". وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى في بيت المقدس غفرت ذنوبه كلها". وعن أبي الفرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفي مسجدي بألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة". (٣)

نكتفي بهذا القدر من النصوص الإسلامية من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة، التي تبرز مكانة بيت المقدس في الإسلام، كما تؤكد على قدسيتها عند المسلمين، بحيث يبدو واضحا أن هذه المدينة، إنما تعتبر من مواقع الإسلام التي لا يمكن

الإستغناء عنها، أو التهاون في شأن من شؤونها، فأي تهاون بحق هذه المدينة من المسلمين، يعتبر تهاونا في أمور الدين عقيدة وعبادة على حد سواء.

الإسراء والمعراج

لقد شاء الله سبحانه وتعالى، أن تكون مدينة القدس ثالث أقدس المدن الإسلامية، بأن قدر إسراء النبي صلى الله عليه وسلم اليها، ومعراجه الى السماء منها، هاتان الحادثتان المعجزتان اللتان تحدث عليهما القرآن الكريم، فقد قال الله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير". (٤)

إن هذا النص القرآني، ينص بصريح العبارة على أن الإسراء من مكة الى بيت المقدس حدث ضمن الأبعاد المادية المحسوسة، وذلك بتحديد الأمكنة صراحة، فضلا عما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، من وصف لأحداث مر بها أثناء الرحلة، وبخاصة حادثة القافلة التي مر بها والتي أقر رجالهم بأنهم رأوا محمدا صلى الله عليه وسلم، وقد حدثوا بذلك بعد وصولهم الى مكة. وأنه فعلا ترك فراشه في مكة وعاد إليه، وهو ما زال دافئا، في رحلة يحتاج فيها المسافر الى شهرين ذهابا وإيابا في ذلك الوقت. (٥)

أما المعراج فقد اختلف التعبير القرآني عنه حيث وضوح العبارة وصريحها كما حدث بالنسبة للإسراء، إذ أشار اليه تعالى إشارات لطيفة، بأسلوب من العبارات الشفافة، التي تمس جوهر الإيمان في قلب المسلم، فقد قال جل شأنه: "والنجم إذا هوى، ما ضلّ صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، افتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغي، لقد رأى من آيات ربه الكبرى". (٦)

إن هذا النص بتعابيره الرمزية، وصورة الشفافة، يحتاج الى الكثير من التفكير والتعقل في معاني الألفاظ، لأستشراف ما وراء معانيها الحقيقية والمجازية على حد سواء، لما فيها من قيم معنوية لا يكاد يدركها الإنسان لأول وهلة، لما جبل عليه فهمه من القدرة على إدراك الأمر ومن خلال خبرة سابقة تعتمد بالدرجة الأولى على التصور، بقياس الجديد على القديم، وذلك لأن المعراج فيه من قيم الإعجاز ما يفوق تلك التي في الإسرء، لذلك فقد ذهب العلماء المسلمون، الى أنه لا يجوز إنكار الإسراء والمعراج في العقيدة الإسلامية، وأن حكم منكر الإسراء، يكون حكم الكافر، لأنه يصادم النص القرآني الصريح، أما منكر المعراج، فحكمه حكم الفاسق، لعجز إيمانه، وعدم قدرته على التسليم بحسن الإعتقاد. (٧)

لا تتوقف أهمية الإسراء والمعراج عند الجانب العقدي في الإسلام، بل إنها تتجاوز هذا الأمر الى حكمة إلهية كبرى، تمثلت في تكريس عمومية الإسلام وعالميته، بعدم قصره على العرب في الحجاز أو الجزيرة فحسب، وذلك من خلال ربط عقدي معجز، بين البيت العتيق في مكة، والمسجد الأقصى في بيت المقدس، مما يعتبر دليلا على إثبات معان في القرآن الكريم وتكريس مفاهيمها، ومنها قوله تعالى: "وما أرسلناك الا رحمة للعالمين". (٨) وقوله جل شأنه: "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرًا ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون". (٩)

وعلى ضوء ما سبق، يمكن فهم تقبل المسلمين بيت المقدس، في أول عهدهم بالإسلام، حين فرضت عليهم الصلاة وإتخذوا قبلة لهم، وذلك حين تحرجوا من التوجه الى الكعبة، التي تحف بها الأصنام، ذلك التوجه الذي صح معه وصف بيت المقدس بأولى القبلتين، منذ فرضت الصلاة على المسلمين، لتصبح مدينة القدس ذات مكانة تعبدية يتوجه اليه المسلم في الصلاة فضلا عن مكانتها في العقيدة التي ترسخت بالإسراء والمعراج.

إنَّ إتخاذ المسلمين من بيت المقدس قبلة لهم دون الكعبة، كان بأمر من الله جل شأنه، وحين شاء للمسلمين التوجه الى المسجد الحرام، أخبرهم بأن ذلك سوف يجعل سفهاء الناس من غير المسلمين يسخرون منهم، ليرد على اولئك الناس بالرد الحاسم أن الأرض كلها له: فله مشرقها ومغربها، بما فيها الأماكن المقدسة عند الله من

بيته العتيق في مكة الى المسجد الأقصى في القدس، فقد قال تعالى: "سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم. وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم. قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولّينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون". (١٠)

ما يلاحظ من النقد اللاذع لأولئك الذين انتقدوا المسلمين بتحولهم من قبلة بيت المقدس، الى مكة المكرمة حيث البيت العتيق، بل وصفهم بالسفهاء، يثبت أن هذا التحول إنما كان بأمر من الله، تماما كما كان التوجه الى بيت المقدس قبلا، بل يعلل الله جل شأنه في هذا النص القرآني، أن التوجه الأول الى القدس الشريف، إنما كان حكمة إلهية، أراد الله بها أن يعلم من هو الذي يتبع النبي محمدا في العبادة بالتوجه الى أرض غير أرضه، والى مكان عليه أن يقدسه وهو القدس، غير الذي كان يقدسه وهو البيت العتيق في مكة، وليكرس مكانة هذا البلد البعيد عن مكان مبدأ الدعوة الإسلامية، متخذا من ذلك دليلا على صدق الإيمان والإخلاص لهذا النبي ودعوته الجديدة.

القدس والفتح الإسلامي

على ضوء ما سبق، فان مكانة القدس الشريف الروحية في الإسلام قد ترسخت في أنفس المسلمين قبل الفتح الإسلامي بزمن، مما جعل المسلمين يتشوقون الى فتح هذه المدينة، فلأجل هذا كانت بلاد الشام من أولى البلاد التي بادر المسلمون منذ الوهلة الأولى الى فتحها، بل لقد كانت أول غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم توجه خارج أرض الجزيرة الى الشام، وهذا ليس من قبيل الصدفة أو أنه من الأمور العابرة. ففي الشام بيت المقدس موطن الإسراء والمعراج، وأولى

القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، بمعنى أن هذه المدينة المقدسة مقدسة عند المسلمين، ويتوجب عليهم العمل السريع والدؤوب، على إدخالها في حوزة الإسلام.

وهكذا تواصلت جهود المسلمين الجهادية، منذ عهد الرسول "صلى الله عليه وسلم"، وفي عهد خليفته الأول أبي بكر "رضي الله عنه"، وفي عهد خليفته عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" في غزوات ومعارك مستمرة ضد الروم، الى أن قدر الله تعالى وشاء بفتحها على المسلمين، تلك المدينة، التي لم يتردد عمر "رضي الله عنه" أن يحضر بنفسه لتسلمها من سكانها، إكراما من الله "تعالى" لها، ولحرمتها وقدسيتها في قلوب المسلمين، من ادعاهم الى اعلاهم وهو الخليفة. ذلك الأمر الذي لم يحدث لمدينة سواها من مدن الفتح. ولمكانة المدينة عند المسلمين. لم يتردد خليفة المسلمين عمر "رضي الله عنه" حين حضر لإستلامها، ان يعطي عهدا لأهلها النصارى على نفسه وعلى المسلمين، يبقى خالدا على الدهر، إكراما لأولئك الأهل، وهم من العرب أبناء عشيرته الذين لا يختلفون كثيرا عن أهله في الجزيرة. ولأهمية هذا العهد في تاريخ المدينة بخاصة، وفي تاريخ الإسلام بعامة، نورد نصه في هذه الورقة.

"بسم الله الرحمن الرحيم"

هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الامان. أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن، وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية، ومن احب من اهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فانهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من اهل الأرض فمن شاء منهم

قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع الى أهله، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا اعطوا الذي عليهم من الجزية.

- شهد على ذلك
- خالد بن الوليد
- عمرو بن العاص
- عبد الرحمن بن عوف
- معاوية بي أبي سفيان
- عمر بن الخطاب [١١]

الكلمة الأخيرة

هذه هي مدينة القدس في الإسلام، تلك المدينة التي تعتبر من المدن الإسلامية المقدسة، التي ارتبطت وجودا وذكرا بالنبوة والأنبياء، وبرفع اسم الله منها، بحيث غدت تهم كل مسلم عبادة واعتقادا فأكرمها المسلمون وسعوا اليها منذ فجر الإسلام، فمن الإسراء والمعراج، الى اعتبار أولى القبلتين، ثم ثالث الحرمين الشريفين، حتى تم الفتح الإسلامي، وجاء اليها خليفة المسلمين عمر "رضي الله عنه" بنفسه يتسلمها دون غيرها من المدن، ليخص أهلها بعهد أمان خالد في ذمة المسلمين الى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بالنظر للمكانة الروحية والقدسية التي عليها مدينة القدس، فقد حظيت بعناية واهتمام المسلمين بها، والحكام بشكل خاص، فالمسلمون يفدون الى بيت المقدس، تماما كما يفدون الى مكة والمدينة، امتثالا لأمر النبي "صلى الله عليه وسلم". وقد حرص الحكام المسلمون عبر العصور الإسلامية، على إبداء اهتمامهم بالمدينة تقديرا لمكانتها في الإسلام، فقد بنى عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" أول مسجد فيها بعد الفتح مباشرة، كما حرص الأمويون على اظهارها بصورة اسلامية تليق بها، فبنوا المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة المشرفة، الذي جاء بناؤه على

صورة تكاد تكون من عجائب الفن المعماري الإسلامي والعالمي، ويمكن القول: ان اهتمام الحكام المسلمين بالقدس الشريف، قد تواصل عبر الزمن بحيث لم يختلف أحد منهم عن زيارتها أو الإقامة فيها قسطاً من الزمن، أو انشاء منشأة عمرانية فيها، اذ انشأوا المدارس والربط والمساجد والسقايات والأسوار وهي ما زالت باقية الى هذه الأيام تخلد ذكرى من انشأوها، كذلك أهل العلم من المسلمين، اتخذوا مدينة القدس حاضرة لنشر علومهم وجعلوها في مرتبة لا تقل عن غيرها من حواضر الإسلام مثل بغداد والقاهرة ودمشق ومدن المغرب والأندلس، فقبور أولئك العلماء المسلمين التي ما زالت شواهدها في جنبات المدينة تعتبر أنصع الأدلة على ذلك، ثم ان مدينة القدس في تاريخها الإسلامي الطويل، كانت إذا تعرضت للعدوان من الغزاة، يهب المسلمون من أوطانهم كافة للدفاع عنها، والإستشهاد في سبيل الله من أجلها، بل إن تحريرها من أيدي الصليبيين كان الحافز الأكبر لصلاح الدين الأيوبي، في جهاده ضد أولئك القوم، حتى تم له ما أراد.

وقد يتساءل البعض، لماذا لم يتخذ المسلمون من مدينة القدس عاصمة لحكمهم في العهود الإسلامية المختلفة؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول: ان هذا التصرف يعتبر دليلا آخر على مكانة المدينة الروحية والقدسية في قلوب المسلمين، لا تقل عن تلك التي لمكة والمدينة، هذه المدن الثلاث التي حرص المسلمون على الإبتعاد بها عن الصراعات السياسية، والإرتقاء بها أيضا عن ان تكون امكنة لتجمع رجال الحكم وطوائف السياسة، ورجال الحرب والجيوش، فهذا ترسيخ لتكريم المدينة والمحافظة عليها نقية من مظاهر الاختلاف، بعيدة عن حدة الصراع.

وهكذا، فان مدينة القدس التي ارتبطت بمكة والمدينة عند المسلمين من حيث القداسة والتكريم والمكانة في الإعتقاد، لا يجوز لمسلم ان يتهاون في ذرة تراب من ترابها لا قولاً ولا عملا، وكل من يفكر بهذا يكون من المعتدين، والله المستعان على كل الأمور.

الحواشي:

١. H. Smith: *Man and his Gods*, Grossol, Universal Library, New York, 1956,0. 58.

٢. عارف العارف: **المفصل في تاريخ القدس**، مطبعة المعارف، القدس، ١٩٦١، ص:٨٣، ٨٤.

٣. مجير الدين الحنبلي: **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٩٧٣، ج١، ص:٢٢٩، ٢٣٠.

٤. سورة الإسراء(١).

٥. مجير الدين الحنبلي: **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، ج١، ص:١٨١.

٦. سورة النجم (١-١٨).

٧. يونس عمرو: **القدس مدينة الله**، منشورات مركز اللقاء، ١٩٨٦، ص: ٨٩.

٨. سورة الأنبياء (١٠٧).

٩. سورة سبأ (٢٨).

١٠. سورة البقرة (١٤٢ - ١٤٤).

١١. عارف العارف: **المفصل في تاريخ القدس**، مطبعة المعارف - القدس، ١٩٦١، ص ٩٧.





يحتفظ دير واد القلط بمخطوطة نفيسة ترجع الى أربعة عشر قرنًا من الزمان وهذه المخطوطة هي النص الأصلي للعهدة العمرية التي تم بموجبها فتح مدينة القدس على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عام ١٥ للهجرة.

وقد أورد الإمام الطبري في تاريخه أيضا نفس النص الذي إحتوته وثيقة دير وادي القلط بالتمام والكمال وهي مشهورة ومبثوثة في ثنايا كتب التاريخ.

ونظرا لأهمية هذه الوثيقة التاريخية، وحاجة الناس اليها في هذا الزمان الذي تختلط فيه الأمور وقلّما ينتصف فيه أهل بيت المقدس وخاصة النصارى منهم وكذلك لجهل كثير من أبناء المسلمين لما تضمنته العهدة العمرية وما جرى من التزامات واضحة من قبل أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومن حضر معه من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إرتأينا نشر هذه الوثيقة التاريخية والتعليق على ما تضمنته من بنود مهمة.

---

* الشيخ نجيب الجعبري، ماجستير في الشريعة الإسلامية، محاضر في جامعة الخليل، كتب هذا المقال لكتاب القدس.

بسم الله الرحمن الرحيم

"هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها.

انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبانهم ولا من شيء من أموالهم.

ولا يكرهون على دينهم ولا يضارّ أحد منهم.

ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء ان يُعْطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن.

وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

ومن أحب من أهل إيلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويُخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية".

ان المتفحص لهذه الوثيقة يخلص منها بالأمور التالية:

أولا: إن فتح بيت المقدس قد تم بالصلح التام بين المسلمين والنصارى الذين كانوا يقطنون ببيت المقدس وذلك بخلاف سائر المدن الأخرى في فلسطين التي فتحت بعد قتال وحروب.

ثانيا: حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الإستجابة لقبول الصلح وأبرم الصلح بنفسه بعد ان سافر من المدينة المنورة الى فلسطين من أجل إتمام هذا الصلح.

ثالثا: أمّن أمير المؤمنين أهل القدس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم وممتلكاتهم ومنع التعدي على أي من ذلك.

رابعا: ترك لهم الحرية الدينية وأمر بصيانة كنائسهم وصلبانهم ومنع استخدام هذه الكنائس للسكن من قبل المسلمين ونهى بشكل صارم عن هدم الكنائس أو هدم أجزاء منها أو توابعها واعتبر ذلك بضمانة الدولة الإسلامية.

خامسا: منعت العهدة ان يسكن مع أهل القدس من النصارى أحد من اليهود.

سادسا: أعطت العهدة فرصة لأهل القدس للتخلص من اللصوص.

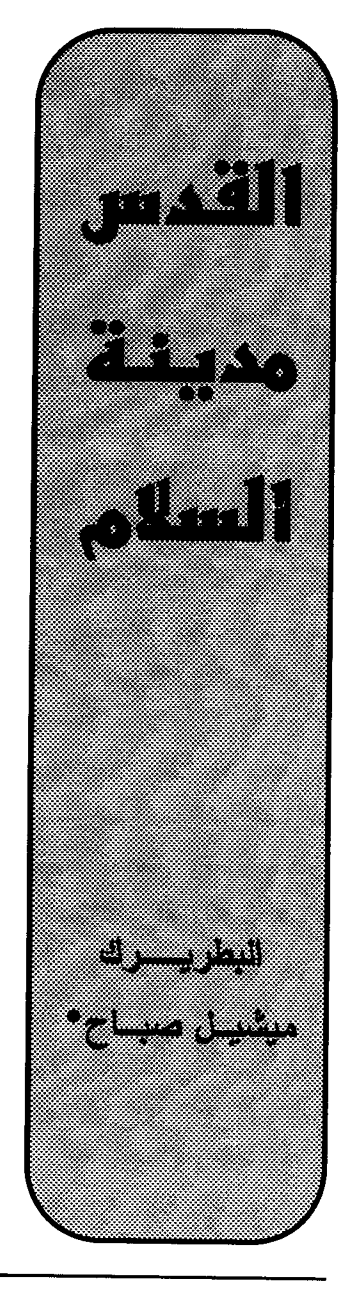
سابعا: أما من كان من غير أهل القدس فقد تركت له هذه العهدة حرية الإختيار بين البقاء أو الرحيل عنها.

إختتمت الوثيقة بتعهد بالوفاء بهذه الشروط من قبل المسلمين الذين أعطوا عهد الله وذمة رسوله على تنفيذ ما ورد بتلك الوثيقة. وبعد ذلك فقد جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ذمة المؤمنين مكلفة ومسؤولة عن تنفيذ مضمون هذه العهدة بحيث لا يستطيع أي مسلم ان يتجرأ على تغيير حرف واحد لا بزيادة ولا بنقصان وعلى هذا فإنه من الواضح ان الإسلام بما يمثله الخلفاء الراشدون وصحابة الرسول صلى

الله عليه وسلم قد خطّوا لنا الخطوط الواضحة التي تحدد العلاقة بين المسلمين والمسيحيين وما يمثلونه في أرض بيت المقدس وفي سائر أنحاء العالم من علاقة تقوم على الإحترام المتبادل وإعطاء الحرية الدينية للجميع وفق ما يعتقدون مع الحفاظ على ممتلكات الكنيسة وأراضيها وما تحتويه من صلبان أو صور او ما الى ذلك وإننا لنعتز ونفخر في أن المسلمين استمروا على مدار القرون الماضية يحملون نفس مشاعر الإحترام والتقدير لأهل القدس من المسيحيين الذين استمروا في العيش جنبا الى جنب مع المسلمين وظلت مفاتيح كنيسة القيامة أمانة وعهدة في أيدي المسلمين حتى يومنا هذا وظل مسجد عمر بن الخطاب في مقابل كنيسة القيامة شاهدا ومرسخا لروح الإتفاق والصلح الذي أبرم وتم بموجبه فتح بيت المقدس.

المراجع

- **تاريخ الطبري**، مجلد ٢، ص ١٥٩.
- **الكامل في التاريخ** لإبن الأثير، ص ٤٩٩.
- عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، مطبعة المعارف، ١٩٦١، ص ٩٥.



١. أود أن أحيي أولا أسرة اللقاء في الذكرى السنوية العاشرة فأعبّر في هذه المناسبة عن تقديري وشكري للجهود التي بذلتها في الفكر والحوار. وإني لأسأل الله لها دوام التقدم والإستمرار في أداء رسالتها في التقريب بين المؤمنين في هذه الأرض المقدسة.

٢. وإن موضوع الدراسة الذي إختارته اسرة اللقاء لهذا المؤتمر الفكري العاشر "القدس مدينة السلام" لهو موضوع جوهري وأساسي يهز كل مؤمن في هذه المدينة المقدسة وفي أقطار المعمورة كلها.

إن للقدس شخصية وكيانا ليس ككيان وشخصية أية مدينة في العالم. هي في بقعة جغرافية محددة وأهلها ذوو قومية محددة. إلا أنها بمكانتها وبرسالتها الألهية تسمو فوق حدودها وفوق كل الجهود السياسية. وتدعو أهلها ليكونوا مع أمانتهم لإيمانهم ولقوميتهم من السمو والرحابة بحيث يجعلونها مدينة الله، ومدينة أبناء الله في العالم كله. وليكونوا على مستوى هذه الخدمة السماوية الموحدة والمؤمنة بالله الواحد الأحد.

---

* البطريرك ميشيل صباح، دكتوراه في اللغة العربية، بطريرك اللاتين في القدس. كلمة في افتتاح الدورة العاشرة لمؤتمر التراث العربي للمسيحيين والمسلمين في الأرض المقدسة، ١٩٩٢

وهذا هو جوهر المأساة التي تعاني منه المدينة المقدسة، وهو النزاع بين ملكيتها المادية المحدودة وبين ملكيتها الروحية التي لا حد لها. وإنها لدعوة الى أهل القدس جميعا لأن يكونوا على مستوى هذه الملكية الروحية الرحبة فيكون كل فرد فيها، وكل منزل فيها محطا للروح وقلبا يصافح كل حاج اليها.

٣. القدس مدينة السلام هذا هو إسمها وهذه هي الحقيقة التي جعلها الله جوهرا لكيانها ودعوتها. وبالنسبة الى الديانة المسيحية بالذات فهي المهد والمنشأ فيها علم السيد المسيح وفيها صنع خلاص البشرية. فيها مات وقام ممجدا من بين الأموات. قال الرسول بولس: "فمع أنه من صورة الله ... تجرد من ذاته متخذا صورة العبد وصار على مثال البشر وظهر في هيئة إنسان فوضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فيلبي ٢/٦-٧). فهي مدينة الفداء ومركز المسيحية. وهي في الوقت نفسه المدينة المقدسة لجميع الديانات الموحدة المسيحية والإسلام واليهودية. فالقدس هي أم المسكونة ومركز العالم الروحي.

٤. وأول مأساة نصطدم بها في هذه المدينة المقدسة أم العالم ومركزه الروحي هو أن روح الديانة يتحول الى مؤسسات بشرية والى طوائف وفئات فينجم عن ذلك أحداث مناقضة لكل ديانة ولكل إيمان. اذ يخاصم المؤمن ويعلن الحرب على أخيه بإسم الله، والله من هذه الحروب والمخاصمات براء لأنه اله المحبة والعدل وخالق الكل وراحمهم جميعا. فهو تشويه الإيمان على يد المؤمن لسطحية فيه وعدم فهم لإيمانه فيتحول الى إنتماء فئوي والى طائفية والى مطالبات فاقدا روحانيته ومفقدا الفرد نفسه القوة الروحية القادرة على تحويل حياته الى الأفضل وعلى بلوغ الإستقرار والطمأنينة المنشودة.

فأول علامة للأمانة الدينية وفي كل دين هي محبة الأخ الذي يؤمن بالدين الآخر. وأول علامة للخلل في الدين هو تحول الإيمان الى طاقة مخاصمة والى النفور من الآخر لأنه منتم الى دين آخر.

مأساة القدس هي مأساة كل مؤمن بالله صادق يرى الدين فيها مبدأ للخصومة والتناحر والدماء المراقة والحقوق المهدورة. فيتساءل بحرقة وألم: الى متى تبقى

الديانات سببا للمخاصمة؟ الى متى تبقى الديانات انتسابا الى طائفة لا عمق ولا روحانية في معرفتها وفي قبولهاولا التحاما بين مبادئها السامية وبين الحياة الفردية الخاصة والعامة التي تكون وتلهم حياة الشعوب وتصرفاتهم.

٥. والأمانة للأخ المنتمي الى دين آخر وعدم مخاصمته لا تعني الخلط بين الأديان والمبادىء والتوفيق بينها كيفما تسنى له ذلك والإنتقاء من هذه وتلك والقول أنها كلها سواء. كما أنها لا تعني إهمال أي حق من الحقوق المشروعة للفرد أو الجماعة. وإنما تبدأ طريق الحقيقة بتوضيح كامل لكل عقيدة وديانة والأمانة الكاملة لما وضع الله من هذه الحقيقة بين يدي المؤمن عن طريق دينه وإيمانه. ثم يكون الموقف الثاني التطلع الى الأخ الذي لا ينتسب الى ديني لفهمه ومحبته فهو خليقة الله وخليفته أولا وآخرا وهو موضوع محبته السامية. فإن هذه المحبة هي التي تنفي وتصحح وتكمل رؤية الحقيقة. والركن الثالث في الأمانة للدين هي الحرية الفردية تجاه القناعات الدينية وعمل الفرد المؤمن على تجديد الأطر والذهنيات بحسب القناعات الدينية أينما كشفها الله وأودعها. فإن "الروح يهب حيث يشاء، ومولود الروح يكون روحا، ومولودالجسد يكون جسدا" (يوحنا ٣/٦ و٨).

٦. سلام المدينة المقدسة سلامان، سلام يخص مقدراتها السياسية والنزاع حول سيادتها وسلام هو في قلوب أبنائها وفي قلوب المؤمنين فيها. والسلام في قلب كل مؤمن هو سلام بين الأخوة وان اختلفوا في ما وهبهم الله من نعمة وإيمان. وهو مجال لحوار والتقاء المؤمنين يرون كيف يجمع الإيمان ولا يفرق. وفي هذا المجال لا بد من الإشادة بالعلاقات الطيبة والممتازة بين الكثيرين من الأخوة المسلمين والمسيحيين وعلى جميع المستويات والأصعدة، الا أن هذا الواقع الإيجابي والممتاز نفسه يدعونا الى أن نرى مخاوف بعض الناس في الحياة اليومية لنحللها ونتبين ما هو واقع فيها وما هو وهم مضاف على الحقيقة أو مدسوس به لإثارة الفتن.

وقد أخذنا نسمع مؤخرا وبصورة حادة مرارا أن هناك مسيحيا خائفا، وان أخاه المسلم هو الذي يخيفه. وقرأنا عن ذلك في بعض المقابلات الصحفية العالمية

وسئلنا عن ذلك. وكان ردنا دائما ان المسيحي والمسلم كلاهما فلسطيني وشعب واحد وتاريخ واحد. وان محاولة التفريق بينهما عبث بالتاريخ وبالحقيقة وإضعاف لكليهما. وان طريق الخلاص الوحيد هو ان يسعيا معا للتوصل الى أفضل الطرق للتعايش في ظل حضارة واحدة وتاريخ واحد، فيما يبقى كل واحد أمينا لإيمانه ودينه. الا ان هناك واقعا، وان لم يكن شاملا فهو جرح يجب معالجته لقطع الطريق على كل من تسول له النفس تعكير المياه. والمعالجة تكون عن طريق مجموعات الحوار والوساطة لتتدارك الأمور ولتحلل الأحداث وتحول دون تكرارها فتشيع الطمأنينة في القلوب.

المسيحي الخائف بحاجة الى من يطمئنه. أو أخوه المسلم هو الذي يطمئنه. وهي أيضا مهمة موجهة لوقائع الحياة اليومية بجدية لتوضحها وتصححها. لا بد من أن يكون هناك ضعف وضعاف ولكن الأخطر من ذلك أن هناك أيضا نوايا شر تستغل الضعف والضعاف لدى كل جهة لزرع الفتن ولإبراز غايات سياسية محددة. فالانات اليومية مرتبطة مباشرة ولو بصورة غير ظاهرة بمقدرات القدس ومصيرها. ولهذا لا بد مع الصداقات الحميمة الممتازة من سماع انات الضعفاء جسدا وروحا والإستجابة لها.

٧. وسلام القدس ثانيا هو سلام سيادتها. وفي هذا المجال فان المبدأ الهاديء هو طابع المدينة أيضا ورسالتها. قلنا في الرسالة الراعوية لعام ١٩٩٠ في هذا الخصوص: "في هذا الصراع تحتل القدس مكانة مركزية من حيث معناها وأهميتها للديانات الموحدة الثلاث، الإسلامية واليهودية، والمسيحية. ففي كل حل لا بد من الأخذ بعين الإعتبار في الوقت نفسه التطلعات القومية للشعبين المعنيين الفلسطيني والإسرائيلي، والعلاقة الروحية العميقة التي تشد جميع مؤمني العالم من مسلمين ويهود ومسيحيين الى المدينة المقدسة والبلاد التي تحوطها.

لا بد اذن من التوصل الى إيجاد وضع خاص للمدينة المقدسة حتى تصبح فعلا مدينة العدل والإخاء، مدينة يؤمها بحرية لا يحدها قيد جميع المؤمنين برسالتها. وإنّا لمقتنعون أن التصور الواقعي الذي يلبي هذين المطلبين القومي والروحي ليس

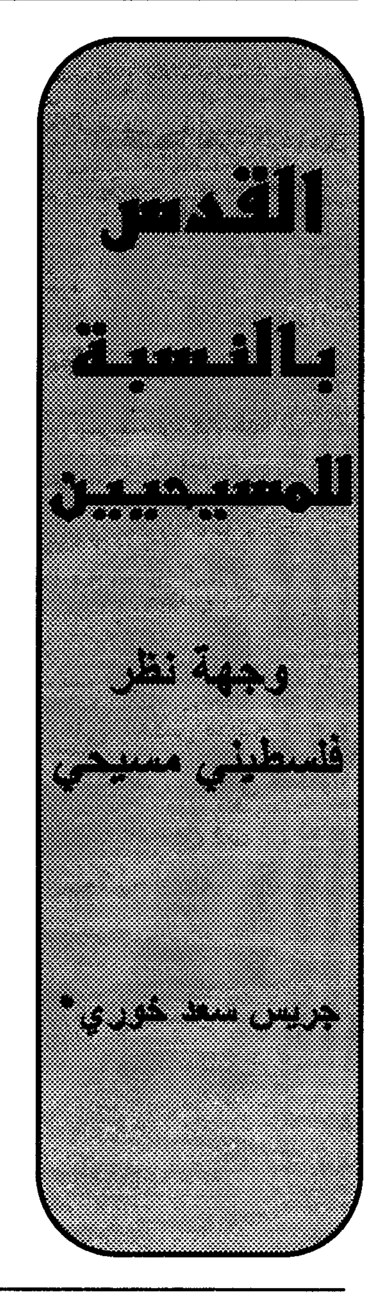
بالأمر المستحيل اذا ما توفرت الإرادة الصالحة لدى جميع الفرقاء المعنيين. (الرسالة ٤٩).

ظلت المدينة المقدسة في الحقب الماضية موضوع نزاع تراق الدماء حولها وفي مقدساتها لأن كل واحد ادعى سيادتها بمفرده مع أنها مدينة الله فلا يحق لأحد أن يسودها بمفرده. بل سيادتها مشتركة على أساس الإيمان بالله وأساس الرسالة التي جعلها الله لها. فيجب أن تكون فوق الاطماع والمنازعات السياسية.

فالأمل هو أن تستعيد طابعها المقدس فتكون مدينة الله وتكون عاصمة لجميع أبناء الله حيث الجميع سادة والجميع إخوة وأبناء لله الواحد.

٨. وللمؤمنين في هذا دور إذا ما كان إيمانهم خالصا لله لا تشوبه شائبة. فيكونون عونا للقادة والسياسيين يلهمونهم بروح الله بعدله وبرحمته ومحبته. لانه لا بدّ للمؤمنين من كلمة عدل وسلام لا تتنازل عن الحقوق المشروعة بل تجد لها الطرق الفعالة وطرق الروح هي الفعالة. الحديث اليوم كثير عن النظام العالمي الجديد وهذا لا يمكن ان يكون الا نظام الروح. لقد جربت البشرية عبر تاريخها الطويل طرق المادة والعنف وما زالت حتى اليوم تدفع الثمن غاليا في الدماء المراقة والكرامات المدوسة والمطلوب من المؤمنين أن يلهموا القادة ومقرري مصائر الشعوب سواء السبيل.





نقرأ في بعض المصادر الادبية والروايات الشعبية ان دائرة الرخام البيضاء الموجودة في كنيسة القيامة في القدس هي مركز الدنيا. نعم القدس هي نقطة المركز لهذا العالم الذي نعيش فيه ولكن مركزية القدس ليست نابعة من اعتبارات جغرافية وعلمية، بل يقال عنها هذا لاعتبارات روحية وعقائدية، اذ ان في القدس مات السيد المسيح وقام في اليوم الثالث من القبر، والقيامة في المسيحية هي الحدث المركزي والاساسي وهي قلب الايمان المسيحي وبدون القيامة لا وجود للمسيحية، ولا معنى للعقيدة. وبناء عليه يقال بأن القدس هي مركز الدنيا أو نصفها، لان هذه المدينة شهدت قيامة المسيح ومن هذه المدينة انتشرت الديانة المسيحية على أيدي الرسل والتلاميذ الى جميع أنحاء المعمورة، فبالقيامة كانت القدس وما زالت مركزية ايمان المسيحيين وتعبدهم.

القدس هي المدينة التي اختارها الرب لتكون مسكنا له كما يقول لنا صاحب المزامير: "ان الرب اختار صهيون، احبها مسكنا له..." [١] "فأبواب صهيون أحب اليه من مساكن يعقوب كلها ..." [٢]. وكذلك زكريا يقول لنا: "الرب اختار اورشليم" [٣].

* جريس سعد خوري، دكتوراه في الفلسفة، مدير مركز اللقاء ومحاضر في جامعة بيت لحم.
كتب هذا المقال لكتاب القدس.

وفي هذه المدينة قضى السيد المسيح الجزء الكبير من حياته يصلي في الهيكل ويجادل علماء الدين، يعلم ويشرح، يكرز ويصنع العجائب. وعندما نقرأ الاناجيل المقدسة نرى ان هذه المدينة كانت مهمة للسيد المسيح ليس فقط في سنوات التبشير والعمل بل في اللحظات الاخيرة من حياته الارضية ويشهد على هذا القول السيد المسيح كما ورد في انجيل لوقا: "ولما حانت ايام ارتفاعه عزم على الاتجاه الى اورشليم" (٤).

ان تصميم السيد المسيح الذهاب الى اورشليم لانه كان يعرف ان في هذه المدينة سيتم كل شيء: "ها نحن صاعدون الى اورشليم فيتم جميع ما كتب الانبياء في شأن ابن الانسان، فسيسلم الى الوثنيين فيسخرون منه ويشتمونه ويبصقون عليه ويجلدونه فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم" (٥). نعم هذا ما اخبر به السيد المسيح تلاميذه ولكنهم لم يفهموا عما كان يتكلم. ولكن الاحداث التي جرتَ من تسليم وتعذيب وصلب وقيامة، فسرت للتلاميذ كل ما كان مبهما. وكانت القيامة، تحقيقا لتعاليم الانبياء ونقطة انطلاق لنشر الايمان المسيحي بين الامم. ففي القدس مدينة القيامة تأسست الكنيسة وبحق دعاها القديس يوحنا الدمشقي "بأم الكنائس". وفي القدس، تكونت جماعة المؤمنين المسيحيين الاولى، التي ستتشهد للسيد المسيح في اورشليم وحتى أقاصي الأرض: "وتكونون لي شهودا في اورشليم وكل اليهودية والسامرة حتى أقاصي الأرض ..." (٦).

فمن القدس انطلقت بشارة الخلاص، بشارة الرجاء، والى القدس كان يتوجه الرسل والتلاميذ لحل الخلافات وقت الشدائد والصعاب فيما بينهم ولشرح العقيدة المسيحية ايمانا منهم بان في هذه المدينة حل الروح القدس على التلاميذ والمؤمنين فقواهم في الايمان: "فامكثوا انتم في المدينة الى ان تلبسوا قوة من العلى" (٧).

وكان اجتماعهم الذي ورد ذكره في سفر اعمال الرسل اكبر برهان على مركزية واهمية هذه المدينة لتلاميذ ورسل السيد المسيح. وهذه الاهمية للقدس لم تكن فقط استنتاجا لتعاليم المسيح فحسب، بل وصية منه لتلاميذه عندما قال لهم:

"كتب ان المسيح يتألم ويقوم من بين الاموات في اليوم الثالث وتعلن باسمه التوبة وغفران الخطايا في جميع الامم ابتداء من اورشليم وانتم شهود على ذلك ... [٨].

لقد حافظ الرسل على وصية سيدهم، وبولس الرسول ذكر دائما القدس في رسائله وفي تعاليمه وبشارته راغبا في سلامتها ووحده المؤمنين فيها [٩]. كما ان القديس بولس تذكر القدس في رحلاته وكان يطلب من المؤمنين ان يجمعوا المال ليساعدوا كنيسة القدس والمؤمنين الساكنين فيها: "فقد حسن لدى اهل مقدونية واخائيه ان يتعاونوا على اسعاف القديسين الذين في اورشليم ... [١٠].

كما ان اهمية القدس، بالنسبة للرسل وللمسيحيين الاوائل تجلت في الرواية التي حدثت مع بولس الرسول، الذي وصل الى قيصرية بعد رحلة تبشيرية طويلة وعندما كان موجودا في بيت فيلبس أتى الى هناك بعض الاصدقاء وقالوا له: بان اليهود سيلقون القبض عليك اذا ما اتيت الى القدس وسيسلمونك الى الوثنيين، وعندما سمع التلاميذ هذا الخبر خافوا وطلبوا من بولس ان لا يصعد الى القدس فأجاب: "ما لكم تبكون فتمزقون قلبي، انا مستعد لا لأن اشد فقط بل لان اموت في اورشليم من اجل اسم الرب يسوع" [١١].

ان هذه الحادثة هي شهادة اخرى لأهمية القدس بالنسبة للمسيحيين ولتمسكهم بروحانية المدينة التي شهدت القيامة وحلول الروح القدس على المؤمنين، وتكونت فيها كنيسة المسيح الاولى، والمؤمنين الاولين، وفيها استشهد بسبب الايمان عدد من الرسل.

ومنذ عهد الرسل وحتى يومنا هذا، حافظ المؤمنون على علاقتهم بهذه المدينة المقدسة، وذلك اما من خلال الحج الى المدينة، او بناء الاديرة والتنسك في المدينة وحولها حيث ترك لنا اباء الكنيسة تراثا لاهوتيا وروحيا هائلا جدا ليس فقط حول العقيدة المسيحية والتقاليد المسيحية بل عن المدينة المقدسة وعن اهميتها الروحانية وعن تمسكهم بهذا التراث والتاريخ، وقد وصفها بعض الرهبان بواحدة من رسائلهم الى الامبراطور اناستاسيوس بانها "مدينة الله المقدسة" و "العين التي تضيء الارض".

لا حاجة هنا لذكر امثال من التاريخ حول الحج الى المدينة المقدسة والذي شهد تطورا واضحا منذ القرن الرابع الميلادي، اي بعد ان عرفت المدينة حرية دينية حرمت منها في القرون الاولى لانتشار المسيحية من قبل الرومان الوثنيين وغيرهم، وبقيت هذه الحالة حتى مجيء الملك قسطنطين الذي اعتق المسيحية من الاضطهادات والظلم، وكانت زيارة والدته القديسة هيلانه نقطة تحول في تاريخ المدينة المقدسة والديار المقدسة خاصة بعد بناء كنيسة القيامة والمهد وغيرها من الكنائس والاديرة.

فكان مجيء الحجاج الى القدس ورغبة بعضهم في البقاء في المدينة والعيش فيها سببا في تعدد الطقوس الدينية على مر العصور، واغناء الحياة الليتورجية والروحانية واكبر مثل على هذا هو ما نشاهده اليوم في المدينة المقدسة من مسيحيين ينتمون الى كل الطوائف والطقوس والتراثات الروحية.

بالاضافة الى اهمية المدينة بالنسبة للحجاج والى كل ما كتبوه عنها [١٢]، نرى ان اباء الكنيسة مجدوا وعظموا هذه المدينة واعطوها اهمية روحية كبرى وهناك الكثير من الادبيات التي تشهد على هذا ولكننا سنذكر فقط ما قاله واحد من اباء الكنيسة وهو بطريرك القدس صوفرونيوس في احدى عظاته:

"اننا هنا نعلن بان القدس
حيث عاش الرب يصنع المعجزات
هنا نعلن الجلجلة
حيث قبل الرب الصليب لنفسه
وهنا يعنيا القيامة
حيث قام الرب من قبره
وهنا نعظ صهيون
حيث المسيح قام من بين الاموات
هنا نعظم جبل الزيتون
حيث منه صعد الرب الى السموات" [١٣].

وهكذا كانت القدس على مر العصور مركزا لجذب المسيحيين من كافة انحاء العالم اليها، فاسسوا الرهبنات وبنوا الاديرة والكنائس التي يزيد عددها في القدس وحدها عن مئة دير وكنيسة ومؤسسة. وبناء عليه تملك الكنيسة اليوم داخل الاسوار ما يساوي ٤٥٪ من المساحة الكلية.

القدس في زماننا

في القسم الاول من هذه التأملات حاولت اظهار اهمية القدس بالنسبة للمسيحيين من الناحية الايمانية ومركزيتها في الروحانية المسيحية منذ زمن المسيح وحتى يومنا هذا.

ولكن نظرة المسيحي الفلسطيني تختلف عن نظرة باقي المسيحيين اليها. فالمسيحيون بشكل عام تجذبهم الى القدس الخصوصية الروحانية للمدينة، الجلجلة، القبر المقدس، الاديرة والكنائس، الليتورجية والطقوس الدينية، تعاليم اباء الكنيسة وروايات الحجاج عن الديار المقدسة. نعم، كل هذه الخصوصيات مهمة بالنسبة لايمان المسيحي الفلسطيني كما هي مهمة لايمان كل مسيحي في العالم. ولكن، للمسيحي الفلسطيني خصوصيات لا نجدها عن غيره من المسيحيين. إذ أنه يعتبر نفسه استمرارية للوجود المسيحي في القدس وفي الارض المقدسة منذ حوالي الفي عام، وهو يسكن في القدس وحولها ويعيش هموم وآلام ومشاكل هذه المدينة ومدنه الاخرى، ويشعر بالحرمان وبالظلم.

فكم من المسيحيين الفلسطينيين حرموا من دخول المدينة المقدسة في السنوات الاخيرة إما للصلاة في كنائسها او للعمل فيها او للتعليم في مدارسها او للمعالجة في مستشفياتها او لزيارة الاهل والاصدقاء او للمشي في أزقتها واستنشاق هوائها. ان فرض الطوق الامني علىالقدس وحرمان الفلسطينيين من الدخول اليها بسبب الحجج الامنية امر يتناقض مع تصريحات اسرائيل المستمرة والتي تدعي فيها توفير الحرية الدينية لجميع المؤمنين من الديانات السماوية الثلاث، كما ويتناقض مع تصريحات اسرائيل بالحفاظ على امن وسلامة المؤمنين. انني اعتقد بان اسرائيل قد فشلت لامرين: فهي غير قادرة على توفير الحرية الدينية للمؤمنين وغير قادرة على توفير

الامن في المدينة، وفي هذا المجال يقول الاب رفيق خوري: "بكلمات بسيطة، اسرائيل كانت وما زالت غير قادرة على توفير الحرية الدينية وسهولة الوصول الى القدس والى الاماكن المقدسة للمسيحيين الفلسطينيين فحتى الادعاءات الأمنية غير مقنعة. ففي الحقيقة اسرائيل هي التي خلقت هذا الوضع اللامنطقي بحيث اصبح ضمان قدر منطقي من الأمن مستحيلا. والامن لا يمكن تحقيقه عن طريق خلق واقع جديد على الارض، وعن طريق فرض اجراءات سياسية لجهة واحدة وعن طريق العمل خلافا للقانون الدولي وخلافا لارادة المجتمع الدولي او عن طريق الاستحواذ على القدس وتجريد سكانها من هويتهم المهمة. فخصوصية القدس وتفردها عن غيرها لا تستحق مثل هذا المصير" (١٤).

ان الامر الوحيد الكفيل بتحقيق الحرية الدينية والمحافظة على الامن وسلامة المدينة هو ضرورة المشاركة الفلسطينية الكاملة لاسرائيل في حكم وادارة القدس وبهذا نكون قد فهمنا طبيعة هذه المدينة الفريدة وعملنا على المحافظة على قداستها.

فالقرار الاسرائيلي باغلاق القدس وفرض الطوق الأمني عليها ومنع الفلسطينيين مسيحيين ومسلمين من الدخول اليها هو امتهان لقدسيتها واعتداء على الله قبل ان يكون اعتداء على الانسان الفلسطيني.

نحن كمسيحيين لا ننكر على الآخرين حقهم في المدينة المقدسة بل نعترف بأهميتها بالنسبة لليهود والمسلمين، ولكننا كفلسطينيين نطالب اسرائيل بان لا تنزع منا حقوقنا التاريخية والدينية في المدينة المقدسة، فاهمية القدس بالنسبة لنا هي ليست دينية فقط، بل هي سياسية ايضا. والمشكلة هي ليست الحرية الدينية او توفيرها بل حقوقنا في القدس والعيش فيها بامن وسلام. ويقول البطريرك ميشيل صباح: "الكنيسة المحلية وكل المسيحيين معنيون اولا وقبل كل شيء بقضية العدل والحقوق. لذلك فالقضية ليست مجرد قضية حرية دينية ولكن اكثر من ذلك بكثير. فالحرية الدينية ذاتها مرتبطة باعطاء كل ذي حق حقه اولا بالسيادة على المدينة وادارتها" (١٥).

ففي عام ١٩٤٨، احتلت القدس الغربيــة، وشـرد اهلهـا مـن بيوتهـم، وصـودرت اراضيهم وممتلكاتهم، وهودت اسرائيل هذا القسم من المدينة، واعلنت عنها عاصمــة لها.

وفي عام ١٩٦٧، احتلت اسرائيل القدس الشرقية، ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم تحاول طمس المعالم العربية للمدينة، وتغيير الواقع الديمغرافي فيها وذلك من خـلال مصـادرة الاراضي وبناء المستوطنات عليها واسكانها باليهود، محاولـة خنـق القدس الشرقية بسلسلة المستوطنات من حولها.

ان تهويد القدس العربية هو خرق للقوانين الدولية ولجميع قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالمدينـة كمـا ان قـرار الامـم المتحـدة رقـم ٢٤٢ يعتـبر المدينـة جـزءا مــن الاراضي المحتلة والتي يجب على اسرائيل اخلاءها كليا، " للقـــدس مكانـــة قانونية ومكانة سياسية ومكانة وطنية، فمن الناحية القانونيـة، تعتـبر جـزءاً لا يتجـزأ مـن الأراضـي المحتلـة وبذلـك تخضـع لجميـع نصـوص القوانيـن الدوليـة واتفاقيـات السلام في هذا الخصـوص" (١٦).

ولكن التصريحات الإسرائيلية والعمل الميداني يتنافى مع هذه القـرارات وتصـر اسرائيل على اعلان القدس الموحدة عاصمة ابدية لها.

ان هذا الاعلان هو ليس تجاوزا للقوانين الدولية فحسب، بل هو انتهـاك لقدسـية المدينة ومغالطة لاهوتية من قبل الدولة الاسرائيلية. فمن منطلق لاهوتي اعتقـد بـأن لا يوجد لهـذا الادعـاء الاسـرائيلي مـا يـبرره فـي الكتـاب المقـدس والموضـوع مهم وبحاجة الى بحث موضوعي وعلمي. هذا لا يعني ان القدس ليسـت مهمـة بالنسـبة لليهود، ولكن في الوقـت ذاتـه لا توجـد تـبريرات لاهوتيـة يهوديـة لاغتصـاب ارض الاخرين والاستيلاء عليها بالقوة. ومـا تفعلـه اسـرائيل اليـوم يتنـافى مـع الروحانيـة اليهودية ومع تعاليم الله مما يعـرض المدينـة ألـى الخطـر كمـا عرضـت مرتيـن فـي التاريخ. فعندما سئل الرابي جمليئل عن سبب خـراب الهيكـل قـال: "لقـد سـقط فـي المرة الاولى بسبب عبادة اليهود للاصنـام، وسـقط فـي المـرة الثانيـة بسـبب كراهيـة اليهود لغيرهم...". الا يكفي هذا الجواب ليكـون عـبرة للإسـرائيليين حـول مسـتقبل

القدس؟؟؟ ان عقلية الانفراد عند الشعب اليهودي ورفض الغير والرغبة في السيطرة والهيمنة على الآخرين حققت له الكثير من الانجازات في التاريخ ولكن في الوقت ذاته ادت هذه العقلية الى دمار وضعف وتشتيت هذا الشعب. وحول هذا الموضوع يقول المطران لطفي لحام: "انغلاق اليهود على انفسهم هو من خواصهم المعروفة والذي مكنهم من تحقيق اشياء رائعة كثيرة ولكنه كان كذلك عاملا في دمارهم عبر التاريخ والى يومنا هذا. لقد كان واحدا من اكبر اغراءات اليهود التي ركضوا وراءها وهو ما يعيد نفسه الآن فيما يتعلق بالقدس. اننا ندعو لاخوتنا اليهود ونطالبهم بكل محبة: لا تكونوا منغلقين، اخرجوا من داخل الجيتو الذي بنيتموه وما زلتم تبنوه لانفسكم" (١٧).

مرة اخرى، باعتباري فلسطيني مسيحي فانني اؤمن بقوة بان المشكلة بشأن القدس هي ليست مشكلة دينية فحسب وانما مسألة سياسية ايمانا منا بان القدس هي عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة. وفي هذا الوقت الذي اسميه "زمن القدس"، نحن مطالبون جميعا مسلمون ومسيحيون ويهود بالعمل معا من اجل ان نحافظ على المدينة وعلى قدسيتها للابد.

وفي نفس الوقت فانه ينبغي الاشارة الى عدم وجود اي تبرير لاهوتي لليهود للادعاء بان القدس هي عاصمة اسرائيل الموحدة والابدية. فهذا الاستغلال الروحي وسوء استعمال الديانة اليهودية سيقود بلا شك الى تدمير القدس والى تشويه طبيعتها الفريدة. لقد اعلن رؤساء الكنيسة المحلية في وثيقتهم عن القدس ما يلي: "اننا ندعو كافة الاطراف المعنية الى تفهم وقبول طبيعة القدس ومعناها العميق، فهي مدينة الله، اننا ندعو جميع الاطراف الى تجاوز التصورات والممارسات الإنفرادية. والى احترام التطلعات الدينية والقومية للاخرين دون اي تمييز، حتى يعود الى القدس طابعها الشمولي الحقيقي، وحتى تتحول المدينة الى مكان مقدس للمصالحة بين جميع ابناء البشر" (١٨).

هذه المدينة تعني الكثير لمستقبلنا السياسي والروحي كمسلمين ومسيحيين. القدس تذكرني بسر التجسد وبالجسد الواحد للمسيح والجوهر الواحد الذي يتكون من طبيعتين: الطبيعة الالهية والطبيعة الانسانية. سر التجسد، يساعدني كفلسطيني مسيحي في ان أتأمل وافكر في مستقبل القدس ويشجعني على القول بانه وبالرغم

من حقنا التاريخي بالقدس فان ايماني المسيحي يدعوني الى المقارنة بين جسد السيد المسيح ومدينة القدس، وهذا يدفعني للقول بان القدس هي مدينة واحدة ذات طبيعتين: طبيعة عربية فلسطينية وطبيعة اسرائيلية. وانني على يقين بان الطبيعة الفلسطينية للمدينة المقدسة لن تذوب او تمحى بالطبيعة الاسرائيلية مهما كانت الاسباب والتجاوزات. لهذا السبب فاننا لن نقبل ابدا بأقل من حقوقنا السياسية الشرعية في القدس وبحماية ورقابة الاماكن الدينية المقدسة الاسلامية والمسيحية فيها. وهذا هو شرطنا لاية عملية سلمية. اننا مع العملية السلمية والسلام، ولكن السلام بدون عدالة لا يمكن تحقيقه واستراتيجيتنا هي الاستمرار في العملية السلمية على امل ان نرى اليهود والفلسطينيين يعيشون معا ليس فقط في القدس فحسب ولكن في جميع انحاء الارض المقدسة.

انني اؤمن بقوة بأهمية الدور الذي يمكن ان تلعبه الاديان الثلاث في صنع وتحقيق السلام. لذا فانني ادعو كافة اليهود والمسيحيين والمسلمين من اجل استغلال الدين في تحقيق السلام. عندما استمع الى السياسيين الفلسطينيين والاسرائيليين يتحدثون عن سلام الشجعان ما يخطر ببالي هو دعوة جميع اللاهوتيين من الديانات الثلاثة الى كتابة لاهوت شجاع والى بدء حوار ديني. وانني اعني باللاهوت الشجاع هو ذلك اللاهوت الذي يقبل الآخر كما هو ويحبه ويقود الى اقامة العدل والسلام معه، ونحن بحاجة ماسة الى مثل هذا اللاهوت الذي يقبل ولا يرفض الآخرين.

أنهي تأملاتي هذه بما كُتب في احدى وثائق مركز اللقاء: "ان رسالة القدس هي رسالة موجهة الى كافة أبناء الأرض المقدسة والى العالم كله. وتصرخ في وجهنا وتتحدانا: لا سلام بغير عدل، ولا عدل بغير حقوق اي ان يأخذ كل ذي حق حقه، وبهذا فقط تتخطى شعوب المنطقة العقد التاريخية والدينية والاجتماعية. ان رفض هذه الرسالة معناه اختيار طريق القمع والظلم والقتل، وهذا ما نرفضه ولا نريده لمنطقتنا ولا لأي شعب من شعوب العالم. أمنيتنا هي ان يتحقق في القدس سلام المسيح وليس سلام العالم، (يوحنا ١٤:٢٧) لتتم نبوءة اشعياء القائلة: "فيسكن الذئب مع الحمل ويربض النمر مع الجدي ويكون العجل والشبل والمعلوف معا وصبي صغير يسوقهما". (اشعياء ١١:٦) [١٩]

المراجع:

١. مزمور ١٣٢،١٣.
٢. مزمور ٨٦، ٢.
٣. زكريا ٣، ٢.
٤. لوقا ٩، ٥١.
٥. لوقا ١٨، ٣١.
٦. اعمال الرسل ١، ٨.
٧. اعمال الرسل ١، ٨.
٨. لوقا ٢٤، ٤٧-٤٨.
٩. افسس ٢، ١٤-١٨.
١٠. روما ١٥، ٢٦.
١١. اعمال الرسل ٢١، ١٣.
١٢. هناك العديد من ادبيات الحجاج الى الارض المقدسة واشهرها رحلة القديسة ايجيريا الى الارض المقدسة.
١٣. صفرونيوس، انظر موسوعة "**الآباء الشرقيون**"، مجلد ٨٧، الجزء ٣، مطبوعات سنة ١٨٦٣، ص ٣٢٨٩ ، رقم ٢.
١٤. خوري، الاب رفيق، قضية القدس، في: يوم دراسي حول القدس (١٩٩٥/٤/٢٠) منشورات مركز اللقاء (باللغة الانجليزية) ١٩٩٥.
١٥. صباح، البطريرك ميشيل، ملاحظات حول وضع القدس، في نفس المصدر السابق.
١٦. عشراوي، حنان، القدس طريق السلام، في نفس المصدر السابق.
١٧. لحام، المطران لطفي، كلمات ترحيبية، في نفس المصدر السابق.
١٨. وثيقة رؤساء الطوائف المسيحية في القدس بعنوان: "المفهوم المسيحي المقدس"، في: **مجلة اللقاء**، السنة العاشرة، العدد الاول، ص ١٣٢-١٤٠، انظر ص ١٤٠.
١٩. وثيقة مركز اللقاء، "في القدس يتعانق العدل والسلام" في: كتاب اعمال **مؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية**، نشر سنة ١٩٩٠.



القديس يوحنا الدمشقي العربي ابن وزير الأمويين سرجيوس بن المنصور على عهد الخليفة عبد الملك (٦٨٥-٧١٥)، والذي نسك في دير القديس سابا قرب القدس، كتب هذا النشيد مخاطبا القدس: "إفرحي يا قدس (يا صهيون) يا أم الكنائس مسكن الله، لأنك نلت صفح الخطايا أولاً بالقيامة".

وينشد النبي الملهم داود مخاطباً القدس: "انه اسسها على الجبال المقدسة. الرب يحب أبواب صهيون على جميع مساكن يعقوب. يحدث عنك بالمفاخر يا مدينة الله. اذكر رهب وبابل بين الذين يعرفونني. هوذا فلسطين وصور مع كوش. أولئك قد ولدوا هنا. وعن صهيون يقال قد ولد فيها إنسان وإنسان والعلي هو الذي شيدها. الرب يحصي في رقم الشعوب أن أولئك قد ولدوا هنا. فيرنم جميع الساكنين فيك ترنيم الراقصين". (مزمور ٨٦، ١-٧)

يشرح ناشرو توارة القدس (La Bible de Jerusalem) الآباء الدومنيكان هذا المزمور هكذا: "إن صهيون المقدسة، القدس، يجب أن تصبح العاصمة الروحية وأم جميع الشعوب. كل جاراتها مصر والحبشة، وسوريا وفلسطين، وما بين النهرين، لهم حق المواطنة فيها، فهي تصبح وطناً لكل منهم". (توارة القدس، صفحة ٧٣٩).

* المطران لطفي لحام، دكتوراه في اللاهوت، رئيس مجلس أمناء مركز اللقاء والنائب البطريركي للكنيسة الملكية الكاثوليكية في القدس.
محاضرة في الدورة العاشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٢.

المدينة المقدسة: مدينة الفداء والخلاص

هكذا كل إنسان يشعر أنه مواطن القدس، مقدسي، القدس مدينة إيماننا كلنا ولذا لا يجوز المفاضلة في الكلام عنها، وبالحرى لا تجوز المفاضلات بين الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام. فالقدس مدينة مقدسة للديانات الثلاث معا. وذلك بقطع النظر عن عدد الأماكن المقدس اليهودية والمسيحية والإسلامية. فقدسيتها ليست عددا ولا كما. بل قدسيتها الشاملة هي في كونها مهد وحي الله للبشر، دون تمييز أو إستئثار أو إحتكار.

ولذلك اذ نتكلم عن القدس في المسيحية فليس لنستأثر بها كمسيحيين، بل لنؤكد على قدسيتها عندنا كما عند غيرنا. كما أن القدس المدينة المقدسة للمسيحية، ليس تاريخها بمعزل عن تاريخ القدس المدينة المقدسة لليهود وللمسلمين. فهي هي المدينة عينها. والتاريخ مشترك في مراحل كثيرة، بالإضافة الى ان المدينة العربية والكنعانية واليبوسية واليهودية هي أيضا المدينة عينها.

فلا يمكننا والحالة هذه أن نتكلم عن المدينة المسيحية دون أن نطال التاريخ أو الشقة الآخرى من تاريخ المدينة نفسها في اليهودية وفي الإسلام، وقبل اليهودية والإسلام.

هذه الملاحظة مهمة جداً لإظهار النقاط الكثيرة المشتركة التي تجعل هذه المدينة حقا مدينتي ومدينتك، ومدينته، ومدينتنا كلنا نحن الذين عشنا فيها بأسماء مختلفة وعقول مختلفة وعادات مختلفة أجيالا وأجيالا.

وحتى لو فرضنا جدلا أنه لا توجد أية أماكن مقدسة لليهود وللمسلمين في القدس، فلا يعني ذلك أن القدس للمسيحيين فقط أو أنها مدينة فقط مسيحية، إذ أن قدسية القدس في العرف المسيحي الأصيل هي قدسية للجميع ولأجل الجميع. وهذا ما تحقق في شخص السيد المسيح الذي "مات عن الامة، وليس عن الامة فحسب، بل ليجمع في الوحدة شمل أبناء الله أيضا" (يوحنا ١١: ٥٢).

وحتى لو فرضنا جدلا أنه قد دمرت ودرست كل الأماكن المقدسة المسيحية في القدس، فهذا لا يفقد القدس قدسيتها، إذ أنها قدسية بقداسة روحية، وليست إحتكاراً لقدسية بل نقطة إنطلاق القداسة في العالم أجمع. وهذا ما قاله السيد المسيح، مخاطباً المرأة السامرية في نابلس أو سيخار قربها: "أيتها المرأة آمني بي. إنها ستأتي ساعة تسجدون للآب لا في هذا الجبل (الإشارة الى جبل جرزيم المقدس عند السامرة) ولا في أورشليم... ولكن ستأتي ساعة وهي الآن حاضرة. إذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب الروح والحق. لأن الآب إنما يريد مثل هؤلاء الساجدين له. إن الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا". (يوحنا ٤:٢٠-٢٤) .

إن قداسة القدس وقدسيتها مؤسسة على شخص السيد المسيح القائم من بين الأموات، وليس على حجارة قدّسها ولا شك بتجسده وحضوره وتعليمه وعجائبه في كل شبر من مساحة القدس وضواحيها. فإنه لما كان جالسا على جبل الزيتون مقابل المدينة المقدسة "ومقابل هيكل سليمان (ربما حيث الآن فندق الأقواس السبعة)" تقدم إليه تلاميذه المتألبون حوله يتلقون كلماته الإلهية بعجب ودهشة وذهول ويعبرون أمامه عن عظمةالهيكل المنبسط أمامهم: "يا معلم تطلع" يا للحجارة، ويا للأبنية، (مرقس ١٣:١، ومتى ٢٤:١) " إنه مزين بالحجارة الكريمة وتحف النذور" (لوقا ٢١:٥). وكان يسوع يصعد سنويا وتكرارا الى الهيكل ويصلي فيه ويحترمه ويجلّه. ولكن نسمعه يجيب تلاميذه قالبا تفكيرهم المادي رأسا على عقب دأبه في الكثير من تعاليمه المقدسة: "الا ترون هذا كله! الحق أقول لكم، أنه لن يترك ههنا حجر على حجر الا ينقض" (متى ٢٤:٢، مرقس ١٣:٢، ولوقا ٢١:٦). لا بل يؤكد السيد المسيح أن الهيكل الحقيقي هو جسده إذ يقول لليهود: "انقضوا هذا الهيكل (هيكل سليمان) وانا في ثلاثة أيام أقيمه (أي جسده بعد الموت) (يوحنا ٢:١٩) .

قدسية القدس متأتية من كونها مكان الوحي الإلهي على مر العصور حتى قبل المسيحية وهي في المسيحية مكان الفداء والخلاص، ومكان إنطلاقة الى العالم أجمع دون تمييز بين عرق وجنس. وهذا ما أوصى به السيد المسيح قائلاً: "ستكونون لي شهوداً في أورشليم، وفي جميع اليهودية والسامرة، والى أقاصي الأرض". (أعمال ١:٨)، وأيضاً: "إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم بإسم الأب والإبن والروح

القدس. وعلموهم أن يحفظوا ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام الى إنقضاء الدهر" (متى ٣٨:١٩-٢٠).

ولهذا شدد الآباء على القدسية الروحية، وبعضهم غالى في هذا الأمر، ليس لينكروا وجود الأماكن المقدسة المسيحية أوقدسيتها، بل رغبة منهم أن يوجهوا أفكار المؤمنين الذي يحجون الى الأماكن المقدسة، أو يقرأون عنها، الى القدسية الروحية التي تتعدى الحجارة والأماكن المقدسة وجغرافيتها وطوبوغرافيتها.

وقاوم بعضهم عبارة "أماكن مقدسة" مؤكدين أن العالم كله هو هيكل الله (أورجنوس ضد سلوس ٧) ويقول أورجنوس "أن المكان المقدس هو النفس الطاهرة" ويرفض أورجنوس أن تسمى فلسطين "الأرض المقدسة" لأن هذه الأرض "ما هي إلا ظل للأرض الطيبة والثمينة وفيها أورشليم السماوية" (ضد سلوس).

ورويداً رويداً ظهرت عبارة أماكن مقدسة، مع المؤرخ الكنسي أوسابيوس القيصري. وهو يشير الى توافد المؤمنين من كل الأصقاع ليزوروا القدس وجبل الزيتون وبيت لحم ألخ ... وتدرج العبارة حوالي السنة ٣٨٠، في كتابات الآباء القديسين والمؤرخين.

ولكن بقي الكثيرون يشددون على القدسية الروحية مؤكدين أن الله يأتي إليك أينما كنت، إذا كانت نفسك حقا أهلا لسكنى الله تعالى" (غريغوريوس النيصصي الرسالة ١٦،٢) ويؤكد القديس أغوسطينوس الأمر نفسه: "لا يسع الإنسان الى هيكل حسي منظور ليلاقي الله فيه. بل ليكون هو هيكلا، فيأتي الله إليه" (أعوسطينوس العظة ٦،٢٣). وقول القديس أثناسيوس مؤكدا على الشقة الروحية في زيارة الأماكن المقدسة: "إذا زرت كنيسة الصعود فاصعد. وإذا زرت المهد فكن مولودا جديدا. وإذا زرت الصليب فليصلب العالم لك. لتكن أجسادكم على الأرض. ولكن لتكن أرواحكم في السماء" (أثناسيوس السريان ٢). (راجع المقال بالفرنسية: موقف الآباء من الأماكن المقدسة والمزارات في مجلة ايرنيكون ١٩٩٢، صفحة ٥-٢٣).

القدس في العهد الجديد

أحداث كثيرة من العهد الجديد وحياة السيد المسيح جرت في القدس. بالإضافة الى ذلك فإن المسيحيين قرأوا العهد العديم قراءة مسيحية، وطبقوا كل ما قيل في القدس قديما على الكنيسة والجماعة المسيحية.

العبارة الأكثرة إستعمالا في العهد الجديد للدلالة علىالقدس هي أورشليم. وهو إسم ورد ذكره لأول مرة على نقش مصري يرجع الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد (راجع قاموس الكتاب المقدس، أورشليم – صفحة ١٢٩). وإستعملت أيضا عبارة "صهيون" وأصبحت مرادفة لعبارة القدس والكنيسة المسيحية الجديدة في الكتب الطقسية وفي كتابات الآباء القديسين.

ودعيت القدس بأسماء أخرى: سليم (مزمور ٢:٧٦ وتك ١٨:١٤) ويبوس (قضاة ١٩: ١٠-١١) وارئيل (أشعياء ١:٢٩) ومدينة العدل (اشعيا ١:٢٦) (ومتى ٤:٥). أما أسماؤها العربية فبالإضافة الى أورشليم تسمى أيضا بيت المقدس والمقدس والقدس الشريف وصهيون. والإسم الغالب هو القدس.

وقد ذكرت مرارا وتكرارا في العهد القديم، كما ذكرت في العهد الجديد، في الأناجيل وأعمال الرسل ورسائلهم وبنوع خاص وبصورة رمزية في سفر الرؤيا.

وقد استعملت عبارة القدس وصهيون خاصة في المزامير، وقد قرأتها المسيحية قراءة مسيحية، وطبقتها على القدس في وضعها الروحي والكتابي والجغرافي والحضاري (انظر الفقرة القدس والطقوس المسيحية). وهكذا تظهر القدس في العهد الجديد "مدينة إيماننا".

أجل نقل فؤادك والحاظك وخطاك حيث شئت في القدس، وانك لواجد للمعلم المقدسي اثرا، ولصوته دويا ولإنجيله صدى ولتعاليمه تردادا: تلتقيه وتسمعه في الهيكل وعلى جبل الزيتون وفي بيت عنيا (أوالعيزرية)، وفي أبو ديس وقرب بركة سلوان وعند البركة الغنمية عند باب الغنم، وفي قلعة داود وعلى جبل صهيون نزولا الى سلوان، مرورا بوادي قدرون وحتى الجسمانية وعلى سفح جبل

الزيتون... إنه يسير وكأنه اليوم معنا على دروب "القدس العتيقة"، على درب الآلام حاملا صليب الأجيال، وصليب أرضنا اليوم وقضيتنا وشعبنا وآلامه، ماراً بمراحل درب الصليب منذ المرحلة الأولى (المدرسة العمرية) وحتى الجلجلة، مرورا بطريق الواد والهوسبيس، وخان الزيت وسوق العطارين، بين المارة والباعة والحجاج، مرورا بالحانات ودكاكين السوفينرز، والكنائس والمساجد، بين صلوات المنادين وصرخات البائعين ودقات النواقيس ونداء المؤذنين ...

القدس مدينة إيماننا، إفتح الإنجيل أخي المؤمن دون وجل، تجد ذكريات وكلمات رائعة تعطر كل هذه الأمكنة المقدسة الخالدة. (الأناجيل الأربعة هي المرجع لهذه الذكريات).

وقد خلدت هذه الذكريات الإنجيلية في القدس، وكرست رسالتها، من خلال البطريركيات والأديار والكنائس والمطرانيات والمعابد والمدارس والمؤسسات الخيرية والإجتماعية والمستشفيات والعيادات وبيوت الخير والرحمة. إنها لعمري صروح إنسانية وإجتماعية وفكرية ودينية تجعل حقا من القدس "مدينة إيمان مفتوحة"، تطال خدماتها حتى اليوم كل إنسان ويشرق نورها في كل قلب ويعطر كل فؤاد.

كنيسة القدس

في معرض كلامنا عن القدس في المسيحية، لا بد لنا أن نقول كلمة عن كنيسة القدس ذاتها، أعني كلمة عن جماعة المؤمنين من المسيحين الذين عاشوا ويعيشون في القدس.

لقد ولدت الكنيسة المسيحية وكنيسة القدس بالذات يوم العنصرة المجيدة، عندما حل الروح القدس على الرسل الأطهار في علية صهيون التي تعتبر بحق مهد المسيحية.وعليها يطلق لقب الكنيسة الأم الذي تكلمنا عنه في مطلع بحثنا.

وقد وصف سفر أعمال الرسل وجه الكنيسة الأولى بهذه الآيات الرائعة: "وكانوا مواظبين على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات. ووقع الخوف على كل نفس لأن عجائب وآيات كثيرة قد جرت على أيدي الرسل. وكان جميع المؤمنين يعيشون معا. وكان كل شيء مشتركا بينهم". (٢:٤٢-٤٤).

وبقي المسيحيون حاضرين في القدس بدون انقطاع حتى أيامنا هذه، بالرغم من الأحداث المأساوية التي عصفت بالكنيسة عبر التاريخ على عهد الرومان وبعد الفتح العربي وعلى عهد الفاطميين والمماليك والعثمانيين.

وإنتعشت كنيسة القدس بعد مرسوم ميلانو (٣١٣) وإعطاء الحرية الدينية على عهد قسطنطين الملك وبنيت الكنائس والمعابد في الأماكن المقدسة علىعهد الملكة هيلانة أم قسطنطين الملك. وقد دشنت كنيسة القيامة عام ٣٣٥م على عهد المطران مكسيموس الثاني.

وترعرع في ربوعها قديسون ومشاهير كثيرون: منهم يوستيوس النابلسي (+ ١٦٥) وكيرلس الأورشليمي (٣٥٠-٣٨٦) وايلاريون الغزى (٢٩١-٣٧١) واوسابيوس القيصري أبو التاريخ المسيحي القديم. (٢٧٠-٣٤٠) ومن الرهبان خاريطون (+٣٥٠) وافتيميوس الكبير (٣٧٧-٤٧٣) وبروكوبيوس الغزى (+٨٢٥) وثيودوسيوس رئيس الأديار (٤٢٤-٥٣٩) وسابا المتقدس مؤسس دير مار سابا الشهير (٤٣٩-٥٣٢) وجاورجيوس الخزيبي (في دير وادي القلط) وقد شهد غزوة الفرس (عام ٦١٤).

وفي مجمع خلقدونيا (٤٥١) نجح المطران جوفنال بالحصول على لقب بطريركية لكنيسة القدس التي كانت خاضعة كنسيا لمتروبوليت قيصرية. فأصبح جوفنال (٤٢٠-٤٥٨) أول بطريرك لأورشليم.

ولا ننسى من مشاهير كنيسة القدس البطريرك القديس صفرونيوس الدمشقي (+٦٣٨) الذي سلم مفاتيح القدس الى الخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٨ وهو تاريخ محوري وهام جدا في تاريخ كنيسة القدس. وكان صفرونيوس كاتبا وشاعرا وناثرا وخطيبا وألف رتبا طقسية وكتبا كثيرة.

الحياة الرهبانية

ونشأت الحياة الرهبانية على أنماطها المختلفة. وعمرت القدس والصحارى والمغر حولها حتى البحر الميت بالأديار والصوامع والمناسك، كبيرها وصغيرها، في القدس وخارجها. واكتشفت آثار حوالي ١٤٠ ديراً، وعاش فيها وفي المغر حولها الآف مؤلفة من الرهبان. وقد روى أخبار كنيسة القدس والرهبان والأديار أئمة مورخي القدس كيرللس البيساني (القرن السادس) وقد دمغوا حياة كنيسة القدس بأعمالهم ومؤسساتهم وكتاباتهم اللاهوتية والليترجية أو الطقسية. ومن مشاهير الكتاب الرهبان في الليترجيا والصلاة والعبادة المسيحية الشرقية القديسان يوحنا الدمشقي ابن وزير الأمويين وصديقه القديس قزما. وقد وضعا آلاف الأناشيد الكنسية التي لا تزال ترنم حتى الآن في الكنيسة البيزنطية.

وهكذا أصبحت برية اليهودية حول القدس في القرنين الخامس والسادس مدينة رهبانية واحدة ممتدة الأطراف من القدس بإتجاه أريحا والبحر الميت ومن القدس باتجاه بيت لحم والأغوار ألخ...

مؤخرا (في العام ١٩٩١) اكتشفت الآثار مقابر رهبان بوابة مندلبوم واكتشفت آثار دير كبير في المصرارة تجاه باب العامود، يغطي مساحات شاسعة. وكان يسكنه جنبا الى جنب رهبان من الروم والأرمن، وللأسف فقد طمست هذه الآثار الجليلة تحت الطريق رقم واحد.

هذ الأديار كانت ملتقى شعوب كثيرة. فكان الرهبان يترهبون فيها ولا يزالون من كل أقطار العالم وكانوا يصلون في الأديار بلغاتهم المختلفة في الدير الواحد. مثلا في دير مار سابا كان تسمع الأناشيد والمزامير والتسابيح باليونانية والسريانية والكردية والأرمنية والعربية وسواها.

وكانت الأديار وكان الرهبان فيها درع الإيمان المسيحي الأرثوذكسي القويم. فلعبت كنيسة القدس دورا هاما جدا في الحفاظ على العقيدة المسيحية. ودافع رهبانها عن مجمع خلقدونيا (٤٥١) وقاموا بمظاهرة ضخمة اشترك فيها حوالي عشرة آلاف راهب وانتصروا للمجمع المذكور. كما جاهد رهبان دير مار سابا خاصة في سبيل

عقيدة اكرام الأيقونات المقدسة في القرن الثامن والتاسع (راجع المؤرخ كيرللس البيساني في تواريخه).

ولا تزال الأديار - قديمها وحديثها - قائمة داخل أسوار القدس وخارجها، فنجد حوالي ١٥٠ (مئة وخمسين) ديرا وكنيسة أو صومعة أو مؤسسة خيرية ودينية وإجتماعية ومدرسية وصحية.

الحج والطوائف المسيحية في القدس

لقد حج العالم المسيحي كله عبر الأجيال الى القدس والأماكن المقدسة. لا بل كان الحج في أساس تواجد الطوائف المسيحية المختلفة معا في القدس. فأتى الحجاج من كل مجتمع وثقافة ولغة وحضارة وأحبوا الأماكن المقدسة، وأحبوا الإقامة حولها، كما يقول صاحب المزامير: "ما أحب مساكنك يا رب القوات، تشتاق وتذوب نفسي الى ديار الرب... طوبى لسكان بيتك الى دهر الدهور يسبحونك" (مزمور ٨٣).

وبالتالي فقد تخلف كثير من الحجاج بما فيهم الرهبان والراهبات والعلمانيون، خاصة من السريان والأقباط والأحباش والأرمن والأشوريين والكلدان. وأسسوا أدياراً لإقامة الرهبان وإستقبال الحجاج من بلادهم المختلفة. وسكن في جوار الأديار عائلات كثيرة ... وهكذا تألفت جماعات ذات تقاليد طقسية وكنسية مختلفة. وهكذا تكونت الطوائف المسيحية المختلفة خاصة في القدس وبالذات في جوار كنيسة القيامة أو داخلها أو على سطحها وفي الأحياء القريبة إليها.

هذا ما يشرح وجود الكنيسة الأرمنية منذ القرن الرابع، ومعابد لها في كنيسة القيامة، وبالتالي وجود حارة الأرمن، ومطران الأرمن الذي اتخذ لذاته لقب بطريرك في القرن الثالث عشر، ومن هنا نفهم وجود كابيلا أو معبدا صغيرا للأقباط وراء قبر السيد المسيح، وخلف الأقباط معبدٌ للسريان. ومن هنا نفهم وجود الأحباش على سطح كنيسة القيامة. كما كانت أديار تتبع الطقس اللاتيني على جبل الزيتون. ولكن لم تؤلف جماعة كنسية مستقلة.

وهكذا ومن هنا نفهم وجود الكنائس الأرمنية والسريانية والقبطية والحبشية، الى جانت الكنيسة الرومية الأرثوذكسية الأم في القدس وحول كنيسة القيامة بالذات.

ملاحظة: أما الكنائس الأخرى الكاثوليكية الشرقية (الروم الكاثوليك والسريان والأرمن الكاثوليك والموارنة) فقد انفصلت عن الكنائس الأخرى في أواخر القرن السابع عشر وأوائل الثامن عشر. وأما الكنائس ذات التقليد الغربي (أعني بطريركية اللاتين والإنكليكان واللوثريون) فقد تكونت تحت تأثير النفوذ الغربي في المنطقة على عهد الأتراك، ونمت على حساب الكنائس المحلية الأخرى منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر (حوالي ١٨٤١-١٨٤٨).

القاسم المشترك في وجود هذه التعددية المسيحية الكنسية الفريدة في القدس خاصة والأرض المقدسة عامة هو الحب الشديد للقدس وللأماكن المقدسة. فكل مسيحي أراد ويريد أن يكون له مهجع ودير ومعبد وكنيسة في القيامة أو أقرب ما يكون في جوارها.

ولم تقم الكنائس بسبب الستاتوسكو بل بسبب الحب الشديد للأرض المقدسة والتعلق بها. وأتت تشريعات أو إتفاقيات الستاتوسكو (أو الوضع القائم) لتنظم علاقات الطوائف المسيحية المتواجدة في الأماكن المقدسة وحولها.

ومن هنا نفهم أيضا ان الوجود المسيحي في القدس خاصة هو وجود رهباني. ومن هنا نفهم أن البطريركيات كلها والكنائس تدعى بلغة العامة: ديرا. فالحجاج والرهبان لهم الدور الكبير في تعددية الطوائف والوجود المسيحي الثري في القدس وفي الأرض المقدسة.

القدس والطقوس المسيحية

القدس هي أم الكنائس قاطبة، وهي منبع الطقوس والإحتفالات والأعياد الكنسية، والأسرار والعادات. فقد نقل الحجاج في رواياتهم كل هذه الأمور والمعلومات الدقيقة حولها الى بلادهم. وأرادت الكنائس أن تقلد كنيسة القدس لكي تعيش سر المسيح من

خلال كل ذلك بطريقة أكثر ما تكون شبهت بما يجري في القدس وحول الأماكن المقدسة خاصة في بيت لحم وفي القيامة وعلى جبل صهيون وعلى جبل الزيتون أو في كنيسة الزيتون (المدعوة "اليونا" باليونانية) وفي بيت فاجي وبيت عنيا (أو العيزرية اليوم). ناهيك ذكريات نهر الأردن وبحيرة طبريا والناصرة ألخ...

ومن هنا نشأت الأعياد المسيحية المتجذرة في الأعياد اليهودية (خاصة الفصح والعنصرة وأعياد وعادات أخرى). وكانت الإحتفالات الطقسية كلها تنتهي في كنيسة القيامة. حتى عيد الميلاد كان يبدأ في بيت ساحور ويبلغ ذروة رائعة في بيت لحم ولكن الإحتفالات كانت تنتهي في القيامة. ومن هنا أتت عادة المراحل. ومن هنا نشأت أيضا صلاة مراحل درب الصليب، وإحتفالات أحد الشعانيين وسبت النور ألخ...

وكانت إحتفالات أسبوع الآلام هي قمة الإحتفالات الكنسية في العالم المسيحي كله مع الرغبة في عمل ما يعمل في القدس وكما يعمل في القدس. من هنا أتت عادة بناء الكنائس وخاصة هيكل القيامة أو قبة القيامة داخلها حسب هندسة كنيسة القيامة وقبة القيامة في القدس.

لا بل أصبح الهيكل الذي تقام عليه ذبيحة القداس الإلهي رمز مكان القبر والقيامة. فكل هيكل في العالم المسيحي هو مكان القبر والقيامة. وكل كنيسة في العالم المسيحي هي كنيسة القيامة، وكل إحتفالات للجماعة المسيحية يوم الأحد خاصة هو إحتفال بحدث القيامة في القدس. والدخول الى أي كنيسة اينما كانت في بقاع الدنيا، هو الدخول الى كنيسة القيامة (الى هذا ترمز حفلة الهجمة صبيحة عيد الفصح المجيد). ومن هنا نرى في كل الكنائس فوق الهيكل الصليب: وهذا يرمز الى الجلجلة والصليب والقبر تماما كما هو الحال في القيامة، حيث نرى الجلجلة والقبر تحت قبة كنيسة واحدة. والى هذا الأمر تشير بوضوح خاصة صلوات الطقس البيزنطي التي ترافق تهيئة القرابين ونقلها ووضعها على الهيكل المقدس. (هكذا مثلا: "أيها المسيح ان قبرك ينبوع قيامتنا، قد بدأ حقا حاملا الحياة وأبهى من الفردوس واسنى من كل خدر ملكي". وأيضاً "ان يوسف الوجيه انزل من الخشبة

جسدك الطاهر، ولفه بكفن نقي وحنوط، وجهزه ووضعه في قبر جديد". (راجع صلوات ليترجيا القديس يوحنا فم الذهب – نقل القرابين).

ومن هنا دعي المسيحيون أبناء القيامة ودعيت القدس مدينة القيامة. وفي القدس نشأ الدور الطقسي على مدار السنة وهو يشمل كل الأعياد الثابتة والمتحركة للسيد المسيح وللسيدة العذراء مريم.

وفي القدس نشأت الليترجيات (أوطرق الإحتفال بسر القربان المقدس) الأساسية ومنها خاصة ليترجيا القديس يعقوب (أول اسقف لأورشليم القدس) وليترجيا الأثني عشر رسولا وليترجيا يوحنا فم الذهب. وهي الأكثر شيوعا ومنها تطورت كل الليترجيات الأخرى، وأيضا ليترجيا القداس الروماني في روما والغرب عموما.

وفي القدس تبلورت قواعد الصلاة والإحتفالات المختلفة. وأقدم دليل عليها التيبيكون (أو كتاب العوائد الطقسية) الأرمني، وتيبكون القديس سابا....

ومن هنا أيضا صلاة الذكر في القداس، حيث يذكر الكاهن المحتفل أهم أحداث الفداء والخلاص التي جرت في القدس ، حيث يقول: "ونذكر الصلب والقبر والقيامة في اليوم الثالث والصعود الى السموات والجلوس عن اليمين والمجيء الثاني المجيد أيضاً..." وكلها أمور جرت في القدس. ولذا دعيت أيضا القدس نصف الدنيا وصرة العالم ... ولذا حرص رسامو الخرائط العالمية في القرون الوسطى أن يضعوا القدس وكنيسة القيامة دوما في نصف الخريطة دلالة على مكانة القدس في المسيحية.

واتصلت معاني الصلوات النهارية والليلية بالقدس وأحداث الخلاص والفداء فيها. فالساعة الثالثة تذكرنا بحلول الروح القدس على التلاميذ في علية صهيون يوم العنصرة. كما تذكرنا بساعة محاكمة السيد المسيح. والساعة السادسة تذكرنا بصلب السيد المسيح. والساعة التاسعة تذكرنا بموت المسيح على الصليب. أما الغروب فتشير الى لقاء سمعان الشيخ مع المسيح الطفل في القدس.

لا بل لا تكاد تخلو صلاة مسيحية شرقا وغربا من ذكرى القدس وأماكن الخلاص المقدسة فيها وحولها. ولسان المسيحيين هو حنين وأضع المزمور ١٣٦: "ان نسيتك يا أورشليم فلتنسني يميني. ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك. ان لم اضع اورشليم في ذروة فرحي" (المزمور ١٣٦: ٥-٦).

وتزود الكنيسة في صلواتها مزامير داود وخاصة مزامير المراقي (١١٩-١٣٣) حيث يكثر ذكر اسم القدس (أورشليم) او صهيون أو بيت الرب أو قدس... فيها آيات رائعة: "فرحت بالقائلين لي الى بيت الرب ننطلق. قد وقفت اقدامنا في أبوابك يا أورشليم ... أسألوا السلام لأورشليم. ليسعد الذين يحبونك. ليكن السلام في أسوارك. لأجل أخوتي وأخلائي أدعو لك بالسلام. لأجل بيت الرب إلهنا التمس لك الخير" (مزمور ١٣:١٣١).

وتكثر الأناشيد للقدس وهي مستقاة من المزامير ونبوءات العهد القديم، يرنمها الشعب المسيحي في مشارق الأرض ومغاربها، بكل إندفاع وحماسة وهي موجهة على السواء الى أورشليم الأرضية التاريخية والجغرافية والى أورشليم السماوية وهي أمنا جميعاً (غلاطية٤:٢٦)، والى الكنيسة المقدسة بجميع مؤمنيها. وكم سمعنا الحجاج يرنمونها لدى زيارتهم للأماكن المقدسة. وكم ترنمنا بها في زياح أحد الشعانين الذي يدعى بحق عيد القدس الكبير، حيث يندفع آلاف المؤمنين من مسيحي البلاد المقدسة والبلاد العربية والحجاج من كل بقعة تحت السماء ينشدون بملء حناجرهم شيبا وشبانا وأطفالا: أناشيد القدس ومطلعها: "امدحي يا أورشليم الرب سبحي إلهك يا صهيون" (المزمور ١٤٧).

من هذه الأناشيد الكتابية فصول كثيرة من نبوءة أشعيا وهي من عيون الأدب العالمي. خاصة الفصل الستون ومطلعه: "قومي استنيري (يا أورشليم) فإن نورك قد وافى ومجد الرب اشرق عليك... تشير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك. إرفعي طرفك الى ما حولك وإنظري. كلهم قد إجتمعوا وأتوا إليك. بنوك من بعيد يأتون وتحملين بناتك في حضنك ... وتنفتح أبوابك دائما لا تغلق نهارا ولا ليلا ... مجد لبنان يأتي إليك ... ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل ... سأجعلك فخر الدهور سرور جيل فجيل. وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي الملوك وتعلمين

أني أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب ... لا تكون الشمس من بعد نورا لك نهارا ولا نيرك القمر بضيائه ليلا، بل الرب يكون لك نورا أبديا وإلهك يكون فخرك..." (نبوءة أشعيا الفصل ٦٠).

وقد استوحى ناظمو الأناشيد الكنسية القديمة والمعاصرة هذه المصادر الكتابية من مزامير ونبوءات وأحداث تاريخية، ودبجوها نثرا وشعرا باليونانية والسريانية خاصة، وكذلك بالقبطية والحبشية والأرمنية، وفي اللاتينية غربا وفي كل اللغات المعاصرة.

فإن أدب القدس نظما ونثرا غني ثريٌّ تليد زاخر جياش فياض، وبحر لا يمخر عبابه... من هؤلاء الشعراء في الشرق خاصة أفرام السرياني (أو السوري) أوفرات، ويوحنا الدمشقي وقزما رفيقه، وورمانوس المرنم. وغريغوريوس المنور وسواهم، الذين كتبوا آلاف القطع من التسابيح والأناشيد التي يتردد فيها ذكر القدس والأماكن المقدسة الخلاصية.

من هذه الترانيم في عيد الفصح والقيامة في الطقس البيزنطي: "إستنيري إستنيري، يا أورشليم الجديدة، لأن مجد الرب قد أشرق عليك. إفرحي الآن وإبتهجي يا صهيون. وأنت يا والدة الآله النقية إطربي بقيامة ولدك" (قانون عيد الفصح ليوحنا الدمشقي، للقرن الثامن). "يا صهيون أجيلي عينيك حواليك وانظري. فهوذا أولادك قد وفدوا إليك، مثل كواكب مستنيرة بالله، من المغرب والشمال والبحر والمشرق. مباركين المسيح فيك مدى الدهور" (قانون عيد الفصح).

وهناك أناشيد كثيرة في الأعياد المرتبطة مباشرة بالقدس: عيد دخول السيد المسيح الى الهيكل (٢ شباط). عيد نهوض لعازر (سبت لعازر) أحد الشعانين - أسبوع الالآم وعيد الفصح المجيد. أعياد الصليب وتجديد هيكل القيامة بالقدس (١٣ و ١٤ أيلول - ٧ أيار ألخ...).

ختــام

"ورأيت سماء جديدة وأرضا جديدة. لأن السماء الأولى والأرض الأولى قد زالتا والبحر لم يكن من بعد. وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلـة من السماء من عند الله مهيأة كالعروس المزينة لرجلها. وسمعت صوتا عظيما من العرش قائلا: هوذا مسكن الله مع الناس. وسيسكن معهم ويكونون له شعبا والله نفسه يكون معهم إلها لهم".(رؤيا ٢١:١-٣).

هذه هي الرؤيا الكبيرة الأساسية للقدس في المسيحية. إنها القدس، المدينة المقدسة لي ولك ولها، ولنا ولكم ولهم ولهن، صرف ضمير القدس في كل صيغة فترى أن التصريف صحيح ومطابق تماما في كل حال ولكل حال.

إنها "زهرة المدائن" (فيروز) وإليها ترحل عيوننا كل يوم بالصلاة والحج والشوق والصعود. القدس مدنية مقدسة، مدينة إيماننا، فلا يجوز لك يا أخي والحالة هذه أن تكون مواطنا فيها أو ساكنا بين أسورها أو مارا في شوارعها الا وتسمع نداء الإيمان والقدسية وأجراس القيمة... إن هذا ما يعطي لك مواطنة القدس الحقيقية ويجعل من الحجارة والمعالم والآثار شهودا حية للقيامة وللمسيح الحي "القائم من بين الأموات، والواهب الحياة للذين في القبور".

القدس مدينة إيماننا، لا تستكبر يا ابن القدس بامك الشريفة، ولا تشمخ بقدسيتها فانك من أبناء "قوم لا يستكبرون". فبالرغم من قدمنا في القدس ووفرة معالمٍ مقدساتنا ومؤسساتنا، فلا يجوز أن نعتبرها موضوع فخار وكبرياء، ولا ملكًا ولا وقفًا علينا، بل نعتبرها كما اعتبرها التاريخ المسيحي شرقا وغربا نصف الدنيا"، إذ منها ينطلق الخلاص والفداء وثمار القيامة من الوسط الى كل الأطراف، لكي يطال العالم كله... وأنتم شهود لي الى أقصى الأرض" (لوقا ٢٤).

هذه هي القدس مدينة إيماننا، أم الكنائس، موطن أبناء القيامة، علاقتنا بها ثرية غنية: إنها علاقة تاريخ وحضارة وحجارة ومعابد وكنائس ومناسك وأديار وصوامع ... ولكنها من خلال كل ذلك هي علاقة إيمان وقداسة فداء وخلاص،

يلفني ويلفك يا أخي المسيحي المؤمن، كما يطالك ويلفك يا أخي المؤمن من كل دين وتحت كل سماء...

فلا تفتخر يا ابن القدس، يهوديا كنت أو مسيحيا أو مسلما، فأنت ملك القدس وقدسيتها، تظللك وتنيروجهك وتؤلقك وتتجلى فيك. ولست أنت الذي يملكها ويسيطر عليها ويسودها ويسوسها، اذ لا يمكنك ان تأتي القدس الا صاعدا. فقداستها تغمرك من فوق، فهي المدينة النازلة من السماء. ونور القدس يشع الى جميع العالم، حتى ليتعدى أتباع الديانات الثلاثة، ليحضن أبناء وبنات الأرض كلها.

نحن مؤتمنون على هذه المدينة وقداستها، لكي نظهرها ونشعها في العالم. كما قال القديس غريغوريوس النزيزي: "القدس ليست حكرا واحتكارا (مونوبول) لها ولأبنائها، بل هي نقطة انطلاق القداسة الى الارض كلها."

فاليهود في القدس يمثلون السبعة عشر مليونا من يهود العالم. والمسلمون في القدس يمثلون الثماني مئة وخمسين مليون مسلم في العالم. والمسيحيون في القدس يمثلون المليار والثلاثمئة مليون مسيحي في العالم. قال البابا يوحنا بولس الثاني: "ان فلسطين هي الوطن الروحي لكل مسيحي لانها وطن يسوع ومريم" (الرسالة البابوية أم الفادي).

ان قدسية هذه المدينة للمسيحيين ولليهود وللمسلمين معا، يجب ان يكون مفتاحا للسلام في المنطقة. ولا بد ان يبعد عن المدينة المقدسة كل ما يمكن ان يجعلها سبب نزاع وحرب وكراهية وحقد. لا بد ان ننزع عن هذه المدينة كل نظرية سياسية، ونظرية القوة والبطش، ونظرية الاستئثار وتسلط فئة على أخرى.

هذا ما ردده بطاركة الشرق في اجتماعهم الاول في بكفيا – لبنان (١٩-٢٤ آب ١٩٩١) "في قلب القضية الفلسطينية قضية وضع القدس، هذه المدينة التي قدستها السماء، والتي تعتبرها الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلامية جزءا من تراثها الروحي والحضاري. ولذا لا يمكن تجاهل هذا الوضع الخاص في البحث عن أي حل سياسي للقدس. ولا بد أن نجد حلا فريدا يجعل كل مواطن، مسيحيا

مسلما أو يهوديا، يشعر أنه في المدينة وهكذا بدل ان تكون القدس مدينة النزاع الديني والطائفي، تصبح مدينة السلام والتلاقي والأخوة لسكانها وعلامة رجاء للعالم بأسره".

ولذا ندعو العالم كله، وأدعو بنوع خاص أخوتي مسيحيي العالم بأسره لكي يقوموا بحملة عالمية عارمة للدفاع عن قدسية القدس وطابعها القدسي الفريد الوحيد في العالم بأسره. وعليهم أن يدافعوا عن طابع القدسية الشامل لكل الديانات الثلاثة.

واذا أضاعت القدس فرادة القدسية وطابعها المميز، فقد فقدت رسالتها بان تكون مدينة العالم، فان كل تسييس للقدس، يفقد القدس دعوتها ورسالتها الفريدة. وليست دعوتها القدسية ان تكون عاصمة دولة، أو مدينة مدولة، ولا يجوز أن تصبح متحفا أو مدينة – ملاه ومتاجر، أن مسؤوليتنا كمسيحيين ومسلمين ويهود، ومسؤوليتنا كفلسطينيين أن نحافظ على هدية السماء لنا: القدس المدينة المقدسة. (راجع نداء المطران لطفي لحام بعنوان: "القدس المدينة المقدسة" ٧ تشرين الثاني ١٩٩١، بالفرنسية والانجليزية والألمانية. راجع كتاب القدس: "نهاية المدينة العالمية"، بقلم أ.م. غوشون – فرنسي).

وهكذا تحافظ القدس على طابعها الإبراهيمي، الذي يميز اليهودية والمسيحية والاسلام، اذ تعتبر أيضا ديانات الإيمان الإبراهيمي، لقد كان إبراهيم خليل الله ومضيف الله، مضيف الملائكة الثلاثة في خليل الرحمن، (حبرون) وهم رمز الثالوث الأقدس، الأب والإبن والروح القدس، الإله الواحد، وهذا ما نراه في أيقونة "الضيافة" للرسام الأيقونوغرافي الروسي روبلف. هكذا على القدس ان تكون المدينة المضيفة للعالم بأسره. ولا ننسى أن الدينونة الأخيرة ستكون على الضيافة: "كنت جائعا فأطعمتموني وعطشانا فسقيتموني وكنت غريبا فآويتموني وعريانا فكسوتموني وكنت مريضا فعدتموني، ومحبوسا فأتيتيم الي" (متى ٢٥:٣١-٤٦) (راجع مقال الراهب اندرة سكريما: خواطر حول مدينة عالمية فريدة في الديانات الموحدة، مخطوط).

القدس هي اليوم اكثر من أي وقت مضى وسط العالم ومفتاح الحرب والسلام. نطلب من الله تعالى الذي أهدانا هذه المدينة، أن يأتي اليوم الذي نحتفل فيه بسلام القدس، انها مدينة الله المقدسة، والمدينة المقدسة لكل أبناء الله.



لقد كان تأثري كبيرا، عندما قرأت ما يلي في رسائل تل العمارنة بمصر (١٣٠٠ سنة قبل المسيح) "حقا! هذي ارض اورسالم، ليس أبي ولا أمي اللذان وهباها لي، وإنما يد الملك القديرة! لقد جعل الملك اسمه على ارض اورسالم الى الأبد. لذلك لن يتخلى الملك عن أراضي أورسالم".

إن لفظة اورسالم - أورشليم - لفظة أكّادية تعني "تأسيس الإله سالم". وقد وردت في رسالة بعث بها عيدي هيبا، أحد الحكام المصريين في القدس، الى أبي الفرعون إخناتون (١٣٧٤-١٣٤٧ ق.م.)، يطلعه فيها على ما يهدد الكيان المصري في القدس وحولها.

إن إسم المدينة، التي يدعوها ابن سيراخ 'المدينة المحبوبة' (٢٤:١١)، يرتقي على الأقل الى تلك الأيام البعيدة، السابقة لعهد موسى، وليس هناك من كان في وسعه ان ينبئ بان هذه الضيعة، المضطجعة بين ثلاثة أودية، والتي حمل لها التطور كثيرا من ملامحها الحالية، ستكون محور تاريخ العالم.

* الأب جورج سابا، أنهى دراسة الفلسفة واللاهوت من المعهد الإكليركي - بيت جالا، أمضى حياته كاهن في عدة رعايا وقد تخصص في الليتورجية.
مقال في مجلة اللقاء: السنة الخامسة، العدد الثاني، ١٩٩٠.

وهنا، في هذه الصفحات سيكون الكلام على وجه من هذا التاريخ: القدس في حياة المسيح وفي تراثنا المسيحي.

أ. مدينة القدس في العهد الجديد

١. *مدينة القدس، معاصرة المسيح والرسل*

إن كان كل العهد القديم، في عرفنا المسيحي، يشخص الى المسيح، فانه، في الوقت نفسه، يشخص الى أورشليم: "ها أناذا على كفي نقشتك، وأسوارك أمام عيني في كل حين" (اشعيا ٤٩:١٦). وقد جعل الأنبياء لهذه المدينة، في رؤى القرون الأخيرة، هوية مدينة روحانية، تنفتح على العالم كله، وتعانق بأمومتها ورسالتها جميع شعوب الأرض.

لذلك لا يمكننا أن نفصل صورة القدس عن صورة المسيح، فان هذه ترتبط بتلك.

ها هي القدس، معاصرة المسيح، إنها القدس الهيروديسية، تلك التي جعلها هيرودس الكبير من اجمل مدن العالم اليوناني الروماني. فشاد في كل بقعة منها بنايات لم ير لها ماضي المدينة مثيلا: من الملاعب والحدائق، الى القصر الرخامي الملكي القائم في المدينة العليا، وبقربه ثلاثة أبراج، الى قلعة انطونيا القائمة في المدينة السفلى، فالى الأسوار العظيمة التي ما زلنا حتى الان نعجب ببقاياها، أما اعظم مآثر هيرودس في أورشليم فهو الهيكل. أخذ في بنائه سنة ٢٠ ق.م. ولم يفرغ منه سوى قبل دماره بسنوات وقد استوقف أحد التلاميذ يسوع يوما أمامه وقال: "يا معلم، انظر! يا لها من حجارة ! يا لها من أبنية!" (مرقس ١٣:١).

٢. *يسوع ومدينة القدس*

هذه هي المدينة، التي كان يسوع يصعد إليها بمناسبة الأعياد، يواجهها، شأن سائر الحجاج، بآيات من المزامير المدعوة "مزامير الصعود": "ها قد وقفت أخيرا خطانا عند أبوابك، يا أورشليم! أدعوا بالسلام لأورشليم وقولوا: ليسعد من بك يهيم! ليحل السلام بأسوارك، والرخاء داخل قصورك ..." (المزمور ١٢١).

وإذا ما فتحنا الإنجيل المقدس، وقفنا فيه على فقرتين متساويتين، تبينان للحال حب المسيح للمدينة.

ففي الأولى، نسمع المسيح يخاطب أورشليم، في ختام اكثر خطبه شدة قائلا: "أورشليم! أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن اجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها! فلم تريدوا" (متى ٢٣:٣٧).

وفي الثانية، نرى يسوع، وقد رأى المدينة، يبكي عليها ويقول: "ليتك عرفت أنت أيضا في هذا اليوم طريق السلام! ولكنه حجب عن عينيك ... انك لم تعرفي وقت افتقاد الله لك".

نجد هذا القول في إنجيل لوقا (١٩:٤١-٤٤). انه حقا إنجيل أورشليم. وفي إنجيله بخاصته، علينا أن نواصل رؤيتنا لموقف يسوع أورشليم.

٣. *لوقا والمدينة*

عندما نقرأ إنجيل لوقا، وما كتبه لوقا في أعمال الرسل، نرى من ساعتنا المكان الرفيع الذي احتلته مدينتنا في قلبه، فإنها تبدو مركزاً للإنجيل الثالث. فهذا يبدأ في أورشليم، حول زكريا وهو يخدم في هيكل الرب. وينتهي في أورشليم، بمنظر الرسل وهم يسبحون الله في الهيكل. ويتناول مطلع الإنجيل صعودين ليسوع الى أورشليم: أولهما في اليوم الأربعين من أمومة أمه، والآخر عندما بلغ اثنتي عشرة سنة.

وإذا ما انتهينا الى الفصل التاسع من الإنجيل (الآية ١٥)، فها هي نقطة الانطلاق الإحتفالي: "ولما حانت أيام إرتفاعه (أو خروجه، ويشمل موته وقيامته وصعوده)، عزم الاتجاه الى أورشليم". وفي هذا الإطار، يوجه كل هذا القسم من الإنجيل: "لأنه كان متوجها الى أورشليم" (٩:٥٣)، "وكان يمر بالمدن والقرى، فيعلم فيها، وهو سائر الى أورشليم" (١٣:٢٢). "يجب علي أن أسير اليوم وغدا واليوم الذي بعدهما، لانه لا ينبغي لنبي أن يهلك خارج أورشليم" (١٣:٣٣). "ها نحن

صاعدون الى أورشليم، فيتم جميع ما كتب الأنبياء في شأن ابن الإنسان ..." (٣١:١٨)، "لانه قرب من أورشليم" (١١:١٣)، "قال هذا، ثم تقدم صاعدا الى أورشليم" (٣٨:١٩).

ليس هناك من لا يشعر بتأثير أسلوب لوقا في النفس، وهكذا، فإن أورشليم تبدو لنا نقطة انطلاق بشرى الخلاص، وغاية مسيرة يسوع، بينما تبدو، في أعمال الرسل، مركز إشعاع يعمّ أقاصي الأرض (٨:١) حتى رومه (١٦:٢٨).

٤. *مدينة الفداء*

إذا كانت بيت لحم مدينة المولد الساطع فقرا ونورا، في حضن الطبيعة، وإذا كانت الناصرة مدينة الطفولة والشباب والاستعداد الطويل في الصلاة والعمل، وإذا كانت ارض الجليل، بتلالها وبحيرتها وسهولها وجمالها، مقر البشارة الأولى، فأورشليم هي مدينة الفداء وما يستمد منه. إليها كان يسوع يصعد في الأعياد ويسمع صوته. وفيها قضى آخر أيامه، وأجرى اعظم آياته؛ السر الفصحي، أي سر الألم والموت والدفن والقيامة والصعود والعنصرة. وهناك انشأ ما يخلد سره الفصحي عبر الدهر، من قربان وكهنوت، الى جانب الوحي بأعمق شؤون إيماننا، والادلاء بأهم وصايا شريعتنا: المحبة. لذلك كان لديانة المسيح صلة صميمة بأورشليم، وحقّ لأحد الكتاب المعاصرين ان يقول: "أورشليم هي جزء من تدبير الخلاص، لا يمكن فصله عن الوحي الإلهي" (دانيال روبس).

٥. *"أوصاهم ألا يغادروا أورشليم" (أعمال ٤:١)*

في هذه المدينة مكث تلاميذ يسوع وجماعته، ينتظرون يوم العنصرة. وقد مكث أولئك هناك السنوات الطويلة، على ما نستخلصه من أعمال الرسل، ومن رسالة القديس بولس الى أهل غلاطية (١٨:١ - ١٩، ١:٢، ٩) ولم يلجأوا الى الهجرة والابتعاد إلا بدافع من الروح أو من الأحداث، وذلك نزولا عند وصية الرب. فقد كان الواجب أن يتأصل ملكوت الله هنا وفي اليهودية والسامرية، قبل أن يبلغ أطراف الأرض.

٦. *أم يسوع في القدس*

في هذه البيئة، جعلت أم يسوع تعمل بوصية ابنها. فقد مكثت، هي أيضا، بعد صعوده، في أورشليم. وهذا ما يشهده تقليد كنيستنا، ومعظم الكتابات غير القانونية بينما يذهب بعض هذه الى ان العذراء اضطرت إلى سكنى بيت لحم، إذ طردها اليهود من المدينة لترددها على الجلجلة لتبكي هناك!

وقد بقيت أم يسوع هنا حتى وفاتها: فكل شيء في تقليدنا المحلي، والأبحاث العصرية في مآثر ماضينا، يشير الى ذلك، وليس هناك ما يدعو الى البحث على قبر العذراء. في افسس، بناء على تقليد متأخر يقول أن العذراء رافقت يوحنا الى آسية وإنها رقدت فيها. فان كنيسة افسس ظلت في رعاية القديس بولس حتى سنة ٥٨. ومن المرجح أن يوحنا لم يتصل بها سوى بعد موت رسول الأمم عام ٦٧. وقد يكون عمر العذراء آنذاك بلغ الثمانين.

وفي القدس أيضا رجم اسطفانس، وقتل الملك اغريبا (٤١ ـ ٤٤) يعقوب أخا يوحنا بحد السيف، والقي يعقوب أخو الرب من شرفة الهيكل ورجم عام ٦٢.

ب. مدينة الكنيسة والعالم المسيحي

١. *في العلية وما حولها، ومن العلية وما حولها: كنيسة القدس*

بعد الصعود، يقول لوقا: "صعدوا الى العلية" (أعمال ١:٣١). إنها علية صهيون، المعروفة بهذا الاسم منذ قديم الأيام. وقد تكون لفظة عليّة سريانية الأصل.

تقوم العلية على الجبل الغربي من مدينة القدس أي على أعلى مرتفع منها، ذاك الذي اخذوا، منذ القرن الرابع، يسمونه جبل صهيون المسيحي، وهو غير قلعة صهيون القائمة في الوادي، وحيث مدينة القدس اليبوسية ومدينة داود.

انه ليس من غرضنا هنا أن نستعرض تاريخ العلية وما حولها. ولنقتصر أولا على ذكر أسماء الكنائس التي تعاقبت على المكان: كنيسة الرسل (وهي أقدمها،

ويرى قسم منها حتى اليوم) ـ كنيسة الأعمدة ـ صهيون المقدسة، أم جميع الكنائس – كنيسة القديسة مريم على جبل صهيون ـ العلية، المعروفة اليوم، وهي في الصورة التي جعلها لها الرهبان الفرنسيون عام ١٣٤٢ ـ كنيسة النياحة.

هنا عاشت الكنيسة الأولى، كنيسة القدس، ومن هنا انطلقت الكنيسة في العالم كله.

٢. *من أقوال بولس السادس: أهمية كنيسة القدس*

جاء في خطبة البابا بولس السادس الى لجنة الكتاب المقدس الحبرية، في ١٤ آذار ١٩٧٤:

"إن الكتاب المقدس (وبخاصة العهد الجديد)، قد تكون في حضن جماعة شعب الله، في حضن كنيسة الإله الملتئمة حول الرسل. فالرسل الذين تخرجوا من مدرسة يسوع، وصاروا شهود قيامته، بلغوا أعماله وتعاليمه، عارضين الأحداث التي كانوا لها شهودا، وشارحين ما لها من معنى للخلاص. وان الدراسات التي تمت في العشرات من السنوات الأخيرة قد أسهمت إسهاما كبيرا في إجلاء علاقة الكتاب المقدس الصميمة بالكنيسة. حتى ليبدو أن الطابع الذي يميز تفسير الكتاب المقدس الحالي ويسوده، إنما هو التفكير في العرى الوثيقة التي تربط بين الكتاب المقدس بكنيسة الساعة الأولى".

وعليه، فهنا، في كنيسة القدس الأولى، اتخذ الإنجيل إطاره الحالي: "منذ أن عمد يوحنا الى يوم رفع" (أعمال ٢٢:١) الرب يسوع. هنا اطلعت مريم الكنيسة، بسبيل يوحنا فلوقا، على طفولة يسوع. هنا بدأت الصلاة المسيحية الليتورجية حول نشيد مريم وزكريا وسمعان. الى هنا كانت تعود الكنيسة انى كانت، على ما تصفها أعمال الرسل مدة ثلاثين سنة، وما قرر هنا فقد أصبح شأن الكنيسة دوما.

٣. *كنيسة قدوة لجميع الكنائس*

ولقد قيل: إن ما يسطع من جماعة كنيسة القدس الأولى في الطليعة ، كما تبدو من أعمال الرسل، ليس التعليم الجديد المنادى به، ولا الحياة الجديدة التي أخذت تشق طريقها، بل المسيح القائم الذي ما زال حاضرا في هذه الأوساط، به ترتبط الجماعة صلة جديدة جعلتها تشعر بأنها امتداد لسيدها ومواصلة له.

وهكذا، فإذ يعرض لنا سفر الأعمال ثلاثة أوصاف لهذه الجماعة، فانه يرمي الى أن يقيم منها قدوة ومثالا لجميع الكنائس في جميع الأجيال.

أ. في الفصل ٤٢-٤٣: "كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات ... وكان جميع الذين آمنوا جماعة واحدة ... يلازمون الهيكل كل يوم بقلب واحد، ويكسرون الخبز في البيوت، ويتناولون الطعام بابتهاج وسلامة قلب. يسبحون الله وينالون حظوة عند الشعب ...".

ب. ٤:٣٢-٣٥: "وكان جماعة الذين آمنوا قلبا واحدا ونفسا واحدة ... وكان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ...".

ج. ٥:١٢-١٦: "وكانوا يجتمعون كلهم دون استثناء في رواق سليمان ... والشعب يعظم شأنهم ...".

٤. *كنيسة تصلي*

وان الصلاة هي أولى ميزة لكنيسة القدس، المجتمعة حول التلاميذ والنسوة ومريم أم يسوع واخوته: "كانوا يواظبون جميعا على الصلاة بقلب واحد، مع بعض النسوة ومريم أم يسوع ومع اخوته" (أعمال ١:١٤).

فهكذا يواصل سفر أعمال الرسل إنجيل لوقا، إنجيل الصلاة. وهكذا نرى في هذا السفر الصلاة تواكب مسيرة الكنيسة، وتهيء لجميع منعطفاتها، وهي تجد في أم يسوع، أم الكنيسة، نموذجها الكامل، بل معلمة للصلاة.

ومن هنا، يمكننا أن ننفتح على المستقبل، حيث نرى الكنيسة مدعوة دوما الى أن توالي صورة كنيسة القدس الأولى، بان تعيش في بيئة صلاة ليل نهار.

٥. *كنيسة من اعظم مصادر ليتورجية الكنيسة الجامعة*

لكن الأمر لا يقف بنا عند هذا الحد. فقد كانت كنيسة القدس من اعظم مصادر تلك الليتورجيا التي يصفها القديس البابا بيوس العاشر، ومن بعده المجمع الفاتيكاني المسكوني الثاني بكونها: "أهم منبع للروح المسيحية الحق". فمع الأيام، يصبح طقس كنيسة القدس الأولى الطقس السوري (السرياني)، المدعو ليتورجية القديس يعقوب، المنبثقة من ليتورجية المسيحيين الأولين وقد عادت من انطاكية الى القدس.

ويفيدنا التاريخ ان هذه الليتورجيا قد ازدهرت في القرن الرابع حول القبر المقدس، بفضل القديس كيرلس الاورشليمي بخاصة، وكان لها فعل في العالم كله.

لا نريد هنا أن نتطرق الى تطور هذه الليتورجيا. فنقتصر على ما قالته أثيريا من أنها كانت تقام، في آخر القرن الرابع، في اليونانية والسريانية.

إن أثيريا سائحة قدمت من أسبانيا أو من جنوبي فرنسا، في أواخر القرن الرابع، وزارت سيناء والبحر الأحمر ومصر وجبل نبو وما بين النهرين والقدس وضواحيها، وتركت لنا وصفا لكل ذلك في القسم الأول من مذكراتها الطويلة (في اللاتينية).

وفي القسم الثاني من هذه تصف لنا ليتورجية القدس، التي تضفي نورا ساطعا على ليتورجيتنا اليوم، وبخاصة على الأسبوع المقدس والثلاثية الفصحية. فهنا نرى ليتورجية القدس من وراء ليتورجية اعظم أعيادنا، فقد كان من البديهي ان يعاش الإنجيل، في الإطار الجغرافي عينه والوقت عينه، اللذين جرت فيهما أحداث الفداء وتذكر أثيريا ان المؤمنين كانوا يتوافدون على كنيسة القيامة منذ الصباح الباكر وينتظرون عند الأبواب ريثما تفتح ليجدوا لهم مكانا في الكنيسة.

٦. *ما وراء الأماكن المقدسة المقدسية*

إلا ان لليتورجيا محورا، وهو المسيح، الذي هو أول من أقام الليتورجيا واحتفل بها هنا في القدس. لذلك ترتبط كل ليتورجية القدس والعالم بهذه المدينة وبمن قال فيه بطرس في قيصرية الساحل، في بيت أول الوثنيين المهتدين الى الإيمان: "مضى من مكان الى آخر يعمل الخير، ويبرئ جميع الذين استولى عليهم إبليس". (أعمال ١٠:٣٨)

إن وجه المسيح لن يغيب عن هذه الربوع. انه يلحقنا في كل موضع: هنا، وفقا لما يردده أبناء القديس فرنسيس في طوافهم اليومي في كنيسة القيامة: هنا صلبوه – هنا اسلم الروح – هنا دفنوه – هنا قام – هنا ظهر ... وكان من جاء في مزمور نقل تابوت العهد الى القدس القديمة من وراء ذلك: "... لندخل مسكن الرب، لنسجد عند موطن قدميه" (١٣٧:٧).

فقد انعم على كنيسة القدس الأولى بان تعيش أيام القدس كما عاشها المسيح أن ترى العلية كما كانت، والجلجلة في عراها، والقبر الفارغ كما شهدته أولى بشيرات الفصح ... والا تقف أمام هذه الواجهة فحسب، بل أمام الغائب الحاضر.

٧. *الأماكن المقدسة*

يعود الفضل في الحفاظ على ذكر الأماكن المقدسة في القدس وغيرها، الى المسيحيين الأولين الذين اخذوا يحجون إليها منذ قديم الأيام، وفي عرفهم، وعرف غيرهم، إن القدس مدينة الله، ومحور الأرض، بل محور العالم. وكانوا يخصون بزيارتهم القدس وجبل الزيتون وبيت لحم.

وما فتئت المقامات المقدسة أن شيدت، لتخلد كل مكان من القدس، مر به يسوع أو تكلم أو اتى أمرا فيه. وإذا بها تملأ الأرض: من كنيسة القيامة والاليوانا على جبل الزيتون، وهما من مآثر قسطنطين ووالدته هيلانه، الى الكنائس المتواجدة في جتسمانية، وعلى قبر العذراء ومكان مقتل اسطفانس، والعلية، وصياح الديك، وأماكن الآلام ودرب الآلام، وبركة بيت ذاتا وسلوام وسائر جبل الزيتون (مكان صعود وبكاء الرب ...).

منذ ألفي سنة، والتنقيب والعلم يلاحقان تلك المواضع، كأنـه يهمهـا معرفـة هويـة كل حجر فيها. وإذا بالمكتبة العالمية تشمل من الكتب عن القدس ما لم تحظ بـه أيـة مدينة أخرى. وإذا بالعالم المسيحي يرى في جميع تلك الكنـائس كنائسـه ومـن اعـز الكنائس عليه.

٨. *الحج الى الأماكن المقدسة*

قبل المسيح، وأيام المسيح، كان إلحج الى القدس معروفا، وكان له انطلاق جديد بعده، وبخاصة منذ القرن الرابع، منذ ان تجلت كنيسة القيامة بكل عظمتها، وظهرت كعروس ماجدة، يوم تدشينها الذي جذب الى المدينة المقدسة ما جذب.

قد تكون حركة الحج حركة رغبة في الخروج من الوتيرة اليومية، وفي الإطلاع على ما وراء الجبال والبحار. ولكنها، في أصلها، حركة إيمان لايهاب المصاعب، ويتوق الى قراءة الإنجيل محليا، والى الوقوف، محلا، أمام الذي، فـي ذلـك الزمـان، قال كذا لتلاميذه، أو خرج الـى جبـل الزيتـون، أو صعـد الجلجلـة ... إنهـا اكتشـاف جديد لما يعرف ويؤمن به. إنها عودة الى الينابيع، بل الى الينبوع.

إنها عطش جديد وارتواء جديد، وفـي آخـر المطـاف، فـالحج، وفقـا لقـول يوحنـا بولس الثاني في براءة يوبيل الفداء لسنة ١٩٨٣، "يعبر في رمزيته عن حاجة وحنين نفس الإنسان الى العودة الى الله".

الحج إذا هو خروج للقاء المسيح فـي بلـده، وان كـان القـرن الرابـع المذكـور قـد رأى أغنى كرائم مدينة رومـه يتخلين عـن كـل ارض وغنـى، ويبـادرن الـى مدينـة القدس، لزيارتها وتذكر ما جرى فيها، والخلود الى الصلاة والتأمل فيها، فمـن عسـاه أن ينسى ما كتبه القديس ايرونيمس، ناسك بيت لحـم فـي بـاولا الرومانيـة: "انحنـت أمام الصليـب، وخـرت سـاجدة لـه كأنهـا كـانت تـرى المخلـص معلقـا علـى الخشـبة المقدسة. دخلت القبر، فقبلت حجر القيامة ... وقبلت شفتاها طويلا الصخـرة التـي عليها وضع جثمان المسيح ... وما سفكته في هذا الموضع من دموع، وافاضته مـن صراخ، وابدته من ألم، فقد كانت القدس شاهدة لكل ذلك".

٩. *المعنى الوجودي لمدينة القدس*

إن ما قاله القديس ايرونيمس، وهو يرى القديسة باولا تأتي من رومه الى القدس، ليمكن أن يقال في كل حاج حقيقي. فان حركة الحج قد واصلت دربها عبر القرون، مهما تطور وجه التاريخ، وتراكمت المصاعب. ومن بين الحجاج، نرى الغني والفقير، الذي قضى قسما كبيرا من حياته، وهو يوفر يوميا ما يمكنه من الذهاب لزيارة قبر المسيح. ونرى من بينهم رجال الفكر، وذوي الصيت البعيد، والقديسين، من فرنسيس الاسيزي الى اغناطيوس ده ليولا. وقد كانت زيارة القدس لأولئك نعمة.

واليوم، فبالرغم من حالة القدس المأساوية، نشهد المسيرات اليومية، القادمة من ابعد ربوع الأرض، والمنتهية الى مدينتنا، تمثل مختلف الوجوه واللغات، وتعرب جميعها عن إيمان واحد وحب واحد. اجل، انه يشق علينا مرارا ان نرى بعض المواكب يقودها ويرشدها "دليل" لا يؤمن أو كأنه لا يدرك شيئا في الموضوع، والجماعة من حوله أو من ورائه يقفون أمام النور ولا يشاهدون من النور شعاعا واحدا. لكننا كثيرا ما نقف خاشعين أمام مواكب أخرى تعيش الأرض المقدسة ان أمكن القول، وتقدم لسكانها اجمل قدوة: أولئك المئات والمئات من الشباب والشابات، الذين، في الصمت ومع الإنجيل، يتأملون ويصلون، وتلك الجوقات الطافحة رجاء، التي تمجد الرب في لغتها، أو تتآزر لتمجده جميعا في لغة واحدة.

يدعو ارنست رينان فلسطين (والقدس بخاصة) "الإنجيل الخامس". فان لها، في عرف العالم كله، وفي عرفنا في الطليعة، معنى وجوديا، يهيب الى تمثل متواصل أمام جغرافية الأمكنة وتاريخها، وحجارتها وماضيها، والى إصغاء مديد الى صوتها القادم من بعيد، كي تجعله حاليا حاضرا. انه يهيب، من جانب ذلك، الى لقاء المسيح، الذي قدس الأرض بحياته فيها وأسراره وحبه، والى قراءة الكتاب في حضوره، كأنه يرافق المرء في الطريق، مرافقته لتلميذي عماوس، يقيم معهما في ذلك الصباح الفصحي، ليتورجية كلمة، بها يشرح لهما الكتب، وقلب كل منهما متقد في صدره.

١٠. *الوجود المسيحي في القدس*

هكذا يتاح لكل من حج الى القدس ان يعود الى بيته، وان يفتح بيته لرفيق الطريق، وان يدع رفيق الطريق يقيم معه ليتورجية خبز، وذلك في بيئة جديدة بيئة المدينة المقدسة. إلا أن الكثيرين باتوا يؤثرون، هم أيضا، البقاء في المدينة. وهكذا نجد في المدينة، كنائس تمثل جميع كنائس الله في الأرض: منها ما يرتقي الى أيام الحج البعيد، ومنها ما حل في الأرض في القرن الماضي. والى ذلك نلقى هنا الرهبانيات العديدة المتنوعة، التي أرادت، منذ القدم، ولا سيما منذ القرن الماضي، أن تسكن وان تعيش هنا في ظل الأمكنة المقدسة، متفرغة للتأمل والصلاة ولشتى الخدمات المسيحية والإنسانية. وأخيرا ، نجد هنا شتى المعاهد الكتابية، من كاثوليكية وبروتستانتية، التي نشأت هنا لخدمة العالم كله، بوقفها الهمة النشاط في صمت المكتبات والعمل الخفي، على درس الكتاب والتمعن في معرفة كلمة الله وفهمها، والاستفادة منها، في هذه الأرض، حيث كانت كلمة الله الى الناس، وحيث تجسد كلمة الله حبا للإنسان، فمن المعروف، منذ القدم، أن هذه الأرض تفيض ضوءا على الكتاب.

الخاتمة

في ختام هذه الجولة السريعة، حيث لم نستطع التمهل أمام مختلف الكنائس والجماعات والحركات المسيحية الموجودة في مدينة القدس، لا يمكننا أن نغادر رؤية هذه المدينة من غير وقفة أمام اعظم رائد لحبها والحج إليه: البابا بولس السادس، فلقد كان من ابرز الأحداث في الستينات أضف الى ذلك ان الحدث قد جرى في إطار المجمع الفاتيكاني في الثاني المسكوني.

ففي اليوم الرابع من كانون الأول ١٩٦٣، في ختام الدورة الثانية للمجمع، فاجأ البابا آباء المجمع وضيوفه والعالم كله بما يلي: "انا نريد أن نحج الى ارض يسوع ربنا. نريد أن نذهب الى فلسطين، لنكرم شخصيا، في الأماكن، التي ولد المسيح وعاش ومات وقام وصعد الى السماء، أهم أسرار خلاصنا: التجسد والفداء ... انا سنرى هذه الأرض المباركة، التي منها انطلق بطرس، والتي لم يعد إليها واحد من

خلفائه. انا سنعود اليها، في منتهى التواضع، للصلاة والتجدد والتوبة، ولنقدم للمسيح كنيسته ... ولنلتمس رحمة الله لاجل السلام بين البشر، ونستمد خلاص البشرية كلها من المسيح الرب ... فلتكن البتول القديسة دليلنا".

وكما قال البابا في هذه المناسبة: "انا نعود الى القدس، أم جميع الكنائس، ومحور العالم، وتلك التي ما زالت تسحر البشر، لان العالم التقى هناك ربه".

ولقد رأينا البابا يسير في درب الآلام، كآخر حاج، رأيناه غارقا في الصلاة، يقبل القبر طويلا، ويبكي أمامه، وسمعناه يقول هناك للمسيح في صلاته الدامعة: أتيناك كالآثمين العائدين الى هناك حيث كانوا خاطئين، جئناك كمن تبعوك ثم كانوا خائنين ..." وتأثرنا لرؤيته منطرحا على صخرة النزاع، ثم جاثيا يحمل عبء الكنيسة والعالم في العلية ...

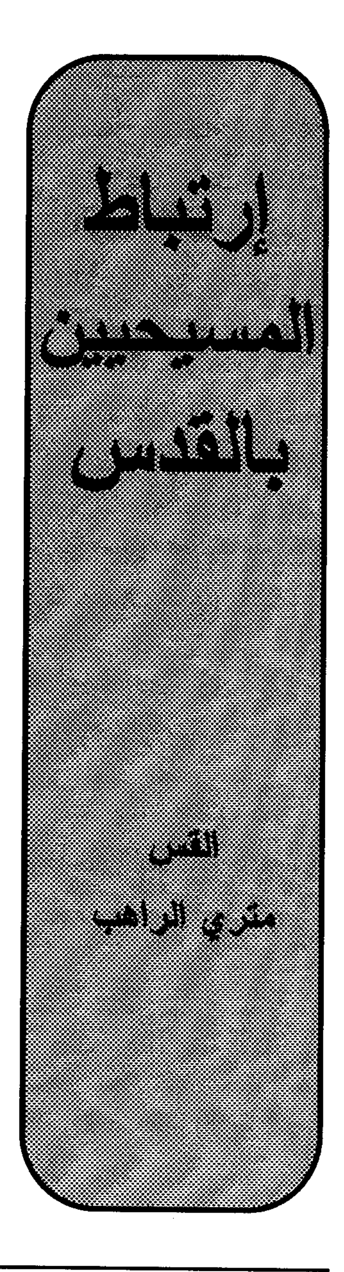
وبعد العودة، ها هو البابا يقول: "نعود وقلبنا عامر بالتأثير العميق، وقد انطبعت فينا للابد ذكرى مشاهد الأماكن المقدسة المشعة الجذابة، التي تتحدث بطلاقة مجردة عن حياة يسوع المسيح عن آلامه وحبه.

لقد أردنا ان تعني رحلتنا الى فلسطين لقاء خصوصيا، حارا، مضطرما، للمسيح، واعلانا ساميا أمام العالم لحقيقة الفداء وشموليته ... وقد صلينا من اجل العالم، ونحن منحنون على حجر القبر المقدس، وعلى الجلجلة، وفي جتسمانية، وفي العلية".

وان كل هذا المجد ليهيب بنا الى رؤية أخيرة، تنشدها الكنيسة يوم تدشين الكنائس: "يا مدينة أورشليم السعيدة! يا رؤيا سامية للسلام، يا من تبنين في السماء من حجارة حية، تكللك الملائكة، كأنك العروس!".

وإننا لنلتقي هنا وآخر رؤيا في كتاب الله!: "... رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله، وقد تزينت كما تزين العروس لبعلها. وسمعت صوتا يهتف من العرش: "هوذا بيت الله والناس" (رؤيا ٢١:١-٣).

فمتى ستتاح لهذه المدينة أن ترتفع في ظل هذه الطمأنينة، طمأنينة أورشليم الجديدة، التي في رؤياها يصب كل العهد القديم وكل العهد الجديد ورجاء كل إنسان!.



يأتي هذا الكتاب عن القدس في زمن صعب وعصيب، فنحن في زمن أضحت فيه القدس محاصرة، معزولة عن أبنائها الحقيقيين، في زمن راح الإسرائيليون يكتبون تاريخها كما يروق لهم، ويغيرون معالمها لتناسب مصالحهم ومطامعهم، ويستفردون بها في مباحثاتهم. ويفيق المسلمون والمسيحيون من سباتهم العميق ليروا بأن القدس قد أوشكت أن تفقد هويتها العربية، وأن المستوطنين قد راحوا يقتلعون أبناء القدس من بيوتهم، تارة يحتلون دورا تلاصق الأقصى، وتارة أخرى نزل القديس يوحنا وثالثة أحياء في سلوان. أصبحنا نبكي القدس كما نبكي الأندلس الضائعة، أو ترانا نشيد بعروبة القدس، نصرخ لنغطي عمل التهويد الحاصل.

في هذا الوقت بالذات، حري بنا مسلمين ومسيحيين أن نسلط الأضواء على القدس، وإذ طلب مني ان أبين مكانة القدس بالنسبة للمسيحيين، سأحاول أن أعالج الموضوع من أربعة أوجه، فالقدس هي أولا مدينة المسيح، وهي ثانيا أم الكنائس، وهي ثالثا قبلة أنظار المسيحيين في العالم أجمع، ورابعا لها مكانة خاصة عند المسيحيين الفلسطينيين.

* القدس متري الراهب، دكتوراه في اللاهوت، راعي لكنيسة الميلاد اللوثرية في بيت لحم، ومدير تحرير مجلة اللقاء باللغة الإنجليزية.
كتب هذا المقال لكتاب القدس.

أولا: القدس مدينة السيد المسيح

إن نظرة سريعة على العهد الجديد، كتاب المسيحيين المقدس، لكافية لتبين لنا مركزية القدس فيه. بينما يرد ذكر مدينة بيت لحم في العهد الجديد مثلا ثماني مرات، والناصرة إثنتي عشرة مرة، يرد ذكر القدس واحدا وتسعين مرة. وبهذا تحتل القدس في الإنجيل المرتبة الأولى بلا منازع.

وتستمد القدس أهميتها لنا كمسيحيين من السيد المسيح نفسه، فاليها وجه أنظاره (لوقا ٩:٥١)، وحياته الأرضية لم تكن سوى مسيرة نحو القدس، فكانت محط أنظاره ونهاية دربه، ومكان صعوده (لوقا ١٣:٣٣).

وقد إرتبطت حياة السيد المسيح بالقدس إرتباطا ليس له من مثيل، فظلت بصماته عالقة على حجارتها وفي كل شبر منها أقيمت معالم تشهد لشخصه وتذيع رسالته.

فبوابات القدس تشهد لدخوله اليها دخول الملوك الى عواصمهم، وبيوتها ما زالت تتحدث عن المائدة التي أعدت فيها ليأكل مع تلاميذه عشاءه الأخير.

وبساتينها وأشجار زيتونها أبصرته على أديمها راكعا مصليا، وأزقتها نظرته يحمل الصليب سائرا على درب الآلام، وتلالها رأته مرفوعا على الصليب معلقا بين الأرض والسماء، وصخورها انتفضت عندما حطم الأغلال وقام منتصرا على قوات الشر والفساد.

فالقدس هي المدينة التي إختارها الله لتكون مسرحا للملحمة الإلهية الكبرى، ولتكون مدينة الفداء والخلاص والتحرر والإنعتاق.

وبالرغم من مركزية القدس في حياة السيد المسيح، إلا أن حالة القدس في ذلك الوقت لم تكن للمسيح مدعاة للفرح، بل للحزن والحسرة، وهذا ما يظهر جليا من خلال أقواله المأثورة عن القدس:

قوله الأول سمع على مداخل مدينة نابلس عندما راح يتحاور مع المرأة السامرية، وكان عداء شديد في ذلك الوقت بين السامريين واليهود، وبينما أعتبر

اليهود أن الله لا يسمع صلواتهم إلا في القدس، وأن القدس يجب ألا تدنس من قبل السامريين، مما اضطر السامريون لإقامة معبد خاص بهم على جبل جرزيم. ولهذا قالت المرأة السامرية للسيد المسيح: "آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، أي جرزيم، وأنتم تقولون أن في القدس الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه"، قال لها يسوع: "يا إمرأة صدقيني أنه تأتي ساعة وهي الآن، حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ... الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا".

بهذه الكلمات أراد يسوع أن يوضح للمرأة بأنه لا يجوز إستخدام إسم الله أو الدين للإنفراد بالأماكن المقدسة، وإلا حلت عبادة الحجارة مكان عبادة الله، فالإيمان الحقيقي هو إنفتاح على الله وعلى الآخر، وليس إنعزال وإنفرادية. فما من مكان مقدس إن لم يكن القلب قد تقدس وتطهر أولا، والديانة الحقيقية هي تلك التي تقيم العدل والحق في الأرض، فالقدس هي المكان الذي يسود فيه العدل.

وفي حادثة أخرى نسمع عن المسيح وقد جاء الى القدس، بهذه الكلمات حذر المسيح من المتاجرة بالدين والهيكل، ففي ذلك الزمان جعل اليهود الهيكل حكرا على اليهود فقط، ورفضوا أن يدخله غير اليهود خوفا من أن ينجسوه. في الوقت الذي حولوا قسما منه الى سوق للمتاجرة، مما أغضب المسيح الذي أصر على أن الهيكل هي بيت للصلاة للشعوب قاطبة وليس لشعب دون الآخرين، وأن القدس هي مدينة مقدسة لجميع الأديان السماوية ولا يمكن أن يستأثر بها أحد على حساب الآخرين.

في الحالة الثالثة، نسمع عن السيد المسيح قادما من العيزرية وعندما وصل الى جبل الزيتون نظر الى القدس وبكى قائلا: 'إنك لو علمت أنت أيضا حتى في يومك هذا ما هو لسلامك، ولكن الآن قد أخفي عن عينيك".

يسوع يبكي على القدس، لأنها تعيش بعيدا عن السلام، وهذا تناقض في حد ذاته، فالقدس هي مدينة السلام، واذا رفضت القدس السلام، لم تعد قدس الله، بل قدس البشر، فالسلام يبدأ من القدس، فلا سلام من دون القدس، ولا قدس إن لم يكن سلام.

ثانيا: القدس أم الكنائس

قبل صعوده الى السماء أوصى يسوع تلاميذه الا يبرحوا من القدس، بل أن ينتظروا فيها كي يؤيدوا بقوة الروح القدس.

خمسين يوما بعد قيامة المسيح، حل الروح القدس على التلاميذ فولدت الكنيسة، ولدت في القدس، لذلك دعيت القدس بأم الكنائس.

يوم ميلاد الكنيسة المسيحية هو يوم خاص بالنسبة لنا نحن العرب المسيحيين، إذ نقرأ في العهد الجديد أن عربا كانوا في القدس يوم نشأت الكنيسة وأنهم قبلوا الروح القدس، وبذلك يصبح هذا التاريخ ميلاد كنيسة العرب.

من القدس إنطلقت البشارة المسيحية الى المسكونة كلها. وفيها عقد الرسل مجمعهم الأول ليناقشوا التحديات التي تعترض طريق الكنيسة، وبقيت القدس مقر القيادة الكنسية حتىسنة ست وستين ميلادية، عندما إندلعت الحرب في فلسطين واضطهد المسيحيون وإضطروا لللجوء الى شرق الأردن.

ثالثا: القدس قبلة أنظار المسيحيين

بعد إنتصار الإمبراطور قسطنطين على خصومه سنة ٣١٢ صارت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية. ومعه عادت القدس لتحتل مكانة مميزة في قلب المسيحيين في العالم أجمع.

فخلال زيارة والدة الإمبراطور قسطنطين الملكة هيلانة الى فلسطين عام ٣٢٤ وضع حجر الأساس للعديد من الكنائس. فشيدت كنيسة القيامة، وكنيسة أخرى على جبل الزيتون وكنيسة المهد وغيرها من الكنائس، وصارت هذه الكنائس محط أنظار الحجاج المسيحيين، فراحوا يتوافدون على فلسطين، يتبركون بكل مكان في القدس مر به المسيح أو لمسه.

ولهذا دعيت الكنيسة الأولى في الإنجيل الخامس، كون حجارتها وأسوارها تتحدث عن حياة السيد المسيح، وكون كنائسها تشهد عن أعماله، وأجراسها تذيع حمده. ولهذا راح الرهبان يهرعون الى فلسطين ليسكنوا القدس وبراريها، يبنون الأديرة، ويقيمون الصلاة. وأصبحت القدس مركزا للإشعاع المسيحي، ففيها طورت الكنيسة طقوس العبادة المسيحية، فبالقرب من القبر المقدس وفي القرن الرابع الف القديس كيرلس المقدسي نظام العبادة والقداس الإلهي.

ولأهميتها رأى المسيحيون في القدس مركز العالم برمته، لذلك رسموا في الخرائط القديمة القدس في الوسط دلالة على مركزيتها، كما يظهر على سبيل المثال لا الحصر في فسيفساء مأدبا في القرن السادس.

ولهذا بنيت بجانب كنيسة القيامة كنيسة أخرى أطلق عليها اسم كنيسة نصف الدين دلالة على ان القدس هي قلب العالم النابض. وبقيت القدس في قلوب المسيحيين على مختلف ألوانهم وأجناسهم، وبقي شوق غريب يداعبهم ليحثهم على زيارة القدس والتبرك بمقاماتها.

وهكذا كتب الشاعر المسيحي سليمان الغزي في القرن الحادي عشر للميلاد يقول:

رأيت القدس في حلم المنام	كضوء النور في كدر الظلام
فقد مت المسير اليه أسعى	على قدمي في عقب الصيام
وحيدا لم يصاحبني رفيق	لخوفي من فساد الإلتئام

رابعا: القدس والمسيحيون الفلسطينيون

للقدس مكانة خاصة في قلوب المسيحيين الفلسطينيين، فهم ليسوا بحجاج يزورون القدس أيام ليتركوها بعد ذلك، بل إن حياتهم مرتبطة بالقدس ومقدساتها،

ومن الملاحظ أن الوجود المسيحي الفلسطيني إنما يتمركز حول الأماكن المقدسة، كبيت لحم، والناصرة والقدس ...

وأذكر كيف كانت جدتي تدعو القدس بـ "المدينة" وكأن لسان حالها يقول أن القدس هي المدينة الوحيدة التي تستحق أن يستعمل لها أل التعريف، فهي مدينة فريدة في مكانتها وفي طابعها وفي تاريخها. وعندما كانت تذهب لزيارة القدس كانت تتزين وتلبس أجمل حلة لديها وكأنها تذهب للقاء حبيبها.

القدس مدينة مقدسة بالنسبة لنا كمسيحيين، لكن قداستها لا تكمن في حجرها بل في بشرها، واليوم ولأول مرة في تاريخ القدس أصبح الوجود الفلسطيني في القدس مهددا بالإضمحلال. نظرة سريعة على بعض الإحصائيات عن القدس:

أ. القدس القديمة	٩٢٧	دونم
أحياء مسيحية	٤٢٠	دونم
أحياء مسلمة	٤٠٥	دونم
أحياء يهودية	٤٠	دونم
مرافق عامة	٦٢،٢	دونم
ب. عدد الأديره ما يقارب	١٠٠	دير وكنيسة
ج. عدد المدارس	٢٤	مدرسة
د. عدد المؤسسات الخيرية	٤٧	مؤسسة

فقد بلغ عدد المسيحيين الفلسطينيين في القدس عام ١٩٤٧ (٢٧،٠٠٠)، وهذا يعني أن عددهم اليوم كان يجب ان يكون على الأقل الضعف إن أخذنا المعدل الطبيعي للتكاثر في فلسطين، ولكن واحسرتاه إذ لا يعيش في القدس اليوم سوى (٩٠٠٠) مسيحي فلسطيني مما يعني أن ٦/٥ المسيحيين الفلسطينيين قد هجروا وهاجروا في الأربعين سنة الأخيرة.

وأصبحت القدس مهددة لأن تصبح متحفا يأمه الحجاج، يلتقطون أمامه الصور التذكارية، ولكن ما من حياة في جنباته.

اليوم ولأول مرة في تاريخ فلسطين أصبح أبناء فلسطين من مسيحيين ومسلمين غرباء في عقر دارهم، فهم محرومون من رؤية زهرة مدائنهم، ومحرومون من رؤية أمهم القدس، بينما أضحت القدس سجينة لا يستطيع الفلسطيني أن يزورها الا بتصريح عسكري.

يحدث هذا على مرأى ومسامع العالمين المسيحي والإسلامي، فلو منع اليهود من زيارة القدس لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها، أما وقد منعنا كفلسطينيين من زيارتها، فما من أحد يحرك لنا ساكنا.

وما أشبه وضع القدس اليوم بوضعها في القديم، عندما كتب عنها النبي إرمياء يقول:

"كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب، كيف صارت كأرملة العظيمة في الأمم، السيدة في البلدان صارت تحت الجزية، تبكي في الليل بكاء ودموعها على خديها، ليس لها معز من كل محبيها، كل أصحابها غدروا بها، صاروا لها أعداء".

فهل نفيق من سباتنا!!!

القدس والأعياد المسيحية

عيد الشعانين: موكب من بيت عنيا الى القدس. المسيح، الملك، العادل الذي يجلب السلام والفرح.

عيد الفصح: (سبت النور) عيد الفصح هو عيد العبور، الإجتياز. هو عيد تحطيم الاغلال والحرية.

من اللوترجيا: يا قدس اطربي وابتهجي لرؤيتك المسيح الملك خارجا من القبر كعروس.

افرحي يا قدس، وانتم يا من يحبون يسوع اجتمعوا

لأنه قام ابتهجوا انتم يا من كانوا محزونين

الترنيمة اللوثرية الشهيد الله تقول كلماتها:

الله في مدينة القدس	فلا تلقـــى الضــــرر
ولا تزعـــزع أولا	روعا شديدا أو خطر
بعينيها يـــرى السما	رب الـــبـــشـــــر
الهنـــا القـــدوس	يؤتيهـــا الظفــــر
في وقت اقبال السحر	

مستقبل القدس: رؤية جديدة ولا يوجد حل تاريخي لها. شعبان وثلاثة أديان.

التعايش بين المسلمين و المسيحيين في القدس على مر العصور

عبد اللطيف البرغوثي*

١-١ تمهيد

هذا الموضوع، على أهميته، وعلى الرغم من كثرة المصادر التي تتناول تاريخ القدس وآثارها، لم يحظ الا بقدر قليل من العناية التي تتمثل في إشارات أو لمحة عابرة هنا وهناك. ولعل أفضل مرجع توجه لمعالجته، من بين المراجع التي وقعت بين يدي أثناء إعداد هذه الورقة، هو كتاب الدكتور شفيق جاسر أحمد محمود بعنوان "تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية". ومع أن المؤلف وجد نفسه فيما يختص بالعلاقات بين المسلمين والمسيحيين المقدسيين محكوما من ناحية بتلك النتف المحدودة الواردة في المصادر والمراجع التاريخية، ومن ناحية ثانية فانه اختار ان يقف بدراسته عند بدء الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، وبذلك ظل حديثه مقصورا على فترة محدودة من العصور الوسطى.

في هذه الورقة سأحاول تناول هذا الموضوع قدر الإمكان من خلال منطلقات أربعة هي:

---

* عبد اللطيف البرغوثي، دكتوراه في اللغة العربية، بروفيسور في جامعة بير زيت، عضو مجلس أمناء مركز اللقاء حتى عام ١٩٩٤.
محاضرة في الدورة العاشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٢.

١. عروبة القدس عبر التاريخ.
٢. العلاقة الرسمية بين الديانتين وأتباعهما.
٣. العلاقة بين المسلمين والمسيحيين المقدسيين على المستوى الشعبي.
٤. أثر الأخطار الخارجية في تعزيز العلاقات بين المسلمين والمسيحيين.

١-٢ عروبة القدس عبر التاريخ

لن اخوض كثيرا في هذا الموضوع بل سأكتفي بنبذة موجزة غايتها إنعاش ذاكرتنا بأن مدينة القدس كانت عربية قبل المسيحية والإسلام، أسستها قبيلة عربية كنعانية هي قبيلة اليبوسيين. وتاريخ الكنعانيين في 'ارض كنعان' أي فلسطين وفي بقية بلاد الشام معروف بما أقاموه فيها من حضارة وما أضافوه عليها من تجانس سكاني لا تزال آثاره واضحة حتى الآن. ولا حاجة في هذا الشأن الى مناقشة دعوى معظم المستشرقين القائمة على نفي صفة العروبة عن الكنعانيين والاقتصار على وصفهم بأنهم ساميون، لأن من الواضح ان السامية تشمل جنسا بشريا بأكمله وليس قومية بعينها. ويكفينا أن معظم المؤرخين العرب يؤكدون عروبة الكنعانيين.(١)

وقد قمت بنفسي بمراجعة كتاب جبسون الذي يعالج فيه الآداب الكنعانية المدونة على الألواح الأوغرتية التي تعود الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد مع أن محتوياتها ترجع الى عصور أقدم من ذلك بكثير، فوجدت - وأنا لا أعرف اللغة الكنعانية. إنني تعرفت بيسر على ما يزيد عن ٢٣٪ من تلك القائمة كألفاظ لا تزال الشائعة في لغتنا العربية حتى اليوم.(٢) ويضاف الى ذلك ان وجود العرب الكنعانيين في القدس وفلسطين ظل مستمرا، فقد استنتجت الباحثة فرانسيز نيوتن (Frances Newton) ان العرب وليس اليهود هم الذي كان لهم باستمرار ارتباط تاريخي دائم غير متقطع مع فلسطين، ونقلت عن السير جيمز فريزر (Sir James Frazer) قوله: "ان فلاحي فلسطين الناطقين بالعربية هم نسل القبائل الوثنية التي عاشت هناك قبل الغزوات الإسرائيلية وتمسكت دائما بأراضيها منذ ذلك الحين،

وكانت تغمرهم من حين الى آخر موجات من الفاتحين إلا أنها لم تبدهم"، وقد أكدت هذا الرأي السيد ي.أ. فن (E.A. Finn) زوجة القنصل البريطاني في القدس في أواخر العهد العثماني، وهي التي عاشت هناك طوال عشرين عاما. (٣)

ويذكر الأستاذ العامري في موقع آخر من كتابه (Jerusalem, Arab Origin and Heritage) ان سكان المدن الفلسطينية فيما قبل التاريخ، وعبر التاريخ، كانوا بصفة أساسية عربا، وان هذا الجنس العربي، ولأسباب متعددة نمّى عبر القرون قدرة ذاتية خاصة على استيعاب العناصر الأجنبية وصبغها بثقافته (٤) ويؤكد ان مدينة القدس أسسها العرب، وأنهم لم يغادروها طوال تاريخها بل ظلوا دائما العنصر الأساسي بين سكانها الأصليين كانوا يستعيدون ملكيتها بعد طرد الغزاة عنها أو بعد ذوبانهم في مجتمعها. (٥)

هؤلاء القدماء من عرب القدس وفلسطين بدأوا يعتنقون الديانة المسيحية منذ ظهورها، وأصبح إعتناقهم لها كاملا منذ القرن الرابع الميلادي مع إعتناق الأمبراطور الأول لها عام ٣٢٣م وبنائه لكنيسة القيامة في القدس، وبناء أمه هيلانة لكنيسة الميلاد في بيت لحم وكنيسة الصعود في القدس. (٦) وعندما فتح العرب المسلمون فلسطين عام ٦٣٦م، أعتنق كثير من سكانها الأصليين الاسلام، ونتيجة لذلك صار شعبها الذي كانت أكثريته مسيحية شعبا بأكثرية إسلامية. (٧)

وفي ظل حكم الصليبيين ظل العرب الأصليون مسلمون ومسيحيون محافظين على عروبتهم ولغتهم وعاداتهم. وعندما انتصر صلاح الدين على الصليبيين عام ١٠٨٧م واسترجع القدس من أيديهم واصل العرب الأصليون المسيحيون حياتهم في فلسطين بما فيها القدس جنبا الى جنب مع العرب المسلمين، واستمر هذا الحال طوال عصر المماليك. وخلال الحكم التركي لفلسطين (١٥١٧-١٩١٧) لم يعمل الأتراك على الإستيطان فيها، ولم يغيروا تشكيلتها السكانية، وبذلك فان الحكم التركي لم يؤثر في الطابع العربي الأساسي للبلاد، فقد ظل سكانها عربا وكذلك لغتها وعاداتها وثقافتها. (٨) وعلى الرغم من الحروب والغزوات وفترات الاحتلال الكثيرة المتعاقبة على فلسطين فان عناصر أكثرية سكانها العرب الأصليين من مسلمين ومسيحيين ظلت حتى حوالي منتصف القرن العشرين على ما كانت عليه أساسا. (٩)

أما القول ان الفاتحين العرب المسلمين في القرن الميلادي السابع كانوا غزاة لفلسطين فهو ادعاء غير صحيح تاريخيا، لان العرب الفلسطينيين هم سكان فلسطين الأصليون. والفتح العربي الإسلامي لفلسطين لم يكن نقطة البداية لإمتلاك العرب لها، فالعرب جنس سابق على الاسلام عاش في فلسطين وفي أقسام أخرى من الشرق الأوسط قبل ظهور الإسلام. ويشير مكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) في هذا الخصوص الى أن سكان فلسطين العرب مواطنون فلسطينيون بكل ما في هذا الوصف من معنى، وان عروبتهم تأكدت وتعززت نتيجة الفتح الإسلامي لفلسطين، وان فلسطينيي الوقت الحاضر هم نسل الفلسطينيين القدماء والكنعانيين والقبائل القديمة الأخرى، وقد عاشوا باستمرار ودون انقطاع في بلادهم فلسطين منذ فجر التاريخ. وبالامكان ارجاع استقرارهم فيها الى ما قبل أربعة الاف سنة على الأقل وقد تداخلت معهم عناصر من أجناس مختلفة كاليونان والرومان والصليبيين إلا أن الأصل العربي الفلسطيني بمسيحييه ومسلميه ظل يشكل العمود الفقري للسكان حتى عام ١٩٤٨م عندما هجر معظم السكان الأصليين على أيدي الإسرائيليين. [١٠]

وفي هذا الخصوص يقول د. ناصر الدين الأسد في مقدمة كتاب "كنوز القدس" [١١]: الوجود العربي في القدس ... وجود مستمر غير منقطع منذ أقدم ما نعرف من عصور التاريخ، وكل الشعوب والقبائل الأخرى إنما هي شعوب وافدة أو غازية إستقر بعضها في هذه البلاد الطيبة واختلطوا بأهلها وإندمجوا بهم حتى بهتت معالم شخصيتهم المستقلة، حضاريا وثقافيا، وغلبت عليهم الشخصية العربية، تأثروا بها وأثروا فيها ... هكذا كان شأن اليونان والفرس والرومان والبيزنطيين والصليبيين وغيرهم ممن زالت دولهم الغازية وبقيت جاليات منهم، ساحت في البلاد واختلطت بسكانها واصهرت اليهم وصارت منهم.

ويقول المرحوم د. اسحاق موسى الحسيني بهذا الشأن: "حكم العرب فلسطين نحو ثلاثة عشر قرنا متواصلا ... وظلت عروبة البلاد هي السائدة حتى أثناء فترة حكم الصليبيين وكانت لغة البلاد هي العربية حتى أثناء الحكم العثماني ... وكان سكان المدينة المقدسة (القدس) في أثناء تلك القرون عربا لسانا وحضارة وقلبا ومشاعر. [١٢]

١-٣ العلاقة الرسمية بين الديانتين المسيحية والاسلام وأتباعهما

بالإضافة الى الأصل العروبي المشترك بين أبناء الديانتين المسيحية والإسلامية في فلسطين بخاصة فان ثمة أساسين شيدا تلك العلاقة ورسخاها وهما:

أ. سلوك العرب المسيحيين تجاه إخوانهم العرب المسلمين وهو سلوك تميز في معظمه ومنذ البداية بعدم إعتبار العرب المسلمين أعداء وإنما عربا يختلفون عن العرب المسيحيين في العقيدة بقدر ما بين المسيحية والإسلام من إختلافات محدودة.

ب. سلوك العرب المسلمين تجاه إخوانهم العرب المسيحيين على هدي من القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح، وهو سلوك تمثل في حده الأدنى في إعتبارهم أهل كتاب سماوي، ولذلك فهم مؤهلون لأن يكونوا أهل ذمة أي أن لهم على الدولة العربية الإسلامية ذمة الله ورسوله والمؤمنين أن تحميهم وترعاهم وتصون حقوقهم وحرياتهم ومعتقداتهم وتعفيهم من الخدمة العسكرية ما داموا مطيعين للدولة مخلصين لها ويدفعون الجزية التي كانت تستحق فقط على الرجال القادرين أي من هم في سن الجندية وكانت قيمتها تتراوح بين ستة الى أربعة وعشرين درهما في العام حسب الحالة الإقتصادية للفرد، وكان الفقراء والمسنون والنساء والأطفال يعفون منها. أما في الحد الأعلى، فان هذا السلوك تمثل في الآية القرآنية الكريمة (الآية رقم ٨٢ من سورة المائدة، وأوردها فيما يلي ضمن سياقها في السورة المذكورة زيادة في إيضاح هذا الموقف الإسلامي الحاسم بدءا بالآية (٨٠) وإنتهاءا بالآية (٨٨) من السورة ذاتها:

"قل يا أهل الكتب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (٧٧) لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى إبن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (٧٩) ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم

وفي العذاب هم خالدون (٨٠) ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون (٨١) لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون (٨٢) واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين (٨٣) وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (٨٤) فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين (٨٨)".

وبالطبع فان الرسول، صلى الله عليه وسلم، التزم بهذه التعاليم السماوية، وحذا الخلفاء حذوه، فالرسول يقول في هذا الخصوص: "من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه [١٣]، ويروى عن الخليفة الأول أبي بكر الصديق أنه قال: "لا تقتلن أحدا من أهل ذمة الله فيغلبك الله بذمته فيكبك على وجهك في النار [١٤]. وفي الأخبار النصرانية شهادة تؤيد تسامح المسلمين مع المسيحيين هي شهادة "عيشويابة" الذي تولى كرسي البطريركية منذ عام ٦٤٧م حتى عام ٦٥٧م إذ كتب يقول: 'إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون بالحسنى. إنهم ليسوا أعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسينا وقديسينا ويمدون يد المعونة الى كنائسنا وأديرتنا". [١٥]

في ضوء هذا الهدي القرآني وما تبعه من أحاديث نبوية وتعليمات خلفاء وحكام، ترتب على المسلمين بعامة، وعلى حكامهم بخاصة، أن يعاملوا المسيحيين هذه المعاملة السمحاء، وقد تحقق ذلك عبر القرون منذ الفتح الإسلامي. وما كان يحدث من تجاوز أو ظلم في بعض الأحيان إنما كان نتيجة إنحراف الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. ولكن مثل تلك الأحوال كانت الإستثناء وليس القاعدة ولم تقتصر على المسيحيين بل كانت تشمل المسلمين كذلك. وسأحاول في الفقرات التالية تقصي هذه العلاقة بين العرب المسلمين والمسيحيين في القدس منذ أن تسلمها الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب من بطريركها الشامي، بطريرك الروم، صفرونيوس، عام

١٥ هـ-٦٣٦م [١٦]، * لقاء وثيقة أمان كتبها عمر لهم وصارت تعرف فيما بعد بالعهدة العمرية، وفيما يلي نصها [١٧]:

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان. أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم. ولا يكرهون على دينهم. ولا يضار أهل المدائن. وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص. فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحبّ من أهل إيلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم ومن رجع الى أهله فأنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية".

كتب وحضر سنة خمس عشرة

شهد على ذلك: خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان. وكان أول عمل قام به عمر بن الخطاب بعد ذلك أنه زار كنيسة القيامة. ولما كان داخل الكنيسة حان وقت الصلاة فأشار عليه البطريرك صفرونيوس أن يصلي في داخلها لكنه، ببعد نظره المعهود، رفض ذلك وقال للبطريرك: "إنني لو أقمت الصلاة في كنيسة القيامة لوضع المسلمون عليها الأيدي من بعدي بحجة إقامة الصلاة فيها، وإني لا أبغي أن أمهد السبيل لحرمانكم منها، وأنتم بها أحق وأولى" ثم صلى في مكان قريب منها الى جهة الجنوب. [١٨]

* هذا وفقا لرواية مجير الدين الحنبلي في كتابه "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" وهو يتفق مع رواية الطبري بينما ذهب مؤرخون آخرون كالمسعودي وإبن رسته الى ان فتح بيت المقدس تم سنة ١٦ هـ، وذهب البلاذري الى أنها فتحت سنة ١٧ هـ.

ومن الواضح ان العهدة العمرية ميزت بين مواطني القدس المسيحيين أي المسيحيين العرب، وبين المسيحيين الروم أي البيزنطيين الأجانب، فالعهدة أساسا معطاة الى أهل إيلياء (القدس) وليس للسلطة الرومية فيها، كما أن من بين شروطها أن يخرج أهل إيلياء "الروم واللصوص" منها. ولا حاجة للتأكيد على الأسس النبيلة التي أرستها تلك العهدة كأساس للمعاملة الكريمة بين المسلمين والمسيحيين من أهالي القدس. وستظل تلك الأسس الأصل الذي تبنى عليه العلاقات الإسلامية المسيحية في القدس في مراحل التاريخ التالية بل ستصبح مثالا يحتذى في فلسطين بخاصة وفي سائر أرجاء الدولة العربية الإسلامية بعامة.

ومثل هذا الإحترام والتقدير للمواطن العربي نلمحه أيضا فيما رواه البلاذري أن عمير بن سعد كتب الى عمر بن الخطاب يبلغه أنه أراد من مسيحيي بني تغلب الإسلام فأبوه وهموا باللحاق بأرض الروم، وإستطلع رأيه فيهم، فكتب اليه عمر ان يضاعف عليه الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في سائمة وأرض، فقبلوا بذلك وقالوا: "أما إذا لم تكن جزية كجزية الاعلاج فانا نرضى ونحفظ ديننا". (١٩)

واذن فان العرب المسلمين تأسست علاقاتهم بالعرب المسيحيين منذ هذه المرحلة المبكرة من التاريخ الإسلامي تأسيسا واضحا جيدا مبنيا على المودة والتفاهم وقد لاحظ بروكلمان بحق أن العرب المسلمين كانوا على وفاق مع السكان المسيحيين الأراميي الأصل الذين عرفوهم منذ الزمن الأقدم، ذلك أن العرب المسلمين لم يعيشوا هنا كما عاشوا في العراق، في معسكرات منشأة حديثا ولكنهم استوطنوا المدن الكبرى، واختلطوا بالمسيحيين اختلاطا بعيدا حتى لقد كانوا يؤدون وإياهم فرائضهم الدينية، في مواطن كثيرة، تحت سقف واحد. (٢٠)

ومما يعزز هذا الرأي ما اوردته الروايات التاريخية أن الخليفة عمر بن الخطاب عندما بلغ سور القدس كان الدور في الركوب لغلامه، فلما رآه المحاصرون أخذا بمقود الراحلة وغلامه فوقها أكبروه وبكى صفرونيوس وقال: "ان دولتكم باقية على الدهر فدولة الظلم ساعة ودولة العدل الى قيام الساعة". (٢١)

أما البطريرك اليعقوبي في انطاكية فقال في هذا الشأن: "ان اللـه المنتقم الواحد القهار اثار من الجنوب أبناء إسماعيل لإنقاذنا من أيدي الرومان... وان هذا الخلاص لم يكن ميزة هينة لنا".(٢٢)

وعبر النساطرة عن موقف مماثل بقولهم: "ان قلوب المسيحيين انشرحت لسيادة العرب، فليزد الله في قوة هذه السيادة وليجعلها زاهرة". (٢٣)

وفي هذا الصدد قال أحد بطاركة الكنيسة الشرقية في أعقاب الفتح الإسلامي: "ان العرب الذين أولاهم الله السلطة على العالم في هذا العهد ما تعلمون يقيمون بيننا، ولا يتخذون من النصرانية موقف عداء بل هم على عكس ذلك يمتدحون ديننا ويجلون الكهنة والقديسين ويجودون علينا بالتقدمات للكنائس والمناسك". (٢٤)

ويقول رئيف ميخائيل الساعاتي: "انصافا للحق يجب ان نصرح بأن مسيحيي فلسطين كانوا يعيشون مع المسلمين وأخوانهم في الوطنية واللغة في سلام وصفاء، وكان الخلفاء يسندون الوظائف العليا الى أصحاب المواهب منهم. أما الإضطهادات التي كانت تحيق بهم في بعض فترات التاريخ فترجع الى شذوذ عقلية بعض الحكام الذين لم ينج المسلمون أنفسهم من اذاهم، فإذا كان الحاكم مستبدا عاتيا فمن الظلم ان نقيس عليه سائر الحكام". (٢٥)

ويرى الدكتور شفيق محمود بحق ان كنيسة القدس وسائر الكنائس الملكية قد تحررت تحت حكم المسلمين من نفوذ القسطنطينية وما جرى من خلافات حول موضوع الايقونات بينما كانت مملكة الروم قائمة قاعدة حول هذه المشكلة. وينقل عن الأب يوسف شماس قوله عن التسامح الإسلامي تجاه المسيحيين 'ان الفاتحين فيما خلا دفع الجزية لم يتعرضوا لشيء بل تركوا كل شيء على حاله. وأما الأمر الجديد ... فهو اعطاء كل طائفة مسيحية استقلالا مع كثير من الإمتيازات الزمنية والقضائية لرؤسائها الدينيين'. (٢٦)

وعندما نمضي مع التاريخ الى العصر الأموي فانا سنجد ان معاوية بن ابي سفيان، مؤسس الدولة الأموية، تزوج ميسون بنت بحدل، من قبيلة بني كلب اليمنية المسيحية، كما أن ابنه منها يزيد، ولي عهده، تزوج أيضا من تلك القبيلة ذاتها. (٢٧)

وفي بلاط معاوية لعب منصور بن سرجون النصراني دور المستشار المالي المتنفذ، وخلف ابنه في ذلك المنصب، كما نبغ حفيده يوحنا الدمشقي (عاش حوالي ٦٧٥ - ٧٤٩ م) كعالم لاهوتي في المدرسة اللاهوتية الأورشليمية وقاوم بدعة تحطيم الايقونات، وأبدع في نظم التسابيح الدينية حتى اعتبر من اوائل ناظميها واعلاهم درجة. (٢٨) وكان شاعر البلاط الأموي الأخطل التغلبي، كما ان طبيب القصر كان ابن آثال. وحفظ النصارى لمعاوية وآله هذا التسامح، فاخلصوا لهم، وعظموهم تعظيما لا تزال آثاره بادية في الروايات النصرانية، وفي كتب التاريخ الإسلامي. (٢٩) كذلك استمال عمر بن عبد العزيز النصارى ما استطاع الى ذلك سبيلا فعوضهم من كنيسة القديس يوحنا، التي كان الوليد قد وضع يده عليها في دمشق، بكنيسة القديس توما في الغوطة على الرغم من ان هذه الأخيرة كانت قد حولت الى جامع منذ الفتح الإسلامي. ليس هذا فحسب بل لقد خفف من اثقال الجزية المفروضة على النصارى في قبرص وايله ونجران. (٣٠) وفي عهد هشام بن عبد الملك شيد خالد بن عبد الله القسى، والي العراق، كنيسة في الكوفة ليحوز رضا والدته المسيحية، كما أنه منح المسيحيين واليهود امتياز اقامة اماكن للعبادة. (٣١)

وفي العصر العباسي استمرت هذه العلاقات الطيبة بين المسلمين والمسيحيين، وظل المسيحيون يتمتعون بكثير من ضروب التسامح الديني، يشهد على ذلك وجود الكثير من الأديرة في العاصمة العباسية بغداد. كما ان الدولة الإسلامية لم تكن تتدخل في شعائر أهل الذمة بل كان يبلغ من تسامح بعض الخلفاء ان يحضر مواكبهم واعيادهم ويأمر بحمايتهم وصيانتهم. (٣٢) وكان هارون الرشيد متسامحا مع النصارى، فقد جرت العادة في أيامه على خروج النصارى في موكب كبير وبين ايديهم الصليب يوما في السنة هو في الأغلب يوم عيد الفصح (٣٣) قوله ان النساطرة لم يسمح لهم بممارسة شعائرهم فحسب، بل عهد إليهم العرب أحيانا بتثقيف أبناء العائلات الكبيرة، وذلك تحرر مذهل إذا ما قيس بتعصب أوروبا المتزمت. (٣٤) ويقول دريبر ان الرشيد قد تطرف في تحرره لدرجة أنه جعل يوحنا بن ماسوية، وهو مسيحي نسطوري، مشرفا على التعليم في عصره، ثم يضيف ان المذهب النسطوري لاقى تسامحا كبيرا حتى لقد تغلغل وانتشر في أجزاء من شرقي آسيا تحت الحماية العسكرية الإسلامية. (٣٥) أما المأمون فقد كان يعقد مجلسا دوريا

لحكمه، وهذا المجلس كان يتكون من مسلمين ومسيحيين ويهود ومجوس وصابئة. [٣٦] ومع ذكر المأمون لا بد ان يتبادر الى الذهن عمله العظيم في انشاء دار الحكمة ورعايتها، ودور حنين بن اسحاق من قبيلة عباد العربية (٨٠٨ - ٨٧٣) في النهوض برسالتها في النقل الحضاري من خلال الترجمة.

وفي العهد الفاطمي، لقي المسيحيون تسامحا كبيرا في عهد العزيز الذي تزوج من اخت البطريرك أوريستوس، وأقام على ولاية فلسطين وزيرا قبطيا هو أبو اليمن قزمان بن مينا الكاتب سنة ٩٧٥م. أما الظلم الذي أوقعه الحاكم بأمر الله على المسيحيين في الجزء الأخير من خلافته حتى أنه هدد بهدم كنيسة القيامة فلم يكن الا نزوة من نزواته الشاذة ولم يلبث حتى تراجع عن ذلك، كما ان التسامح عاد الى نصابه على أيدي من جاؤوا بعده من الخلفاء. [٣٧]

وعلي النقيض من هذا التسامح الإسلامي، وخلال العصر العباسي الذي نتحدث عنه، وقعت الغزوات الصليبية على الوطن العربي وكان في مقدمة أهدافها الإستيلاء على القدس. وعندما تم لهم ذلك في تموز ١٠٩٩ عقدوا ديوان مشورة عسكرية اصدر اعضاؤه حكمهم بموت كل مسلم باق داخل المدينة [٣٨]، علما بأنه لم يكن قد نجا منها الا حاكمها افتخار الدولة وحرسه - وتنفيذا لذلك القرار انطلق الصليبيون، وقد أصابهم الهوس بهذا النصر، يجوبون شوارع المدينة ويقتحمون بيوتها ومساجدها، ويقتلون كل من يصادفونهم من رجال ونساء وأطفال دون تمييز. [٣٩] وظلت الدماء تهرق مدة أسبوع كامل قام الصليبيون خلاله بأعمال فظيعة يقشعر لها البدن. ولم يختلف اثنان من المؤرخين لا من الفرنجة ولا من العرب والمسلمين في ذكر تلك الفظائع وانتقادها انتقادًا مرًا، فقد قال ريموند داجيلس (Raymond D'Agiles) الذي شهد الإحتلال:

"إن الدماء وصلت في رواق المسجد حتى الركب"، وقال مكسيموس موند: "لم يوفر الصليبيون أحدا من سيوفهم لا من الرجال ولا من النساء العجز ولا من الأطفال. وظن المسلمون ان مسجد عمر يحميهم من الموت ولكن ظنهم قد خاب اذ ان الصليبيين لحقوا بهم خيالة ومشاة ودخلوا المسجد المذكور وأبادوا كل من وجدوه فيه بحد السيف". وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد القتلى في تلك المجزرة

البشعة فقال بعضهم ان عددهم بلغ مائة ألف ولكن الأكثرية قدروهم بسبعين ألفا [٤٠]. ويصف فيليب حتي تلك الموقعة بقوله: "في السابع من حزيران ١٠٩٩ وقف أمام بوابات القدس حوالي أربعين ألف صليبي، وكانت حامية القدس لا تتجاوز ألف مقاتل. وفي ١٥ تموز اجتاح الصليبيون المدينة وإرتكبوا مجزرة عشواء شملت الجنسين ومن كل الأعمار وخلفت اكواما من الرؤوس والأيدي والأرجل في مختلف شوارع المدينة وأحيائها. [٤١] كذلك يصف حسن إبراهيم حسن تلك الواقعة ذاتها بقوله: "بإستيلاء الصليبيين على انطاكية، خلا لهم الطريق فاستأنفوا الزحف على أورشليم... فدخلوها عنوة... وقد حدثت على أثر دخولهم مذبحة شنيعة قتل فيها أكثر من سبعين ألفا حتى خاضت خيولهم في بحر من الدماء كما ذكر جودفري في رسالته الى البابا (أربان الثاني) يهنئه بالظفر. [٤٢]

وفي مقابل هذه الهمجية الشرسة تطالعنا صورة إسلامية مشرقة تتمثل في إستعادة صلاح الدين الأيوبي للقدس من أيدي الصليبيين بعد أقل من تسعين عاما، فبعد انتصاره في موقعة حطين (٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣هـ - ١١٨٧م) حيث قتل من الصليبيين حوالي ثلاثين ألفا كان من ضمنهم جزء من حامية القدس، زحف يحرر باقي مدن فلسطين الى ان وصل القدس وفيها يومئذ ستون الف جندي [٤٣]، فأرسل في طلب أشرافها وخاطبهم بقوله انه يحترم مدينة القدس ولا يرغب في انتهاك حرمتها باراقة الدماء، لذلك ينصحهم بترك استحكاماتهم وتسليم المدينة من غير حرب، على أن يعوضهم عن أملاكهم بالأموال والأراضي. لكن الصليبيين رفضوا الإستجابة لطلبه هذا فلم ير بدا من محاصرتهم حصارا مشددا استمر اسبوعا. ولما اشتدت بهم الضائقة ورأوا انهم أصبحوا عاجزين عن المقاومة طلبوا الصلح وتعهدوا ان يسلموا بيت المقدس الى صلاح الدين على ان يخرجوا منها بأطفالهم وأولادهم مقابل فدية يدفعها كل منهم (١٠ دنانير عن الرجل، ٥ عن المرأة، ١ عن الطفل) وضمن لهم صلاح الدين سلامة الرحيل الى صور أو طرابلس. وبعد ان غادرها جميع الفرنج، دخلها صلاح الدين يوم الجمعة بتاريخ ٢٧ رجب ٥٨٣هـ - ٢/١٠/١١٨٧م. أما من كانوا قد وقعوا أسرى في يديه وعجزوا لفقرهم عن افتداء أنفسهم فقد عفا عن فوج منهم استجابة لتوسلات نسائهم، وعفا عن سبعة آلاف استجابة لوساطة أخيه سيف الدين أبي بكر، وعفا عن فوج ثالث استجابة لبطريرك

المدينة، ثم عفا عن الباقي وعددهم عشرة آلاف احسانا منه اليهم. (٤٤) أما نصارى بيت المقدس المواطنون فقد سمح لهم ان يسكنوا فيها ولا يخرجوا، وان يؤمنوا ولا يزعجوا، فأقام فيها وفي أعمالها الوف منهم. (٤٥) وعندما استتب له الأمر أمر بفتح كنيسة القيامة التي كانت قد اغلقت مؤقتا ريثما تنتهي المعركة، وسمح للمسيحيين الوطنيين بحرية العبادة فيها، اما من تبقى من الفرنجة في المدينة ففرض على من يغشى كنيسة القيامة منهم قطعة يؤديها عند دخوله. (٤٦) وبصورة عامة خدم صلاح الدين فن العمارة في القدس فقد جدد المسجد الأقصى وزينه بالفسيفساء وأقام فيه منبرا نفيسا أتى به من حلب*. (٤٧)

ويلفت فيليب حتي الأنظار الى هذا الفارق الحضاري بين السماحة الإسلامية والهمجية الصليبية عندما يتحدث عن واقعة مماثلة لواقعة القدس هي واقعة عكا التي حاصرها الصليبيون بقيادة ريكاردس قلب الأسد، ملك إنجلترا ودخلها في ١١٩١/٧/١٢م حيث استسلمت حاميتها الإسلامية له على شروط كان منها ان إطلاقهم مرهون بدفع فدية هائلة مقدارها مئتا ألف قطعة ذهبية، وإعادة الصليب المقدس، في مهلة شهر من الزمن. وعندما انتهى الشهر ولم تدفع الفدية أمر ريكاردس بذبح أولئك الأسرى البالغ عددهم ألفين وسبعمائة، وهو عمل صارخ فاضح إذا ما قورن بمعاملة صلاح الدين لاسراه الصليبيين عند إستيلائه على القدس كما تقدم. (٤٨)

ولا بد هنا من التفاتة تشير الى الفرحة العارمة التي عمت البلاد العربية بإنتصار صلاح الدين على الصليبيين وتحريره للقدس من أيديهم، فعلى سبيل المثال لا الحصر بعث نجم الدين يوسف الحسين بن المجاور، الوزير العزيزي، من مصر بقصيدة لصلاح الدين منها قوله:

---

* تحرق ذلك المنبر بيد صهيوني حاقد في محاولة لحرق الأقصى يوم ١٩٦٩/٨/٢١م إكتفت السلطات الإسرائيلية بإتهامه بالجنون تسترا على الجريمة.

يا أيهــا المــلك الـذي لطباعــه	وسيوفه خلقــا رضــى وتعسف
للــه يــوم عروبــة اذ اعربــت	ساعاته عــن نصرك المتصرف
مــا للسواحــل غير بحرك حافظ	بشبا سنان أو بصفحة مرهـــف
أحييــت ديــن محمــد وأعدتــه	وسترته من بعــد طول تكشــف
وضبطــت ديــوان الجهاد بعامل	من عامل وبمشرف من مشرفي
وبجهبذ العلــم الــذي لا ينثنــي	وبناظر الرأي الذي لـم يطــرف
فخذ الخراج من البسيطة كلهــا	واستأد فرضي جزية وموظــف
وأقبض على الدنيا بكف زهـــادة	وأبسط لرحمتها جنـــاح تعطـف
جاءت جنود الله تطلب ثأرهـــا	وصدورها بك عن قليل تشتفـي
فانهض بها وتقاض حقك موقنــا	ان الألــه بــم تؤملــه حفــي
أنت أصطفيتهم لنصرة ديننــــا	لله در المصطفي والمصطفي[٤٩]

ولم تكن تلك الفرحة مقصورة على المسلمين بل كان يشاركهم فيها العرب المسيحيون الذين ظلوا أقرب الى العرب المسلمين منهم الـى الصليبيين، وقد لاحظ سليمان عبد الله شليفر بحق "ان ما يمكن إدراكه هو الطريقة التي يستجيب بها الناس للحقائق، فالصليبيون في نظر معظم المسيحيين العـرب وفـي نظـر المسلمين جميعـا كانو مجرد أوروبييـن دخـلاء ... افرنجـا". [٥٠] وبإنقضـاء الدولـة الأيوبيـة بـدأ عهد المماليك الذي إمتد عبر القرون الثلاثة: "الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وهو عهد أحسن عارف العارف وصفه بأنه طافح بالمتناقضات، وفيه عز، وفيه ذل. فيه ارتفاع وفيه سقوط. فيه عظمة ومجد وفيه قلاقل وفتن يندى لهـا جبيـن الدهـر. وكان أكثر ملوكهم يعيشون في قصورهم عيشة البذخ والترف مما كان يجـر الإنفـاق الكثير الذي يؤدي بـدوره الـى فـرض الضـرائـب الباهظـة وجبايتهـا بشتى الطـرق. يضاف الى ذلك الحروب الكثيرة التي كانت تقع إما بين المماليك أنفسـهم، أو بينهـم وبيـن خصومهـم. وعلـى الرغـم مـن ذلـك فقـد اتصـف هـذا العصـر باتسـاع حركـة العمران التي كان للقدس منها نصيب عظيم. وتـدل المـدارس الكثيـرة التـي انشـئت فيها على ان القدس في عهدهم كانت مزدهـرة، وانهـا كـانت مركـزا لثقافـة إسـلامية واسعة النطاق، وان رواد العلم والحكمة كانوا يفدون اليها من جميـع الأنحـاء، وكـان المعلمون والمتعلمون ينالون الحظوة الكبرى في قصور السلاطين. [٥١]

في ضوء ما تقدم يمكن القول ان الموقف الإسلامي الرسمي في عهد المماليك* فيما يتعلق بالمواطنين المسيحيين ظل في جوهره كما كان عليه في العصور السابقة، وان أي اضطهاد كان يقع – كما في حالة جباية الضرائب مثلا – كان يعم جميع أهالي المدينة مسلميهم ومسيحييهم على حد سواء. وبالاضافة الى هذه الصورة العامة قد نلمح بعض الجوانب الخاصة كموقف المماليك من اللغة اليونانية مثلا، فقد نقل العارف عن خريستو تومس [٥٢] قوله ان المماليك حاربوا اللغة اليونانية حربا لا هوادة فيها، واضطهدوا كل من يتكلم بها ان كان من أبناء البلاد أو غيرها. كذلك يذكر العارف أنه لما ضعفت دولة المماليك في أواخر أيامها كثرت غرات البدو على المدن ومنها القدس بين عامي (١٥٠٢ و ١٥٠٥م) مما جعل السائح فيلكس فابري، الذي يبدو أنه زار القدس بعد تلك الغارات، يصفها بما يلي:

"ان بيوتها مبنية بالحجارة، هذا باستثناء مساكن الفقراء التي هي من الطين – وقد رأيت فيها بيوتا جميلة وكبيرة لكن جزءا كبيرا من المدينة متهدم مهجور، بحيث ان جثث الحيوانات التي تنفق تبقى داخل المدينة بدل ان تطرح خارج أسوارها ... وفي المدينة نحو خمسماية يهودي ونحو ألف نصراني من كل مذهب وقطر، وأقلهم من أتباع الكنيسة اللاتينية". [٥٣]

ويستولي الأتراك العثمانيون على فلسطين من أيدي المماليك عام ١٥١٧م وتدخل ضمن امبراطوريتهم على‌مدى أربعة قرون إنتهت بهزيمتهم في الحرب العالمية الأولى وبدخول الانجليز القدس عام ١٩١٧م. لكن الأتراك، كما تقدم، لم يقوموا بأية عمليات استيطان تركية في فلسطين، كما انهم لم يحدثوا أي تغيير في التركيبة السكانية، ولم يؤثر الحكم التركي في الطابع العربي الأساسي لفلسطين، فقد ظل سكانها عربا وظلت لغتها وعاداتها وثقافتها عربية. [٥٤]

كذلك فان السلطات التركية استمرت على النهج المتوارث ذاته في معاملة الطوائف المسيحية المختلفة، أي انها ظلت توفر لها الحماية، وتصون حريتها فيما

---

* المماليك البحرية ابتداء بشجرة الدر (من ١٢٥٠ الى ١٣٨٢م) والمماليك البرجية ابتداءاً بالظاهر سيف الدين برقوق (من ١٣٨٢ الى ١٥١٦م).

يتعلق بشؤونها الدينية، يشهد بذلك بروكلمان عندما يروي لنا ان منطقة القدس وما جاورها، التي يقدسها النصارى لما تحفل به من ذكريات عن حياة يسوع والرسل، كانت منذ الحروب الصليبية ملكا مشتركا للطوائف النصرانية الست: اللاتين (أتباع الكنيسة الرومانية) والروم الارثوذوكس، والأرمن، والسريان، والأقباط، والأحباش. وكانت هذه الطوائف المختلفة قد توارثت حقوقها جيلا عن جيل تبعا للعرف والعادة لا استنادا الى وثائق مدونة.

ولم تكن هذه الحقوق محددة بالنسبة الى بعضها البعض تحديدا واضحا، ومن هنا فكثيرا ما احتكمت الطوائف النصرانية الى السلطات الإسلامية المحلية. وفي كنيسة القيامة، التي هي ملك مشترك بين جميع الطوائف، لم يكن من النادر ان تنشب أعمال العنف والقتال بين رجال الدين، وحتى لقد كان الحرس التركي يحفظ النظام والأمن في القبر المقدس طوال أيام عيد الفصح. (٥٥)

وعندما دب الضعف في أوصال الإمبراطورية العثمانية لا سيما في فترة حرب القرم (١٨٥٣ - ١٨٥٦م) اشتد تنافس قناصل الدول المسيحية في القدس من أجل فرض نفوذ دولهم، فكانت كل من انجلترا وفرنسا والنمسا واسبانيا وبروسيا تسعى لان تسبق الأخرى في اظهار نفوذها في الشرق ولا سيما في القدس، عرق الشرق النابض في ذلك الحين. ثم نزلت الولايات المتحدة الأميريكية الى الميدان عام ١٨٥٧م وتبعتها روسيا واليونان عام ١٨٦٢ فأصبح ممثلو الدول الأجنبية في القدس ثمانية. (٥٦) ولا حاجة الىالتذكير بان قناصل هذه الدول كانوا يتنافسون في ادعاء الحماية للطوائف المسيحية المحلية لا حبا فيها، ولا بدوافع دينية خالصة، وانما كمدخل لبسط نفوذ دولهم على المدينة، وتعزيزه في المنطقة، والضغط علىالسلطات العثمانية لتسييرها وفقا لمصالح دولهم.

وخلاصة القول في ختام هذه الفقرة ان المسلمين صانوا المقدسات المسيحية في القدس انطلاقا من تبجيلهم للسيد المسيح وأمه السيدة البتول والحواريين. ولذلك فقد ظلت تلك المقدسات جميعها في حوزتهم كمقدساتهم. (٥٧) وبالاضافة الى عوامل الوفاق المذكورة آنفا، لا بد هنا من ذكر عامل آخر هام يتمثل في حب المسلمين للقدس وتقديسهم لها باعتبارها صورة هذا الوطن المقدس وملتقى أقطاره "ومسرى

النبي محمد ومعراجه، ومقصد الأولياء، ومدفن الرسل، ومهبط الوحي، ومنزل ينزل به الأمر والنهي، والبلد الذي بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها الى مريم وروحه عيسى الذي أكرمه برسالته وشرفه بنبوته". (٥٨) هذه المكانة للقدس في نظر المسلمين كانت وستظل تنعكس إيجابيا على العلاقة بين المسلمين والمسيحيين من أبنائها ومن أبناء فلسطين وعموم الوطن العربي. وفي الوقت ذاته فإن فلسطين بعامة، والقدس بخاصة، هي بالنسبة للمسيحيين العرب كعبتهم وقبلتهم: ففي كنفها ولد المسيح، وفيها عاش طوال حياته، ومنها انطلقت الديانة المسيحية، ولا شك ان روابط المسيحيين الشرقيين بالقدس وبكنائس فلسطين له أعمق الأثر في تعلقهم بالأرض المقدسة وفي تعاطفهم مع الأمة العربية وحقها التاريخي في تقرير مصيرها وسيادتها على الوطن العربي بأسره. (٥٩)

وبهزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى بدأ في فلسطين عهد الحكم البريطاني وفقد المسلمون السيادة على البلاد وأصبح العرب الفلسطينيون المسلمون والمسيحيون، ولا سيما عرب القدس، يئنون تحت وطأة نير الإستعمار البريطاني المتحالف مع الصهيونية. وتلا نهاية العهد البريطاني قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م على جزء من أراضي فلسطين بما في ذلك جزء من القدس ولم تلبث حتى توسعت بعد ذلك بأقل من عشرين سنة فاحتلت بقية فلسطين بما فيها بقية القدس ومناطق عربية أخرى في حرب حزيران ١٩٦٧. وسوف تحاول فقرات الجزء المتبقي من هذه الورقة الكشف عن العلاقات الحميمة بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين بعامة وفي القدس بخاصة في مواجهة تلك الأخطار.

٢-١ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين المقدسيين على المستوى الشعبي

اتضح مما تقدم ان العلاقات الرسمية بين العرب المسلمين والمسيحيين في القدس وفلسطين كانت علاقات تفاهم وود ووفاق عبر العصور، كما تبين ان أي تعكير لصفو تلك العلاقات لم يكن القاعدة وانما الاستثناء. أما على المستوى الشعبي فان تلك العلاقات كانت ترقى في معظم الأحوال الى مستوى من حسن الجوار والمودة والتعاون والتضامن والتآخي يجعل من الصعب على أي مراقب ان يتبين من هو

المسيحي ومن هو المسلم، ذلك ان ما هو مشترك بين الجانبين هو الأغلب والأعم، وأما غير المشترك فهو الخاص والأقل ويقتصر على خصوصية كل منهما: فاللغة والثقافة والعادات والتقاليد والآمال والآلام والتاريخ والتطلعات المستقبلية وطريقة الحياة هي: أصيلة في عروبتها، سمحاء في تعاملها، ثابتة راسخة متوارثة عبر الأجيال. ولأن مدينة القدس تتميز بمكانة فذة لدى مسلميها ومسيحييها فهي مركز احتفالاتهم الدينية والوطنية من اعياد ومواسم ومناسبات اجتماعية. وغني عن البيان ان المشاركة في تلك الاحتفالات كافة كانت ولا تزال مشاركة اخوية قائمة على الود الصافي والإحترام المتبادل والتسامح المتميز. وهذا التواد والتواصل والتلاحم الذي يشهده جيلنا وستشهده اجيالنا التالية لم يكن حالة طارئة، ولا شهر عسل عابر، ولا حدثا مفاجئا، وانما هو نتيجة حتمية لتاريخ طويل من الوفاق جاء ثمرة لحياة مشتركة ولجهود مؤسسات تربوية وثقافية مشتركة، ولتعايش طيب وجيرة حسنة وتآزر وتعاطف في السراء والضراء، وتكاتف للصمود في وجه عاديات الدهر عبر العصور.

٢-٢ أثر الأخطار الخارجية في تعزيز العلاقات بين المسلمين والمسيحيين

منذ الفتح الإسلامي لفلسطين لم يحدث قط أن وقف مسيحيوها مع قوة غازية أو معادية ضد مسلميها. وقد لاحظنا فيما تقدم (ص ١١ بأعلاه) أنه حتى في ظل أكبر خطر خارجي هدد القدس وفلسطين في العصور الوسطى، أي الحروب الصليبية، ان الغزاة الصليبيين كانوا في نظر أهالي بلادنا من مسلمين ومسيحيين مجرد أوروبيين دخلاء افرنج. كذلك لاحظنا كيف لم يفرق الصليبيون بين مسلم ومسيحي عند إستيلائهم على القدس وإرتكاب المجازر فيها، وكيف ميز صلاح الدين عند استرجاعه المدينة المقدسة بين الصليبيين وبين المسيحيين المواطنين من أبناء المدينة.

أما الخطر الكبير الآخر الذي هدد وما زال يهدد المسلمين والمسيحيين في فلسطين وفي القدس فهو الغزو الصهيوني الذي تمخض عن إقامة دولة إسرائيل على جزء من فلسطين وجزء من القدس عام ١٩٤٨ ثم تمدد وتوسع حتى شمل كل

فلسطين وكل القدس وسيناء المصرية والجولان السورية عام ١٩٦٧. ولا حاجة لتقديم الكثير من التفاصيل عن هذه المرحلة التي ما زالت أحداثها الكبرى ماثلة في أذهاننا وأمام أعيننا، بل يكفي ان نتعرض للنواحي الأساسية منها وأن نؤكد منذ البداية أن العرب الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين تساووا في معاناة الظلم الإسرائيلي كما تساووا في التصدي المستمر له ان كان على المستوى القتالي النظامي والثوري والإنتفاضي أو على المستوى الفكري والثقافي. ومن الواضح ان عداء اليهودية للمسيحية والمسيحيين بالذات قديم قدم ظهور المسيحية. ويكفي هنا الإشارة الى مواقفهم المعروفة من دعوة السيد المسيح ومنه ومن أمه مريم العذراء. وقد ظل ذلك دينهم على مدى العصور فهم ينكرون رسالة السيد المسيح، عليه السلام، ورسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، إنكارا تاما، وبالتالي فهم لا يقرون بقدسية الأماكن التي تتصل بعيسى وبمحمد، وهي أماكن أقامها المسيحيون خلال الفي سنة، والمسلمون خلال أربعة عشر قرنا. (٦٠) ولا شك أن إعتناق الإمبراطور قسطنطين الأول للديانة المسيحية في مطلع القرن الميلادي الرابع أدى الى رفع الإضطهاد الروماني عن المسيحيين، كما أنه زاد في ضعف مركز اليهود، ولا سيما فيما يتعلق بادعائهم ان فلسطين لهم بوعد من الله، فقد اعتقد المسيحيون ان اليهود قد تخلوا عن ذلك المركز برفضهم السيد المسيح، وبذلك أضحى الوعد من حق المسيحيين، ورثة إبراهيم بالروح، وليس من حق اليهود، ورثة إبراهيم بالجسد. وليس من المعقول إذن ان يسلم المسيحيون بسيطرة اليهود السياسية على فلسطين. (٦١) ومراجعة سريعة للتاريخ تبرز شواهد قاطعة على إصرار اليهود على محاربة المسيحيين الفلسطينيين، فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما قام اليهود بثورة باركخبا التي قضى عليها الإمبراطور الروماني هدريان عام ١٣٥م نقموا على مسيحيي القدس رفضهم المشاركة في تلك الثورة فقتلوا جميع من وصلت إليهم أيديهم. (٦٢) وعند إستيلاء الفرس سنة ٦١٤م على القدس بقيادة كسرى الثاني وبمساعدة يهودية انتهز اليهود تلك الفرصة ولم يكتفوا بمن قتلهم الفرس من المسيحيين بل انقضوا هم على المسيحيين وقتلوا منهم أكثر ممن قتلهم الفرس أنفسهم أي أكثر من تسعين ألفا. (٦٣)

في ضوء ما تقدم يتضح أن عداوة الإسرائيليين للمسيحيين عميقة الجذور تنبع من حقد متقد على كل ما هو مسيحي، كما أنهم لا يتورعون عن اللجوء الى

الأساليب اللاأخلاقية للتفريق بين المسلمين والمسيحيين تطبيقا لمبدأ "فرق تسد". [٦٤] لكن الوعي الإسلامي المسيحي المتمثل في التسامح والتعاضد والتمسك بالإيمان ونبذ الطائفية جدير بأن يؤدي الى فشل الجهود الإسرائيلية المحمومة. ولعل خير برهان على تلك الصورة الإسلامية المسيحية الرائعة هو ان مفاتيح كنيسة القيامة مؤتمنة منذ أجيال عديدة بيد عائلتين مسلمتين هما عائلة نسيبة وعائلة جودة بناء على طلب جميع الطوائف المسيحية المقدسية. [٦٥]

هذا التعاضد الإسلامي المسيحي اقض مضاجع الإسرائيليين وهدد مخططاتهم بالفشل فاندفعوا يظهرون حقدهم ليس فقط على المسلمين والمسيحيين وانما أيضا على المقدسات الإسلامية والمسيحية كما في محاولة حرق المسجد الأقصى في صيف ١٩٦٩ وهدم بعض الكنائس أو حرقها والإعتداء على بعضها الآخر مما لا مجال للخوض في تفاصيله في هذه الورقة. واذا صدق قول الشاعر "ان المصائب يجمعن المصابينا"، فان المصائب والكوارث التي أوقعها الإسرائيليون على عرب فلسطين بعامة وعرب القدس بخاصة، مسلمين ومسيحيين، عززت اللحمة القائمة أصلا بينهم عبر التاريخ.

وقد استشعر العرب الفلسطينيون المسلمون والمسيحيون بوادر الخطر الصهيوني منذ ان نشطت الحركة الصهيونية تعمل على استقدام اليهود الى فلسطين وتملك الأراضي فيها عام ١٩٠٨ فزادت حدة الدعاية المضادة للصهيونية في فلسطين وشملت دوائر اكثر اتساعا، وبدا أن مركز ثقل هذه الدعاية تحول من النواة الضيقة للعائلات الكبيرة ... الى طبقات أوسع من سكان المدن، وعلى رأسهم فئة الشبيبة المثقفة الناهضة وأخصهم المسيحيون العرب. [٦٦] وفي عام ١٩٠٩ أسس نجيب الخوري نصار، من سكان طبريا، جريدة الكرمل، لغاية واحدة هي الكتابة ضد اليهود في فلسطين وللحيلولة دون بيع الأراضي لهم. [٦٧] كذلك نشرت صحيفة هاعولام الناطقة بلسان الحركة الصهيونية المركزية تقريرا لمراسلها في فلسطين تناول تطور معارضة الصهيونية في صفوف العرب جاء فيه: "ان القوة الأكبر في فلسطين هي قوة العرب ونحن ننسى كليا ان هناك عربا في فلسطين. إننا لم نأبه لهم ولم نحاول قط أن نقيم صداقات لنا في صفوفهم. ويعتبر المثقفون المسيحيون أكبر أعداء اليهودية في صفوف العرب". [٦٨] ومع مطلع عام ١٩١٢ كان

الصهيونيون قد بدأوا يتحدثون بالفعل عن "روح العداء التي بدأت تترسخ في صفوف الجماهير في متصرفية القدس. (٦٩) وفي ربيع ذلك العام صدرت في القدس صحيفة جديدة بإسم "المنادي" كانت مكرسة لمحاربة الصهيونية. كذلك لفتت جريدة فلسطين لصاحبها عيسى العيسى، في أحد اعدادها الصادرة صيف ذلك العام، الأنظار الى ان الهجرة الصهيونية أخذت تسير بسرعة تثير الذعر، والى أن اللغة العبرية ستصبح يوما ما اللغة الرسمية للبلاد. وبعد ذلك بثلاثة أيام راحت جريدة فلسطين تدعو جميع الفلسطينيين الى مكافحة الخطر الصهيوني. (٧٠)

وفي نهاية شهر نيسان من عام ١٩١٤ كتب الصهيوني ابري للدكتور روبين يقول أنه: "واثق من أنه يوجد بين أعضاء منظمتي الشباب في كل من القدس ويافا، سواء منهم المسلمون والمسيحيون، من هم على استعداد لمحاربتنا بجميع الوسائل في مختلف أنحاء فلسطين. (٧١) وتفيد كثير من التقارير المخابراتية ان التضامن الإسلامي المسيحي في مواجهة الخطر الصهيوني كان آخذا في التنامي، ففي تقرير للكابتن وليم أورمبسي غور ان "ليس في فلسطين أحد باستثناء المستعمرين الألمان يحب الأتراك ... وان المسلمين من سكان القدس وضواحيها يكنون للمسيحيين العطف والمودة ولكنهم شديدو العداء لليهود وبكلمات أدق للصهيونيين". (٧٢)

كذلك جاء في تقرير للجنرال كلايتون قوله: "ان السياسة المعلنة في البند الرابع (والمتعلقة بالإستعمار اليهودي البريطاني لفلسطين) ستلقى معارضة شديدة من المسلمين والمسيحيين العرب الذين أبدوا بالفعل فقدان الثقة بحكومة صاحب الجلالة نتيجة لوعد بلفور للصهيونيين". (٧٣) وفي تقرير آخر كتب كلايتون من القدس الى رؤسائه يقول: "لا يزال المسلمون متوتري الأعصاب بسبب تقدم الحركة الصهيونية، وهنالك دلائل تشير الى أن المسلمين يفكرون بأن السلطات البريطانية تعتزم إقامة حكومة يهودية، ويشارك المسيحيون المسلمين مخاوفهم ففي يافا توجد حركة في صفوف المسلمين والمسيحيين تبنى على أساس خطوط مماثلة لتلك التي بنيت عليها اللجان اليهودية ... ولقد وصلت هذه الحركة الى ذروتها حين تولدت منها الجمعيات الإسلامية المسيحية في المدن الرئيسية في البلاد". (٧٤)

ولا شك ان تكوين هذه الجمعيات كان رد فعل طبيعي ضد السياسة البريطانية الموالية للصهيونية، وضد نشاط البعثة الصهيونية في البلاد. وقد حرص عرب فلسطين على تلك التسمية "لغرض اظهار الوحدة القائمة بين النصارى والمسلمين العرب، ولإحباط أية دعاية طائفية ودينية يقوم بها الإنجليز ضد العرب". (٧٥)

وجدير بالإشارة ان هذه الجمعيات اتخذت شعارا لها "شارة الهلال وبداخله الصليب" دليلا على ما هدفت اليه. وفي رسالة بعث بها وايزمن الى الزعيم الصهيوني الأمريكي براندس ورد قوله: "ان المجتمع غير اليهودي ولا سيما المجتمع العربي بمسلميه ومسيحييه على السواء فسر الوعد على أنه يعني إعتزام الحكومة البريطانية إقامة حكومة يهودية في نهاية الحرب لتحرم العرب من أراضيهم وتخرجهم من البلاد". (٧٦)

وفي شهر حزيران من عام ١٩١٨ أعلن احد السياسيين البريطانيين أنه تم في القدس "تشكيل جمعية مسيحية إسلامية ذات برنامج يهدف الى مقاومة السيطرة اليهودية والى مكافحة النفوذ اليهودي والحيلولة بجميع الوسائل الممكنة دون شراء اليهود للأراضي". (٧٧)

ومع نهاية الحرب العالمية الأولى يلاحظ كلايتون في أحد تقاريره وجود بذور تحول في أساليب الفلسطينيين العرب في معارضة الصهيونية فقد "أخذ العداء المسيحي الإسلامي للصهيونية يظهر بشكل أوضح منذ قيام الهدنة". (٧٨)

وفي ٢٧ كانون ثاني، الى العاشر من شباط عام ١٩١٩ انعقد المؤتمر العربي الفلسطيني في القدس من مندوبين عن الجمعيات الإسلامية المسيحية في مختلف أنحاء البلاد للبحث في مسألة عرض المطالب الفلسطينية بشأن تقرير المصير على مؤتمر السلام العالمي والإعراب عن المخاوف من الصهيونية ومن إحتمال السيطرة اليهودية. وفي الوقت ذاته ورد في أحد تقارير الإستخبارات البريطانية قول كاتب التقرير:

"لقد سمعت شخصيا من كثيرين من العرب مسيحيين ومسلمين بأنهم سيقاومون بالقوة أية محاولة لإقامة دولة يهودية أو ما يماثل ذلك في هذه البلاد". (٧٩)

وفي نهاية شهر آذار من ذلك العام ذاته كتب كلايتون يقول: "لقد ازدادت الدعاية المناوئة للصهيونية ازديادا كبيرا في فلسطين في الآونة الأخيرة وتزداد الآن حدة المشاعر لدى المسلمين والمسيحيين الذين يخشون ان يمنح اليهود في التسوية السلمية امتيازات سياسية واقتصادية". (٨٠)

كذلك جاء في تقرير لجنة كنج-كرين استنادا الى البيانات التي تلقتها أثناء زيارتها القصيرة الى فلسطين أنه لم يبد العطف على إقامة وطن قومي لليهود الصهيونيين في ذلك البلد سوى ما يقارب عشر عدد السكان، أما بقية السكان من مسلمين ومسيحيين على السواء فإنهم أعربوا عن رغبتهم في الحفاظ على وحدة بلادهم مع سوريا التي يعتبرون فلسطين من كلتا الوجهتين التاريخية والجغرافية جزءا منها، وكان المسيحيون والمسلمون عمليا ضد الصهيونية بالإجماع، وكانوا يعبرون عن ذلك بلهجة بالغة التأكيد. (٨١) ويتابع الفلسطينيون المسلمون والمسيحيون تصديهم للمخاطر الصهيونية فيعقدون مؤتمرهم الثالث يوم ١٩٢٠/١٢/٢٣م في حيفا برئاسة موسى كاظم الحسيني ومشاركة ممثلين عن الجمعيات الإسلامية المسيحية. (٨٢) ونجد الجمعية الإسلامية المسيحية في القدس تقرر بالإجماع يوم ١٩٢١/١١/١١م عدم الإمتثال للمرسوم الذي يخوّل الحكام الإداريين صلاحية فرض كفالة مالية على المشتبه بقيامهم بنشاط سياسي أو غير سياسي لضمان حسن سلوكهم. (٨٣)

وتتصاعد المقاومة الوطنية فيعلن الإضراب العام في البلاد بمناسبة قدوم اللورد بلفور اليها في مطلع عام ١٩٢٥م ويتقيد به جميع المسلمين والمسيحيين ويرفعون الرايات السوداء وتصدر جريدة فلسطين عددا خاصا باللغة الإنجليزية ويلقي خليل السكاكيني، وهو مسيحي، خطابا وطنيا من فوق منصة الحرم القدسي الشريف اتخذ على أثره قرار بصيغة مشددة يدعو بلفور الى مغادرة البلاد التي دخلها خلافا لرغبات أهلها، وبلغ القرار الىالمندوب السامي البريطاني بواسطة حاكم اللواء. (٨٤)

ومما زاد في الهاب المشاعر الوطنية وتصعيدها بإتجاه الثورة تعاظم سيل الهجرة اليهودية المتدفقة على البلاد بالتواطؤ بين حكومة الانتداب البريطاني والحركة الصهيونية، ففي سنة ١٩٣٣م مثلا تعرضت فلسطين لموجات من

المهاجرين اليهود راحت تتضخم حتى بلغت (٦١٥٤١) مهاجرا في عام ١٩٣٥م مما احدث رد فعل عنيف لدى العرب أدى الى أن يعقد المسلمون والنصارى الخناصر للدفاع المشترك عن البلاد. [٨٥] ولم تلبث الأحداث حتى تسارعت فتفجرت ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩م التي خاض فيها العرب معارك غير متكافئة ضد الدولة المنتدبة وحلفائها الصهاينة فانتهت بقمع الثورة عشية قيام الحرب العالمية الثانية.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية قررت الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ تقسيم فلسطين بين العرب واليهود فهبّ العرب الفلسطينيون جميعا مستنكرين لذلك القرار رافضين له. وتضامن المسيحيون الذين كان عددهم آنذاك حوالي ثلاثمائة وخمسين ألفا مع المسلمين في رفض ذلك القرار وفي المطالبة بإستقلال فلسطين كدولة ديمقراطية. وفي ١٩٤٨/٣/٣ قام ممثلو إحدى عشرة طائفة مسيحية في فلسطين بتوجيه نداء الى الأمم المتحدة جاء فيه:

يرغب الإتحاد المسيحي في أن يعلن بشكل قاطع أنه يشجب مشروع التقسيم ويؤمن إيمانا راسخا بأن هذا المشروع يتضمن انتهاكا لقدسية الأماكن المقدسة التي هي بطبيعتها وتاريخها لا تقبل التجزئة، وبأنه يمثل انتهاكا للحقوق الطبيعية للعرب سكان البلاد. [٨٦]

ومنذ قيام الدولة العبرية في عام ١٩٤٨م وما ترتب على ذلك من نكبات ونكسات للعرب وقعت في معظمها على رؤوس عرب فلسطين، استمرت السلطات الإسرائيلية في اضطهادها لهم بشتى الأشكال.

وكانت في الوقت ذاته تخطط مع حلفائها من الامبرياليين الغربيين لإقامة إسرائيل الكبرى فاقدمت بعد أقل من عشرين سنة أي في عام ١٩٦٧م على اجتياح البقية من فلسطين بالإضافة الى سيناء المصرية والجولان السورية.* ومنذ ذلك

* عمد أنور السادات مصر الى مفاوضات مع إسرائيل برعاية الولايات المتحدة اثناء رئاسة جيمي كارتر تمخضت عن اتفاقيات كامب ديفد واسترجاع مصر لشبه جزيرة سيناء مقابل دخولها في اتفاقية صلح مع إسرائيل.

الحين وهي تتابع بعناد وإضطهاد الفلسطينيين، مسلمين ومسيحيين، فتقتل وتبعد وتسجن وتعتدي على المقدسات وتهدم المنازل أو تغلقها وتضرب الإقتصاد وتخنقه وتغلق المؤسسات التعليمية والثقافية والجمعيات وتصادر الأراضي وتنشيء المستوطنات، كما أنها أعلنت ضم القدس إليها واعتبرتها عاصمة أبدية لها.

هذه الحال أدت بالطبع الى تعميق الشعور بالمرارة وتأجيج مشاعر النقمة لدى المسلمين والمسيحيين، [٨٧] والى تعزيز اللحمة الإسلامية المسيحية على جميع المستويات. وتعبيرا عن هذا الموقف عقدت عدة مؤتمرات إسلامية مسيحية، للتصدي لإسرائيل وسياستها، كان من بينها المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الذي انعقد في عمان يومي ١٨ و١٩ تشرين الأول عام ١٩٦٧م وإشترك فيه زعماء مسلمون من اثنين وعشرين قطرا إسلاميا والزعماء المسيحيون في الأردن وأرسلت في ختامه برقية مشتركة الى الهيئات العالمية والدينية جاء فيها:

قرر المؤتمرون إعلان إدانة الإسلام والمسيحية لإحتلال إسرائيل للضفة الغربية ... وسائر الأقاليم العربية ومحاولتها ضم القدس إليها، والإحتجاج الشديد على إعتداءاتها المنكرة على المقدسات وتدنيسها لحرمتها ... وهدمها للكنائس والمساجد وممتلكات الوقف الإسلامي في القدس، وتهديدها الخطير لسلامة المسجد الأقصى المبارك وسائر المقدسات ومعاملتها السيئة البشعة لرجال الدين المسيحيين والمسلمين. وقرر المؤتمر أنه ليس من العدالة ان تكون مقدسات المسلمين والمسيحيين الذين يشكلون نصف سكان الكرة الأرضية بأيدي اليهود الذين لا يزيد عددهم في العالم على أربعة عشر مليونا والذين لا يمكن ائتمانهم عليها. [٨٨]

وعلى الرغم من جميع الاحتجاجات والقرارات الدولية فإن إسرائيل ظلت، بالصلف الإسرائيلي التاريخي المعروف، تتابع هدفها الصهيوني المتمثل في أن تكون الدولة اليهودية على ما يسمونه "أرض إسرائيل" دولة "نقية"، وان تكون القدس، عاصمتها الأبدية يهودية خالصة، وذلك لا يتحقق إلا بإزالة الصبغة الكونية عن القدس، وإفراغها من سكانها العرب وإحلال اليهود محلهم، من خلال تجريد السكان من حقوقهم كافة، ومن خلال تغيير الطابع التاريخي والحضاري والديني للمدينة على الصعيدين المادي والروحي. [٨٩]

وتحقيقا لذلك الهدف لم تتورع السلطات الإسرائيلية عن الإضطهاد المستمر لعرب القدس والإنتهاك المستمر لحرمة الأماكن المقدسةالإسلامية والمسيحية غير عابئة بإحتجاجات الرأي العام العالمي والقرارات الدولية العديدة التي أدانت هذه الإنتهاكات والإجراءات. وأخذت هذه الممارسات تتفاقم يوما بعد يوم وتعرض التراث الإسلامي والمسيحي، بل والإنساني برمته، الى خطر الإندثار التدريجي عن طريق إقتلاعه من روابطه الحضارية والتاريخية والبشرية. (٩٠) ولم تقتصر الإعتداءات الإسرائيلية على الأماكن الإسلامية المقدسة بل شملت أيضا الأماكن المقدسة والممتلكات التابعة للطوائف المسيحية المختلفة. وقد تنوعت هذه الإعتداءات لتشمل تحقير المقدسات والضغوط الشديدة على رجال الطوائف المسيحية لإجبارها على التنازل عن مساحات كبيرة من أراضيها وعقاراتها في القدس سواء بالبيع المباشر أو التأجير لفترة طويلة الأمد، وإرهاب رجال الدين وأبناء الطوائف، وحمل الكثيرين منهم على النزوح عن المدينة.

وإقتدى الشباب الصهاينة بسياسة زعمائهم في الإضطهاد والقمع والعدوان بصورة فظة متهورة الى حد أن مدير عام وزارة الأديان يسرائيل ليفي وجد نفسه مضطرا أن يحذر من أن أعمال الحماقة التي يقوم بها شبان مدفوعون من قبل من أسماهم "المتطرفين" للإعتداء على المؤسسات المسيحية هي بمثابة عود ثقاب يرمى الى برميل من الوقود ... لدينا ما يكفينا من المشكلات مع العالم الإسلامي، والآن أخذت عناصر الكنائس العربية تسعى لتأدية دورها في النضال ضد مشروع الحكم الذاتي. (٩١)

وبهذا المعنى لمح تدي كوليك، رئيس بلدية القدس الغربية، الى ظهور إتجاهات لدى عدد من الكنائس المسيحية أسماها "إتجاهات التعريب والتقرب من السكان المحليين في القدس الشرقية وفي الضفة الغربية، التي تنعكس بالدعم المتزايد لمنظمة التحرير الفلسطينية. (٩٢)

٢-٣ الخاتمة

هذه البنية المتينة من العلاقات الإسلامية المسيحية في القدس بخاصة وفي فلسطين بعامة صمدت لتجربة التاريخ ولم تزعزعها أو تعصف بها المحن التي كانت تقع حينا على المسلمين وحدهم أو على المسيحيين وحدهم أو على الجانبين معا بل زادتها ثباتا ورسوخا على مدى الأيام. ولعل أحدث تتويج لهذه الصورة الرائعة هو ما عشناه ونعيشه في أيامنا هذه منذ إنطلاق إنتفاضتنا المباركة في ١٩٨٧/١٢/٩ وما قدمته وتقدمه من معاناة وشقاء ودموع ودماء مهرا إسلاميا مسيحيا للحرية والإستقلال والعودة وإقامة دولتنا الفلسطينية الديمقراطية وعاصمتها القدس بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثلنا الشرعي والوحيد، طال الزمن أو قصر، وآنذاك فقط يمكن أن يعمّ السلام الشرق الأوسط وينصرف أبناؤه جميعا الى العمل الخيّر المنتج من أجل تحقيق نهضة شاملة تتيح للمنطقة اللحاق بركب الشعوب المتقدمة وتؤمن لأبنائها العيش الآمن في ظلال التعاون المثمر والرفاهية والسعادة.

المراجع

١. وقد قمت بنفسي بإجراء مراجعة على قائمة المفردات الكنعانية الواردة في كتاب المستشرف جبسون J.C.L. Gibson, Canaainte, *Myths and Legends*, T.&T.Ltd., 38 George Street, Edinburgh, 2nd edition 1978, 141- 160.

٢. أبو هدبا، عبد العزيز، **التراث الشعبي الفلسطيني جذور وتحديات**، إصدار مركز إحياء التراث العربي، طيبة المثلث، ص ١، ١٩٩١م، ص ٥٩-٧٣.

٣. Aamiry M.A., *Jerusalem, Arab Origin and Heritage*, 1987, p.50

٤. المصدر السابق ص ٤٩.

٥. المصدر السابق ص ٥١.

٦. Cattan Henry, Palestine: *The Arabs and Israel* - The search for justice, Longnous, Green Co. Ltd. London, 1969, P.4.

٧. المصدر السابق ص ٥.

٨. المصدر السابق ص ٤.

٩. المصدر السابق ص ٥.

١٠. المصدر السابق ص ٦.

١١.نجم، رائف ورفاقه، **كنوز القدس**، منشورات منظمة المدن العربية، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣م، ص ٧.

١٢.الحسيني، إسحاق موسى، **عروبة بيت المقدس**، مركز الأبحاث، منظمة التحرير، ١٩٦٩ ص ١٧-١٨.

١٣.محمود، شفيق جاسر أحمد، **تاريخ القدس والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين فيها منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية**، دار النشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ص ١٢١ عن أبي يوسف، ص ١٨٨.

١٤.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ١٦٦، عن الشعرائي ج ٢، ص ١٦٢.

١٥.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ١٩٨ عن حتي: **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج ٢، ص ١٦٦.

١٦.العارف، عارف، **المفصل في تاريخ القدس**، النشر: فوزي يوسف صاحب مكتبة الأندلس في القدس، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص ٩١.

١٧.العارف، المصدر السابق، ص ٩١ عن الطبري، طبعة القاهرة، ج٣، ص ١٠٥، أنظر أيضا الحوت، بنيان نويهض، **فلسطين: التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (١٩١٧)**، دار الإستقالة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١، ص ٩٢-٩٣.

١٨.العارف، المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧.

١٩.البلاذري، الإمام أبو الحسن، **فتوح البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ١٨٦.

٢٠.بروكلمان، كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص١٢٤.

٢١.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ٩٥.

٢٢.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ١٢٠ عن رنسيمان ج١، ص ٣٨.

٢٣.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ١٢٠ عن رنسيمان ج١، ص ٣٩.

٢٤.يوسف، حمد أحمد، **بيت المقدس من العهد الراشدي حتى نهاية الدولة الأموية**، دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية، القدس ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٩٢م، ص ٦٥، وشفيق محمود، المصدر السابق، ص ١٢١، عن فيليب حتي، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج٢، ص ١٤٣.

٢٥.حمد أحمد يوسف، المصدر السابق، ص ١٤٧، عن مجلة **الراعي الصالح**، سنة ١٩٤٠، ج٧، ص ١٣٣.

٢٦.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ٦٢-٦٣.

٢٧.عبد اللطيف البرغوثي، **الأحزاب السياسية في العهد الأموي في المشرق العربي**، مؤسسة الأسوار، عكا، ط١، ١٩٩٢م، الصفحات ٣٠، ٣١، ٣٥.

٢٨.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ٦٢-٦٣.
٢٩.كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص ١٢٤.
٣٠.كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص ١٥٠.
٣١.Hitti, Philip, History of the Arabs, 10th edition, 1970, the Macmillan Press Ltd. London, p. 231.
٣٢.حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي، والديني، والثقافي، والإجتماعي**، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط٧ (أربعة أجزاء)، ج٢ ص ٣٩٧، ج٣، ص ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٨، وايضا Hitti, History of the Arabs, pp. 352-356.
٣٣.شفيق محمود، المصدر السابق، ص٢١٨، عن دريبر ج١٠، ص ٢٠٦. وينقل شفيق محمود عن دريبر Drapper, The Intellectual Development of Europe
٣٤.شفيق محمود، المصدر السابق، عن ابن البطريق، ج٢، ص٣.
٣٥.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ٢١٨ عن دريبر، م١، ص ٣٩.
٣٦.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ٢٢٣.
٣٧.شفيق محمود، المصدر السابق، ٦٥، ٦٧.
٣٨.العارف، المصدر السابق، ص ١٥٤-١٥٥.
٣٩.شفيق محمود، المصدر السابق، ص ٢٥٤.
٤٠.العارف، المصدر السابق، ص ١٥٤-١٥٦.
٤١.Hitti, Philip, History of the Arabs, p 639..
٤٢.حسن إبراهيم حسن، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٧.
٤٣.العارف، المصدر السابق، ص ١٧٣.
٤٤.العارف، المصدر السابق، ص ١٧٣.
٤٥.العارف، المصدر السابق، ص ١٧٣، وأيضا Hitti, Philip, History of the Arabs, p.684.
٤٦.العارف، المصدر السابق، ص ١٧٦.
٤٧.كارل بروكلمان المصدر السابق، ص ٣٦٠.
٤٨.Hitti, Philip, History of the Arabs, p651..
٤٩.العارف، المصدر السابق، ص ١٧٥.
٥٠.شلبفر، سليمان عبد الله، **سقوط القدس**، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧١م، ص ١١.
٥١.العارف، المصدر السابق، ص ٢١٧-٢١٨.
٥٢.نقل العارف (المصدر السابق، ص ٢١٨) عن خريستو تومس، **تاريخ الكنيسة**، ص ٤٤٦.
٥٣.العارف، المصدر السابق، ص ٢١٩.
٥٤.المصدر السابق، Cattan p.4

٥٥.كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص ٥٦٧.
٥٦.العارف، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
٥٧.إسحاق الحسيني، المصدر السابق، ص ٦٠.
٥٨.إسحاق الحسيني، المصدر السابق ص ٩، نقلا عن مجير الدين الحنبلي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، مكتبة المحتسب، عمان - الأردن، ١٩٧٣، طبعة القاهرة، ٢٨٣هـ، ج١، ص ٢٩٦) هذه المعاني وردت في أول خطبة جمعة بعد استرجاع صلاح الدين للقدس، ألقاها القاضي محيي الدين بن زكي الدين علي القرشي، (الحنبلي، الإنس الجليل، مكتبة المحتسب، عمان - الأردن، ١٩٧٣، ج١، ص ٣٣٢ وما بعدها).
٥٩.الكيالي، عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢٠.
٦٠.الحسيني، المصدر السابق، ص ٥٩.
٦١.الحسيني، المصدر السابق، ص ١٦، نقلا عن Nevill Barabour Nisi Dominus, p. 22.
٦٢.جريس، سمير، **المخططات الصهيونية، الإحتلال، التهويد**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص ١٨٤.
٦٣.جريس، سمير، المصدر السابق، ص ١٨٥.
٦٤.نظام الدين، عرفان وعلي طاهر الدجاني، **القدس إيمان وجهاد**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧، ص ١٣١.
٦٥.نظام الدين، المصدر السابق، ونفس الصفحة.
٦٦.خلة، كامل محمود، **فلسطين والإنتداب البريطاني**، ١٩٢٢-١٩٣٩م، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م، ص ١٠٦.
٦٧.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٤٩-٥٠.
٦٨.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٥٣.
٦٩.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٥٤.
٧٠.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٥٥.
٧١.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٦٠.
٧٢.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السباق، ص ٨٧.
٧٣.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٨٨.
٧٤.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٩١.
٧٥.كامل محمود، **فلسطين والإنتداب**، ص ١٢٢ نقلا عن إميل الغوري، **المؤامرة الكبرى**، ط١، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٥٦.
٧٦.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٩٢.

٧٧.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٩٨، وكامل محمود، المصدر السابق، ص ١٢٢.
٧٨.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٠٠.
٧٩.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٠٤-١٠٥.
٨٠.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٠٨.
٨١.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١١٤.
٨٢.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٣٨.
٨٣.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٥٩.
٨٤.عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٩٣.
٨٥.كار بروكلمان، المصدر السابق، ص ٧٧٠.
٨٦.عرفان نظام الدين ورفيقه، المصدر السابق، ص ١٣٧.
٨٧.Wilson, Evan M., Jeruslem: Key to Peace, The Middle East Institute, Washington D.C., 1970. p.29.
٨٨.عرفان نظام الدين ورفيقه، المصدر السابق، ص ١٤٨.
٨٩.سمير جريس، المصدر السابق، ص XII.
٩٠.سمير جريس، المصدر السابق، ص ١٩٠.
٩١.سمير جريس، المصدر السابق، ص ٢٠٣ عن جريدة هآرتس ١٩٨٠/٢/١.
٩٢.سمير جريس، المصدر السابق، ونفس الصفحة.


http://kotob.has.it

أسوار القدس: معالمها التاريخية والأثرية

الأب لويس حزبون*

كانت مدينة القدس، كسائر المدن القديمة[1]، محصنة بأسوار متينة. ومعظم هذه الأسوار دمرها الإهمال والحروب وعوادي الزمن. لكن بعضها ظل قائماً صامداً رغم الأحداث والكوارث. وتوسعت أسوار القدس في حقبة، وتقلصت في حقبة أخرى تبعاً للقتال والجهاد الذي تم فيها، لتتكيف مع توقعات محبيها. ولتحديد معالم أسوارها الأثرية، إذا ما ألقينا لمحة خاطفة على تاريخها. نلتقي بالأجيال السابقة لنتكلم معها وندعها تتكلم مع الأجيال الحاضرة.

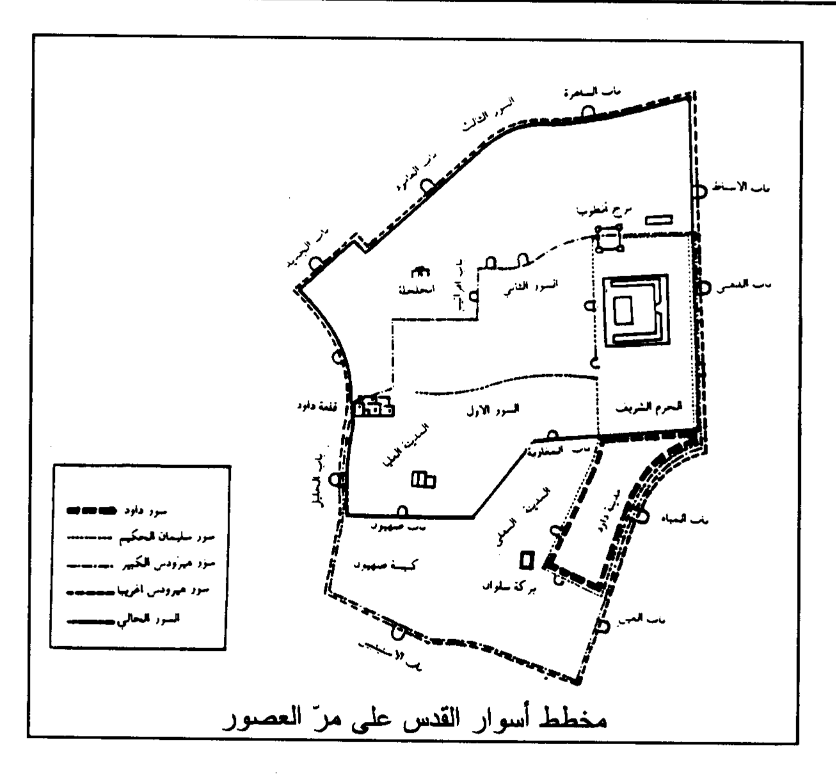
المعالم التاريخية

لأسوار القدس تاريخ حافل يمتد من عصر الملكية الى أيامنا الحاضرة ماراً بالعصر الفارسي والهلّينستي والروماني والبيزنطي والعربي والصليبي والأيوبي والتركي والإنكليزي والإسرائيلي والفلسطيني.

في عصر الملكية كان اليبوسيون الكنعانيون هم الأوائل الذين بنوا سوراً في القدس، وكانت مدينتهم معروفة آنذاك بإسم "يبوس"، وكانت تقع على الهضبة الشرقية على مقربة من منبع سلوان والمحاطة بواديين سحيقين[2]. وعُرفت هذه المدينة في الكتاب

* الأب لويس حزبون، دكتوراه في اللاهوت، راعي لكنيسة اللاتين في الطيبة (رام الله) ومدرس في اكليريكية اللاتين - بيت جالا.

مقال في مجلة اللقاء، السنة التاسعة، العدد ١، ١٩٩٤.



مخطط أسوار القدس على مرّ العصور

المقدس بإسم "مدينة دواد" (٢ صموئيل ٥/٦-١٠). ويرجح أن الأسوار في القدس اليبوسية كانت تحيط بالتل الجنوبي الشرقي الذي يقع مقابل سلوان حالياً، وبعد أن إحتل الملك داود المدينة حصن هذا السور (٢ صموئيل ٥/٩،١ أخبار ١١/٨) بما في ذلك "مِلو" (٣) التي كانت على ما يُرَجح قلعة في الطرف اشمالي للتل (١ ملوك ٥/٩ ملوك ٢١/١٢). ولدى حضور تابوت العهد داخل أسوارها اتخذها داود الملك (٩٦٥ ق. م.) عاصمة دينية وسياسية.

ثم شيّد سليمان الملك، ابن داود (٩٦٥-٩٢٨) الهيكل ليستقبل في داخله تابوت العهد. فتوسع في المدينة بإتجاه الشمال، لأن الأودية المحيطة لم تعطه إختياراً آخر. وكمّل سليمان السور (١ ملوك ٣/١) (٤) كي يضم أيضاً الهيكل والقصر المشادين على التل الأوسط الشرقي. (٥)

وفي عهد امصيا ملك يهوذا (٨١١-٨٧٢) أقيم سور التلة الغربية (٢ صموئيل ٥/٩) من "باب أفرائيم" الى "باب الزاوية" (٢ ملوك ١٤/١٣) مما يدل على أن

المدينة كانت تشمل التل الجنوبي الغربي، إلا أن يوآش، ملك إسرائيل (٨٠٣-٧٨٧) هدم هذا السور، من باب أفرائيم الى باب الزاوية (٢ أخبار ٢٥/٢٣). [٦]

وفي عهد عَزَرْيا (عُزّيّا)، ملك يهوذا (٧٨١-٧٤٠) أعاد تحصينات المدينة "فبنى أبراجاً في أورشليم، عند باب الزاوية وعند باب الوادي وعند الزاوية حصنها" (٢ أخبار ٩٦/٩)، كما صنع منجنيقات لتكون على الأبراج وعلى الزوايا لرمي السهام والحجارة الضخمة" (٢ أخبار ٢٦/١٥)، وبنى كذلك معظم السور على عوفل [٧] (٢ أخبار ٢٧/٣). وأما في عهد الملك آحاز (٧٣٥-٧١٦) فقد نجحت أسوار القدس في الدفاع عن المدينة ضد هجوم ملوك أرام وإسرائيل [٨] (٢ أخبار ملوك ١٦/٥).

ومع تعاقب القرون، أدت الحروب الى توسع المدينة ثم تقلصها. فالغزو الأشوري في القرن الثامن أدى الى تدفق اللاجئين إليها، فبنى كثيرون منهم مساكنهم خارج السور بإتجاه الغرب. وعلى أثر تهديدات سنحاريب، ملك الأشوريين عام ٧٠٥ ق. م. قام حزقيا [٩] ، ملك يهوذا (٧١٦-٦٨٧ ق. م.) بإعادة بناء كل ما كان مهدوماً من السور، وعلّى الأبراج، وبنى سوراً آخرَ في الخارج" (٢ أخبار ٣١/٥). [١٠] كما حصن "ملو" أي القلعة على التل الجنوبي الشرقي (١ أخبار ٣١/٥) فأصبحت أورشليم مدينة من أقوى المدن المسوّرة في آسيا الغربية.

وعندما ملك منسى (٦٨٧-٦٤٢)، ابن حزقيا على أورشليم قام بالإصلاحات المعمارية لتحصين المدينة: "أعاد بناء سور خارج مدينة داود، على غربي جيحون، في الوادي، الى مدخل باب السمك، وحوّط به عوفل ورفعه جداً (٢ أخبار ٣٣/١٤). [١١] وفي القرن السابع ق. م. إمتد السور من الناحية الجنوبية الى طرف وادي ابن هنوم (الربابة) أرميا ١٩/٢). وأما السور الشمالي فقد شمل الحي الثاني "المشنا" الكائن شمال غربي الهيكل (٢ ملوك ٢٢/١٤). لكن ثورة صدقيا الملك ابن يوشيا (٥٩٧-٥٨٧) على بابل أدت الى محاصرة الجيوش البابلية (الكلدانية) أورشليم بقيادة نبوخذنصّر. "فهرب رجال القتال ليلاً عن طريق الباب بين السورين، بالقرب من بستان الملك" (٢ ملوك ٢٥/٣) وهدم جيش البابلي أسوار أورشليم عام ٥٨٧ (٢ ملوك ٢٥/١٠).

وفي العصر الفارسي تعرضت المدينة عام ٥٨٦ ق. م. الى الإحتلال البابلي - الفارسي، ولم يُسمح لسكانها بعد عودتهم من المنفى أن يعيدوا بناء الأسوار إلا بعد مرور ٥٠ سنة، عندما تمكّن نحميا [١٢] (٤٤٥-٤٤٣ ق. م.) من الحصول على تصاريح البناء. فتم إعادة بناء الأسوار على نفس مسار السور الذي هدمه نبوخذنصر وعلى نفس الطراز المعماري (نحميا ١٥/٦، ١٢/٢٧). ويصف نحميا كيف شاهد الأسوار والأبواب التي هدمها البابليون (٢/١٢-١٥) وكيف اصلح الشعب هذه الأسوار والأبواب (نحميا ٣) [١٣]، ولكن تقلص عدد السكان أدى الى تقلص مساحة المدينة فبلغت مئة وعشرين دونماً [١٤] بحيث أصبحت أقل حجماً من مدينة سليمان. [١٥] ويصف النبي زكريا القدس وسكانها في بداية الهيكل الثاني على يد زربابل (حجاي ٢/٣) أنهم في حالة تبعثر بقوله: "يوم الأمور الصغيرة" ٤/١٠).

وفي العصر الهلّينستي يذكر يشوع بن سيراخ أن سمعان بن أونيا الثاني، عظيم الكهنة (٢٢٠-١٩٥)، قوّى الأسوار لمقاومة أي حصار (يشوع بن سيراخ ٥٠،١) [١٦] لكن سرعان ما تعرضت الأسوار الى الهدم عام ١٦٨ (١ مكابي ١/٣١) على يد أنطيوخوس ابيفانيوس الرابع، ملك السلوقيين (١٧٥-١٦٤). [١٧] لكن المدينة ازدهرت مرة اخرى إبان الثورة المكابية وإستقلال اليهود في المنتصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد، فأعاد المكابيون بناءها ورمموها على يد يهوذا المكابي عام ١٦٥ (١ مكابي ٤/٦٠، ١٢/٣٦، ١٣/١٠)، وأخيه يوناثان، عظيم الكهنة (١٦٠-١٤٣) الذي رمم السور المسمى كافيناطا [١٨] (١ مكابي ١٠/١١، ١٢/٣٧، ٢ ملوك ١٤/٢٢)، فاتسعت أولاً بإتجاه الغرب، ثم اتسعت أيضاً في حكم الملوك الحشمونيين ولا سيما ملكهم يوحنا هرقانس بن سمعان ١٣٤-١٠٤ ق. م.) واسكندر يَنّي (١٠٣-٧٦ ق. م.) فبنوا سوراً في شمال المدينة، عُرف في كتابات يوسفيوس المؤرخ "بالسور الأول". وعلى أثر حصار أنطيوخوس سيديتس السلوقي (١٣٨-١٢٩) للمدينة أقام الملك يوحنا هرقانوس مائة برج في السور الشمالي، ومن المحتمل أنها قد استخدمت فيما بعد في بناء أساسات السور الثاني [١٩]، أما مسار السور في الإتجاه الغربي والشرقي فبقي كما هو. وأصبحت مساحة المدينة نحو ٦٥٠ دونماً[٢٠].

وفي العصر الروماني نتيجة الصراع بين ملوك الحشمونيين استولى القائد الروماني بومبي على أورشليم عام ٦٣ وهدم أسوارها وبعد سنة سمح يوليوس قيصر لهرقانوس الثاني عظيم الاحبار أن يعيد بناء أسوار المدينة. ويبدو أن أورشليم في أثناء حكم هيرودوس الكبير (٣٧-٤ ق. م.) بلغت من العظمة ما لم تبلغه في كل العصور، ولكن مما يثير الدهشة أن هذا الملك العظيم لم يهتم بالسور، بل بالمنشآت داخله، فبنى أبراجاً وقصراً عند قلعة داود. ولكن لدى إعادة بناء ساحة الهيكل اضطر الى بناء السور في مساره الشرقي وإعادة أسوار منطقة الهيكل. وبعض الأحجار الكبيرة التي بنى بها السور والتي رأها يسوع لا زالت ظاهرة للعيان في الزاوية الجنوبية الشرقية عند حائط المبكى.

وفي أثناء ولاية بيلاطس البنطي (٢٦-٣٧) وضع الملك أغريباس الأول (٣٧-٤٤) أساسات السور الجديد الشمالي بما يسميه يوسيفوس فلافيوس السور الثالث [٢١]، ولم تتحقق تكملته إلا إبان الثورة اليهودية الأولى (٦٦-٧٠) التي اندلعت ضد الحاكم الروماني جسيوس فلوروس (Gessius Florus). فتمكن الرومان من اقتحام السور الثالث بقيادة ستيوس جالوس ولكنهم تراجعوا أمام السور الثاني. وعلى أثره زحف الرومان بقيادة فسبسيان أولاً ثم ابنه طيطس [٢٢] الى القدس الذي أمر عام ٧٠ بدك أسوارها وإحراق المدينة، ما عدا السور الغربي وذلك لحماية معسكر الفيلق العاشر الذي ترك لحراسة الموقع وأبراج هيرودس الثلاثة الكبيرة: هيبكوس وفصائل ومريمنة [٢٣] "لتكشف للأجيال القادمة عما كانت عليه المدينة وكم كانت حصينة" [٢٤]. ويبدوا أن طيطس اخترق السور الثالث عن طريق ثغرة افتتحها على مقربة من قبر هرقانس عظيم الكهنة الذي يقع عند مقر البطريركية اللاتينية.

وأتم الإمبراطور هادريانس عام ١٣٥ دمار ما تبقى من خراب طيطس على أثر الثورة اليهودية الثانية (١٣٢-١٣٥) التي اندلعت بقيادة باركوكبا. وبنى مدينة جديدة بإسم "أيليا كابتولينا"، تتقارب أبعادها مع سور مدينة القدس الحالي، ولكن بمساحة أصغر؛ لأنه منع اليهود من السكن فيها. وسار الرومان في تحصين القدس على نمط الإسكندر فاختطوا فيها شارعين رئيسين، وأقاموا السور المربع حول القدس يتميز بضخامة حجارته التي يصل طول بعضها الى ١٤م. ولعل مسار السور الجنوبي قد

حددته التحصينات الجنوبية للمعسكر الروماني الكبير على التل الجنوبي الغربي، ويحتمل أنه كان المسار العام للسور الجنوبي القائم.

وفي العصر البيزنطي عام ٣١٣ ازدهرت المدينة على أثر منشور أعلنه الإمبراطور قسطنطين يعطي فيه الحرية الدينية للمسيحيين. فجاؤوا اليه من جميع أنحاء المعمورة ليتباركوا بالأماكن المقدسة التي قدسها السيد المسيح أثناء حياته الأرضية. وفي تاريخ ٤٥٠ أدخلت "كنيسة جبل صهيون المقدس داخل الأسوار، كما يذكر يوخاريوس (٣٤٥-٣٥٠) مبيناً أن دائرة الأسوار تضم الآن جبل صهيون المقدس الذي كان - من قبل - خارج الأسوار. ويحتمل أن يكون ذلك من عمل الإمبراطور فالنتيانس (٣٦٤-٣٧٥) الذي نعلم أنه قام ببعض التعديلات في الأسوار.[٢٥] وفي عام ٤٥٠ قامت الإمبراطورة يودوكسيا (Eudoxia) أرملة الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨-٤٥٠) بإعادة بناء أسوار القدس في مواقعها القديمة. وأدخلت كل التل الجنوبي الغربي بما فيه من جبل صهيون ومدينة داود وبركة سلوم داخل دائرة المدينة وقد جاء وصف هذا السور في كتابات الشهيد أنطونيوس عام ٥٦٠.[٢٦]

وبعد الفتح العربي للقدس عام ٦٣٧م سار العرب على خطوات الرومان والبيزنطيين في بناء السور، وأصبحت مركزاً إسلامياً إضافة الىكونها مركزاً يهودياً ومسيحياً. وبالرغم من أن عدد سكانها انخفض بشكل ملموس، فقد استمر توافد الحجاج اليها. ولما شعر الخليفة عمر بن الخطاب بتهديد الإمبراطور يوحنا زيميش (Zimisces) عام ٩٧٥م ترك المنطقة التي ضمتها الإمبراطورة يودوكسيا، واقتصر السور على ضم القسم الشمالي من القدس البيزنطية. وهكذا وصلت القدس الى أبعادها الحالية. ولم يتردد الخلفاء الأمويون ولا سيما عبد الملك (٦٨٥م - ٧٠٥م) من ترميم سور القدس.

ولما استولى الصليبيون بقيادة جودفري دي بويون على المدينة عام١٠٩٩م، أدخلوا في بناء السور طرق الهندسة السائدة في أوروبا، فاستعملوا الحجارة المدقوقة دقاً موروباً. وكثيراً ما نقشوا على الحجارة أسماء النحاتين، لكن هذه الأسوار عجزت عن مقاومة أسلحة صلاح الدين الظافر. وفي عام ١١٩٢ رمم صلاح الدين

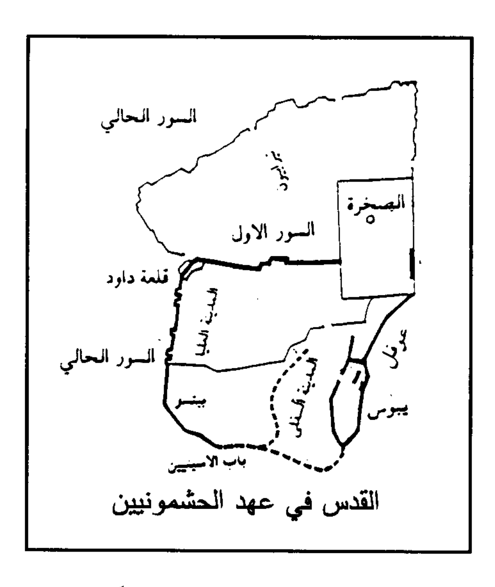
الأيوبي الأسوار [٢٧]. ولكن الملك المعظم عيسى بن أحمد وارث صلاح الدين الأيوبي أمر عام ١١٢٩ بتخريب الأسوار؛ لأنه كان يشعر بعجزه عن الدفاع عن المدينة، وخشي إن احتلها الصليبيون أن يستحكموا داخل أسوارها فيتعذر إخراجهم منها [٢٨]. إلا أن الصليبيين أعادوا بناء الأسوار عند إرجاع المدينة تحت سيطرتهم مرة أولى مع الإمبراطور الألماني فردريك الثاني عام ١٢٢٩م ومرة أخرى عام ١٢٤٣م. ولكن الأسوار لم تصمد أمام هجوم المماليك بقيادة بيبرس الثاني الجاشنكير عام ١٣٠٠م. ولم يبدل المماليك شكل الأسوار، ولكنهم رمموا بعضها بحجارة منحوتة مزودة بهوامش على أطرافها الأربعة، وأما أحجار السور المهدم فقد استخدموها في بناء منشآت جديدة. ثم وقعت القدس في أيدي الخوارزميين ثم المصريين وانتهت بأيدي العثمانيين.

وفي عام ١٥١٧ احتل السلطان سليم الأول القدس إلا أن خليفته السلطان العثماني سليمان الأول [٢٩] وهو الذي بنى سور القدس الحالي. فشرع في بناء السور الشمالي عام ١٥٣٦ كما تشهد الكتابات المنقوشة على بعض أبواب القدس، ثم انتقل الى بناء السور الشرقي فالغربي، ولم ينته من بناء السور الجنوبي؛ لأن الآباء الفرنسيين الذين كانوا يقيمون بجوارها لم يتمكنوا من دفع مصاريف البناء. ولا تزال الآثار الرومانية في سور القدس تظهر تحت ما بناه عليها الصليبيون والعثمانيون. وبقيت القدس في يد الأتراك حتى ١٩١٧ عندما دخلتها الجيوش الإنكليزية، وفي عام ١٩٤٨ انقسمت القدس بين العرب والإسرائيليين حتى قامت حرب ١٩٦٧ فاحتل الجيش الإسرائيلي كل القدس. ولكن الشعب الفلسطيني لا يزال صامداً داخل الأسوار.

المعالم الأثرية

إهتم علماء الآثار بالتنقيب عن أسوار القدس الثلاثة التي تكلم عنها المؤرخ يوسيفوس فلافيوس في كتابه "الحرب اليهودية" [٣٠]. وأسفرت النتائج عن إبراز بعض بقايا من السور الأول والثاني والثالث.

السور الأول



القدس في عهد الحشمونيين

يمتد السور الأول من باب الخليل من قلعة داود نحو الشرق الى وادي تيروبيون. وصفه يوسيفوس فلافيوس بقوله "يبدأ من الشمال من البرج المسمى هيبكوس [٣١] ويتجه شرقاً نحو "خستوس" (Xystus) [٣٢] ماراً بدار المجلس [٣٣] وينتهي بالرواق الغربي من الهيكل [٣٤]. ومن جهة الغرب يبدأ السور من نفس برج هيبكوس ويسير الى منطقة بيتسو (Bethso) [٣٥] ومنها الى "باب الأسينيين"، ومن جهة الجنوب يتجه المسار منعطفاً نحو عين سلوام، ومن ثمة يتجه نحو الشرق ماراً ببركة سليمان حيث يجتاز رابية عوفل [٣٦] الى أن يتصل بالرواق الشرقي للهيكل. [٣٧] وبناء على هذه المواصفات يحيط السور بالهضبة الغربية فيضم: جبل صهيون ووادي هنوم وبركة سلوان ومدينة داود ووادي قدرون والزاوية الجنوبية الشرقية لساحة الحرم الشريف. ثم يسير من قوس ولسون عند حائط المبكى (البراق) الى برج فصائيل في قلعة داود. ويحتمل أن تكون حارة "الدوابة" التي تسير موازية للشارع المجاور "شارع داود" تمتد فوق أساسات المسار الشمالي لهذا السور، ثم يقطع السور وادي تيرابيون بالقرب من طريق باب "السلسلة" حتى يتصل بالرواق الغربي الملاصق لحائط المبكى، وكان هذا السور بمثابة الاستحكامات الرئيسة للمدينة في عصر ملوك يهوذا، وكان يضم ستين برجاً [٣٨]. وقد عثر على بقايا من هذا السور في حصن اليبوسيين في مدينة داود مقابل سلوان، وجزء منه عند السور الشرقي لساحة الحرم الشريف ومنطقة عوفل وجزء آخر عند حي اليهود وثالث في قلعة داود.

أما بقايا السور الأول في حصن اليبوسيين، فقد كشفت التنقيبات الأثرية التي قامت بها الباحثة الإنكليزية كاثلين كينيون [٣٩]، بين سنوات ١٩٦١-١٩٦٧ في

طبقات العصر البرونزي القديم من أكمة عوفل بالقدس عن بقايا السور الأول في جهته الشرقية الذي بناه اليبوسيون على جبل صهيون الأصلي الواقع مقابل قرية سلوان سنة ١٨٠٠ ق. م. ويحتمل أنه كان للمدينة اليبوسية الأصلية باب واحد فقط في الجهة الشمالية (٢ صموئيل ٢/١٥). وهناك اجماع على أن المدينة كانت تشغل السلسلة الجبلية جنوبي الحرم الشريف. وكانت المدينة صغيرة نسبياً تحيط بها أسوار حصينة قوية على سفوح تلال صخرية شديدة الإنحدار فوق وادي قدرون من جهة والتيروبيون من الجهة الاخرى. وبينت الحفريات أن مساحة القدس آنذاك بلغت نحو ٤٤ دونماً [٤٠] ويقدر بالتالي أن مساحة القدس أيام الملك داود (١٠١٠-٩٧٠ ق.م.) بلغت ٥٠ دونماً، وأما تعداد السكان فقد بلغ ٢٠٠٠ نسمة. [٤١]

على أثر المباني الجديدة [٤٢] المذكورة في الكتاب المقدس، امتدت القدس مع سليمان الملك (٩٧٢-٩٣٣) الى الشمال، وضمت جبل الهيكل (الحرم الشريف حالياً). أما السور الذي بناه سليمان (١ ملوك ٣/١، ٩/١٥) فمن المؤكد أنه كان من جهة الشمال والغرب والذي وصفه يوسيفوس بأنه السور الأول. وحيث أنه توجد في "برج بليس" دلائل على سور قديم يسير في اتجاه الشمال الشرقي ويشمل قمة التل الجنوبي الغربي، فمن المحتمل جداً أن سور سليمان سار في نفس هذا الإتجاه، وفي هذه الحالة، لا بد أنه عبر التيروبيون عند مكان السور الجنوبي الحالي، ثم سار بعد ذلك الى الجنوب الشرقي ليتصل بالسور الغربي لمدينة اليبوسيين القديمة. وأثبتت حفريات عالم الآثار مازار [٤٣] أن مساحة القدس أصبحت في عهد سليمان ٩٢٨ ق. م. ما يقارب ١٣٠ دونماً، وهذا يقدر أن عدد سكانها بلغ ٥٢٠٠ نسمة [٤٤].

وأما عند السور الشرقي لساحة الحرم الشريف فقد كشفت حفريات وارن عن سور ضخم إرتفاعه ١٤ مترًا شرقي "الباب الذهبي" يسير نحو الغرب عند طرفه الشمالي حسب اتجاه الصخور في هذه المنطقة. ويحتمل أن يكون هو سور المدينة الشرقي قبل أيام هيرودس [٤٥]. وفي ١٨٨١ وجد البروفسور جوته (Guthe) بقايا من هذا السور في الجهة الجنوبية منه.

أما بقايا السور في الحي اليهودي، فقد بينت الحفريات التي اجريت في السنوات الأخيرة تحت إشراف عالم الآثار أفيكاد [٤٦]، بأن القدس في عام ٧٠٠ قبل الميلاد

امتدت بإتجاه الغرب الى منطقة ما تدعى فيما بعد بالمدينة العليا، ومساحة سورها بلغ نحو ٥٠٠ دونماً، وقد بنى حزقيا ملك يهوذا هذا السور للدفاع عن الحي الجديد (عند حي اليهود حالياً) ضد هجمات سنحاريب، ملك أشور سنة ٧٠١ (٢ ملوك ١٣/١٨، ٧٣/١٩)، ولا تزال أساسات السور ظاهرة للعيان، وكذلك بنى منسّى بن حزقيا سوراً حوّط به منطقة عوفل ورفعه جداً (٢ أخبار ١٤/٣٣). [٤٧] وقد كشف وارن في منطقة "عوفل" عند الزاوية الجنوبية الشرقية من الحرم الشريف عن سور يبلغ سمكه ٢٤،٤ م، يسير نحو الجنوب مسافة ٢٨ متراً ثم يتجه بعد ذلك الى الجنوب الغربي محاذياً لحافة التل لمسافة ٢١٣ متراً [٤٨].

وعثر الباحث مودسلي (Modsley) عام ١٨٧١-١٨٧٥ على جزء من السور الأول في التل الجنوبي الغربي في الموقع التي تحتله "مدرسة الأسقف جوبات". والمدرسة مبنية فوق كتلة ضخمة من صخرة منحدرة مساحتها أربعة أمتار مربعة. ومن الواضح أن مثل هذه الأعمال الصخرية فوق كتلة ضخمة من صخرة منحدرة مساحتها أربعة أمتار مربعة. ومن الوضح أن مثل هذه الأعمال الصخرية كانت لتدعيم سور وبرج [٤٩] . و أسفرت تنقيبات بليس وديكي أن البرج الذي اكتشفه مودسلي هو نقطة تشعب لمسارين متميزين من السور، واحد يسير في الإتجاه الشرقي ملتفاً حول حافة التل الجنوبي الشرقي ويتصل بمسار السور الحالي عند برج الكبريت، ويسير الآخر نحو الجنوب الشرقي نازلاً نحو بركة سلوام على حافة وادي الربابة (هنوم). ويرى بليس أن الجزء الأعلى من السور من بناء دقيق من أحجار ٣٠ × ٩١ سم مترابطة ترابطاً دقيقاً ومصقولاً جميلاً فيرده الى الإمبراطورة ايدوكسيا. أما الجزء الأسفل من السور فهو مستقر على الصخر، لحجارته حافات عريضة وشديدة الترابط بدون الملاط، وقد يكون من عمل سليمان أو أحد ملوك يهوذا. ومن الواضح أن البقايا المتأخرة نتيجة للإصلاحات التي قام بها ملوك يهوذا ونحميا وكل من أسهم في ترميم السور حتى الخراب عام ٧٠. [٥٠]

وقد أمكن تتبع أساسات السور حتى مدخل وادي تيروبيون. وأما منطقة بيتسو فإنها قريبة من الزاوية الجنوبية الغربية التي تحتلها مدرسة جوبات ويحتمل أنها "برج التنانير" (أو الأفران) الذي ورد ذكره في نحميا (١١/٣) أو "برج الزاوية" (٢

أخبار ٩/٢٦) وقد عثر عند المدافن في مدرسة جوبات على بقايا بوابتين من بوابات المدينة. وكان للبوابة أعتاب وأوقاب من أربعة عصور، بعضها فوق بعض. وكان عرض المدخل أولا ٢،٤٧ م، وأصبح أخيراً ٢،٤٤ م فقط. والبوابة الثانية الكبيرة وجدت على بعد نحو ٢٠٠ قدم جنوبي بركة الحمرا [٥١] ملاصقة للزاوية الجنوبية الشرقية للسور القديم، وتؤدي البوابة الى الشارع الرئيسي الكبير الذي ينحدر نحو التيروبيون. والدليل الاركيولوجي في ذلك الوقت قرب هذا السد من باب العين واضح في نحميا (١٥/٣).

والأرجح أننا هنا أمام "باب الأسينيين" الذي ذكره نحميا (١٣/٣) بإسم "باب الزّبل" [٥٢] وأما في رأي بليس فأنه يمكن أن يكون "باب العين". ويكاد يكون من المؤكد أن باب العين هو الباب "بين السورين" الذي هرب منه الملك صدقيا ورجال القتال (٢ ملوك ٤/٢٥، إرميا ٤/٣٩، ٧/٥٢). ومن الواضح أن السور من هنا حتى الزاوية الجنوبية الشرقية لساحة الحرم الشريف قد سار على حافة التل الجنوبي الشرقي، وإنطلق بعد ذلك الى ناحية الشمال على السور القديم الذي نقب عنه "وارن".

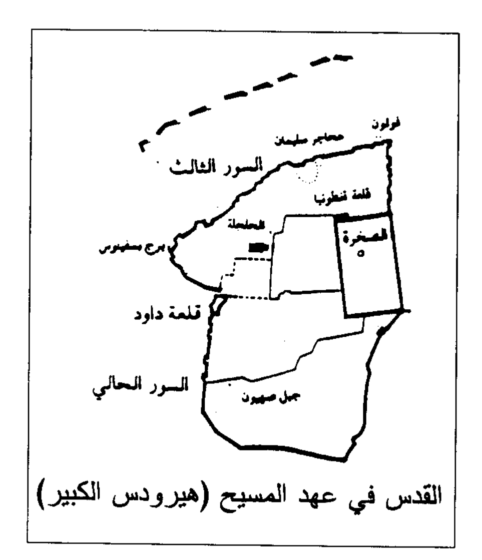
ومن أكبر الأدلة على إمتداد المدينة، العثور على جزء من السور الأول ويعود تاريخه الىالقرن الثامن ق. م. عند حي اليهود وذلك أثناء حفريات عالم الآثار أفيكاد (Avigad) [٥٣]، كما تشير الى ذلك القطع الفخارية التي عثر عليها هناك. يبلغ طوله نحو ٦٥ متراً،وعرضه ٧ أمتار، وهو مبني من حجارة الحقل العريضة. وهذا السور كان مبنياً على بيت من العهد الإسرائيلي (العصر الحديدي الثاني) مما يثبت بأنه ليس فقط بداية السور، وإنما إزدهار السكان في هذا التل سبق بناء السور. ويعود هذا الإزدهار لمجيء اللاجئين الإسرائيليين وإقامتهم في يهوذا بعد سقوط السامرة عام ٧٢١ ق. م. [٥٤] ولم تشر حفريات أفيكاد في الحي اليهودي وجبل صهيون [٥٥] على أي بقايا سور يعود الى عصر نحميا.

أما بقايا السور الأول في داخل قلعة داود، فقد عثر عالم الآثار جونز [٥٦] على جزء منه. وقد بناه الحشمونيون نحو عام ١٠٠ قبل الميلاد، كي يحوطوا المدينة العليا [٥٧] بسور سماه يوسيفوس "السور الأول" [٥٨] كما عُثر عام ١٩٢٧ عند شارع

اليعقوبية على مقربة من كنيسة "يسوع الملك" الإنكليكنية مقابل قلعة داود علـى جزء من هذا السور يبلغ طوله ٧ أمتار وإرتفاعه ٧٠ سم ومعدل سمكه ٩٠ سم [٥٩]. وأما الحفريات المختلفة التي أجراها العلماء من وارن حتى حفريات بروشي [٦٠] في جنوب قلعة داود فقد بيّنت معظم مسار هذا السور. وبقي السور الأول الكامل منذ عصر ملوك يهوذا وحتى القرن الثاني قبل الميلاد. وعند نهاية عهد الهيكل الأول بني سور آخر (السور الثاني) في الشمال.

السور الثاني

بناء على مواصفات يوسيفوس المؤرخ يسير السور الثاني من قلعة داود بإتجاه الطريق الحالي نحو باب العامود، ومنها الى المدرسة العمرية الواقعة في الزاوية الشمالية الغربية من رحاب الحرم الشريف. إذ يقول يوسيفوس "يبدأ السور الثاني من باب المدينة الذي يقال له "باب الجنّات"، وهي جزء من السور الأول. ويطوق الحي الشمالي من المدينة حتى برج "أنطونيا" [٦١]. ويضم السور أربعين برجاً [٦٢]. وكان السور محصناً بمحجرة استخدمت كخندق له.



القدس في عهد المسيح (هيرودس الكبير)

ويدور جدال كبير حول تاريخ إقامته. [٦٣] فبعض الباحثين وعلى رأسهم السير تشارلس واطسون يرى أنه ليس أقدم من زمن المكابيين، في حين يرى البعض الآخر وعلى رأسهم سميث، أن الملك حزقيا (٧١٦-٦٨٧) بعد أن رمم السور "بنى سوراً آخراً خارجاً" استناداً على هذه العبارة الواردة في أخبار الأيام الثاني ٣٢/٥. وعليه هذا السور يعود الى عصر هذا الملك، لكنه دليل غير حاسم. إلا أن يوسيفوس يؤكد بأن السور الثاني كان موجوداً أيام هيرودس الكبير. [٦٤] وكانت القدس أيام

هيرودس محاطة من الجنوب بالسور الأول، ومن الشمال بالسور الثاني، والمساحة بين السورين تبلغ ٩١٥ دونماً. (٦٥)

وأما السور الثاني بحسب مواصفات يوسيفوس فيمكن تحديد معالمه استناداً الى الحفريات الأثرية التي اجريت حول باب "الجنات" والخندق وبرج أنطونيا.

وقد بينت الحفريات بإشراف "لوكس" جزءاً من هذا الخندق تحت "كنيسة الفادي" (٦٦) الواقعة علىبعد ٤٠ متراً من كنيسة القيامة، وهذا دليل على أن هذه القلعة كانت خارج السور الثاني. أما برج أنطونيا (٦٧) فكان يقع عند المدرسة العمرية حيث تقام أول مرحلة من مراحل درب الصليب. إذا كان هناك إجماع حول بداية السور ونهايته إلا أن هناك إختلافات في الرأي حول مساره لعدم توافر أدلة أثرية لموقع باب "الجنات". ويبدو أنه لم يتم الكشف عن أي جزء من السور الثاني. (٦٨)

في عهد المكابيين (القرن الثاني ق. م.) أعيد تحصين جزء من السور الأول الشمالي المحيط بالمدينة العليا، كما يروي المؤرخ يوسيفوس. وقد عثر القنصل الأمريكي السيد سلاح ميريل بين كنيسة الروم الأرثوذكس عند كنيسة القيامة وشارع فردريك غيوم على جزء من هذا السور. (٦٩)

أثبتت حفريات القنصل البروسي، السيد شولتز (Schultz) سنة ١٨٤٤، وحفريات علماء الآثار: كلير مونت جانو (٧٠) وشيك (٧١) (Schick) وفنسا (Vincent) ١٨٥٩ ثم أكمل أرشندريت أنطونين كابستين (A. Kapoustin) عن إكتشاف في الفندق الروسي للقديس الكسندر نفسكي (Nensky Alexander) الذي بُني عام ١٨٩٦ الواقع علىمسافة ٧٠ متراً من الجلجلة ما يلي: زاوية من برج هيرودس الذي يحمي السور الثاني وبقايا "باب القضاء" (٧٢) الذي منه كان بإستطاعة أي فرد أن يعترض على الحكم قد بناه هيرودس الكبير في القرن الأول، كما كشفت عن عتبة الباب - المدعو في أيام المسيح "باب أفرائم" (٧٣) الذي من المحتمل أن المسيح قد إجتازه لدى صعوده الجلجلة حاملاً صليبه "تألم يسوع في خارج الباب" (عبرانيين ١٢/١٣). (٧٤) وحجرة العتبة هو من المزارات المقدسة، وعرفت بإسم "العتبة المقدسة لباب القضاء". عندما حصّن هيرودس سور القدس في تلك المنطقة،

نقل السور ٣٦ متراً بإتجاه الغرب، وحفر خندقاً حول السور. ويبلغ عرض الخندق ١٧ متراً وعمقه ستة أمتار. وفي عهد المكابين (القرن الثاني ق. م.) أعيد تحصين جزء من السور الأول الشمالي المحيط بالمدينة العليا، كما يروي المؤرخ يوسيفوس. وقد عثر القنصل الأمريكي السيد سلاح ميريل بين كنيسة الروم الأرثوذكس عند كنيسة القيامة وشارع فردريك غيوم على جزء من هذا السور. [٧٥] يقع بين السور القديم والسور الذي بناه هيرودس قلعة صغيرة لها أربعة أبراج، وبقرب القلعة كان هناك برج منفصل يحيط بـ "باب أفرائيم". والى الشرق من السور كان يوجد سوق عام.

وبقايا هذا السور يمكن مشاهدتها على يسار العتبة المقدسة، ويمكن أيضاً أن يشاهد المرء أحد الأبواب الثلاثة التي كانت تستخدم كباب النصر وعمودين [٧٦] من أعمدة الشارع المعمد Cardo Maximus التي بناها الإمبراطور هادريانس لدى إحتلاله القدس عام ١٥٣٠. وفي داخل الكنيسة هناك درج يقود الى كنيسة هيلانة، وتقع فوق الخندق الذي كان يحيط بالسور، وهي على بعد ٨ أمتار من كنيسة وجدان الصليب التي هي جزء من كنيسة القيامة.

ويلمح تقليد يعود الى القرن الثالث أنّ حدود سور القدس الثاني كان عند المرحلة السابعة، وكان السور يخترق "باب القضاء" حيث عرض بيلاطس على أحد أعمدته رقعة مكتوب عليها حكم الموت: "يسوع الناصري ملك اليهود".

وأما عند المرحلة الثامنة من درب الصليب فكانت تقع الزاوية الغربية الجنوبية لسور القدس [٧٧]. وعثر عند المرحلة التاسعة داخل دكان "حلويات زلاطيمو" آثار سور القدس الثاني من عهد هيرودس الكبير، أو قد يكون سوراً لهيكل "فينوس" الهة الحب. [٧٨]

وأثبتت الأبحاث أن قسماً من السور الواقع على مسافة ٣٠ متراً من الزاوية الجنوبية من سور القدس الحالي في الزاوية المعروفة "بجناح الهيكل" يعود الى عهد هيرودس. وقدعثر على ١٩ مدماكاً من ذلك العهد. وأما على المسار المعاكس فالسور يعود الى العهد الهلينستي [٧٩] على عهد أنطيوخس ابيفانيوس الرابع، ملك السلوقيين عام ١٦٨ ق. م. [٨٠]

وقبل دمار الهيكل توسعت القدس شمالاً والى الشمال الغربي. ولعدم صلاحية السور الثاني أدى الى بناء السور الثالث.

السور الثالث

في المنتصف الأول من القرن الثاني شرع هيرودس أغريبا الأول [٨١] في بناء السور بحسب وثائق يوسيفوس المؤرخ [٨٢]. ولكن عمله لم يكتمل إلا بعد إندلاع الثورة اليهودية الأولى (٦٦-٧٠). [٨٣] وبلغ عرضه خمسة أمتار ونصف وارتفاعه ١٢ متراً، ويبدو أن مساحته بلغت نحو ١٨٠٠ دونماً [٨٤]، ويضم تسعين برجاً ضخماً [٨٥] للدفاع عن الأحياء الجديدة بحيث كان بإمكانه صد جميع الأسلحة بإعتقاد القائد الروماني طيطس. [٨٦]

القدس في عهد هيرودس اغريبا الاول

وصف يوسيفوس مسار هذا السور بقوله: "ينطلق المسار من برج هيبكوس [٨٧] ويتجه شمالاً نحو برج بسفينوس (Psephina) ثم يصل بإتجاه مبنى هيلانة، - وهي ملكة الأديابين بنت الملك (أزات) Uzate - ويجتاز الكهوف الملوكية، ويتجه نحو برج الزاوية عند مبنى فولون (Foulon)، ويلاصق سور معبد قديم وينتهي في واد معروف بإسم قدرون". [٨٨]

ونعلم من مواصفات يوسيفوس أن "برج بسفينوس" هو برج عظيم مثمن الشكل، ويقع في مكان بارز مقابل برج هيبكوس بالقرب من باب يافا عند الزاوية الواقعة شمال غرب المدينة التي توسعت بشكل ملموس. ويبلغ ارتفاع هذا البرج نحو ٤١ مترا. وعند شروق الشمس يستطيع المرء رؤية البلاد العربية (موآب)، "أقصى حدود بلاد العبرانيين عند البحر غربا" [٨٩]. وفي الواقع، وفي الزاوية الشمالية

الغربية للبلدة القديمة اطلال تعرف باسم "قصر الجلود"، داخل مدرسة الفرير عند الباب الجديد، وكانت تعرف في العصور الوسطى بـ "برج تنكريد"؛ اذ أقام الصليبيون في القرن الثاني عشر قصرا لهم، وفي العصور اللاحقة عرف بـ "قصر جُليات". وبالرغم من أن جزءا من أن جزءا كبيرا منه يعود الى العصور الوسطى الا أنه يحتوي على بعض البقايا من أيام هيرودس حيث بنى "برج بسفينوس" [٩٠]. ويبدو أن باب العمود يقوم على موقع أحد بوابات المدينة القديمة.

وأما مبنى هيلانة [٩١] فهو معروف حاليا باسم قبور السلاطين [٩٢]، فيصفه يوسيفوس أنه يبعد مسافة ثلاث غلوات (أو ٦٠٤ أمتار) من القدس وله حصن للدفاع عنه يدعى "برج النساء" [٩٣]. ويمتد السور بعد ذلك مسافة طويلة، ويمر بـ "كهوف مقابر الملوك" أو "كهف آرميا" ويطلق عليه "محاجر سليمان". وهنا تلاشت بقايا السور الثاني بسبب هذه المحاجر وبناء قناة، ثم ينعطف السور عند "برج الزاوية" ويحتمل أن "برج الزاوية" يقع عند باب الساهرة أو الى الشرق قليلا منه. وعلى مسافة ١٥٠م من باب الساهرة يقع "برج اللقلق" على صخر بارز كان أساسا لسور هيرودس اغريبا الأول [٩٤]. ويسير السور بمحاذاة الحافة الجنوبية "لوادي القديسة حنة" ويتصل بالركن الشمالي من "الحرم" والى الجنوب قليلا من باب الاسباط ويتصل بالسور القديم عند وادي قدرون. وهذا المسار يتفق مع وصف يوسيفوس وأكد بعض علماء الآثار هذا المسار موافقين على فرضية الأب فنسا (Vincent) القائلة بأن السور الثالث يتبع نفس مسار السور الشمالي الحالي للبلدة القديمة. وهؤلاء العلماء هم: بنوا (Benoit) سمونس (Simons) وكاترين كينيون (Kenyon) وهنسي (Hennessy) وهمريك (Hamrick). [٩٥]

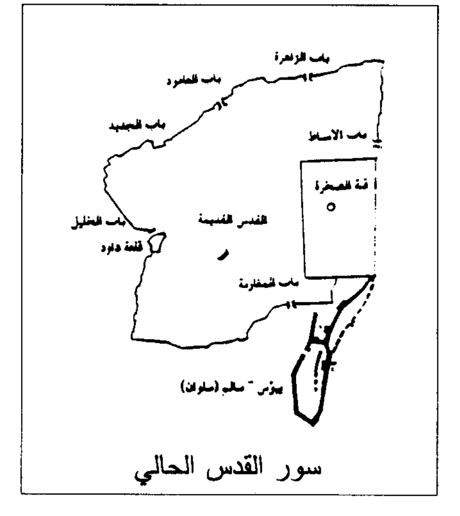
وأما البعض الآخر فقد تبنوا فرضية روبنسون [٩٦] الذي حدد مسار السور الثالث مع السور الواقع على مسافة ٤٥٠ شمال سور القدس الحالي على مقربة من القنصلية الأمريكية ومقابل كراج متري. [٩٧] وهؤلاء هم: سوكنيك، ماير [٩٨]، وافي يونا (Avi-Yonah) [٩٩]، وسارا بن اريا (Ben-Areyeh) وأهود نتسر [١٠٠] وبروشي ودان بهات [١٠١]. بيد أن المواصفات ملتبسة، والبراهين الأثرية غير واضحة، ولا يزال موقع السور الثالث موضوع جدال بين العلماء والباحثين.

والنظرية التي تحظى بقبول أكثر هي أن جزءا كبيرا من مسار هذا السور هو نفس مسار سور القدس الحالي.(١٠٢)

اختلف العلماء حول مسار السور الثالث، (٣٠١) ويحتمل أن السور كان يبدأ منه ويسير بمحاذاة الحافة الجنوبية لوادي القديسة حنه، ويتصل بالركن الشمالي الشرقي من الحرم والى الجنوب من باب الاسباط، وهذا المسار للسور يتفق مع وصف يوسيفوس وتضاريس الأرض. (١٠٤) وبعبارة أخرى فهو يتخذ نفس المسار الشمالي لسور القدس الحالي.

سور القدس الحالي

جاء بناء هذا السور نتيجة لإعادة بناء المدينة في عهد طيطس. بعد دمار الهيكل الثاني بقيت مساحة القدس منذ تأسيس ايلياء كابتولينا حتى القرن التاسع عشر ثابتة وتبلغ نحو ٨٥٠ دونما. (١٠٥) وعند نهاية العصر البيزنطي، قامت الامبراطورة يودوكسيا في منتصف القرن الخامس ببناء سور يضم جبل صهيون.



سور القدس الحالي

وفي بدء العصر العربي امتدت المدينة الى الجنوب، وبلغت مساحتها نحو ١٢٠٠ دونما (١٠٦) فشيد سليمان القانوني سور القدس الحالي بين ١٥٢٧-١٥٤٠ باشراف الامير بايرام جاويش بن مصطفى، وقد بناه على تراكمات الأسوار القديمة عبر العصور المختلفة، لحماية المدينة من العدوان الخارجي وغارات البدو. وبناء السور من أكبر الأعمال العمرانية التي تمت في القدس في عهده. ويبلغ طول المحيط الكلي للسور حوالي ٤ كيلومترات، ومعدل ارتفاعه حوالي ١٢ مترا، ويضم أربعة وثلاثين برجا وثمانية أبواب: الباب الجديد (فتح سنة ١٨٨٩م) باب العمود، باب الزاهرة في الشمال. وفي الشرق باب الأسباط والباب الذهبي الذي أغلقه الأتراك سنة ١٥٣٠م. وفي الجنوب باب صهيون وباب الخليل، وفي الغرب باب

يافا (الخليل) من عمل فنان واحد. [١٠٧] ويحيط السور الحالي بالقدس القديمة من جهاتها الأربع ويقع السور الشمالي موازيا لخندق قديم، والسور الشرقي والغربي وإن كانا يلتزمان في اتجاههما العام حافات الوديان العميقة، فانهما يتبعان مسار الأسوار القديمة.

يمتد السور الشرقي الواقع جنوبي باب الأسباط الى الزاوية الجنوبية الشرقية، فيتبع مسارات عديدة قديمة، ويعود المسار العام الى زمن هيرودس لوجود ساحة الهيكل، وما زالت هناك البوابات المفردة والمزدوجة والثلاثية التي تؤدي الى الهيكل. [١٠٨]

وأما السور الغربي فيمتد من قلعة داود الى الزاوية الجنوبية الغربية، ويتبع مسارا قديما، وهذا الجزء من السور لم يتعرض للدمار عندما أمر طيطس بتسوية السور بسطح الأرض؛ لأن الرومان اتخذوه سورا لمعسكرهم الكبير. [١٠٩] وفي الزاوية الشمالية لهذا السور توجد أطلال تعرف باسم "قلعة جلعود" (قلعة جليات) تعود الى العصر الصليبي وإلا أنها تحتوي على بعض الصخور والمباني من أيام هيرودس، وتعتبر أطلال برج بسفينوس الشامخ. كما ذكرنا سالفا.

وأما مسار السور الجنوبي فيمتد من الجهة الجنوبية الغربية بإتجاه باب النبي داود. وقد حدده معسكر الجيش الروماني.

وصف النابلسي هذا السور بقوله: مبناه متين وإنه من بناء السلطان العثماني سليمان القانوني. ويذكر لمدينة القدس عشرة أبواب: "منها باب العامود وهو من جهة الشمال، ومن هذه الجهة أيضا باب آخر يسمى باب الداعية المتوصل منه الى حارة بني زيد، وباب يسمى باب دير الرب، وباب الساهرة، ومن جهة القبلة باب حارة المغاربة وباب صهيون المعروف الآن بباب داود ومن جهة الغرب باب صغير بلصق دير الأرمن، وباب المحراب المعروف بباب الخليل، وباب يعرف بباب الرحمة، ومن جهة الشرق باب الأسباط". [١١٠]

وأما مصطفى أسعد اللقيمي (١٦٩٣-١٧٦٥) الدمياطي فيذكر برحلته الى القدس التي أسماها "موانح الأنس برحلتي الى وادي القدس" في عام ١٧١٣: إن للمدينة سورا محكم البنيان، ولها ستة أبواب، ويجمل ذكرها في بيتين من الشعر: [١١١]

للقدس سور سما بالحسن رونقا	أبوابه ستة فيها مقاربة
أسباط ساهرة عامود	ثالثها باب الخليل واداود مغاربة

لم يتردد الرحالة الأجانب أيضا في وصف سور القدس، فقال فيه لوران درافيو (١٦٣٥-١٧٠٢): "تحيط بالقدس أسوار قوية ذات أبراج مربعة بناها السلطان العثماني سليمان القانوني. ويبلغ سمك الأسوار حوالي مترين، ومحيطها ٤٥٠٠ خطوة، وحولها خندق دون مياه يمتد من باب دمشق الى باب بيت لحم (باب الخليل)" [١١٢]

وفي استطاعة كل زائر التمتع بمشاهدة مناظر السور الخلابة وما في داخله بجولة على السور. فالمسار آمن ويمكن للزائر ان يستعين بالاسهم واللافتات للسير حول السور. تبدأ الجولة في الساعة العاشرة صباحا حتى الرابعة مساء انطلاقا من باب "ستنا مريم" أو باب العامود، أو باب الخليل وباب صهيون، وتنتهي عند الباب الجديد أو باب الساهرة. وقد يترنم الزائر مع صاحب المزامير لدى زيارته أسوار القدس قائلا: "فرحت بالقائلين لي الى بيت الرب ننطلق، وقد وقفت أقدامنا في أبوابك يا أورشليم" (مزمور ١٢١).

المراجع:

١. دلت الحفريات على مدن فلسطينية محصنة بالأسوار وأهمها: طبرية وقيصرية واللد وسبسطية وعسقلان وغزة ولاخيش (تل الدوير) بيت شمش (عيش شمس) وجيزر (تل الجزر) وتعنك (تل تعنك) ومجدوه (تل المتسلم)، وأريحا القديمة (تل السلطان) وشروحن (تل الفارعة) وتل العجول، ومكزفا (تل النصبة)، ودبير (بيت مرسيم)، وحاصور (تل القاشي)، وعاي (التل).

٢. لويس حزبون، ""مدينة داود: أورشليم القديمة"، **السلام والخير** ٩،٨ (١٩٩٠) ٣٩.

٣. ملّو لفظة عبرية، وهي عبارة عن ردم من التراب يدعم تلة صخرية تحمل الهيكل والقصر.

٤. ولم تكشف الحفريات أي معالم لهذا السور.
٥. J. Flavius, *Jewish War*, V, 142
٦. ستقع الجلجلة وقبر المسيح خارج "باب أفرائيم" الجديد (نحميا ١٦/٨، ١٢/٣٩). وهناك سور ثالث أبعد منه الى الشمال أيضا سيرفعه هيرودس أغريبا الأول.
٧. يحتمل في ذلك اشارة الى حصن صهيون القديم على التل الجنوبي الشرقي.
٨. تحالف فاقح مع رصين على آحاز. وكان رصين ملك أرام (دمشق)، وفاقح بن رمليا ملك اسرائيل (٧٣٥-٧٣٢).
٩. حزقيا أسم عبري ومعناه "قوتي الرب"، وهو من أعظم ملوك يهوذا ورد في الكتاب المقدس في ثلاثة مواضع (٢ ملوك ١/١٨-٢٠/٢١، ٢ أخبار ١/٢٩-٣٢/٣٣، أشعيا ١/٣٦-٨/٣٩).
١٠. وتشير العبارة "بنى سورا آخرا في الخارج" الى امتداد السور على حافلة التل الجنوبي الغربي الى سلوام أو سلوان حاليا.
١١. ان هذا السور كان سورا جديدا، أو سورا أعيد بناؤه على الجانب الشرقي من المدينة.
١٢. نحميا اسم عبري ومعناه "الرب يعزّي" وهو نحميا بن حكليا من اليهود المسبيين في بابل (نحميا ١/١)، اشتغل في بلاط الملك الفارسي ارتحشثتا الاول (٤٦٥-٤٢٤) عينه الملك حاكما على ولاية يهوذا (نحميا ١٤/٥، ٢٦/١٢) فأعاد بناء سور القدس وترميمه (نحميا ١٥/٦).
١٣. الوصف التفصيلي لإعادة بناء أسوار أورشليم في زمن نحميا يعطينا صورة عن هذه التحصينات أوفى من أي وقت سابق، فلقد كرس نحميا نفسه لإعادة الأسوار الى الحالة التي كانت عليها قبل السبي، بقدر المستطاع. وقد تم انجاز العمل بسرعة رغم ظروف الخطر التي كانت تحدق بهم، فقد كان نصف العمال يمسكون الرماح والتروس والقسّي والدروع، للدفاع عن الباقين، وكان كل عامل جنديا. استغرقت عملية إعادة البناء ٢٥ يوما (نحميا ٤/١٠-١٧)، ولا شك أن العجلة والموارد المحدودة، أدت الى بناء سور أضعف كثيرا من السور الذي حطمه نبوخذنصر منذ ١٤٢ سنة مضت.
١٤. M. Avi-Yonah, *"The Walls of A Minimalist View"*, Nehemiah. In IEJ IV (1954) 239-248; M. Broshi, *"La population de l'ancienne Jerusalem"*, in RB 82 (1975) 9.
١٥. M. Avi-Yonah, *"The Walls of Nehemiah-A minimalist View"*, 239-249.
١٦. قدم "ارستياس" لنا خطاب يصف عظمة الاسوار ويحتمل أن يكون قد كتب في نهاية آجله (حوالي ٢٠٠ ق.م.).
١٧. J. Flavius, *Jewish War*, XII, 5,3.
١٨. كافيناطا لفظة مرادفة للكلمة الأرامية كافلطة وتعني "مضاعف": وربما هي ترجمة للكلمة العبرية "مشنا" وهو الحي الجديد في شمال الهيكل الى الغرب.
١٩. وليم وهبة، **دائرة المعارف الكتابية**، ج ١، ٥٤٦.
٢٠. M. Broshi, *"La population de l'ancienne Jerusalem"*, in RB 82 (1975) 10.

٢١. Flavius, *Jewish War*, V. 147-155.

٢٢. طيطس فلافيوس فسبسيان: رافق أباه الى فلسطين عند ذهابه على رأس حملة عسكرية لإخماد الثورة اليهودية الأولى، وعندما ارتقى أبوه عرش الامبراطورية، أصبح طيطس القائد المسؤول، فنجح في اخماد الثورة، واستولى على القدس، ودمرها مع الهيكل في عام ٧٠. وعند عودته الى روما احتفل مع أبيه بهذا النصر، وأقام قوسا شهيرا تخليدا لذلك. ثم أصبح امبراطوراً عند موت ابيه عام ٧٩، وقد أتم تشييد الكولوزيوم الذي بدأه أبوه فسباسيان، وبنى الحمامات التي تحمل اسمه. وساد الأمن والرخاء والازدهار فترة حكمه التي لم تتجاوز عامين. اذ مات عام ٨١.

٢٣. Flavius, *Jewish War*, V 161-176 ، يبلغ ارتفاع برج فصائيل ١٩،٨٥ مترا وهو مكون من طابقين. الطابق الأعلى يبلغ عرضه ١٧،١٢ مترا وطوله ٢١،٤٠ مترا، وأما الطابق الأسفل فتبلغ مساحته ٢٢،٦٠×١٨،٣٠ مترا. وعليه كان البرج يؤهل الجنود من مراقبة ساحة الهيكل. لويس حزبون "قلعة النبي داود تاريخها ومعالمها الاثرية"، **السلام والخير** ٤ (١٩٩١) ٣٩.

٢٤. Flavius, *Jewish War*, VII 1-2.

٢٥. وليم وهبة، **دائرة المعارف الكتابية**، ج ١، ص ٥٤٨.

٢٦. المصدر نفسه، ص ٥٤٨.

٢٧. عثر في الحفريات الأخيرة لعام ١٩٩٣ على جزء من سور صلاح عند باب الخليل.

٢٨. **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني، ج ٦، ص ٦١٨.

٢٩. لقب الأتراك سليمان الأول (١٥٦٦-١٥٢٠) "بالقانوني" والأفرنج "بالعظيم". وبلغت الأمبراطورية العثمانية في عهده أوجها فازدهرت الآداب والفنون، أوثق عرى الصداقة بين الباب العالي ودول أوروبا، ومنح فرنسوا الأول ملك فرنسا الامتيازات الأجنبية: حق حماية المرسلين وزوار الأراضي المقدسة.

٣٠. Flavius, *Jewish War*, V, iv, 1-139.

٣١. أحد أبراج هيرودس الموجودة في قلعة داود حاليا.

٣٢. خستوس باليونانية يشير الى مبنى خاص بالرياضة البدنية وبالروماني يدل على مبنى يستخدم للرياضة وغيرها.

٣٣. وهي دار المحكمة الشرعية.

٣٤. على مقربة من باب السلسلة.

٣٥. تقع منطقة بيتسو عند مدرسة الاسقف جوبات.

٣٦. موقع اورشليم الاصلي.

٣٧. Flavius, *Jewish War*, V, 4, 144.

٣٨. Ibid., 185.

٣٩. M. Kenyon, Jerusalem, London 1967, 30, Ide, *Digging up Jerusalem*, London 1974.

٤٠. M. Broshi, *"La population de L'ancienne Jerusalem"*, in RB 82 (1975) 8.

٤١. Ibid., 13.

٤٢. أهم هذه المباني هي: الهيكل وبيت الملك وبيت أبنة فرعون وقاعة الحرس، ورواق العرش (رواق القضاء) ورواق الأعمدة (١ ملوك ٧/١-٨) والقلعة (١ ملوك ٩/١٥،٤ ١١/٢٧)، ومعابد آلهة أخرى (١ ملوك ١١/٧،٨).

٤٣. M. Mazar - M. Ben-Dov, *Finds from the Archaeological Excavations near the Temple Mount*, Jerusalem 1973, 59-58.

٤٤. M. Broshi, *"La population de l'ancienne Jerusalem"*, in RB 82 (1975) 13.

٤٥. C. Warren, *Underground Jerusalem*, London 1876.

٤٦. N. Avigad, *Qadmoniot*, V (19-20), 1972, 93-94.

٤٧. لويس حزبون، "منطقة الحفريات حول الحرم الشريف"، **السلام والخير** ١ (١٩٩٣) ٣٧.

٤٨. Warren, *Underground Jerusalem*.

٤٩. توجد مئات من الحجارة الضخمة المأخوذة من هذا السور الآن في جدران المباني المجاورة.

٥٠. F.J. Bliss, A.C. Dickie, *Excavations at Jerusalem*, 1894-1897, London 1989.

٥١. يحتمل أن بركة الحمرا كانت تسمى قديما بركة سليمان.

٥٢. عرف في وقت لاحق ب "باب الحسيديم". وفي رأي عالم الآثار بليس أنه يمكن ان يكون "باب العين" (نحميا ٣/١٥) الذي يحتمل أنه كان على جهة الشرق. ويكاد يكون من المؤكد ان باب العين هو الباب "بين السورين" الذي هرب منه صدقيا الملك وجميع رجاله (٢ ملوك ٢٥/٤، ارميا ٣٩/٤، ٥٢/٧).

٥٣. لويس حزبون، "حي اليهود معالمه التاريخية والأثرية"، **السلام والخير** ١١ (١٩٩١) ٣٧، A. Avigad, *Discovering Jerusalem*, naschville 1983.

٥٤. -M. Kochavi, Judea, *Samaria and the Golden.* Archaeological Survey, 1967 1968, Jerusalem 1972, 20.

٥٥. M. Broshi, *"The Growth of Jerusalem in the reigns of Hezekiah and Manasseh.* The Archaeological Evidence and the Historical Background", in IEJ XXIV (1974) 21-26.

٥٦. C.N. Johns, *"The Citadel, Jerusalem, A Summary of Work since 1934"*, in QDAP 14 (1950) 121-190.

٥٧. لويس حزبون "قلعة النبي داود: تاريخها ومعالمها الأثرية"، **السلام والخير** ٤ (١٩٩١) ٤٢.

٥٨. Flavious, *Jewish War*, V, 142.

٥٩. Vincenmt, *"Jerusalem"* in SDB 4(1949)924

٦٠. في الفترة من ١٨٦٧ ـ ١٨٧٠ أجرى الكابتن وارن سلسلة من الحفريات تتميز بالاصالة في موقع القدس. Warren, *Underground Jerusalem*, ; M. Broshi, *"Along Jerusalem's Walls"*, in BA 40 (1977) 11.

٦١. Flavius, *Jewish War*, V, 4, 2, 146.

٦٢. Flavius, *Jewish War*, V, iv, 3, 158.

٦٣. إن تاريخ إقامة السور الثاني غير معروف.

٦٤. Flavius, *Antiquitas* XIV, 16, 2.

٦٥. M. Avi - Yonah, *"The Third and Second Walls of Jerusalem"*, in ISJXVIII (1968) 98 - 125.

٦٦. U. Lux, *"Vorllaufiger Beiricht uber die Ausgrabung unter der Erloserkirche im Mauristan in der Altstadt von Jerusalem in den Jahren 1970 und 1971"*, in ZDPV 88(1972)185 - 201.

٦٧. لويس حزبون، "مزار هذا الرجل"، **السلام والخير** ١ (١٩٩٠) ٣٣.

٦٨. B.E. Shein, *"The Second Wall Of Jerusalem"* in BA 44(1981) 21 - 26.

٦٩. S. Merrill, *Ancient Jerusalem*, New York 1908, 297f.

٧٠. سجل كليرمونت جانو - الذي كان مقيماً في القدس في خدمة القنصلية الفرنسية - مشاهداته الدقيقة عن أركولوجية القدس وما حولها. - C. Clermont Ganneau, *Archealolgical Researchers in Palestine during the Years 1873 - 1874*, Vol I, London 1896.

٧١. اكتشف شيك عام ١٨٨١ نقش "سلوان" المشهور. وقد أجرى في الفترة من ١٨٦٦ وحتى وفاته في ١٩٠١، سلسلة طويلة من الأبحاث بالغة الأهمية عن طبوغرافية القدس. ومن أهم هذه التقارير التي سجلها عن مستويات الصخور في كل أجزاء موقع المدينة التي ظهرت عند حفر الأساسيات للمباني أو عند التنقيب عن الآثار. M. Schick, P.E.F. *Quart Statem*, 1893, 192; 1902, 46.

٧٢. كان الرومان يهتمون بالعدل، وكان لهم عادة متبعة لكل من كان محكوماً عليه بالموت أن يجتاز باب أسكويلين Esquiline، وكان القضي يعلن اسمه وجرائمه؛ وذلك لإعطاء المحكوم عليه بالموت الفرصة الأخيرة للدفاع عن نفسه لعل شخص لم يكن حاضر أثناء المحكمة يعرف ظروفاً قد تبرئ المحكوم عليه بالإعدام. وكانت هذه العادة يعمل بها في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

٧٣. وبقرب "باب أفرائيم" يقع بقايا "باب قوس النصر" الذي بناه هادريانس الإمبراطور عام ١٣٥، وهو يتكون أصلاً من ثلاثة أقواس يبلغ عرضها ١٩ متراً، وطولها ١٢ متراً و١٠ أمتار إرتفاعاً. وكان هذا القوس يؤدي الى معبدين: فنوس وكوبيد Venus - Cupid بناهما الإمبراطور فوق الجلجلة والقبر ليمنع المسيحيين من التعبد هناك. وبعد قرنين عندما تغلب قسطنطين الكبير على الإمبراطور مكسنسيوس Maxentius بنى كنيسة القيامة واستخدم جدار قلعة هيرودس كواجهة للكنيسة.

٧٤. والواقع للخروج من المدينة، على المرء أن يجتاز 'باب القضاء'، ثم يمر من ساحة القلعة، ثم يخرج من البرج من خلال باب أفرائيم، ومن ثمة يجتاز الخندق المحيط بالمدينة فيصل الجلجلة، وهناك كان يتم التنفيذ بالإعدام أيام السيد المسيح. أسفرت الحفريات أيضاً عن الكشف في فندق الروسي عن بقايا قوس وعمودين من مخلفات الإمبراطور هادريانس

في عام ١٣٥، وبقايا كنيسة القيامة التي بنتها هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين. في عام ٣٣٣ وبقايا دير قانوني القبر المقدس، وهم منظمة رهبانية كانت تؤمن الخدمة الليتورجية في القبر المقدس أيام الصليبيين.

٧٥. S. Merrilm, *Ancient Jerusalem*, New Yok 1908, 29f.

٧٦. أستخدم العمودان أيام الإمبراطور قسطنطين كمدخل مسقف (propyleum) لكنيسة القيامة.

٧٧. لويس حزبون، "طريق الآلام: تاريخها ومعالمها الأثرية"، **السلام والخير** ٥ (١٩٨٩) ٣٤.

٧٨. المصدر السابق، ص. ٣٥.

٧٩. لويس حزبون، 'منطقة الحفريات حول الحرم الشريف'، **السلام والخير** ٣ (١٩٩٢) ٣٩.

٨٠. Flavius, *Jewish War*, I, 39, Antiquitas XII, 252.

٨١. H. Vincent, "*La troisieme in enciente de Jerusalem*" RB 36 (1927) 535-537.
كان هيرودس أغريبا الأول (٣٧-٤٤م) ابن ارستطوبولس، وحفيد هرودس الكبير وابن أخي هيروس انتيباس (لوقا ٢٢/٨-٢٢)، نصبه الأمبراطور كاليجولا ملكا (٣٧م) على الأقاليم التي كان يحكمها فيلبس وليسانيوس، ثم أقامه الأمبراطور كلوديوس عام ٤١ حاكما على اليهودية والسامرة، وكانت سياسته تنظر بعين الرضا الى الدين اليهودي في مذهبه الفريسي. وارضاء لليهود ذبح يعقوب أخا يوحنا بالسيف (أعمال الرسل ١٢/١ و ٢) وسجن بطرس (أعمال الرسل ١٢/٣-١٩) وقبل وفاته سنة ٤٤ ادعى الألوهية فأكله الدود.

٨٢. J. Flavius, *Jewish War*, II, xi, 6, 218.

٨٣. ذكر يوسيفوس عدة أسباب لعدم اكتمال السور. السبب الأول وفاة اغريبا المبكر (*Jewish War*, II, 218) السبب الثاني هو أن اغريبا أوقف العمل خوفا من اثارة الشك في الاستقلال عن الامبراطور كلوديوس (*Jewish War*, V, 315) وأما السبب الثالث فهو ايعاز الحاكم الروماني للأمبراطور أن يوقف العمل عندما أصبح السور يشكل خطرا على الرومان (*Antiquitas*, XIX, 326).

٨٤. S. Ben Aryeh, *Qadmoniot*, VI(23-24) 111-113.

٨٥. Flavius, *Jewish War*, V, iv, 3 158.

٨٦. Flavius, *Jewish War*, V, 259.

٨٧. يقع البرج على مقربة من باب يافا عند قلعة داود.

٨٨. Flavius, *Jewish War*, V, iv, 2, 147.

٨٩. J. Flavius, *Jewish War*, V, vi, 3, 159, V, iii,133.

٩٠. H. Vinvent, *"Jerusalem, Fouilles aux abords de la tour Psephina"*, in RB (1913) 88-96; Idem *"La troisieme enciente de Jerusalem"*, in RB 36 (1927) 527-432.

٩١. Josephus Flavius, *Antiquitas*, 20,4:3.

٩٢. لويس حزبون، "المقابر القديمة حول القدس"، **السلام والخير** ١(١٩٩١)٣٣.

٩٣. Flavius, *Jewish War*, V, ii, 555, cf. 109-119; *Antiquitas*, XX, iv, 3,96.

٩٤. H. Vinvent, *"La troisieme enceinte de Jerusalem"*, in RB 36 (1926) 541.

٩٥. G. Simons, *Jerusalem in the Old Testament*, Leiden 1952; K.Kenyon, *Digging Up Jerusalem*, New York 1974; J. B. Hennessy, *"Preliminary Report on Excavations at the Damascus Gate, Jerusalem"*, in Levant 2 (1970) 22-27; E. W. Hamrickm The Third Wall of Agrippa I, in BA 40 (1977) 18-23.

٩٦. في عام ١٨٥٨ ثم في ١٨٥٢ زار الرحالة واللاهوتي الأمريكي الشهير القدس أ. روبنسون البلاد ممثلاً لجمعية أمريكية، وقام بسلسلة من الأبحاث الطبوغرافية التي لها أهميتها الكبيرة لكل دارس للأرض المقدسة حتى اليوم.

٩٧. يستند روبنسون وأتباعه على وصف المنظر الشاسع من برج بسيفينوس من ناحية، وعبارة أن السور كان 'مقابل' قبر هيلانة من ناحية أخرى.

٩٨. قام العالمان سوكنيك وماير بحفريات في الأعوام ١٩٢٥-١٩٢٧ حول السور المقدس الشمالي تطابقت مع نتائج حفريات روبنسن التي تؤكد بأنه هو السور المطابق للسور الثالث الذي وصفه يوسفيوس.راجع E. Robinson, *Biblical Researchers in Palestine and the Adjacent Regions*, 3 vol. London 1856; E.L.Sukenik - L.A.Mayer, *The Third Wall of Jerusalem*, London 1930.

٩٩. M.Avi-Yonah, *"The Third and Second Walls of Jerusalem"* in IEJ XVIII(1968) 99.

١٠٠. وإكتشف العالمان بن آريا ونتسر جزءاً من السور طوله ٤٥م وعرضه يتراوح بين ٤،٢م و ٤،٣م ويتكون من حجارة مربعة وحجارة حقل وأبراج ويعود تاريخه الى القرن الأول S. Ben-Arieh - E. Netzer, *"Excavation Along the Third Wall of Jerusalem 1972-1974"*, in IEJ 24 (1974) 98-100.

١٠١. D. Bahat, *The Illustrated Atlas of Jerusalem*, Jerusalem 1990, 30.

١٠٢. فاعتبرت كنيون بان السور الشمالي الواقع على مسافة ٤٥٠م من بناء طيطس لمنع اليهود من مغادرة المدينة للحصول على طعام. في حين يفترض همريك بأن هذا السور بناه اليهود المتمردون عام ٦٨ للدفاع ضد هجمات الجيش الروماني قبل انتصار طيطس سنة ٧٠م. E.H. Hamrick, *"The Third Wall of Agrippa I"*, in BA 40 (1977) 18-23.

١٠٣. H. Shanks, *"The Jerusalem Wall that shouldn't be there"*, in BAR, 47 (1987) 46-57.

١٠٤. L.K., Vincent *"La troisieme enceinte de Jerusalem"* in RB (1928) 92-100; 321-339.

١٠٥. M. Broshi, *"La population de 'ancienne Jerusalem"*, in RB 82 (1975) 11.

١٠٦. J.T. Milil, *La topographie de Jerusalem vers la fin de l'epoque byzantine*, in Melange de l'Universite St. Joseph XXXVII (1961) 133.

١٠٧. اختلفت أسماء أبواب القدس وتعددت فلكل منها اسمان أو ثلاثة أسماء في الوقت الحاضر. باب العمود يلقب باب الشام، وباب نابلس، وشعار شكيم، وباب استفانس، وباب النصر؛ ثم باب الزاهرة يسمى أيضا باب هيرودس، وباب الصحراء، وشعار هبراحيم؛ أما باب الأسباط فيدعى أيضا باب ستي مريم، وباب يوشافط، وباب استفانس وباب الأسود، شعرا هارايوت؛ أما الباب الذهبي فيدعى ايضا باب الضاهرية (باب الضافر) وباب الحسن، وباب الرحمة، أو شعار هراحميم. ثم الأبواب المسدودة، ومن ثمة باب الحفريات، أما باب المغاربة فيسمى باب سلوان، وباب الدمن، وباب الدخان، وشعار هاشبوت، ثم باب صهيون أو باب النبي داود أو محراب داود؛ باب الخليل، باب يافا وأخيرا باب الجديد، شعار حداش، باب عبد الحميد. راجع لويس حزبون، 'أبواب القدس: أسماؤها وتاريخها"، **السلام والخير**، ١٠ (١٩٨٨) ٣٣-٣٧، والعدد ١١ (١٩٨٨) ٣٦-٣٩.

١٠٨. لويس حزبون، 'منطقة الحفريات حول الحرم الشريف"، **السلام والخير** ٣ (١٩٩٢) ٣٦.

١٠٩. نفترض ان المعسكر كان يحتل مساحة ٥٠ فدانا كما كانت الحال في معسكرات رومانية أوروبية مختلفة ما زالت بقاياها موجودة.

١١٠. عبد الغني النابلسي، **الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**، مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق، رقم ٤٤٨٦، ورقة ٣٣أ - ٣٣ب (والنابلسي (١٤٦١-١٣٧١)، عالم دمشق ومفتيها من دمشق زار القدس عام ١٩٦١).

١١١. مصطفى أسعد اللقيمي، "**موانح الأنس برحلتي لوادي القدس**"، مخطوطة، ورقة ٣٢أ - ٣٢ب.

١١٢. Laurent Chevalier D'Arvieux, *Memoires du Chevalier d'Arvieux Envoye Extraordinaire du Roy a la Parte*, Consul de'Alep, d'Alger, de tripoli, et autres Eschelles du Levant, Tom. 2, Paris 1735, 106-110.

المتحف الإسلامي في رحاب الحرم القدسي

الأب
لويس حزبون*

اسست في فلسطين في عهد الانتداب البريطاني عدة متاحف اثرية [١] أهمها متحف الآثار في القدس ومتحف صغير في قلعة عكا ومتحف للفن الاسلامي ويقال له نتيجة خطأ تاريخي 'متحف مسجد عمر' ونقتصر الحديث هنا على تاريخ المتحف الاسلامي ومحتوياته. [٢]

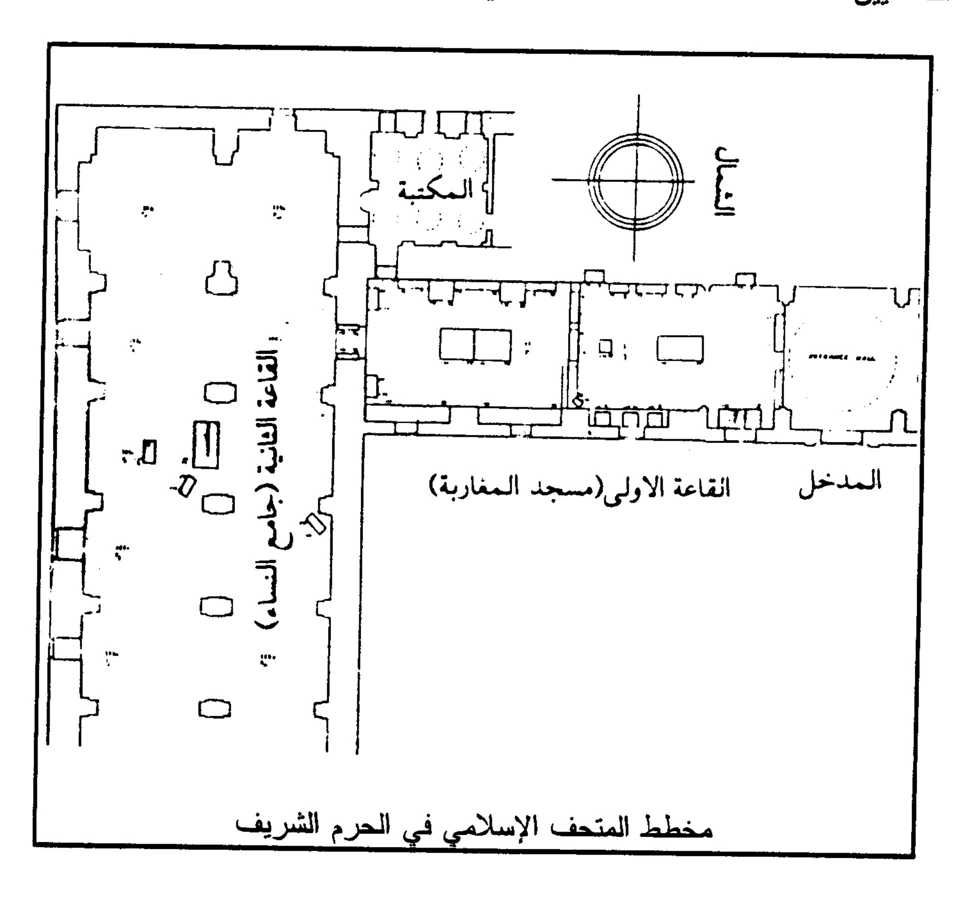
المعالم التاريخية

اقام المجلس الاسلامي الاعلى [٣] في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد الاقصى هذا المتحف الاسلامي سنة ١٩٢٣ في بناء صليبي مكون من قاعتين. يعود هذا البناء الى القرن الثاني عشر، استعمل فرسان الهيكل [٤] الصليبيون احدى قاعتيه للطعام والاخرى ككنيسة. [٥] والباب في نهاية المتحف هو مدخل قاعة الطعام ويعود تاريخه الى سنة ١١٦٠.

وبعد فتح القدس حول الملك الافضل بن صلاح الدين الايوبي في حوالي عام ١١٩٤ القاعتين الى جامعين. جامع يتجه نحو الشمال الى الجنوب، وفيه المدخل من جهة الشرق وكان مسجدا للمغاربة [٦] تمّ بناؤه في عهد المماليك

* الأب لويس حزبون، دكتوراه في اللاهوت، راعي كنيسة اللاتين في الطيبة (رام الله) ومدرس في إكليريكية اللاتين - بيت جالا.
مقال في مجلة اللقاء، السنة العاشرة، العدد ٣، ١٩٩٥.

ورمم في العهد العثماني. والقاعة الاخرى تتجه من الشرق الى الغرب ويشكل الجزء الغربي من جامع النساء [٧] وعنه قال مجير الدين: "وقد خبرت انه من بناء الفاطميين". [٨] اما المدخل والجزء الرئيسي من القبة فيعود تاريخهما الى ١٨٧١.



مخطط المتحف الإسلامي في الحرم الشريف

محتويات المتحف

يعرض هذا المتحف الاثار الاسلامية التي تبرز حضارة الفن الاسلامي بشكل منهجي. وقامت السيدة آن سورا بوضع بطاقات لمعروضات المتحف بين ١٩٧٨-١٩٨٠. نبدأ بالتجوال في القاعة الاولى ثم ننتقل الى القاعة الاخرى.

القاعة الاولى

تعرض في القاعة الاولى بعض الاواني والاغراض التي تستخدم للاحتفالات في المسجد. ونشير الى زجاجيات معظمها تعود الى فترات بيزنطية واسلامية مبكرة واهم قطعة زجاجية هي قنديل زجاجي "مشكاة" مموه ومطلي بالميناء من القرن ١٣-١٤ كان يزين مدافن الآباء في الحرم الابراهيمي في الخليل مكتوب على رقبته باللون الازرق: 'انما يعمر مسجد الله من امن بالله واليوم الآخر" (٩) وعلى قاعدته كتب: "برسم مدرسة المقر العالي المولوي الاميري السيفي تنكز كافل الممالك الشريفة بالشام المحروسة' (خزانة رقم ٢). وهناك مجموعة صغيرة من الزجاج الروماني والخزف القديم كما توجد طغراء (١٠) السلطان محمود في القرن التاسع عشر على بلاطات مختلفة كما يحتوي المتحف على مجموعة اسرجة فخارية ترجع الى فترات اسلامية مختلفة معظمها يعود للفترة الايوبية (خزانة رقم ٣).

وتعرض مجموعة من المباخر النحاسية اهمها مبخرة مطعمة بالفضة والذهب قدمها السلطان الظاهر محمد بن سعيد (١٤٣٨-١٤٥٣) الى المسجد الابراهيمي في الخليل كما تشير الكتابة عليها: "اوقف هذه المبخرة الملك السلطان محمد ابو سعيد حرسه الله على مقام الخليل عليه السلام". وحولها قناديل نحاسية من القرن ١٤-١٩ (خزانة رقم ٥). وهنالك ايضا مجموعة اخرى من مباخر وحامل بخور من النحاس من القرن ١٨-١٩ وقماقم من النحاس للماء المعطر (خزانة رقم ٩). ويوجد ايضا مجموعة من المباخر الفضية وحاملات بخور وشمعدانات فضية أوقفها السلطان محمود الثاني عام ١٨٨٧-١٨٨٨ (خزانة رقم ١١). ويصف سبت ابن الجوزي في مخطوط يعود الى عام ١٢٥٦ بان الخدام يوضعون البخور في مجامر الذهب والفضة ... وترخى السدنة الستور فيستدير البخور على الصخرة كلها فتعبق بالرائحة (١١). وفي مخطوطه يعرض قفلان حديديان واسرجة زيتية نحاسية وقالب لصناعة المجوهرات (خزانة رقم ١٠).

وهناك ايضا مجموعة من الاسلحة والبنادق والمسدسات وحاملات الكحل وخناجر ذات مقابض مزخرفة والبلطات والسيوف مصنوعة من الفولاذ المرصع (المدمشق) واقدمها سيف يرجع الى عام ١٣٨٣ مصنوع في ايران مكتوبة عليه نصوص شعرية وادعية. (خزائن رقم ٦،٧) واسلحة نارية على الصوان ومسدسات نارية من القرن ١٧-١٨ (خزانة رقم ٨).

وهناك ادوات فلكية: اسطرلاب نحاسي من القرن ١٩ ومحابر من القرن ١٧ واختام مختلفة الاحجام والاشكال معظمها يعود الى القرن التاسع عشر: منها يحمل لائحة لتأشيرة دخول للاماكن المقدسة في القدس والخليل، وختم آخر يحمل اسماء الملائكة: عزرائيل وجبرائيل، ومخائيل واسرافيل. وختم يحمل اسماء الله وعيسى ومريم، وختم يحمل احدها الآية القرآنية: "اذ قال الله ياعيسى ابن مريم، اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس" (خزانة رقم ١٢) [١٢].

وهنا ايضا مجموعة من الشمعدانات النحاسية المطعمة بالزخارف من القرن ١٤ واقدمها مضلع الجوانب ومطعم بالفضة يرجع الى القرن الحادي عشر وعليه النص: "عز لمولانا الملك المالك العالم العادل المؤيد المظفر المنصور ناصر الدين قطب الاسلام والمسلمين ارتق ارسلان ابن ايل غازي ابن ارتق ظهر امير المؤمنين دام الله ظله وعز نصره" (خزانة رقم ١٣).

وهناك مجموعة من النقود النحاسية والفضية والذهبية، تعود لفترات تاريخية مختلفة، قسم منها يعود لفترة ما قبل الاسلام: الفترة الساسانية [١٣] والبيزنطية، والقسم الاخر يغطي الفترات الاسلامية التالية: الفترة الاموية (٦٦٠-٧٤٩) والعباسية (٧٥٠-٩٦٩) والطولونية (٨٥٨-٩٠٥) والاخشيدية (٩٣٤-٩٦٨) والفاطمية(٩٦٩-١٠٧١) والزنكية (١١٢٧-١٢٢١) والايوبية (١١٨٧-١٢٤٧) والمملوكية (١٢٤٧-١٥٦٧) والعثمانية (١٥١٧-١٩١٧) خزانة رقم ١٤).

وهناك مجموعة من المصاحف الشريفة من اوقاف الملوك (١٤) الى مسجد الاقصى وقبة الصخرة او بعض المدن الفلسطينية مكتوبة على ورق صقيل او جلد غزال او ورق البردى بأنواع الخطوط المختلفة: الكوفي والثلث والمغربي والنسخي. وقد بلغ عددها حوالي ٨٥٠. اقدمها يرجع الى القرن ٨-٩ [١٥] مكتوبة على ورق غزال بالخط الكوفي الابيض او المذهب (الثلث)، يعتقد ان الذي كتبه هو محمد بن الحسن بن الحسين ابن بنت محمد، رسول الاسلام. قام بوقفها الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب، (خزانة رقم ١٥).

وبعضها من عهد المماليك فهناك صندوق مصحف مغطى بالجلد ومزخرف بالفضة المطلية بالميناء الزرقاء يتكون من ثلاثين جزءا مكتوبة بالخط المغربي على ورق غزال اهداها الى المسجد ملك المغرب عبد الله بن عبد الحق عام ١٣٤٤ (خزانة رقم ١٧) وهناك مصحف مكتوب بخط مغربي على رق غزال من عام ١٢٥٠ (خزانة رقم ١٦) وتشكل المصاحف العثمانية اكثر من ٦٠٪ من مصاحف المتحف نذكر صندوق مزدوج من الخشب المدهون والمزخرف يحتوي على مصحف شريف كامل من ثلاثين جزءا مكتوب على ورق قدمه السلطان مراد خان الثالث بن السلطان سليم ١٥٩٢ (خزانة رقم ١٩). واما اهم المصاحف المكتوبة بالخط النسخي فهي: مصحف شريف كامل اهداه السلطان بايزيد بن السلطان سليمان (١٥٥٧)، ومصحف اهداه السلطان سليمان القانوني بن السلطان سليم (١٥٩٠) (خزانة رقم ٢٠). واما أكبر المصاحف حجما فهو مصحف مكتوب بخط الثلث على ورق صقيل اوقفه الملك الاشرف سيف الدين برسباي (١٤٢) وقياساته ١١٠×٩٠ سم وسمكه ١٥ سم، (خزانة رقم ٢٦) واصغرها حجما وثيقة ربعة كتبها عمر الدنف للشيخ عبد نائم الليل وقياسها ١٧،٥×١١ سم (١٨٨١) (خزانة رقم ٢٥) كانت تستعمل في المسجد الاقصى وقبة الصخرة. [١٦] ومعروض ايضا كرسي مصحف من الخشب الغامق، مطعم بعرق اللؤلؤ والعاج والخشب، اهداه انور باشا (١٩١٢-١٩١٣) (خزانة رقم ٢١).

ويعرض المتحف ايضا مجموعة من الرسائل منها في العربية مكتوبة على ورق البردي من القرن ٩-١٠ ورسالة صليبية باللغة الفرنسية ارسلها عام ١١٨٤ قائد فرسان الهيكل جرارد دي فورت Gerard de Ridefort الى المعلم ايد دي فردوم Eudes de Verdome بالقدس الشريف، ومخطوط من القرن التاسع عشر من جلد الحوت طوله متران مكتوب عليه دعاء الى الباري عز وجل وتوسلات وادعية من سورة الاخلاص (خزائن رقم ٢٣).

وعلاوة على ذلك يحتوي المتحف على ٩٠٠ وثيقة من عهد المماليك معروض بعضها، منها الوثائق التي تتعلق بمنح او هبة من عام ١٣٠٢ ومحضر قضائي عام ١٣٠٤ ومرسوم بتعيين قارىء للقرآن في قبة الصخرة (١٣٨٧) وجلود مصاحف مزخرفة ومطلية بالذهب من القرن (١٤-١٧) (خزانة رقم ٢٤).

وعلى مدخل القاعة الثانية يعرض ثوب من الحرير من القرن ١٨ مزخرفة اطرافه بحرير آخر ذي لون ذهبي وزوج من الاحذية الخفيفة المخملية مطرزة بخيوط ذهبية وفضية كانت لاحدى زوجات يعقوب باشا الحاكم التركي في القدس عام ١٨٣٠ (خزانة رقم ٢٨). واما في الخزانة المقابلة (رقم ٢٩) فهناك عباءة صنعت من قطع صغيرة من المخمل للنسيج تخص احمد الخليلي من القرن ١٨.

اما القاعة الثانية فتحتوي على مجموعة من الاغراض والمواد التي اخذت من المسجد الاقصى او قبة الصخرة لدى الترميم عبر العصور نذكر اهمها: مجموعة من تيجان الاعمدة بيزنطية واسلامية مبكرة وصليبية، والواح خشبية من السرو كانت تزين المسجد الاقصى في القرن ٨، ودعائم او عوارض مصنوعة من خشب السرو كانت تسند سقف مسجد الاقصى في القرن السابع الى عام ١٩٤٨. ويبلغ عددها ١٠٠ قطعة باحجام وزخارف مختلفة ذات اصول بيزنطية ويعود بعض قطع الاخشاب الى العصر الفاطمي كما تبيّن الكتابة عليها بالخط الكوفي.

وهناك بعض الفنون المصنوعة من الحجر او الجص وهناك هلال نحاسي كبير جدا رفع عن قبة الصخرة عام ١٩٦١ وهلال آخر رفع عام ١٨٩٩، وبقايا المنبر الكبير للمسجد الاقصى صنع من خشب الارز، العاج وعرق اللؤلؤ عام ١١٧٨ حرق عام ١٩٦٩.

ومن العصر الصليبي شمعدانان كبيران من الحديد مصنوعان في فرنسا من القرن ١٢، وهناك افريز من الحجر المحفور وردت من كنيسة فرسان الهيكل الصليبية (حاليا محراب زكريا) في المسجد الاقصى. ودرابزين حجري من العهد الصليبي بقي فوق محراب الاقصى حتى نهاية القرن ١٩. وتعرض في وسط القاعة قطعة من حاجز حديدي مزخرف وهو من صنع فرنسي وضعه الصليبيون في القرن الثاني عشر حول الصخرة المشرفة التي اشادوا عليها مذبحا لاقامة الاحتفالات الدينية وذلك لحماية الصخرة من الحجاج الذين كانوا يقتطعون اجزاء منها كتذكار لزيارتهم. وصف الهروي هذا الحاجز بقوله: "وهذه الصخرة رأيتها في زمن الفرنج شمالي هذه العتبة ودايرها درابزين من الحديد كالبيت" [١٧] وبقي الحاجز في قبة الصخرة الى سنة ١٩٦٠.

ومن العصر العثماني نجد التحف التالية معروضة: ثريا من البرونز والكرستال وقفها السلطان عبد الحميد عام ١٨٧٦ وزوج من الشمعدانات البرونزية وقفها الى قبة الصخرة السلطان عبد الحميد خان ١٨٨٥ كما تشير الكتابة عليها. وهناك ستة ابوب خشبية تمثل ابواب الصخرة المشرفة حتى اوائل الستينات كما تشير احد النصوص عليها. وهي مغطاة بصحائف النحاس المزخرف اهداها السلطان المملوكي قايتباي Qatbay (الاشرف سيف الدين) عام ١٤٦٧، واما الكتابة الموجودة في اعلى الابواب فهي من عهد السلطان سليمان القانوني التركي عام ١٥٦٤.

ويضم المتحف بعض السجادات وقطع نسيج تبلغ اربعين وبعضها مكتوب عليها آيات واسماء السلاطين او الولاة العثمانيين الذين اهدوها للمكان تقربا لله ومن اجل الثواب. وقد نقلت الى المتحف من مدينة الخليل في سنة ١٩٢٧. ومجموعة من الطنافس والبسط والاواني الاسلامية القديمة.

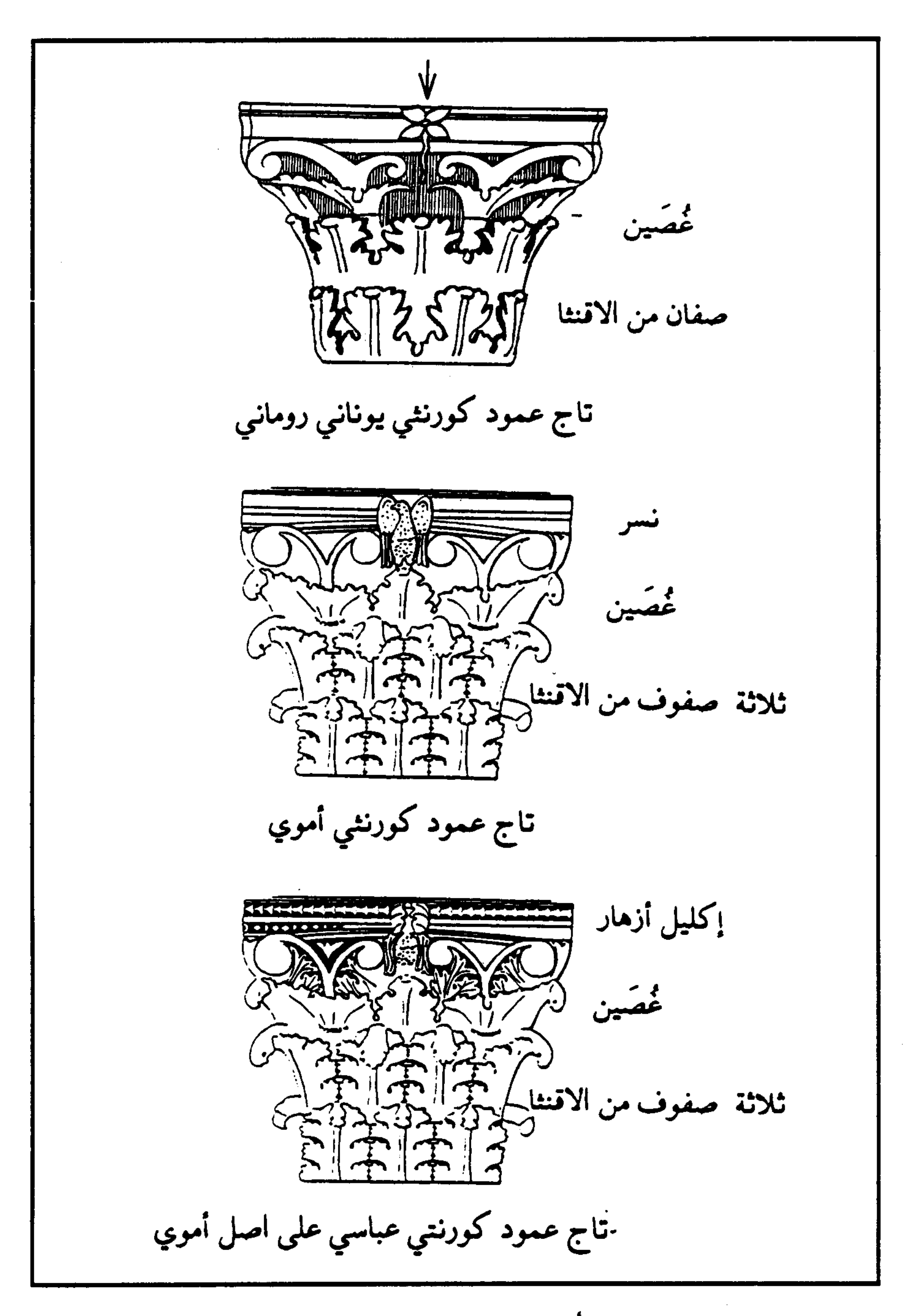
وهناك معروضات اخرى تعود الى العصر الاسلامي الحديث في القدس ونذكر منها اواني الطبخ الكبيرة (قدر) التي كانت تستخدم لطهي الطعام للفقراء في القدس وتعود الى القرن الثامن عشر. وقد صنعتها روكسلانة زوجة السلطان سليمان القانوني، اكبرها حجما قطره ١٣٥ سم وارتفاعه ٨٤ سم. وعلى احدى القدور كتابة باللغة الارمنية هذه نصها: "هذه القدر مقدمة من طرف المسؤول من اعترافات النساء الاب بطرس، من مدينة حوكة [١٨] عن روح والديه وعمه مركاد، وعن جميع الاهل، وهو اهداء الى كنيسته مار يعقوب في القدس وكل من يقرأ هذه الكتابة فليستغفر لنا ١٧٦٧". وهناك ايضا مغرفتان من النحاس طول الواحدة ١٠٠ سم وعلى كل منها نص: "وقف والدة سلطان محمد قدس مبارك".

وهناك مدفع من القرن التاسع عشر كان يستخدم لاعلان بداية ونهاية كل يوم من ايام شهر رمضان. [١٩] وبقربه عوارض خشبية منحوتة مزينة بالرسومات الهندسية والزهور وقبة مئذنة يعلوها الهلال تعود الى المسجد الاصلي في القرن الثامن.

وتعرض في المتحف عشرات الرقوم الحجرية بالخط الكوفي تعود الى فترات اسلامية مختلفة ومنها ما يرجع الى اوائل القرن الرابع الهجري جمعت من المدن

الفلسطينية سواء كانت تسجيلا لحادثة، او تخليدا لذكرى او شواهد قبور ونشرت عدة دراسات عن هذه النقوش.[٢٠] نذكر منها: قاعدة عامود اعيد استعمالها كنقش لتعمير سور القدس على يد الامير علاء الدين كندي (النوباني) الناصر في ايام السلطان سيف الدين قلاوون ١٢٩٠، وشاهد قبر من الرخام للامير عز الدين ابو الهيجا بن حسين الظاهري توفي ١١٩٣، ونقش من الرخام للسلطان قايتباي يبطل به ما احدث من المظالم بجبل القدس والخليل واعفاء البضائع من الضرائب. ونقش كوفي باسم المقتدر بالله ٩٠٩. ونقش كوفي في ذكرى بناء المسجد عام ١٠٩٠. وقطع من اطار قبة الصخرة عليها كتابة كوفية تذكر ترميم القبة على يد ابي الحسن على الظاهر عام ١٠٢٣، ونقش تذكاري في ترميم السدة الموجودة في قبة الصخرة في ايام السلطان برقوق والذي قام بذلك هو الاشرف العلائي الطنبغا الجوباني عام ١٣٨٧، ولوحتان تذكاريتان لاعادة بناء الباب الغربي لقبة الصخرة وزخرفته بالقاشاني في عهد عبد الحميد الاول عام ١١٩٥.

وهناك بقايا من الفسيفساء كانت تغطي الجزء الخارجي لقبة الصخرة في القرن الثامن الميلادي (خزانة رقم ٣٣) وبلاط قبة الصخرة في الفترة الاولى والثانية والثالثة والرابعة. يحتوي المتحف ايضا على مجموعة ثمينة من الخزف القاشاني النفيس، الذي وضع في عصر السلطان سليمان القانوني على القسم الاعلى من مثمن الصخرة المشرفة وعليه بداية كتابة طويلة من الآخر "البلاط" مكتوبة بخط ثلث وهي جزء من القرآن "سورة يس، ١٣" وردت من المثمن الخارج لقبة الصخرة في القرن ١٦ الميلادي ورفعت خلال الترميم سنة ١٩٦٤. وهناك ايضا لوحتان نحاسيتان مزخرفة بزخارف بارزة مكانهما الاصلي في عتبات المدخل الغربي لقبة الصخرة في القرن الثامن.



تيجان أعمدة في رحاب الحرم القدسي

واما تيجان الاعمدة المعروضة امام مدخل المتحف وفي رحاب الحرم فيعود تاريخها من عام ١٣٨ الى عام ١١١٨. ومن هذه الاعمدة: ٤٪ رومانية، ٧٥٪ بيزنطية الاصل، ٩٪ اموية، و٣٪ تقليد فاطمي للبناء العباسي. [٢١] ومعظم هذه الاعمدة مصنوعة من الرخام وكانت تزين المسجد الاقصى وقبة الصخرة قبل ترميمها عام ١٩٤٠. وقد قام جون ولكسون بدراستها. [٢٢]

وتقسم تيجان الاعمدة الى كورنثية واخرى على شكل سلة. والشكل الاخير مألوف عند المسيحيين. كانت السلة مرتبطة اصلا بعيد الحصاد عند اليهود. وكان المزارعون الاغنياء يقدمون تقدماتهم الى الهيكل في القدس في سلال ذهبية. [٢٣] وتبنى المسيحيون هذا الرمز لتمثيل تقدمة الطيبات على الارض، لذا في بعض التيجان كانوا ينحتون حملانا في السلة كرمز التقدمة. [٢٤] وهناك بعض الكائنات الحية الاخرى مثل الملائكة علما بان الملائكة هي شهود الذبيحة على الارض وفي السماء على حد سواء (طوبيا ١٢/١٢) وأحيانا كانت الكائنات خلائق مجنحة ورد ذكرها في الكتاب المقدس، وصورا بشرية اسودا و ثيرانا [٢٥] ونسورا ويحسبونها من سكان السماء في المفهوم المسيحي. وكانوا ينحتون الحيوانات والعصافير احيانا وحدها من غير سلال وهذا يرمز الى الملائكة الحاضرة في الكنائس التي تشهد على الصلوات التي ترفع الى الله.

وقبل الاسلام كان استخدام تماثيل الحيوانات او العصافير التي تمثل خدام السماء شائعا، ولم يكن هناك أي خطر في عبادتها. (قرآن). فكانت الاسود تمثل خلائق سماوية ليس فقط عند اليهود [٢٦] او المسيحيين [٢٧] بل ايضا عند الانباط. [٢٨] واتخذ المسيحيون احيانا بدل الاسود صور الغرفين (حيوان خرافي نصفه نسر ونصفه اسد) [٢٩] والقنطور او الظلمان (كائن خرافي نصفه رجل ونصفه فرس) وهي مقتبسة من الاساطير اليونانية لتمثيل الخلائق السماوية. واستعمل الفرس هذا الرمز في مجامعهم (قصوين واشتاخر) منحوتة على التيجان مع الثيران. وفي تيجان الحرم القدسي حذفت تماثيل الحيوانات او استبدلت باوراق نباتية او اكاليل ازهار.

ويضم المتحف مكتبة تحوي وثائق باللغة العربية باستثناء ثماني وعشرين وثيقة كتبت باللغة الفارسية وهي مصدر تاريخي هام للقدس وفلسطين تحت حكم المماليك تدور حول مراسيم، عرائض، مطالعات، ممتلكات، تسجيلات أراضٍ، عقود زواج، عقود تمليك، وصايا ... كتبت بعضها على الرقوق، وبعضها الاخر على الورق. وقام بدراسة الوثائق امل ابو الحاج ونورتوبو دونالد لتل [٣٠] ، وهناك خرائط للابنية الاسلامية، ولكن هذه القسم غير مفتوح للجمهور الا بتصريح خاص.

ويمكن زيارة المتحف كل ايام الاسبوع ما عدا يوم الجمعة من الساعة ٩-١٦ ما عدا شهر رمضان من الساعة ٩-١١. ان الزيارة تساعد على معرفة الحضارة الاسلامية في القدس ومدى تتطورها الى ان وصلت الى يومنا هذا.

المراجع

١. وعدا هذه المتاحف تعد فلسطين بحد ذاتها متحفا كبيرا للأثار غير المنقولة.

٢. مروان ابو خلف، "المتحف الاسلامي تاريخه ومحتوياته"، ورقة عمل، عمان ١٩٨٠.

٣. تأسس المجلس عام ١٩٢٢ لادارة المحاكم الشرعية والاوقاف والشؤون الاسلامية. وعين المندوب السامي البريطاني الحاج محمد أمين الحسيني رئيسا له واضمحل هذا المجلس مع اقالة رئيسه عام ١٩٣٧. انظر بيان المجلس لسنة ١٩١٢-١٩٢٢، ١٣:٧، ولسنة ١٩٢٣-١٩٢٤، ٣٤:٣٥.

٤. جمعية فرسان الهيكل (Templers): تأسست هذه الجمعية في بيت المقدس في القرن الثاني عشر. وسميت بهذا الاسم نسبة الى مقر قيادتهم في (Templum Solomonis) أي "معبد سليمان"، وهو جانب من المسجد الاقصى حوله الصليبيون الى كنيسة. وانيطت بفرسان الهيكل مهمة حماية الحجاج في طريقهم من الموانىء التي رسوا فيها الى الاماكن المقدسة في القدس ومنها الى موقع المغطس على نهر الاردن.

٥. ذكر عماد الدين الاصفهاني "ان الصليبيين كانوا قد بنوا من غربي القبلة دارا وسيعة، وكنيسة رفيعة". عماد الدين الاصفهاني، الفتح القسي، ١٨، راجع ايضا شهاب الدين المقدسي، **الروضتين**، ج٢، ١١٠٧.

٦. قال مجير الدين: 'ويظاهر الجامع من جهة الغرب في صحن المسجد مكان يعرف بجامع المغاربة، وهو مأنوس مهيب، وفيه صلاة المالكية، والذي يظهر انه من بناء عمر بن الخطاب' مجير الدين الحنبلي، **الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل**، ج ٢، بيروت ١٩٧٣، ١٥-١٦.

٧. Guy Le Strang, *Palestine under the Moslems*, Beirut 1965, 107.

٨. مجير الدين الحنبلي، **الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل**، ج٢، بيروت ١٩٧٣، ١٥-١٦.

٩. سورة التوبة، ١٧.

١٠. علامة كانت ترسم على المناشير والمسكوكات السلطانية والعامة تسميها الطرة (تركية).

١١. A. Elad, *"Why did Abd Al-Malik build the Dome of the Rock? A -Reexamination of the Muslim Sources"*, in J. Raby-J.Johns, Bayt Al Maqdis, Oxford 1992, 55.

١٢. سورة المائدة رقم ١٠٩.

١٣. الساسانيون: سلالة فارسية ملكت ٢٢٦-٦٥١. اسسها اردشير الاول، واشهر ملوكها: شابور الاول وشابور الثاني وكسرى انو شروان.

١٤. راجع ما ورد في المصحف رقم ٨.

١٥. الى اواخر القرن الثاني للهجرة.

١٦. نظمي الجعبة، "**فن كتابة المصحف الشريف وتجمله**"، في مجلة هدى الاسلام ٦ (آذار ١٩٨٤)، ٣٠-٤٥.

١٧. علي بن ابي بكر الهروي، **الاشارات الى معرفة الزيارات**، ١٩٥٣، ٢٦.

١٨. حركة تقع في منطقة فان في ارمينيا - تركيا.

١٩. -N. Rosovsky, J.U. Mayenson, *The Museums of Israel*, New York 1989, 51 52.

٢٠. كامل العسلي، **نقوش القدس العربية**، في مجلة الدراسات ٣، (١٩٨٥) ١٧١ - ١٨٧.
M.van Berchem, *Corpus Inscriptorum Arabicum*: Jerusalem Haram, Le Caire 1925-1927.

٢١. J.Wilkinson, *Column Capitals in the Haram Al-Sahrif*, in J. Raby-J.Johns (ed.), *Bayt-al Maqdis*, Abdal-Malik's Jerusalem, Oxford 1992, 125.

٢٢. J. Wilkinson, *Column Capitals in Al-Haram al-Sharif*, Jerusalem 1983.

٢٣. Philo Judacus of Alexandria, *De Specialibus Legibus*, 12 vols, London 1937, 215-216, vol. II, 440-430, Mishna, Bikkurim 3, 3-8.

٢٤. خروج ٣٨/٢٩، يوحنا ٢/١٠، بطرس ١٩/١.

٢٥. M. Dothan, *Early Synagogues and the Hellenistic and Roamn Remains*, Jerusalem 1983, pl.9, 2.

٢٦. تمثيل الاسود على كائنات ملائكية نجدها في مجمع حمات طبريا M. Dothan, *Early Synagogues and the Hellenistic Roman Remains*, Jerusalem 1983, pl. II.

٢٧. J. Beckwith, *Early Christian and Byzantine Art*, 2nd ed Harmondsworth 1979, fig 18, p. 34.

٢٨. A.Jaussen - R.Savignac, *Mission Archeologique en Arabie*, 3 vol. Paris 1909-1922, vol III, fig 119.

٢٩. الغرفين في التمثيـــــل اليهــــودي راجـــع E.R. Goodeneough, *Jewish Symbols in the Greco-Roman Period*, 13 vols, New York 195301968, fig 461.
واما التمثيل المسيحي راجع: C. Mango, *Byzantine Architecture*, New York 1976, fig: 70,69

٣٠. L.S. Northrup-A Abul-Hajj, *"A Collection of Medevila Arabic Documents -in the Islamic Museum at the Haram al-Sharif"*, in Arabica 25(1979) 282 291; D.L. Little, *"The Significance of the Haram Documents for the Study of Medieval Islamic History"*, in Der Islam 57 (1980) 189-217; D.P. A Catalogue of the Islamic Documents from Al-Haram al-Sharif in Jerusalem, Beirut 1984.

رقوم المسجد الاقصى في القدس

ودورها في فنون العمارة ومكاتلتها في الحضارة العربية

يونس عمرو*

مقدمـــة

لا شك في أن الكثير من المنجزات الإنسانية قد ضاعت في غياهب الزمن الغابر، قبل أن يبتكر الإنسان الكتابة، ويسجل أحداث حياته، ويخط ما يصور خواطره وفكره، بمعنى أن الوجود الإنساني على هذه الأرض، يعتبر من المجهولات التامة قبل عصر الكتابة، مات هذا الوجود بموت أصحابه واندثارهم . ومن هنا يأتي دور الكتابة في تخليد الإنسان وجهوده، مما قدر له ان يسجل ويحفظ في ضمير الحضارة الإنسانية، لتطلع عليه الأجيال المتعاقبة، فتحكم على هذا الجيل أو ذاك، وهكذا دواليك، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولما كانت الرقوم العربية، من أهم الوسائل والألوان الحضارية التي أمكن للعرب من خلالها أن يحافظوا على تراثهم ويرسخوا وجودهم الحضاري والإنساني بين الأمم، نتوجه الى هذا اللون أو هذا الأسلوب بالدرس في هذه الورقة، متخذين من رقوم المسجد الأقصى في القدس، نموذجاً بل دليلاً على الوجود العربي والإسلامي في هذه المدينة المقدسة والذي يتعاقب باتصال مستمر، كما تبرزه هذا الرقوم، علماً

* يونس عمرو، دكتوراه في اللغة العربية واللغات السامية، عضو مجلس أمناء مركز اللقاء، مدير جامعة القدس المفتوحة – فرع الخليل، ونائب رئيس الجامعة للشؤون الادارية، كما أنه رئيس مجمع اللغة العربية الفلسطيني ونائب رئيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين. محاضرة في الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

بأن هذا لا يظهر في رقوم المسجد الأقصى فحسب، بل يظهر في أرجاء بيت المقدس كافة، في مختلف المواقع والجهات، من العمائر الى الشوارع، الى المرافق، حتى المقابر، هي الاخرى تعتبر سجلات تاريخية خالدة على الزمن .

قبل الحديث على الرقوم، فان من المفيد التطرق الى التعريف بها، والتأريخ لخطوطها والمواد التي استخدمت فيها، ودورها في مجالات الحضارة والعمران والتراث والثقافة .

معنى الرقوم ومفهومها

الرقوم جمعُ مفردة (رَقم)، وهو مشتق من الفعل (رَقَمَ)، ومنه الرقم والترقيم، بدلالة أولى وهي التعجيم، فيقال: "رَقَمَ الكتابَ". أي أعْجَمَهُ، وأظهر حروفه بعلامات التنقيط . ثم خرجت هذه المادة بدلالتها الى معان مجردة، لتدل على مطلق الكتابة، كما ورد ذلك في النصوص القديمة، إذ قال الشاعر:

> سأرقُمُ في الماءِ القراحِ اليكُمُ عَلَى بُعدكُم، إن كان للماءِ راقِمُ

استخدم الشاعر في هذا البيت الفعل: (سأرقم)، بمعنى: (سأكتب)، وصيغة اسم الفاعل: (راقم)، بمعنى: (كاتب)، بل إن هذا الصيغة استخدمت في النصوص بالنون بدلاً من الميم (راقن)، ومما قيل: "دار كرقم الكاتب المرقن".

فالمرقن هنا صفة للكاتب المحسن في كتابته . واستخدمت هذه المادة للدلالة على اختتام الكتابة، كما في القرآن الكريم، قال تعالى: "كتابٌ مرقوم" . (سورة المطففين، الآيتان ٩و٢٠) . أي أن هذا الكتاب مختوم، أي انتهت كتابته . وقد أورد القرطبي في هذا المقام عبارة لطيفة هي: (فقال: "كتابٌ مَرقومٌ" . أي كتاب كالرقم في الثوب . لا يُنسى ولا يمحي) . (القرطجي، ج ١٩ ص٢٥٨)

ومما قاله أهل اللغة أيضاً: ان كلمة: (مرقوم)، بمعنى: (مختوم)، انما هي لغة حمير، وأصل الرقم الكتابة . (ابن منظور، مادة: رقم) .

إن هذه المادة خرجت أيضاً عن أصل الدلالة على الكتابة، لتدل على الكتابة الفنية الجميلة، التي يقصد من ورائها العمل الفني الجمالي، فيما يصلح لهذا النوع من الكتابة من المواد والخامات، فهي تدل على التطريز والوشي في القماش، ولقد وصفت السماء بهذا القول: "سَقْفُ سَائِرٌ ورَقِيمٌ مَائِرٌ" بمعنى أن السماء مُوشاة بالنجوم كالثوب . (ابن منظور، مادة: رقم) .

الرقوم العربية في التاريخ

لا تخرج الرقوم العربية بأنواعها عن دائرة المخطوطات العربية، من حيث كونها تسجل أحوال ماض يفترض أنه متصل الحلقات بحاضر قائم، وذلك ما يتخذ دليلاً على استمرار العطاء الحضاري الإنساني، هذه الرقوم، في أشكالها وموضوعاتها، إنما تقدم معرفة بعصورها، فضلاً عن القيم الجمالية والفنية الكامنة في خطوطها وعناصرها، فهي مما حرص الفنان العربي على إدخاله في عناصر فنون الزخرفة العربية والإسلامية، في ميادين الفنون المختلفة، وأهمها العمران .

بدأت الرقوم العربية بالنقوش الحجرية، التي عثر عليها مبعثرة في مختلف أنحاء بلاد العرب، وبخاصة في المراكز الحضارية العربية القديمة، في الجنوب وفي الشمال، وعلى طرق القوافل التي كانت تربط جنوب الجزيرة العربية بشمالها، وببلاد الهلال الخصيب، تلك النقوش التي لم يكن من أهداف أصحابها الذين تركوها، إظهار إبداع فني أو إبراز قيم جمالية، بل كان هدفهم الرئيس أو ربما الوحيد، تسجيلاً أو توثيقاً لحادثة جرت، أو لمعاملة بيع أو شراء، أو تخليداً لذكرى، ويدخل في ذلك صكوك البيع أو التملك، أو وثيقة تسجيل لحادثة أو شاهد قبر، ومن هذه النقوش، النقوش الثمودية واللحيانية والصفوية، وغيرها، تلك النقوش التي حظيت باهتمام الباحثين المستشرقين منذ القرن الماضي، وتبع خطاهم بعض الباحثين العرب . (يونس عمرو، لمحات في فقه اللغة العربية، غير موضع) .

أما الرقوم التي نحن بصددها، فقد حظيت بادىء الأمر بإهتمام المستشرقين، الذين منهم، السويسري فان برشم، والذي جمع عدداً وافراً من الرقوم العربية الإسلامية، من تلك المثبتة في العمائر في أنحاء مختلفة من سوريا وفلسطين ومصر،

واودعه في كتابه: "جامع الكتابات العربية". ومنهم تلميذه جاستون فييت، في كتابه: "السجل التاريخي للكتابات العربية". وقد ضمنه كل ما وصل اليه علمه من النصوص العربية ورقومها في التحف والعمائر، في أنحاء مختلفة من العالمين العربي والإسلامي. ومنهم كذلك ليفي بروفنسال، في كتابه: "النقوش العربية الإسبانية". والذي ضمنه رقوماً من الأندلس . ومنهم أيضاً، مارسيه، وفلوري، وجان دافيد. (فوزي عفيفي، ص٣٣) . وحتى هذه الأيام لم تحظ الرقوم العربية الإسلامية بدراسات متخصصة من قبل الباحثين العرب، الا ما تطرق اليه بعضهم من الإشارات العابرة في كتبهم الخاصة بالتاريخ أو الفنون والآثار، وأما كتابنا: "رقوم المسجد الإبراهيمي في خليل الرحمن"، فيمكن أن نعتبره من بواكير هذه الدراسات العربية المتخصصة .

الرقوم العربية في الفنون

إرتبطت الكتابة عموماً في أذهان العرب، بالقرآن الكريم، الذي راحوا يتفننون في نسخه وتوثيقه، الى جانب الحديث النبوي الشريف، مما أدى بهم الى الاحساس بالمتعة الروحية في تذوق الخطوط، والإبداع في ابتكار طرزها وتطويرها على مر العصور، مما يصح معه القول: ان فنون الخط العربي، تتميز بطابع الأصالة الفنية، لكونه نبع من روح عربية خالصة، وتدرج في سبل التطور الفني محتفظاً بخصائصه العربية الإسلامية، بعيداً عن المؤثرات الأجنبية، حتى أصبحت النصوص التي كتبت كتابة فنية، تغلب فيها القيمة الجمالية على قيمة مضمونها، بل ان كتاباً من الكتب المرقومة بخط فني جميل، قد يصبح فنيّاً كنزاً ثميناً لخطه فقط .

وهكذا، فقد دخل الخط في فنون الزخرفة العربية الإسلامية، كعنصر مهم للغاية، بين سائر عناصر هذه الفنون، وكان من أسباب ذلك، تحرج الفنان المسلم من رسم أو تجسيد الإنسان والطير والحيوان حسب شريعة الإسلام، التي تكره تجسيد مخلوقات الله ذات الأرواح، مما اعتبر معه الخط كبديل في فنون الزخرفة والتزويق. وبهذا، فقد استخدم الخط في وحدات فنية مستقلة عن غيرها من الوان الزخرفة، وفي بعض الألوان، تداخل الخط بالوحدات الزخرفية، تداخلاً يصل الى

درجة التمازج، بين حروف الكلمة والعناصر الزخرفية المختلفة، النباتية والهندسية، وأحياناً الحيوانية - حين أدخلت العناصر الحيوانية الى الزخرفة الإسلامية في عصور متأخرة، كما في المدرسة الفارسية - حتى صار من الصعب التمييز بين الحروف وتلك العناصر، ومن ذلك أمثلة كثيرة يكتنفها الغموض من حيث الرسم والاختلاط، بحيث تصعب القراءة الى حد الاستحالة . (عبدالمنعم رسلان، ص ١٠٦) . لعل ما سبق ينطبق الى حد بعيد على الرقوم في العمارة العربية الإسلامية.

أما في النتاج الفني بعامة، والفنون التطبيقية بخاصة، فقد اتخذت الخطوط أشكالاً فنية تتوافق مع خامات ومواد وميادين استخدامها، كما في النسيج أو زخرفة المعادن والأخشاب، بحيث ابتكر الفنان العربي من الخط زخارف لا تمت للكتابة بصلة، كما هي الحال في اطر السجاد وغيره من المواد، كما أن المعادن زينت بالخطوط، وكفتت أي طليت الكتابة بمعادن ثمينة كالذهب والفضة، تمييزاً لها عن غيرها من عناصر الزخرفة .

ومن أساليب تنفيذ الكتابة؛ النحت في الحجر والجبص، كما دخلت الخطوط في فن التصوير العربي ضمن الرسوم والصور، ومادتها الألوان والأصباغ، لتستخدم في هذا اللون من الفنون وهي الخطوط، كل موارد وأساليب الفنون الزخرفية من التلوين والحفر، والفسيفساء، والقاشاني، والزجاج، وأقدم عمل فني عربي إسلامي ما زال ماثلاً يشتمل على كل هذه الأساليب، مسجد قبة الصخرة في المسجد الأقصى في القدس. والذي سنتحدث على رقومه في الآتي من هذه الورقة . لقد ظلت زخرفة العمائر العربية والإسلامية بالرقوم، سائدة على مر العصور، حتى أمكن اعتبارها حقلاً ثرّياً لدراسة الخط العربي وتطوره بطرزه المختلفة، الكوفي بأنواعه، والثلثي، والنسخي وغيرها .

لعلنا بهذه العجالة، قد بينا مفهوم الرقوم، وتاريخها في الحضارة العربية الإسلامية، ومكانتها في الفنون وأساليب ومواد تنفيذها، تمهيداً للحديث عليها في عمارة المسجد الأقصى المبارك .

الرقوم في عمارة المسجد الأقصى المبارك

سبقت الاشارة الى أن الرقوم استخدمت في مختلف ميادين الفنون والزخارف العربية الإسلامية، ومن بين ذلك فنون العمارة، اذ اسهمت الرقوم اسهاماً فاعلاً وبارزاً في تشكيل العمائر العربية الإسلامية، من خارجها وداخلها على حد سواء، وجاء هذا الإسهام من وجهتين، في تشكيل هيكل البناء من ناحية، وفي تزيينه وزخرفته من ناحية أخرى . وذلك خلال طابعي الرقوم المعروفين، الطابع الديني، والطابع التوثيقي، بحيث اتحد دور الفنان بدور المعماري، اتحاداً تاماً في نهج المعمار العربي الإسلامي بتكامل مطلق، قدم فيه الفنان نتاجه، ليُعتمد عليه في تنفيذ البناء، فكم من عمارة أو منشأة عملت في حجارة مداميكها أو خامات بنائها أيدي الفنان، زخرفة ورقماً بأساليب مختلفة، لتقدمها الى أيدي المعماري، التي تضعها في أماكنها في بدن المنشأة أو المعمار، متقيدة تماماً بالمطلوب الذي حدده الفنان قبلاً.

إن ما ينتج عن هذا التكامل ، ليعتبر بحق ميزة وخصوصية تميز العمارة العربية عن غيرها، فقد استغلت هذه الميزة استغلالاً ممتازاً في خصوصية الفنون الإسلامية، التي اعتمدت بشكل رئيس على العناصر النباتية والهندسية، باسلوب من المزج الدقيق والجميل، الذي عرف بفن (الارابسك)، كميزة من ميزات هذه الفنون . هذا الفن الذي دخلت فيه الرقوم بخطوطها العربية المتنوعة، دخولاً متناسقاً، أثبت الى حد كبير، قدرة الفنان العربي على الخلق والإبداع، بشهادة مبدعي الأمم في كل بقاع الأرض، والشواهد على ذلك تنتشر في أرجاء العالمين العربي والإسلامي، ومن انصع هذه الشواهد، عمائر مدينة القدس بعامة، وعمارة المسجد الأقصى على وجه الخصوص، بحيث لا تكاد تخلو عمارة من عمائر القدس، من رقم عربي ديني أو توثيقي، تثبت في الإطار العام، تواصل مسيرة هذه المدينة المقدسة الحضارية العربية الإسلامية، منذ أقدم العصور والى أيامنا الحاضرة .

ولما كان المسجد الأقصى المبارك، بكل محتوياته العمرانية، يشكل جوهر المدينة، فانه يصلح عنواناً لهذا الموضوع الحضاري، مما دفع بنا الى الاقتصار عليه في هذه الورقة، وتمشياً مع نوعي الرقوم العربية، الدينية والتوثيقية، فسوف ننهج في الحديث على رقوم المسجد حسب هذين النوعين:

أولاً: الرقوم الدينية

تركز هذا النوع من الرقوم في مسجد قبة الصخرة، وبأقل من ذلك عدداً في المسجد الأقصى ويقل اكثر في بعض القباب المنتشرة في باحات المسجد .

إن من أجمل هذه الرقوم، تلك الرقوم القرآنية التي تزين مسجد قبة الصخرة، من داخله ومن خارجه . فمن الداخل، يزين الرقم الدائري وسط القبة، وكلها مرسوم بماء الذهب . ويتضمن هذا الرقم "آية الكرسي"، التي تعتبر من أعظم النصوص القرآنية مكانة عند المسلمين، إذ يتبركون بها حيث يحرصون على ترديدها، فقلما تجد مسلماً لا يحفظها عن ظهر قلب .

ثم الرقم القرآني الثاني الذي يزين عنق القبة من الداخل، في شريط يدور حول العنق، فوق الأقواس التي تعلو صف الأعمدة التي تحمل القبة الداخلية، وهو رقم كتب بالفسيفساء المذهبة بخط نسخي جميل، تضمن سورة "طه" من آي الذكر الحكيم.

وكتبت سورة "النساء" بخط كوفي مذهب، فوق أقواس التثمينة الوسطى من خارج الأقواس التي تحت عنق القبة الداخلية، في رواق التثمينة المقابل للتثمينة الرئيسة، ويلتف على هيئة الشريط ..

أما الرقوم القرآنية الخارجية التي تزين هذا المسجد، فهناك افريز جميل كتبت فيه سورة "يس"، بخط ثلثي جميل على القاشاني الأزرق، بلون أبيض ناصع، ويدور هذا الافريز حول تثمينة المسجد الرئيسة في أقصى ارتفاعها . كما يوجد افريز قاشاني آخر، تضمن رقماً قرآنياً آخر، كتب بخط ثلثي جميل، يتضمن سورة الاسراء، ويلتف هذا الافريز حول عنق القبة الخارجي . كما توجد رقوم قرآنية اخرى كتبت بالقاشاني، تزين بدن التثمينة الخارجية للمسجد، ومنها: الرقم الذي يمتد بين البابين الشمالي والشرقي، ويتضمن قوله تعالى: "انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخروأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ الا الله فعسى اولئك أن يكونوا من المهتدين . اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين .

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون' . (الآيات ١٨ و ١٩ و ٢٠ من سورة التوبة).

وفي أعلى الباب القبلي لمسجد قبة الصخرة في القوس الذي يعلو الباب، كتب رقم قاشاني يتضمن قوله تعالى: "وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم . وقد يرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . ولأن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولأن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذاً لمن الظالمين". (من الآية ١٤٣، والآية ١٤٤، والآية ١٤٥ من سورة البقرة).

ان هذه الرقوم القرآنية القاشانية، كلها ترجع الى العهد العثماني. ان من الرقوم الدينية أيضاً، والتي تنتشر في بدن المسجد من خارجه وكتبت بالقاشاني، رقوم تضمنت أحاديث نبوية، نذكر منها المثبت فوق قوس الباب الشرقي وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم. أنا مدينة العلم وعلي بابها". والعبارة التالية: "لا اله الا الله ايماناً وصدقاً. تبقى لله الباقي". ومثلها عبارات من الادعية ولأحاديث، نكتفي بما ذكرناه .

وأما الرقوم الدينية في المسجد الأقصى، فهي قليلة مقارنة بمسجد قبة الصخرة. اذ يوجد تحت قبة المسجد من الداخل، وفوق الأعمدة التي تحمل هذه القبة، رقم قرآني كتب بخط الثلث المذهب، وقد تضمن قوله تعالى: " بسم الله الرحمن الرحيم. وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما بالعدل.. وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . انما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون" . (من الآيتين ٩ و ١٠ من سورة الحجرات) . كما يوجد هذا متفرقاً على ثمانية أجزاء، كل جزء فوق عمود من الأعمدة الثمانية التي تحمل القبة .

وهكذا، لو انك امعنت النظر في جنبات المسجد، فأنك ستجد نصوصاً قرآنية هنا وهناك، رقمت معظمها بالخط الثلثي، وهي في غالبيتها من سورة الاسراء، التي تذكر المسجد، وكما يوجد مطلع سورة الاسراء في مسجد صغير يعرف باسم مقام الاربعين، يقع الى الشرق من المسجد الأقصى . وبقربه شمالاً، يوجد ايوان صغير، فيه محراب يعرف بمحراب زكريا، كتب على جدار هذا المحراب الرقم القرآني التالي: "بسم الله الرحمن الرحيم . كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا. اذ نادى ربه نداءً خفيّا . قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقيا . واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا" . (الآيات ١-٥ من سورة مريم) .

وتوجد رقوم قرآنية في القباب والسبل التي تنتشر في باحات المسجد الأقصى، تسهم في زينة هذه القباب، التي يعتبر البعض منها آية من آيات فن المعمار الإسلامي، كقبة السلسلة التي تقع الى الشرق من مسجد قبة الصخرة، والتي كتب فوق محرابها قوله تعالى: "يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالعدل ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله". (من الآية ٢٦ من سورة ص). وهكذا، فقد اتخذت الرقوم الدينية مكانة مهمة في عمارة المسجد الأقصى، لتحقق الهدفين المرسومين لها في وجدان الفنان العربي المسلم، فقد ادت الكتابة دورها الجمالي الفني كاملاً، وهذا يفسر الاهتمام بها من حيث جمال ودقة الكتابة، والخامات المستخدمة فيها، والمواقع التي اختيرت لتثبت فيها، سواء في الداخل ام في الخارج، هذا فضلاً عن الهدف الثاني لوضع هذا النوع من الرقوم في العمائر، وهو التبرك والتعبد، والتقرب بها الى الله تعالى، خاصة في المساجد.

ثانياً: الرقوم التوثيقية

لعل القيمة الجمالية والفنية في العمارة الإسلامية للرقوم التوثيقية لا تقل عن قيمة الرقوم الدينية، غير انها تختلف عنها من حيث الهدف، ففي حين هدفت الرقوم الدينية الى التبرك والتعبد، هدفت الرقوم التوثيقية الى التسجيل التاريخي للانشاء والاعمار، بحيث حرص العرب والمسلمون على تسجيل وتوثيق اعمالهم العمرانية،

من خلال رقوم اخذت مواقعها في ابدان المنشآت العمرانية مع الأخذ بعين الإعتبار، أن يكون لها اسهامٌ في الجمال العمراني، سواء من حيث الخامات وأنواع الخطوط والمواقع .

كما تركزت الرقوم القرآنية في المسجد الأقصى، فقد تركزت الرقوم التوثيقية فيه أيضاً، وان كانت أكثر انتشاراً في أنحاء المدينة المقدسة الاخرى، ولأهمية هذا المسجد نبدأ باستعراض نقوشه . ان أقدم نقش توثيقي يوجد في مسجد الصخرة، ذلك النقش الذي سجل تأريخ بنائه، والذي أجمع المؤرخون على أنه يرجع الى عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي الذي بناه، وقد اوردوا نصه على النحو التالي: "بنى هذه القبة عبدالله عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين في سنة اثنين وسبعين تقبل الله منه ورضي عنه آمين". وللاسف الشديد، ولدى انعام النظر في موقع هذا النقش في أيامنا هذه، نجد النص التالي: "بنى هذه القبة عبدالله، عبدالله الامام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين . تقبل الله منه ورضي عنه آمين". وهو مكتوب بخط كوفي يابس باللون المذهب على ارضية من الفسيفساء اللازوردية، (الزرقاء التي تضرب الى الخضرة)، في الجهة القبلية الشرقية من فوق القناطر التي تحمل التثمينة الوسطى والتي تحمل القبة من الداخل . ويبدو أن الترميم الذي جرى في المسجد في عهد المأمون، ادّى بالكاتب الى وضع اسم هذا الخليفة بدلاً من اسم عبدالملك، ولم يلتفت الى تغيير التاريخ الذي بقي كما هو (٧٢ هـ)، مع أن أعمال الترقيم التي جرت في زمن المأمون كانت في عام (٢١٦هـ - ٨٣١م).

ويظهر التغيير من خلال مقارنة خط النص نفسه، فاسم المأمون كتب بحروف مزدحمة تختلف شكلاً ولوناً عن باقي النص الاصلي، وان كتبت بالخط الكوفي، اذ ان الحروف المضافة ضيقة ولونها داكن بشكل واضح . ورغم هذا التحريف الذي جرى لهذا النقش، فإنه غاية في الجمال يتخذ موضعه بين الزخاريف العامة للقبة من الداخل، شاهداً على عظمة وهيبة هذا العمل العظيم.

رقوم مسجد قبة الصخرة التوثيقية في العصر الأيوبي

لا توجد نقوش توثيقية في المسجد الأقصى وقبة الصخرة قبل عهد صلاح الدين الأيوبي الا النقش الذي ذكرناه، وقد يكون ذلك بسبب محافظة المسجد على حاله

الجيدة في الأيام التي سبقت فترة حروب الفرنجة واستيلائهم على مدينة القدس، فمنذ الوهلة الاولى التي استقر فيها الأمر لصلاح الدين الأيوبي في القدس (٥٨٣ هـ ١١٨٧م)، أقدم على ازالة آثار عبث الفرنجة في مسجد قبة الصخرة، ورممها وأصلح حالها، وسجلت أعماله فيها في الرقم التالي: "بسم الله الرحمن الرحيم . امر بتجديد تذهيب هذه القبة الشريفة مولانا، السلطان الملك الناصر العالم العادل العامل صلاح الدين يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته. وذلك في شهور سنة ست وثمانينوخمسمائة" (١١٩٠م). ويوجد هذا الرقم على سقف القبة من الداخل فوق أقواس الدهليز الذي يعلو رقبة القبة، وقد كتب بحروف من خط الثلث.

رقوم مسجد الصخرة التوثيقية في عصر المماليك

وبعد الأيوبيين يأتي عهد المماليك الذين أولوا مسجد الصخرة اهتماماً بالغاً، وسجلوا أعمالهم في رقوم من مختلف الألوان، فقد سجل الملك الناصر محمد بن قلاون أعمال الترميم والتذهيب التي قام بها في هذا المسجد عام (٧١٨هـ - ١٣١٨م) في الرقم الثلثي الخط المكتوب فوق أقواس الدهليز التي تحمل القبة من الداخل، وهذا نصه: " بسم الله الرحمن الرحيم. امر بتجديد وتذهيب هذه القبة مع القبة الفوقانية برصاصها مولانا ظل الله في ارضه القائم بسنته وفرضه السلطان محمد بن الملك المنصور الشهيد قلاون تغمده الله برحمته . وذلك في سنة ثمان عشرة وسبعمائة". (١٣١٨م) .

وقام الملك الظاهر برقوق بتجديد دكة المؤمنين في قبة الصخرة، والتي تقع قرب باب المغارة الى الغرب، على يد نائب القدس، محمد بن السيفي بهادر الظاهري، عام (٧٨٩هـ - ١٣٨٧م) . وسجل هذا العمل في الرقم التالي: "بسم الله الرحمن الرحيم . جددت هذه السدة المباركة بالصخرة الشريفة في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق خلد الله ملكه في نيابة المقر الأشرف العلائي الطنبغا الجوباني كافل الممالك بالشام المحروسة اعز الله انصاره بنظر العبد الفقير الى الله تعالى المقر المخدومي الناصري محمد ولد المقر المرحوم السيفي بهادر الفخري الظاهري نائب السلطنة الشريفة بالقدس الشريف، وناظر الحرمين الشريفين اعز الله انصاره بتاريخ مستهل شوال سنة تسع وثمانين وسبعماية". (١٣٨٧م) .

وفي العهد المملوكي، في أيام السلطان الملك الأشرف برسباي، قام نائب السلطان بالقدس الأمير أركاس الجلباني، بشراء ضياع وقف جانباً من ريعها لمصلحة مسجد الصخرة، وسجل ذلك في قطعة رخامية، ثبتها في حائط المسجد من الخارج الى جانب الباب الشرقي نحو القبلة تجاه قبة السلسلة وذلك بتاريخ (٨٣٦هـ - ١٤٣٢م) . وللاسف الشديد، فقد قام العاثبون بمسح سطور من هذا الرقم، وهي تلك التي تتضمن أسماء الأماكن الموقوفة، أغلب الظن أن من قام بذلك بعض المنتفعين به، وما بقي من نص هذا الرقم ذكره في الآتي: ".......الحرمين الشريفين اثابه الله الجنة . وهي مشتراه مما ثمره من مال الوقف.....من أجور المسقفات في كل شهر الفا درهم خارجاً عن تكملة حواصل المستحقين وما جدده وأنشأه من الحمام الخراب بحارة...وقرية العوجا والنعيمة بالغور ومرتب الخواجات الواردين (من) قمامة واوقف جميع المتحصل (من) ذلك برسم عمارة المسجد الأقصى الشريف والصخرة الشريفة واوقافهما، وما فضل من ذلك يرصد حاصلاً لصندوق الصخرة الشريفة . أرصد ذلك جميعه برسم العمارة خالصاً أرصاداً صحيحاً شرعياً. بمقتضى المرسوم الشريف المعين تاريخه أعلاه . ورسم ان ينقش في هذه الرخامة حسنة جارية في صحائف مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي خلد الله ملكه على الدوام ما تعاقبت الشهور والأعوام . فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه....ويضاف الى ذلك فائض الزيت والجوالي...اللهم من فعل هذا الخير وكان السبب فيه جازه بالجنة والنعيم ومن غيره أو نقصه جازه بالعذاب الأليم.

رقوم مسجد قبة الصخرة التوثيقية في العهد العثماني

لم يكن الأتراك العثمانيون أقل اهتماماً من المماليك بالمسجد الأقصى وبيت المقدس، اذ قاموا بأعمال مختلفة سجلوها في نقوش مختلفة الأنواع، فهذا نقش يسجل عملاً للسلطان القانوني في مسجد قبة الصخرة مثبتاً فوق الباب الشمالي يرجع تاريخه الى عام (٩٥٩هـ - ١٥٥٢م)، وهذا نصه: "قد جدد بحمد الله قبة الصخرة في بيته المقدس الفائق بناؤها وبهاؤها (...) في ظلال دولة السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنص والبرهان أبو الفتوحات سليمان خان بن

السلطان المعروف بالاحسان أبي النصر سليم خان المخصوص بالمآثر والتأييد صاحب المفاخر بن السلطان بايزيد ابن السلطان المجاهد الأمجد السلطان محمد بن عثمان سحت على ثراهم سحب الرضوان فأعاد اليها ذلك البهاء القديم (...) حذاق المهندسين تاريخاً في (٩٥٩) فجعلوه أحسن (...) قد تشرف بكتابتها عبدالله التبريزي".

ويوجد رقم على الباب الغربي من أبواب المسجد يوثق ترميم أبواب قبة الصخرة هذا نصه: "جدد هذه الأبواب ... أعظم الخواقين الأعيان السلطان سليمان بن سليم خان نصره الله سنة ٩٧٣".

ورقم يوثق لفتح شباكين في بدن مسجد القبة المثمن، الأول في الضلع الجنوبي الشرقي، والثاني في الضلع الجنوبي الغربي، على يد السلطان محمد الثالث عام (١٠٠٦هـ - ١٥٩٧م)، وقد ثبتت لوحة الرقم الشباك الذي في الضلع الجنوبي الغربي وهو رقم شعري وهذا نصه:

قد بد من هاتف الغيب الندا (ء)	يا طالب الخير افتح طاقاً في الصخرة الغرا (ء)
قد اشرقت شمس الصبح وتلألأت	منهما فكانت كأنهما جنة المأوى
قد تلا فاتح الطاق في تاريخه	حاكم القدس شجاعاً بجهة الانشا (ء)

ويسجل رقم شعري اعادة بناء الباب الغربي لمسجد الصخرة على يد السلطان عبد الحميد عام (١١٩٥هـ - ١٧٨٠م)، وهو على بلاطة فوق الباب المذكور من اليمين، وهذا نصه:

قد جدد الملك التقي	سلطاننا عبد الحميد
ذا الباب والكاشاني مع	تسقيفها صحن الوضيد

وبلاطة أخرى من اليسار جاء فيها:

بأمين عبد صادق	حقي محمد مير سعيد
سر الحميد مؤرخ	تعميره بيتاً مجيد

وحين قام السلطان محمود الثاني عام (١٢٣٣هـ - ١٨١٧م) بتجديد بعض الرخام خارج بدن التثمينة الرئيسة للمسجد، سجل بذلك رقماً على رخامة سوداء، ثبتت بحذاء الباب القبلي من الخارج، وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . جدد تعمير هذا الرخام على النسق الحسن مولانا سلطان البرين وخاقات البحرين وخادم الحرمين الشريفين وهذا المسجد الأقصى أولى القبلتين الغازي المجاهد حضرة السلطان محمود خان نصره الله وادامه وخلد ملكه واوطانه وقرن بالتوفيق احكامه ونشر على الخافقين بالعدل الويته واعلامه وذلك على يد الوزير الشهير المأمور بالأمر العالي الخطير الدستور الوقور صاحب الخير المبرر سعادتلو الحاج سليمان باشا بلغه الله ما شاء والي الشام دام اجلاله وذلك في ثلاث وثلاثين ومايتين والف" (١٨١٧).

الرقوم التوثيقية في المسجد الأقصى

سجل الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله تعمير المسجد الأقصى في عام (٤٢٦هـ - ١٠٣٤)، في رقم بالفسيفساء بالخط الكوفي في الواجهة الشمالية للعقد الذي يحمل قبة المسجد الأقصى من الداخل، وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله . جدد عمارته مولانا علي ابو الحسن الامام الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين ابن الحاكم بأمر الله عليه ولى آبائه الطاهرين وابنائه الأكرمين، على يد أبي محمد الحسن بن علي بن عبدالرحمن انابه الله . تولى ذلك الشريف أبو القاسم بن أبي الحسن الحسين سنة ست وعشرين وأربعماية اعانه الله . (١٠٣٤) .

وسجل الخليفة الفاطمي المنتصر بالله تجديده لواجهة المسجد الشمالية في رقم حجري بالخط الكوفي عام (٤٥٨هـ - ١٠٦٦م)، وهذا نص الرقم: "بسم الله الرحمن الرحيم . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت، واليه انيب، امر بعمل هذا الوجه مولانا وسيدنا معد ابي تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى سلفه وخلفه في نظر الأمير الأجل الأعز علم الملك ناصر الدولة ذي الفضيلتين . وجرى ذلك على يد الفاضل أبي الحسين عبدالرحمن بن علي الانصاري المعروف بالاجوف - حسب القاموس لقب معناه الأسد العظيم جاء في القاموس المحيط - سنة ثمان وخمسين وأربعمائة". (١٠٦٦م) .

رقم المسجد الأقصى في العهد الأيوبي

في زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي عمر المسجد الأقصى ومحرابه وزين بالفسيفساء، وقد سجل ذلك في نقش بالفسيفساء المذهبة فوق المحراب وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . امر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبدالله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله على يديه في سنة (ثلاث وثمانين وخمسماية . (١١٨٧م)، وهو يسأل الله اذاعة شكر هذه النعمة واجزال حظه في المغفرة والرحمة".

المنبر

جلبه صلاح الدين الى المسجد الأقصى من حلب، وكان قد صنعه نور الدين محمود زنكي، ويوجد توثيق على جنبات المنبر هذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم. امر بعمله العبد الفقير الى رحمته الذاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لاعداء دينه الملك العادل نور الدين ذكر الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين أبو القاسم محمود بن زنكي أبو سيف ناصر أمير المؤمنين أعز الله انصاره وأدام اقتداره وأعلا مناره ونشر في الخافقين الويته واعلامه وأعز أولياء دولته واذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقره بالنصر وارحمنا برحمتك يا رب العالمين وذلك سنة اربع وستين وخمسماية".

ويوجد على رقبة المنبر الرقم التالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم . عمل في أيام مولانا الملك العالم العادل الصالح اسماعيل بن محمود ركن (قد تكون زنكي)" . وقد سجل المشاركون في صنع المنبر أسماءهم على بابه وهم:

"صنعة ابن ظافر الحلبي رحمه الله".

"صنعة سليمان بن معالي رحمه الله".

"صنعة حميد بن ظافر رحمه الله".

"صنعة فضايل وابوالحسن ولدي يحيى الحلبي رحمه الله".
وللأسف الشديد فقد احترق هذا المنبر في عام ١٩٦٨ بيد غادرة .

وفي العهد الأيوبي أيضاً، أمر الملك المعظم عيسى في عام (٦١٤هـ ١٢١٧م)، بانشاء الرواق الأمامي في واجهة المسجد الأقصى الشمالية والموجود حالياً، وسجل هذا الإنشاء في رقم رخامي مثبت في واجهة القوس الأوسط، جاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم". أنشأ هذه الأورقة الشمالية سيدنا ومولانا السلطان الملك المعظم أبوالعزائم عيسى بن الملك العادل سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي بكر بن أيوب خلد الله ملكه . وذلك في سنة أربع عشرة وستماية (١٢١٧م) .

وفي العهد المملوكي، قام الملك المنصور سيف الدين قلاون باعمار سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة مما يلي الغرب في عام (٦٨٦هـ ـ ١٣٨٧م)، وواصل ولده ومن أهم تعميراته أعمار القبة، وقد سجل بذلك رقماً بأحرف الثلث حول القبة من الداخل، هذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . جددت هذه القبة المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المشاغر المؤيد المنصور قاهر الخوارج المتمردين محي العدل في العالمين سلطان الإسلام محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون الصالحي تغمده الله برحمته في شهور سنة ثمان وعشرين وسبعماية". (١٣٢٧م) .

كما سجل الملك الناصر محمد بن قلاون إعماره في المسجد الأقصى في رقم رخامي مثبت فوق الشباك الواقع غربي المنبر، وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الشباك والرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا و الدين محمد قلاون الصالحي بالاشارة العالية تنكز الناصري كامل الممالك الشريفة الشامية، وذلك سنة احدى وثلاثين وسبعماية" (١٣٣٠م) .

ورقم آخر للناصر محمد ثبت في الشباك الكائن شرقي المحراب، هذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الشباك والرخام المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاون عز نصره بالاشارة العالية الشريفة تنكز الناصري سنة احدى وثلاثين وسبعماية". (١٣٣٠) .

وهناك رقم حجري مثبت فوق أروقة الواجهة الأمامية للمسجد الأقصى يسجل أعمال الأعمار التي جرت في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاون أيضاً، وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الجامع المستجد والأبواب المستجدة في أيام مولانا السلطان العادل العاقل الملك الناصر سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين مولانا السلطان الشهيد محمد الصالحي تغمده الله بالرحمة بنظر العدل الفقير الى الله تعالى بالبلا الصابري ناظر الحرمين الشريفين بتاريخ شهر رجب الفرد سنة أربعين وسبعماية". (١٣٣٩م) .

وجرى اعمار لأبواب المسجد الأقصى في زمن ابناء الناصر محمد بن قلاون، وقد سجل هذا في الرقم التالي: "جدد هذا الجناح المبارك في أيام الملك السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين حسن بن السلطان الملك الناصر محمد قلاون خلد الله ملكه". (٧٧٨هـ - ١٣٧٦م) .

وجرى تعمير في المسجد الأقصى في أيام السلطان الأشرف قايتباي، سجله في رقم حجري مثبت فوق قوس الرواق الأوسط من أروقة الواجهة الأمامية الشمالية للمسجد الأقصى، وهذا نصه: (منه شيء عفا عليه الزمن) .

"بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا الشريف ... وأطراف ... اللطيف في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف ابوالنصر قايتباي أمده الله بنصره العبد الفقير الى الله تعالى محمد ناظر الحرم الشريف غفر الله له في الخامس عشر من محرم شهر الله المعظم سنة أربع وتسعين وثمان ماية". (١٤٨٨م).

وجرى تعمير في المسجد الأقصى في عهد الملك قانصو الغوري، وسجل ذلك في رقم على العضاضة بين الباب الثالث من اليمين والباب الكبير، وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . جدد عمارة المسجد القصى صلاح العارفين ظاهره ونقيه (...) الشريفة واصلاح (...) في أيام مولانا الملك سلطان قانصو الغوري بعون نصره المظفر ناظر الحرمين الشريفين أبوالنصر"

أما في العهد العثماني، فقد تواصل الإهتمام بالمسجد الأقصى تماماً كالإهتمام بمسجد قبة الصخرة، اذ جرت ترميمات وأعمال أعمار مختلفة سجلها أصحابها في رقوم مختلفة، فهناك رقم يسجل أعمال ترميم جرت في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٣٣هـ - ١٨١٧م)، ثبتت فوق رقبة القبة تحت الشبابيك غير النافذة من داخل المسجد، على نسختين بخط ثلثي على يمين ويسار الداخل، وهذا نص نسخة منها: "بسم الله الرحمن الرحيم . جدد ترميم هذه القبة الشريفة مولانا سلطان البرين وخاقان البحرين وخادم الحرمين الشريفين وهذا المسجد الأقصى أولى القبلتين المجاهد في سبيل الله تعالى المحفوف بعناية الله المعبود مولانا السلطان محمود خان بن السلطان عبدالحميد خان خلد الله ملكه مدى الزمان . وذلك عن يد الوزير صاحب الخيرات والتدبير سعادة الحاج سليمان باشا والي ايالة صيدا وطرابلس الشام ادام الله دولته واجلاله وذلك سنة ثلاث وثلاثين ومايتين والف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم . بقلم الضعيف مصطفى علي افندي المأمور من جانب الدستور". (١٨١٧م) .

وفي أيام الإنتداب البريطاني، حين تولى شؤون المسجد الأقصى المجلس الإسلامي الأعلى، تواصلت أعمال الترميم والأعمار، بتعاون بعض الدول العربية ومنها مصر، فقد جرت أعمال ترميم سجلها المجلس في رقم رخامي ثبت بين باب الرواق الأوسط وباب الرواق الذي يليه غرباً، وهذا نصه: "جدد المجلس الإسلامي الأعلى القسم الشرقي والرواق الأوسط وواجهة الرواق الشمالي للمسجد الأقصى المبارك باشراف ادارة الآثار العربية بمصر . وكان بدء العمل في سنة (١٣٥٧هـ)، والفراغ منه في سنة (١٣٦٢هـ)، وقامت الحكومة المصرية بتجديد السقف الخشبي للرواق الأوسط في عهد جلالة الملك الصالح فاروق الأول حفظه الله وايد ملكه في سنة (١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م)".

الرقوم التوثيقية في منشآت باحات المسجد الأقصى

١. *رقوم القباب*

- **قبة السلسلة:**

هناك نقش يوجد فوق محراب قبة السلسلة، يتكون من سطرين الأول قرآني وقد مر ذكره، والسطر الثاني رقم توثيقي جاء فيه: "امر بتجديد هذا القاشاني المقام الشريف السلطاني مولانا السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد خان خلد الله ملكه وايد دولته الى يوم الميعاد سنة (٩٦٩هـ)". (١٥٦٥) .

- **قبة المعراج:**

غربي مسجد الصخرة الى الشمال، وقد أعاد بناءها الأمير الاسفهسلار عزالدين سعيد السعداء ابوعمر عثمان بن علي بن عبدالله الزنجيلي متولي القدس في سنة (٥٩٧هـ - ١٣٠٠م) . وقد سجل ذلك في رقم على باب القبة نفسها والذي يفضي نحو الشمال، وهذا نصه: "بناها الاسفهسلار عزالدين ابوعمر عثمان بن علي بن عبدالله الزنجيلي متولي القدس سنة ٥٩٧هـ". (١٣٠٠م) .

- **قبة محراب النبي:**

غربي مسجد الصخرة الى الشمال، ثبت في المحراب رقم حجري من الخارج هذا نصه: "أنشأ هذا المحراب المبارك مولانا الأمير الكبير محمد بك صاحب لواء غزة وقدس شريف زيد قدرهما بتاريخ سنة ٩٤٥هـ" (١٥٣٨م) .
كما ثبت رقم آخر في الجهة القبلية من القبة المفتوحة الجوانب التي تغطي المحراب، وهذا نصه: "شفاعة (شفاعت) يا رسول الله . ميرالاي عساكر شاهانه السيد محمد شاكر ١٢٦١هـ". (١٨٤٥م) .

- **قبة يوسف:**

جنوبي مسجد الصخرة بين القبة النحوية ومنبر برهان الدين، مفتوحة الجوانب الا الناحية الجنوبية (القبلية منها)، وهذه الناحية التي ثبت فيها الرقم الحجري التالي نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على محمد النبي وآله . امر

بعمارته وحفر الخندق مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين خادم الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس، أبو المظفر يوسف بن ايوب محيي دولة أمير المؤمنين أدام الله أيامه ونصر اعلامه في أيام الاسفهسلار الكبير سيف الدين علي بن أحمد أعزه الله سنة سبع وثمانين وخمسماية للهجرة النبوية". (١١٩١م) .

هذا الرقم هو نفسه الذي ذكرناه في كتابنا رقوم المسجد الإبراهيمي (ص٥٦٠ – ٥٦٤) والذي قلنا أنه كان موجوداً في اليوسفية في المسجد الإبراهيمي حسب رواية المصرف، ولم نعثر عليه هناك، وعليه فقد يكون نقل من المسجد الإبراهيمي وثبت في هذه القبة، وهذا بحاجة للتحقيق والدرس) .

- **القبة النحوية:**

جنوبي صحن الصخرة الى الغرب، وهناك رقم يوثق لبنائها في أيام الملك المعظم عيسى سنة (٦٠٤هـ – ١٢٠٧م) . واليك نصه: "انشأها المعظم شرف الدين ابوالمنصور عيسى ولد مولانا الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب على يد الأمير حسام الدين أبي سعد قمباز الوالي بالبيت الشريف سنة ٦٠٤هـ". (١٢٠٧م) .

- **قبة الشيخ الخليل:**

الى الشمال الغربي من قبة المعراج شمال غرب مسجد الصخرة، وقيل ان الشيخ الخليلي انشأها، ووقف عليها اوقافا، وفوق بابها في الناحية الشرقية رقم حجري عفا معظمه، ما هو موجود اسم حاكم القدس محمد (...) والبيت الخير وهو:

"محمد له الهنا تاريخها قلنا ادخلوها بسلام آمنين"

- **قبة موسى:**

تقوم على مصطبة بين باب السلسلة والزاوية الجنوبية الغربية من الحرم، وقد أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤٧هـ – ١٢٤٩م)، وكانت تعرف في عهده بقبة الشجرة، وسجل ذلك في رقم حجري مثبت على جدارها الشمالي فوق الباب وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . امر بعمارة هذا المكان مولانا السلطان الملك الصالح نجم الدنيا والدين الملك الكامل في شهور سنة سبع وأربعين وستماية". (١٢٤٩م) .

- **من المصاطب: مصطبة العشاق:**

جنوب شرق الباب العتم، مفتوحة للصلاة وعليها (محراب فوقه رقم حجري بخط النسخ العثماني، هذا نصه: "جدد هذا المحراب الشريف في أيام مولانا السلطان سليمان بن السلطان سليم خان ايد الله ملكه". وقد يكون تاريخه ٩٤٣هـ ـ ١٥٣٦م.

٢. *المآذن:*

- **مئذنة باب الغوانمة:**

فوق باب الغوانمة في الركن الشمالي الغربي من الحرم، وتسمى أيضاً منارة قلاون، أنشأها القاضي شرف الدين عبدالرحمن بن الصاحب الوزير فخرالدين الخليلي بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين سنة ٦٩٧هـ ـ ١٢٩٧م، ثمّ جددها الأمير تنكز في زمن الملك الناصر محمد بن قلاون سنة ٧٣٠هـ ـ ١٣٢٩م، وكان اسمها في ذلك الوقت (منارة السرايا)، وثبت بذلك رقم حجري على احدى جدرانها، هذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . امر بعمارة هذه المنارة المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الناصر .. في سنة ثلاثين وسبعماية". ثم جددها المجلس الإسلامي (١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م) . وبهذا رقم خاص .

- **مئذنة باب الأسباط:**

شمالي الحرم الى الشرق، وتسمى منارة إسرائيل، انشئت سنة (٨٦٩هـ ـ ١٣٦٧م)، وقد وثق ذلك في رقم حجري بالنسخ المملوكي على باب المئذنة التي هدمتها الزلازل عام (١٣٤٦هـ)، مما أدى بالمجلس الإسلامي الى إعادة بنائها بالطراز الحالي، وقد كان طرازها السابق مضلعاً، واليك نص الرقم المملوكي: "أنشأ هذه المنارة المباركة في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسن بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون خلد الله ملكه الأمير سيف الدين المقر الأشرفي السيفي قطلوبغا ناظر الحرمين الشريفين أعز الله نصره في تاريخ سنة تسع وستين وسبعماية". (١٣٦٧م) .

٣. *أروقة الحرم:*

- **الأروقة الشمالية:**

الرواق المحاذي لباب شرف الأنبياء (المعروف اليوم بباب فيصل)، رمم وجدد في عهد الملك المعظم عيسى سنة (٦١٠هـ - ١٢١٣م)، وقد سجل ذلك في رقم حجري ثبت في جدار الباب، وهذا نصه: "جدد هذا الرواق في أيام دولة سيدنا ومولانا السلطان العالم الملك المعظم أبي الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب خلد الله ملكه سنة (٦١٠هـ) والحمد لله وحده في ولاية الأمير الأمجد عزالدين بن عمر بن يعقوب".

- **الأروقة الغربية**

الرواق الممتد من باب الغوانمة الى باب الناظر: عمر سنة ٧٠٧هـ - ١٣٠٧م، في أيام السلطان محمد بن قلاون، ويسجل ذلك رقم حجري مثبت في الحائط القبلي لباب الناظر، وهذا نصه: "انشئ هذا الرواق المبارك في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد قلاون أعز الله انصاره بنظر العبد الفقير الى الله ... بن جفان الخوارزمي تقبل الله منه وذلك في سنة سبع وسبعماية". (١٣٠٧م) .

ثم الرواق الممتد من باب السلسلة الى باب المغاربة، عمر سنة ٧١٣هـ - ١٣١٣م، في أيام محمد ابن قلاون، ووثق ذلك في رقم رخامي بالنسخ المملوكي، ثبت فوق النافذة الشمالية الشرقية من نوافذ المدرسة التنكزية جنوبي باب السلسلة وهذا نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم . انشئ هذا الرواق في أيام مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون أعز الله انصاره بنظر الأمير شرف الدين موسى بن حسن الهدباني في سنة ثلاث عشرة وسبعماية". (١٣١٣م) .

٤. *السبل في الحرم:*

- **سبل شعلان:**

في أسفل الدرج المؤدي الى صحن الصخرة من زاويته الغربية الشمالية،أنشأه الملك المعظم عيسى عام (٦١٣هـ - ١٢١٦م)، وجدده الملك الأشرف برسباي

المملوكي (٨٣٢هـ ـ ١٤٢٩م)، ثم جدد من بعد السلطان مراد الرابع العثماني (١٠٣٧هـ ـ ١٦٢٧م) . وقد وثق كل منهم لعمله برقم رخامي يوجد في ثلاث بلاطات مثبتة في الجدار الغربي لهذا السبيل، واليك نصوصها:

أ) يوجد الرقم الى الشمال بنسخ أيوبي (أيوبي): "بسم الله الرحمن الرحيم . تطوع بعمل هذا الصهريج المصنع المبارك لوجه الله تعالى العبد الفقير الى رحمة الله تعالى محمد بن عروة بن سيار الموصلي رحمه الله ورضي عنه من نعمة مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين أبو العزائم عيسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب غفر الله لهما . وذلك في شهور سنة ثلاث عشرة وستماية . وصلى الله على محمد وآله". (١٢١٦م) .

ب) يوجد الرقم جنوباً ونصه: (مملوكي) "جدد هذا السبيل والمصلى والمحراب العبد الفقير الى الله تعالى شاهين ناظر الحرمين الشريفين في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي خلد الله ملكه بتاريخ شهر رمضان المعظم سنة ٨٣٢هـ". (١٤٣٩م) .

ج) يوجد الرقم في الوسط بين الرقمين السابقين: "أمر بعمارة هذا السبيل المبارك بعد خرابه وتعطيله صاحب الخيرات والمبرات الوزير المكرم والمشير المعظم حضرة بايرام باشا المحافظ بمصر المحروسة فعمر بمباشرة ملك الأمراء الكرام حضرة محمد باشا المحافظ بالقدس في ذي الحجة سنة ١٠٣٧هـ". (١٦٢٧م) .

- **سبل باب الحبس:**

يسمى أيضاً سبيل علاء الدين البصيري بالقرب من باب الناظر الى الشمال الشرقي، فيه بلاطتان نقش فيهما الرقم التالي بالنص نفسه الأولى في جداره الغربي والثانية في جداره الشرقي، واليك نص الرقم: "بسم الله الرحمن الرحيم . جدد هذا البئر في أيام مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي وذلك بنظر المقر الحسامي قبجا نائب السلطنة الشريفة وناظر الحرمين الشريفين أعز الله انصاره. وسعى في عمارته العبد الفقير الى الله تعالى الحاج ابراهيم الرومي غفر الله له ولجميع المسلمين واشرط الاستسقا(ء) منه للفقير بتاريخ جمادي الآخرة سنة ٨٣٩هـ". (١٤٣٥م) .

- **سبيل البديري:**

قريب من باب الناظر نحـو الجنـوب، بين هـذا البـاب وسـبيل شـعلان، فيـه رقـم حجري شعري في واجهته الشرقية، وأغلب الظـن أنـه بنـي فـي زمـن السلطان محمود الأول سنة ١١٥٣هـ - ١٧٤٠م، وهذا النص:

عمره مـن حـاز كـل سؤدد	وفضله قـد فاض فيمـا يهب
عين المكارم والأماجد مصطفى	قائمقـام القـدس نـال المطلـب
كالسلسبيـل مـاؤه يشفي الصدا	عـذب فرات سائغ منه الشرب
برسم من حاز الفخـار والعلى	عثمان بـك للغفـارى ينسـب
يبغي بـه الجزاء يـوم محشـر	في زمرة الأخيار غـدا يحسب
كلاهما مـن حوض طه يرتوي	يـا حـبذاك مطلـب ومـأرب
كلاهما البشـرى لـه تاريخـه	فـي قـدح من الرحيق يشرب

- **سبيل قاسم باشا:** يقع على حافة بركه الرنج أو الغاغنج .

الى الغرب من ساحة الحرم، وعلى بعـد أمتـار مـن بـاب السلسـلة شـمال شـرق، أنشأه متولى القدس في ذلك الحين قاسم باشا، الذي وثق له برقم بالنسخ المملوكي وهذا نصه: "أنشأ هذا السبيل المبارك ابتغاء(١) لوجه الله تعالى وطلباً لمرضاته في أيام مولانا السلطان الأعظم ثاني سليمان في ملك العالم السـلطان سـليمان بـن السلطان سليم خان امير امراء العرب والعجم مولانا قاسم باشـا يسـر اللـه لـه مـا يشاء على يد العبد الفقير الى الله عبد ربه مصطفى في العشر الأخير من شعبان المعظم سنة ٩٣٣هـ". (١٥٢٧م) .

السبل الخمسة خارج الحرم :

توجد في أماكن متفرقة من مدينـة القـدس، وقـد انشئت كلهـا فـي عهـد السـلطان سليمان القانوني، ومنها السبيل الذي يقع قرب السلسلة تجاه باب الحـرم، وكلهـا كـان فيها رقم واحد بالنص نفسه، نورده في الآتي: "أمر بإنشاء هذا السبيل المبارك مولانا

السلطان الملك الأعظم والخاقان المكرم مالك رقاب الأمم سلطان الروم والعرب والعجم عز الإسلام والمسلمين ظل الله في العالمين حامي الحرمين الشريفين السلطان سليمان بن السلطان سليم خان خلد الله ملكه وأدام عدله وإحسانه في سنة ثلاث وأربعين وتسعماية". (١٥٣٨م) .

رقوم أبواب الحرم

أ. ***باب الأسباط:***

يوجد رقم في هذا الباب مثبت في الناحية الشرقية من هذا الباب من الداخل وهذا نصه: "أمر بإنشاء هذا الباب مولانا السلطان سليمان (١) بن السلطان سليم خلد الله ملكه بتاريخ سنة خمس وأربعين وتسعماية". (١٥٣٨م) .

وفي الناحية الأخرى من هذا الباب، هناك رقم باللغة التركية هذا نصه: "مرحوم جنت مكان سلطان سليم حضرتلرنك تربتجيسي مرحوم الحاج حسن آغا اشبو باب اسباطي حسبة لله وطلباً لمرضاة الله تعمير ايلدي".

وترجمته بالعربية: "لقد عمر المرحوم الحاج حسن آغا القيم على تربة ساكن الجنان المرحوم السلطان (سليمان) سليم عمر باب الأسباط هذا، حسبة لله وطلباً لمرضاته".

يبدو أن الناقش اخطأ حين قال عن ساكن الجنان بأنه السلطان سليم والمقصود السلطان سليمان القانوني .

ب. ***باب حطة:***

يقع شمال الحرم، جددت عمارته في أيام الملك المعظم عيسى سنة (٦١٧هـ - ١٢٢٠م)، وهناك رقم حجري يسجل ذلك مثبت في الباب وهذا نصه: "جدد هذا الباب في أيام دولة السلطان الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر أيوب وذلك في رجب من سنة سبع عشرة وستماية". (١٢٢٠م) .

ولما كانت مدينة القدس، تمر في واقع صعب هذه الأيام، والرقوم التوثيقية، تعتبر بمثابة وثائق وأدلة على وجود العربي والإسلامي، فإن من الضرورة بمكان ان تدرس هذه الرقوم أينما وجدت، خاصة وإن رقوم المسجد القصى بمسجديه ومنشآته وأبوابه، لا تكفي للتأريخ للمدينة باجمعها، وإن كانت تصلح في الحدود التي تبين اهتمام المسلمين حكام ومحكومين بهذه المدينة، مع تركيز اهتمامهم بالمسجد، بخورة متواصلة عبر العصور المتعاقبة .

المصادر

حسب ورودها في البحث:

- القرطبي، **الجامع لاحكام القرآن**، تحقيق: "مصطفى السقا" الاستاذ في جامعة القاهرة، ج ١٩ .
- ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م .
- يونس عمرو، **لمحات في فقه اللغة العربية**، الوكالة الفلسطينية، القدس ١٩٨٥ .
- فوزي عنيفي، **نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ودورها الإجتماعي**، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
- عبدالمنعم رسلان، **الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا**، نشر تهامة، جدة، السعودية، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .
- يونس عمرو، **رقوم المسجد الإبراهيمي في خليل الرحمن**، منشورات المؤتمر الإسلامي، مطبعة روان، القدس، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .



منذ فجر التاريخ والقدس هنا، هناك نشأت حول العيون الكائنة الى الجنوب الشرقي من المدينة الحالية، حول عين أم الدرج وبركة سلوان والبركة الحمراء وبير أيوب وعين اللوزة. ولا عجب فقد استقطبت الينابيع الإنسان حولها منذ وجد.

وفي هذا الوادي المعروف بوادي قدرون نشأت مدينة تعاقبت فيها أجيال وحضارات وشعوب مغايرة كثيراً ما اجترحت لهذا المجمع السكني إسماً جديداً.

وقد يكون إسم (منورتا) أول إسم معروف للقدس، وكلمة منورتا الساميّة الأرامية أصلاً تعني الشمعة أو الضوء، والتسمية مقصودة على ما يبدو، علماً بأن لفظة (قدرون) الأرامية الساميّة تعني (الظلام) أو (الكدر)، فتصبح المدينة (منارة في الظلام).

وحوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد استوطنها اليبوسيون الذين يجمع المؤرخون على أنهم بطن من بطون العرب الأوائل وقد نزحوا من الجزيرة العربية مع قبائل كنعانية وقد أطلقوا على المدينة لفظاً مشتقاً من كنيتهم فسميت (يابوس).

---

* القس كمال فرح، دكتوراه في اللاهوت، أحد رعاة الكنيسة الإنجليكانية في فلسطين ومسؤول عن مدارسها.

وورد ذكرها في مخطوطات تل العمارنة تحت إسم (يابيشي).

كما وردت في المراجع نفسها تحت إسم (أورو-سالم) وهو لفظ كنعاني يعني مدنية السلام. وجدير بالذكر أن هذه المراجع تتكلم عن المدينة في الفترة بين ١٥٥٠ ق.م-١٣٥٨ق. م. ويرجح أن إسم (أور-سالم) أو (أورو-سليم) أو (أور-شليم) أو (أورشليم) وكلها ألفاظ لإسم واحد. يرجح أن هذا الإسم غلب على إسم (يابوس) بفضل ملك كنعاني كان يجري القضاء والعدل بين رعيته حتى لقب هو نفسه بالملك العادل أو ملك العدل (ملكيصادق) ونتيجة العدل ساد المدينة سلام واستقرار فذاع صيتها حتى عُرفت بمدينة السلام.

وكان ملكيصادق الكنعاني هذا رجل التقوى والبر قد بارك إبراهيم فقدّم له إبراهيم الخليل العشور وما كانت لتقدم لولا هالة قدسية سيرته ومخافته للرب الأحد الذي قرّب له القرابين قبل أن يعتلن هذا الإله القدير لإبراهيم الخليل. (تك. ١٤:١٨-٣٠)

وقد غدا ملكيصادق رمز الإيمان والأمانة والأمان حتى أن التوراة تتخذه نموذج الكاهن في خدمة الرب رغم أن مرجعية الكهنوت في التوراة تعود لهارون. (مز ٤:١١٠)، (عب. ٧:١-١٧).

برهان آخر على أن ملكا عربيا قبل داود بقرون عديدة إكتشف بوحي إلهي وحدانية الله خالق السماء والأرض وما فيها وما عليها، وسجد لهذا الإله الحي، وقدم له القرابين وسارع إبراهيم الخليل أبو المؤمنين لإكرامه معترفا بتقديمه العشور له بإيمانه وحسن سيرته وعدله.

وجدير بالذكر أن إبراهيم الخليل قصد جبل الموريا - وهو الجبل الذي يقوم عليه الحرم الشريف اليوم - ليقدم إبنه لله قربانا. وذلك وفقا لوفاق المؤرخين حوالي عام ١٨٠٠ ق.م. وعلى مئات الأمتار من مدينة ملكيصادق حيث سبق له أن قدّم فيها عشورا.

ووفقا لمعطيات التوراة والتي تعتبر على حق المرجع الأعلى والأوفى لليهودية دينا وتاريخا، فإن دخول العبرانيين الى أرض كنعان قد تم حوالي سنة ١٢٣٠-١٢٢٠ ق.م. وبعد أن أتم يشوع بن نون ومن بعده فتوحاتهم وتوسعاتهم دون أن يتمكنوا من طرد اليبوسيين من مدينتهم أورشليم (يشوع، ٦٣:١٥). جعل يشوع بن نون مدينة بيت (حورون العليا) الكائنة قرب قرية عور الفوقه اليوم عاصمة له. أما الملك شاؤول فقد جعل مدينة (جبعون) - قرية الجيب اليوم - عاصمة له. ومدينة (جبعون) هذه تقع جغرافيا في حدود المنطقة التي وهبت لسبط بنيامين وهو السبط الذي ينتمي إليه الملك شاؤول نفسه، وقد أدى أمر إختياره هذه المدينة عاصمة لملكه، الى تذمر في أوساط الأسباط الأخرى التي إتهمت الملك شاؤول بالتمييز بينها وبتفضيل سبطه عليها مما أضعف هيبته ونال من سلطته لدى سائر أسباط بني إسرائيل.

ولما مسح داود ملكا جعل مدينة الخليل - وهي عاصمة سبط يهوذا - عاصمة لملكه وبقي فيها سبع سنين وستة أشهر، وأخذ الملك داود في حكمته يتحسب لمصيره فيما اذا احتفظ بعاصمة سبطه عاصمة لسائر الأسباط ورأى أنه لا بد من قرار سياسي وطني يقضي بإستبدال هذه العاصمة بعاصمة يعتبرها أسباط إسرائيل جميعها عاصمة لكل منهم ولجميعهم معا. ولا بد لهذه العاصمة أن تكون خارج حدود أسباط إسرائيل، ودعا كافة الأسباط للإشتراك في إحتلالها، وقد إختيرت أورشليم لتكون عاصمة الوحدة الوطنية ورمزها. والتوراة نفسها تعتبر أن الملك داود قد ملك على يهوذا - وهو في الخليل - سبع سنين وستة أشهر وفي أورشليم ملك على كل إسرائيل ويهودا ثلاثة وثلاثين عاما. (٢ صمو. ٥:٥-٩).

وقد إحتل داود أورشليم إحتلالا وقد انقض عليها من الموقع المعروف بإسم (عوفل) أو (الأكمة)، وهو المرتفع الكائن شمال سلوان - شرق جنوبي جبل الموريا. وبنى عليها قلعة ما زالت آثارها ماثلة الى اليوم. (١ أخبار، ١١:٤-٩) (٢ أخبار، ٣:٢٧ و ١٤:٣٣) وقد تم إحتلال مدينة الكنعانيين على يد داود الملك حوالي سنة ١٠٤٩ ق.م. وحاول داود بناء هيكل جبل موريا الا أن الرب على لسان النبي يوناثان رفض ذلك وكان الحظ أوفر في هذا الشأن لإبنه سليمان الذي أقام هيكلا على الجبل حوالي سنة ١٠٠٧ ق.م.

منذ هذه الحقبة تمكنت أواصر الصلة بين العبرانيين وأورشليم، بعد إحتلالها من أهلها الذين بنوها وسكنوها وطوروا حضارتهم فيها لفترة تزيد على ألفي عام قبل أن يحتلها داود حوالي سنة ١٠٤٩ ق.م.



إن إستخدام المنهج العلمي في دراسة تاريخ المدن يستوجب على المؤرخ ان يبحث عن شهادة ميلاد مدينته التي يكتب تاريخها فإذا ما إستطاع أن يقدم تلك الوثيقة ينتقل الى - طفولتها وشبابها وبقية عهودها الزاهرة وأحداثها الكبرى ومعالمها التاريخية الرئيسية.

من هذا المبدأ نقول أن اشتقاق اسم مدينة القدس كما جاء في لسان العرب في مادة "القدس" القدس تنزيه الله تعالى وهو المتقدس، القدوس، المقدس.

والقدوس تعني الطاهر المتنزه عن العيوب والنقائص، والقدس اسم مصدر، وفي التنزيل: ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك.

فمدينة القدس اذن هي البلد الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص وبلد هذه صفاته لا بد وان يكون جميلا فقد قال احد الكتاب: ان الله تعالى قسم الجمال الى عشرة اجزاء منح القدس تسعة منها ووزع الجزء العاشر على باقي الكرة الأرضية.

---

* رائف نجم، بكالوريوس في الهندسة.
مقال في جريدة القدس، ١٩٨٥/٢/٢٧.

وإذا كانت أعمار الناس تحسب بالسنين ثم تطوى ذكراهم بإنتهاء أعمارهم فكذلك الأمم والبلدان تبقى حية طالما بقيت حضارتهم وتندثر اذا اندثر بنيانهم وقد سجل التاريخ بلدانا سادت حقبة من الزمن بما كان لها من أمجاد ثم انزوت في ثنايا التاريخ عاجزة عن أن تفيد منها البشرية بمثل ما كان في مقدورها أبان عنفوانها اما قدسنا الشريف فقد اراد الله لها بقاء رغم مصارعتها للأحداث الجسام وما ذلك بمستغرب، فقد جمعتها عزيمتها توأمة قرانية مع مكة المكرمة او بالأحرى جرى بين أقدس بقعتين فيهما: الكعبة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك فقد قال الله تعالى:

"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير".

تبين الآية الكريمة ان الرباط المقدس بين القدس ومكة أو بين الأقصى والكعبة هو رباط الهي، وما وصله الله تعالى لا يستطيع الإنسان ان يقطعه وما تتعرض اليه القدس في هذه الأونة من عدوان ما هو الا امتحان للأمة العربية والإسلامية لوقت قصير لا يساوي شيئا في عمر الزمن.

لقد شجع النبي صلى الله عليه وسلم على فتح بيت المقدس وقرن القول بالعمل حيث ارسل جيشا امّر عليه زيد بن حارثة ولكنه انكسر في مؤتة عام ٦٢٩م، وكان النبي نفسه على رأس الجيش الى تبوك ولكنه قفل راجعا بسبب أحوال قريش وللمرة الثالثة امّر أسامة بن زيد على جيش عام ٦٣٢م، ولكن فاجأته المنية قبل ان يغادر جيش أسامة البلاد.

وفي زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه جهز أربعة جيوش منها جيش بإمرة عمرو بن العاص الى فلسطين، وبأمرة شرحبيل بن.حسنة الى الأردن ويزيد بن أبي سفيان الى البلقاء، وأبي عبيدة عامر بن الجراح الى دمشق وكانت معركة اليرموك الفاصلة بين الروم والمسلمين بقيادة خالد بن الوليد ولكن المنية وافت أبا بكر قبل إفتتاح القدس.

وفي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انتدب ابا عبيدة بن الجراح لفتح القدس وسير سبع فرق من الشام الى بيت المقدس مجموعها ٣٥ ألف، وعندما دخل أبو عبيدة القدس جاءه بطريرك الروم صفرونيوس مع الرهبان وطلبوا تسليم المدينة لشخص عمر بن الخطاب فوافق أبو عبيدة على ذلك وحضر عمر الى القدس وكتب وثيقة الأمان المعروفة بالعهدة العمرية عام ٦٣٦م وطلب عمر بن الخطاب من صفرونيوس ان يريه مكان الأقصى، فدله على مكان الصخرة التي كان يعلوها التراب والنفايات فأخذ عمر والصحابة رضي الله عنهم يرفعون التراب عن الصخرة الى أن بدت للناظرين وامر ببناء المسجد في ذلك المكان.

ومن الذين رأوا المسجد بأم أعينهم السائح - اركولف - الذي زار القدس والسائح المؤرخ (جيروم) بعده بقليل وقيل ان ذلك المسجد كان يتسع لـ ٣٠٠ مصل.

تعاقبت الأجيال بعد ذلك على القدس الشريف وترك كل جيل بصماته التي بقيت شاهدة على تاريخ القدس الى اليوم، فحكمها الأمويون ثم العباسيون فالفاطميون ثم جاءت الحروب الصليبية التي توج انتصارات المسلمين فيها القائد صلاح الدين في معركة حطين عام ١١٨٧م ودخل القدس ومعه منبر نور الدين زنكي، بعد الأيوبيين جاء المماليك ثم العثمانيون الذين انتهى حكمهم على يد الإنتداب البريطاني عام ١٩١٤ ثم جاء الحكم الأردني الى ان وقعت القدس اسيرة في يد الإسرائيليين.

القدس عربية الأصل

اليبوسيون هم بناة القدس الأولون وكانت تسمى في عهدهم مدينة يبوس وهؤلاء نزحوا عن الجزيرة العربية مع القبائل الكنعانية التي ينتمون اليها واستوطنوا هذه الديار حوالي سنة ٣٠٠٠ق.م وقيل حوالي ٢٥٠٠ق.م وانشأوا فيها حضارة تميزت بالتقدم الزراعي والصناعي.

أما بنو اسرائيل فقد خرجوا من مصر في عهد فرعونها الثاني متوجهين الى فلسطين حوالي سنة ١٣٥٠ق.م مع النبي موسى عليه السلام. أي بعد ان استوطنها اليوبوسيون بحوالي ١٦٥٠ سنة وتاهوا في صحراء سيناء ٤٠ عاماً ثم دخلوا

واستوطنوا جنوبي مدنية الخليل وعندما استطاعوا احتلال أريحا كانت وصية يشوع لهم كما جاء في اسفار العهد القديم:

"ان اكسروا وانهبوا واقتلوا وافتكوا واتوا المنكرات"

ثم دخلوا القدس في عهد يهوذا بن يشوع بعد ان أشعلوا المدينة بالنار.

هيكل سليمان وحائط البراق

عندما حكم داود عليه السلام بدأ في بناء الهيكل للعبادة واتى بالحجارة من المحجر الموجود قرب باب العامود والمسمى الآن مغارة سليمان ثم اكمل سليمان عليه السلام هذا الهيكل سنة ١٠٠٥ ق.م وكانت مساحته ٧٠ ذراعا في ٢٠ ذراعا.

هدم الهيكل على يد نبوخذ نصر الذي سبى اليهود عام ٥٨٧ ق.م ثم اعاد ترميمه الملك هيرود سنة ١٨ ق.م وجاء تيطس الروماني بعد ذلك وهدم الهيكل الثاني سنة ٧٠ب.م وجاء بعده هدريان الروماني وازال اثاره بالكامل عام ١٣٥ ب.م وهدم جميع القدس حسب ما جاء على لسان المؤرخ اليهودي فلافيوس جوسيفوس وجعل القدس مستعمرة رومانية ليس لليهود أي حق للعيش فيها.

ان الإسرائيليين بعد احتلالهم للقدس عام ١٩٦٧م يحاولون بناء الهيكل الثالث على أشلاء المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة ويسعون لايجاد الطريقة التي يقنعون بها العالم لتحديد موقع الهيكل الذي لا يوجد له أي أثر البتة أو أي دليل على موقعه رغم جهود الحفريات الأثرية التي قام بها الإسرائيليون الى اليوم، وقد تضاربت اراء علمائهم وحاخاماتهم فالبعض يرى ان الأقصى المبارك هو الموقع الصحيح بسبب وجود الأحجار في السور الجنوبي والغربي والبعض الآخر يرى ان مبنى الصخرة المشرفة هو الموقع الصحيح وان صخرة المعراج كانت حجر الأساس للهيكل الأول ورأي ثالث يدعى صاحبه كوفمان ان الموقع الأدق هو شمالي غربي الصخرة المشرفة وعلى بعد حوالي مائة متر توجد - قبة الأرواح - بسبب وجود حجر كبير تحت هذه القبة وفي مستوى البلاط الحجري لساحة الصخرة المشرفة.

ان اصحاب الرأي الأول يدعون بان حائط البراق هو جزء من جدران الهيكل ويبلغ طول حائط البراق ٤٨ مترا وارتفاعه ١٧ مترا ويعد من الأملاك الإسلامية لأنه يشكل جزءا من الأقصى المبارك وله علاقة وطيدة باسراء النبي محمد صلى الله عليه وسلم من الكعبة الى الأقصى حيث اوصلته وسيلة الإسراء الى ذلك المكان وسمي فيما بعد باسمها - حائط البراق - يبلغ طول بعض حجارته خمسة امتار اما الرصيف امام حائط البراق الذي يقف عليه اليهود عندما يزورون الحائط فيبلغ طوله ٣،٣٥ مترا وعرضه ٣،٣٥ وهو من أوقاف ابي مدين الغوث انشيء هو والأملاك المجاورة له في زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي لمنفعة جماعة من المغاربة المسلمين.

ان ملكية حائط البراق الإسلامية قد أكدها تقرير هيئة عالمية شكلت في زمن الإنتداب البريطاني على فلسطين وقدمت تقريرا سنة ١٩٣٠م وأعيد نشر هذا التقرير سنة ١٩٦٨م بعد الإحتلال الإسرائيلي للقدس، ورغم ان اليهود لا يملكون أي حق قانوني بهذا الحائط الا ان تسامح المسلمين يسر لليهود زيارة هذا الحائط والبكاء خلفه ايام الإنتداب البريطاني ومن هنا جاءت تسمية حائط المبكى التي اطلقها عليه اليهود بينما اسمه الحقيقي هو حائط البراق.

مجمل المعالم الإسلامية التاريخية في القدس

من الملامح الأساسية لطابع مدينة القدس وشخصيتها انها تحافظ على مكوناتها المرتبطة ارتباطا وثيقا بعادات سكانها العرب وتقاليدهم وثقافتهم، ومن هذه المكونات الأحياء السكنية المتضامنة والخدمات الرئيسية من اسواق ومساجد ومدارس وخدمات صحية مترابطة مع الأحياء السكنية وغير مفصولة عنها.

في القدس الشريف جوهرتان الأولى المسجد الأقصى والثانية الصخرة المشرفة وجاء في مجير الدين ان الجوهرة الثالثة هي المدرسة الأشرفية التي أكمل بناءها السلطان قايتباي المملوكي.

في القدس الشريف كثير من المعالم التاريخية تتمثل في المساجد والسبل والتكايا والخانقات والأروقة والمدارس والأضرحة المفردة والمقابر الجماعية من بينها أكثر من تسعة قبور لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر من٤٠٠ قبر للعلماء والأعيان ورجال الحكم والقادة كما جاء في كتاب اجدادنا في ثرى بيت المقدس.

وفيما يتعلق بالمعالم التاريخية الإسلامية في القدس الشريف فان هنالك ما ينوف على ٢٠٠ معلم، فهنالك ٤٦ مدرسة تاريخية و ٣٩ زاوية وضريحا وتربة و٢٥ مسجدا، و٢٢ سبيلا وحماما و٣٥ قبة ومحرابا وبابا، و٣٤ طريقا و٩ أسواق و٨ أبواب.

أما المعالم المسيحية التاريخية فهنالك عدد من الكنائس والطرق المقدسة التي تعود الى مختلف الطوائف المسيحية فهنالك ١٩ كنيسة وبطريركية و١٨ طريقا.

المسجد الأقصى المبارك الجوهرة الأولى

يقع مبنى المسجد الأقصى المبارك في الجهة الجنوبية من الحرم الشريف الذي تبلغ مساحته ١٥٠ دونما اما مساحة مبنى المسجد الأقصى فتبلغ ٤٥٠٠ متر مربع شرع في بنائه الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي وأتمه الوليد بن عبد الملك سنة ٧٠٥م ويبلغ طوله ٨٠ مترا وعرضه ٥٥ مترا ويقوم الآن على ٥٣ عمودا من الرخام و ٤٩ سارية مربعة الشكل وكانت أبوابه زمن الأمويين مصفحة بالذهب والفضةولكن أبا جعفر المنصور أمر بخلعها وصرفها دنانير تنفق على المسجد، وفي أوائل القرن الحادي عشر اصلحت بعض اجزائه، وصنعت قبته وأبوابه الشمالية ولما احتل الصليبيون بيت المقدس سنة ١٠٩٩م جعلوا قسما منه كنيسة، واتخذوا القسم الأخر مسكنا لفرسان الهيكل، ومستودعا لذخائرهم ولكن صلاح الدين الأيوبي عندما استرد القدس الشريف منهم أمر بإصلاح المسجد وجدد محرابه وكسا قبته بالفسيفساء وأتى بالمنبر، المرصع بالعاج والمصنوع من خشب الأرز والأبنوس من حلب ووضعه على يمين المحراب وبقى الى ان احرقه الإسرائيليون بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١.

اعتنى بالمسجد ملوك بني أيوب والمماليك وسلاطين بني عثمان وأنشئت فيه أروقة وعمر سقفه، وصفح بالفسيفساء ورممت جوانبه وفرشت أرضه بالسجاد العجمي وطرأ على المسجد خلل سنة ١٩٢٧ فاستنهض المجلس الإسلامي الأعلى الأقطار العربية والإسلامية التي ساهمت في إعماره، وكان أخطر تعمير أجري عليه هو رفع الأعمدة القديمة البالية التي تقام عليها القبة واستبدالها بأعمدة جديدة عددها ٨، أقيمت على أساسات متينة من الخرسانة المسلحة وحدث زلزال آخر تصدعت على اثره بعض اروقته واجزائه فتولى المجلس الإسلامي تعميرها من واردات الأوقاف فهدم الرواق الشرقي وبنى من جديد كما أعيد بناء الرواق الأوسط وأتى بالأعمدة المماثلة اللازمة من إيطاليا ويوجد تحت الأقصى دهليز واسع يسمى الأقصى القديم يتألف من سلسلة من عقود تقوم على أعمدة ضخمة.

أعلنت السلطات الإسرائيلية المحتلة للقدس الشريف ان شخصا مختل العقل اسمه روهان قد احرق المسجد الأقصى المبارك بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢١ ولكن اثار الحريق دلت ان هناك اشخاصا اخرين ساعدوا روهان في عملية الحريق من الخارج ومن خلال احد الشبابيك الغربية المطلة على حارة المغاربة التي هدمها الإسرائيليون.

بلغ الجزء المحترق من المسجد ١٥٠٠ مترا مربعا أي ثلث مساحة المسجد الإجمالية واحرق معه منبر صلاح الدين الأيوبي ومسجد عمر ومحراب زكريا ومقام الأربعين وثلاثة أروقة ممتدة من الجنوب شمالا مع الأعمدة والأقواس والزخرفة والسقف الذي سقط على ارض المسجد وعمودان رئيسيان مع القوس الحامل للقبة وأجزاء من القبة الخشبية الداخلية المزخرفة والمحراب والجدار الجنوبي وتصفيح الرخام و٤٨ شباكا من الجبص والزجاج الملون والسجاد العجمي وسورة الإسراء التي تبتدىء من فوق المحراب وتمتد شرقا والمصنوعة من الفسيفساء المذهبة وكثير من الزخارف والآيات القرآنية.

تم بحمد الله ترميم الأجزاء المحترقة خلال الفترة ٦٩-٨٤ ما عدا منبر صلاح الدين وتركيب سورة الإسراء وتصفيح بعض الرخام، وكان ترميم القبة الداخلية من أهم وأصعب عمليات الترميم والمحاولات جارية لصنع منبر بديل لمنبر صلاح الدين الأيوبي بموجب المخططات التفصيلية التي تم تحضيرها.

الجوهرة الثانية قبة الصخرة المشرفة

أنشأها الخليفة عبد الملك بن مروان خلال الفترة ٦٩١-٦٩٢م فوق صخرة المعراج المشرفة، وقد جرت عدة ترميمات على هذا المبنى الى وقتنا الحاضر، ولكنها لم تؤثر على الناحية المعمارية الجميلة التي يتحلى بها هذا الصرح الإسلامي.

وصف قبة الصخرة المشرفة كما كانت زمن الخليفة عبد الملك المفصل للعارف وقال انها اقدم معلم من معالم العمارة الإسلامية، وتشكل أعلى بقعة في الحرم الشريف، وكان يتكون المبنى من قبة خشبية قطرها ٢٠،٤٤ مترا متكئة على اسطوانة تشتمل على ١٦ شباكا، وترتكز على ٤ دعامات، ١٢ عمودا، منظمة في شكل دائري بحيث وجد ٣ أعمدة بين كل دعامتين تقع القبة في مركز شكل ثماني بلغ طول ضلعه ٢٠،٥٩ مترا وإرتفاعه ٩،٥٠ مترا، وهناك تصوينة فوق الجدران يبلغ ارتفاعها ٢،٦٠ مترا ويوجد في الجزء العلوي من كل جدار ٥ شبابيك، كما ان هناك أربعة أبواب في أربعة جدران خارجية يبلغ قياس كل منها ٢،٥٥ مترا للعرض ٤،٣٥ مترا للإرتفاع أما الصخرة المشرفة التي انشيء عليها هذا المبنى فتبلغ مقاييسها الداخلية حوالي ٥×٧×٣م الإرتفاع ومقاييسها الخارجية ١٧،٥٠×١٣،٥٠×٢ متر السمك. تم تركيب القبة الخارجية عام ١٩٥٦ من الألمنيوم ولكنها تحتاج الآن الى تغيير بسبب تسرب مياه المطر من الشقوق التي حصلت فيها، كما ان التصفيح الرخامي للجدران الخارجية يحتاج الى ترميم بسبب ظهور الصدأ من خلال الروابط المعدنية التي تقاوم الصدأ وهناك بعض الأعمدة الداخلية وقواعدها تحتاج الى ترميم.

المدرسة الأشرفية الجوهرة الثالثة

تعتبر هذه المدرسة من أهم المعالم المملوكية، كما تعتبر الجوهرة الثالثة في القدس الشريف، بعد المسجد الأقصى والصخرة المشرفة، كما وصفها مجير الدين، وكانت الجواهر الثلاثة تضاء في أيام الجمعة والأحد والإثنين على التوالي أكمل بناءها السلطان قايتباي وهدمها زلزال عام ٩٠٣هـ ثم أعيد بناؤها وعادت الى سابق عهدها.

وقامت دائرة الأوقاف بالقدس بترميم الطابق السفلي منها، ونقلت اليه مكتبة المسجد الأقصى، وتتكون المدرسة من طابقين وتقع بين قبة الصخرة المشرفة ومنارة باب السلسلة.

المعالم الإسلامية الدارسة في القدس

كان في القدس كثير من المعالم التي لم يعد لها أي أثر في وقتنا الحاضر، وهي علاوة على ما ذكرنا سابقاً، ومن هذه المعالم التي لم يبق لنا منها الا تاريخها المدرسة النصرية، التي كانت على برج باب الرحمة، ومدرسة أبي عقبة التي كانت من المدارس الحنفية في القدس، والمدرسة الأفضلية التي كانت وقفا على فقهاء المالكية وقد أزالتها السلطات الإسرائيلية عام ١٩٦٧م والمدرسة الأمجدية وكانت من المدارس الحنفية، وزاوية الدركاه أو مدرسة الدركاه، وهي اليوم خراب بإستثناء جزء منها ادخل في الكنيسة الألمانية بالدباغة في القدس والمدرسة الوجيهية وهي من المدارس الحنفية والزاوية المحمدية بجوار المدرسة البارودية والزاوية الطواشية التي كانت تقع في حارة الأكراد المعروفة بحارة شرف والتي انشأت السلطات الإسرائيلية المحتلة مكانها مساكن حديثة بعد عام ١٩٦٧ والمدرسة الحسينية والزاوية الشيخونية والزاوية اليونسية والمدرسة الجهاركسية والمدرسة الطولونية والمدرسة الفيزيائية والمدرسة القرقشندية والمدرسة الموصلية وكثير غيرهم.

استعمال الأبنية التاريخية للسكن

يسكن حاليا جميع الأبنية التاريخية في القدس الشريف، عائلات فقيرة منذ وقت طويل، ولا يستطع هؤلاء السكان ترميم هذه الأبنية على حسابهم بسبب الحالة الإقتصادية الضعيفة التي هم عليها، ولذلك ستقوم دائرة الأوقاف في القدس من خلال قسم الأثار فيها بترميم هذه الأبنية بالتعاون مع مركز ترميم وصيانة الأثار التي انشىء تحت مظلة الجامعة العربية.

ولتسهيل هذا الأمر فقد تم تسجيل المدينة المقدسة في قائمة التراث العالمي في اليونيسكو رغم معارضة أمريكا وإسرائيل، والمطلوب من العالم الإسلامي والعربي

هو الرد على التحدي الإسرائيلي في القدس الشريف بغض النظر عن الظروف السياسية السائدة بإعتبار عملية الترميم والصيانة عملا حضاريا ثقافيا يهم العالم أجمع، وحتى يثبت المسلمون والعرب أنهم يستطيعون منح هذه الأبنية الحياة كما منحوا حياتهم البناء.



بسم الله الرحمن الرحيم

يسعدني أن أتحدث إليكم في افتتاح هذا المؤتمر الخيّر الهادف. "سلام العالم من سلام القدس"، وآمل أن يصل هذا النداء الى أذهان وعقول وضمائر أصحاب القرار في عالم اليوم وأن يصل أيضا الى الذين لم يفهموا بعد أن احتلالهم للقدس منذ ١٩٦٧ لم يجلب لهم السلام ولا الأمان، وسيبقى الحال كذلك ما دام الوضع في هذه المدينة على ما هو عليه.

وهنا لا بد لي أن أؤكد أن السلام الذي ننشده للقدس هو السلام القائم على العدل والحق وليس على التعصب والغطرسة ومنطق القوة والبطش، لأن أمرا كهذا هو أبعد ما يكون عن السلام، بل هو وقود الانفجار والحرب والدمار. وقد آن لهؤلاء أن يفهموا الحقيقة بأن القدس عربية إسلامية فلسطينية لا تقبل هوية مصطنعة ولا يستقر الحال فيها لظالم حتى وإن توهم ذلك لفترة من الزمن.

إن القدس من مدائن الجنة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أربع من مدائن الجنة، مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس".

---

* حسن طهبوب، رئيس الهيئة الإسلامية في القدس، ووزير الأوقاف والشؤون الدينية في السلطة الفلسطينية.
كلمة في افتتاح الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله، الصلاة في مسجدك هذا أفضل من الصلاة في بيت المقدس؟". قال: "صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو أرض المحشر والمنشر".

وجاء في الحديث القدسي الشريف ما يرويه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه سبحانه وتعالى "يا قدس أنت قدسي وجنتي وصفوتي من الأرض لعبادي من دخلك فبرضى مني عليه ومن خرج منك فبسخط مني عليه".

إن مدينة كهذه مع كل ما نعرفه عنها من ارتباط بعقيدة المسلمين وما تمثله من أهمية وقدسية لأخوتنا المسيحيين، هي مدينة لا يمكن أن يستقر حال المنطقة والعالم بدون سلامها وأمنها ... وقد ثبت تاريخيا أنها كانت بؤرة وعنوانا للسلام، أو الحرب، فإذا نعمت بالسلام والعدل كان السلام والعدل لغيرها ولما حولها نتيجة طبيعية. أما إذا كانت تحت الاحتلال وعرضة للظلم والعدوان، فلا سلام لغيرها ولا أمن ولا أمان لكل من حولها. هذه حقائق يعرفها كل قارىء تاريخ ويدركها كل واع مخلص، أما من كان طامعا متعصبا حاقدا على غيره فإن ذلك والعياذ بالله يحجب عنه رؤية الحقيقة فيتمادى في غيّه الى أن يسقط في مستنقع حقده وتعصبه وطمعه.

نقول هذا للمتعصبين الذين يحاولون في كل يوم تقريبا أن يعتدوا على حرمة المسجد الأقصى المبارك وغيره من المقدسات الإسلامية والمسيحية ويعملون على تكريس تهويد المدينة المقدسة بالضغط على سكانها العرب والتضييق عليهم، فهدم البيوت وإغلاق المنافذ ومصادرة الأراضي وقوانين جائرة في كل أمور الحياة.

إنهم يمنعون المؤمنين من الوصول الى الأقصى والقيامة، إنهم يمنعون المرضى من الوصول الى المستشفيات، إنهم يمنعون الأساتذة والطلاب من الوصول الى دور العلم. إنهم يهددون بإغلاق المؤسسات الصحية والعلمية والإعلامية والدينية.

لكننا في هذا المقام نحذر من مواصلة هذا النهج العدواني الذي ان استمر فانه سينسف كل آمال السلام التي نحاول أن ننميها فيهم، ولكنهم للآن يصرون على قتلها

ولا مناص لنا من القول بأنه لا سلام ولا استقرار ولا أمن بدون أن يتوفر ذلك كله في القدس أولا وأخيرا.

إن واقع القدس الذي ستبحثونه في جلسات المؤتمر لا يخفى على أحد، فهي وفق كل الشرائع والقوانين والمقاييس مدينة عربية فلسطينية سقطت تحت الاحتلال الإسرائيلي، ولا بد للاحتلال أن يزول حتى يمكن تحقيق السلام في القدس. ولكني وبكل أسف أقول أن الممارسات الإسرائيلية اليومية تقربنا أكثر وأكثر من الانفجار والحروب والاقتتال لا سمح الله. فهم لا يرون الأمور إلاّ من زاوية مصلحتهم فقط، تغريبهم وسائل قمعهم، فلا يدركون ارتباطها عقديا بمليار ومائتي مليون مسلم، وحقيقة قدسيتها عند العالم المسيحي كله، فكيف يتسنى لهم أن يقمعوا كل ذلك، أو أن يشطبوا كل ذلك من حسابات الحقيقة، الا إذا كانوا يقعون في خطأ استراتيجي نتيجته معروفة مهما طال الزمن لأنه في النهاية لا يصح إلا الصحيح، هكذا علمتنا سنن الكون وطبائع الأشياء.

أسأل الله أن يوفقكم في التوصل الى توصيات ونتائج تساهم في إعلاء صوت الحق والسلام لعله يجد صدى في عواصم القرار ولعله يصل الى الذين يحتلون القدس، هذه الدرة والجوهرة التي ستبقى رغم كل شيء وبوقائع الجغرافيا والتاريخ وبمقدمات المستقبل عاصمة فلسطين ومهوى أفئدة المؤمنين والمدينة التي تنشد السلام. فسلام العالم من سلام القدس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته





الإسرائيليون ملزمون بأن ينهوا احتلالهم لمدينة القدس، وعندما أقول بأنهم ملزمون فإننا جميعا "نحن وهم" حين دخلنا في العملية السلمية السياسية لم يرسمها أحد منا وانما فرضت علينا في هذه المرحلة التاريخية الخاصة. الإسرائيليون هم جزء من هذا العالم وعلى الرغم من ان لهم قدرات ضاغطة في الدول الكبرى، لكن في النهاية المصلحة الدولية تحكم عدة مناطق ومن ضمنها هذه المنطقة، بحيث يجب ان يتم فيها تغيير ما. وتأتي هذه المرحلة في مرحلة تغيير تاريخية لربما هي واحدة من أهم ثلاث لحظات نمر بها في هذا القرن. المرحلة الأولى هي على اثر انتهاء الحرب العالمية الأولى عندما انتهت مرحلة وبدأت مرحلة جديدة، انتهى نظام دولي كان قائما ليحل مكانه نظام دولي جديد، فقد سقطت إمبراطوريات ونشأت إمبراطوريات في تلك المرحلة، شعوب ربحت استقلالها وشعوب خسرت هذا الاستقلال. في تلك المرحلة وعلى اثر الحرب العالمية الأولى اجتمع المنتصرون ليضعوا خارطة جديدة للعالم ونسيجا فرض على الناس، فقد نام الناس ذات ليلة وهم عثمانيون واستيقظوا ليجدوا أنفسهم أردنيين أو فلسطينيين أو سوريين ... الخ.

---

* فيصل الحسيني وزير في السلطة الفلسطينية ومسؤول عن ملف القدس، مدير بيت الشرق في القدس.
كلمة في افتتاح الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

اللحظة المهمة الثانية هي تلك التي تلت الحرب العالمية الثانية فعندما سقط نظام عصبة الأمم ونشأ مكانه نظام الأمم المتحدة فقط اختفت إمبراطوريات ونشأت ممالك ودول جديدة، ونالت بعض الدول استقلالها وبدأت برسم خريطة جديدة للعالم تجاهلت في كثير من الأحيان تلك الخريطة التي رسمت بعد الحرب العالمية الأولى. ونحن اليوم ندخل مرحلة جديدة وهي انتهاء الحرب الباردة، ونرى أن هناك نظاما جديدا ينشأ وهذا النظام بدأ برسم خارطة جديدة للعالم، وعلينا أن نكون في هذه المرة موجودين عليها وان نتمسك بوطن لنا عليها وعلينا أن نقود هذه المعركة ولدينا هذه القناعة انه بالامكان ان يصنع شيء، لان الموضوع ليس فقط توازن قوى بيننا وبين إسرائيل، ولكن المصالح الدولية المتشابكة أصبحت تتيح لنا إمكانية الحصول على شيء ما؛ هو بالقطع ليس كل حقنا لكنه جزء من هذا الحق الذي نستطيع أن نمارسه على رقعة معينة من أرضنا. ومعركتنا هي معركة حدود هذه الأرض التي يمكن أن نمارس عليها حقنا. نظرياً القدس هي جزء منها، نظرياً أيضاً هناك دعم أوروبي وحتى موقف أمريكي مؤيد لعملية الإنسحاب الإسرائيلي من القدس الشرقية . قد لا نستطيع نحن أن نحقق، ان نبني تحالفاتنا وبنيتنا السياسية وان نكون واضحين فيما نريده بقدر ما نستطيع أن نحقق وضعا أفضل لنا في مدينة القدس.

عندما بدأت المحادثات على أثر حرب الخليج مع أمريكا كان واضحاً للجميع مدى أهمية القدس وحساسيتها ليس فقط للسلام في المنطقة ولكن للسلام في هذا العالم. كان واضحاً أنه لن يكون هناك سلام في المنطقة دون القدس ولن يكون هناك سلام في العالم دون سلام في المنطقة، ولهذا السبب أخذت القدس وقتاً وحيزاً كبيرين جداً في المحادثات في تلك الفترة، وفي النهاية تم التوصل الى هذه الصيغة لأن موضوع القدس حساس، وهنا نتحدث عن القدس وليس فقط عن القدس الشرقية، فإنه سيبحث في مرحلة لاحقة، وأن يكون هناك تصور بأن هذه المدينة حسب التعبير الأمريكي ينبغي الا تقسّم . ولهذا السبب كان إصرارنا في حينه ألا نذكر هنا القدس الشرقية ولكن ان نذكر القدس حتى عندما تبدأ أي محادثات على القدس يجب الاّ تقسّم . لا نستطيع أن نعطي أي اعتراف بالحق الإسرائيلي في المنطقة الغربية لنطالب بحقنا في المنطقة الشرقية، إنّ معنى ذلك أننا سنوافق على

ضم القدس الشرقية للقدس الغربية. لهذا السبب نحن دخلنا هذه المفاوضات من أجل وضع القدس ككل وليس فقط شرقي القدس.

من هنا كان هذا الإتفاق الذي أعيد تأكيده في أوسلو وهو بحث القدس وليس فقط شرقي القدس لأننا نعتبر أن موضوع شرقي القدس هو أمر مفروغ منه لأن هناك قرار ٢٤٢ الذي تجري بموجبه هذه المحادثات، وبالتالي الإنسحاب من القدس الشرقية هو شيء أوتوماتيكي من الناحية النظرية ولكن ما نبحثه هو وما علينا أن ندخل فيه في المفاوضات في السنة القادمة هو طبيعة العلاقة ما بين القدس الشرقية التي ينبغي أن تكون عاصمة الدولة الفلسطينية والقدس الغربية التي تعتبرها إسرائيل عاصمتها. هذا ما هو مفروض ومطروح أمامنا على مائدة المفاوضات وعلى ما نصرّ على أن يكون على هذا الشكل.

لماذا وافق الإسرائيليون على هذه العملية ولماذا ومع كل إمكانياتهم وقدراتهم اضطروا أن يوافقوا على أن موضوع القدس سيطرح على مائدة المفاوضات ؟؟ أنا أعتقد أن لهذا سببين، السبب الأول: لأنهم لا يستطيعوا أن يقفوا في مواجهة الإرادة الدولية في هذه المرحلة وفي هذا الشكل وقد كانوا يطمعون أنه من خلال هذه الفترة لربما تم تغيير الحقائق على الأرض من أجل تغيير الوضع وبالتالي كسب مساحة أكبر في القدس.

ونحن جميعاً نعرف أنه منذ العام ١٩٦٧ كفلسطينيين، كعرب، كمقدسيين حافظنا على الوضع الداخلي في القدس الذي من خلاله كانت الأمور الدينية هي في اليد الفلسطينية وليست في اليد الإسرائيلية وكذلك التعليم والصحة والشؤون الإجتماعية. كثير من هذه المجالات أبقينا عليها في يدنا بالشكل المستقل، ولهذا السبب أثار أولمرت الآن قضية الكتب التي توزع على الطلاب في مدارس القدس والتي كتب عليها "السلطة الوطنية الفلسطينية" لأن المنهاج الذي يدرس هناك منذ عام ١٩٦٧ هو نفس المنهاج الذي يدرس في غزة والضفة الغربية وبالتالي كان علينا أن نوزع نفس المنهاج من الحكومة الأردنية ثم من الإدارة المدنية والآن توزّع من السلطة الوطنية الفلسطينية . فالقدس ما زالت عربية بمؤسساتها، بمنازلها بمتاجرها وتجارها. يحاول الإسرائيليون الآن تغيير هذا الوضع وهم يسعون الى ذلك قبل ان

نصل الى مائدة المفاوضات بهدف محاصرتنا من خلال ضرب ثلاثة أطواق من العزل حول القدس. الطوق الأول وهو عزل مدينة القدس عن باقي أنحاء فلسطين وبالتالي عزل القدس عن الشعب الفلسطيني هادفين من ذلك أن يعودوا الشعب الفلسطيني على التعامل بدون القدس. المستشفيات في القدس، العيادات والمتاجر والمدارس، وكل هذه الأشياء، الآن هم يحاولون أن يعودوا الشعب الفلسطيني على أن يبحث عن مكان آخر لقضاء هذه الحاجات.

الطوق الثاني الذي يحاول الإسرائيليون أن يعزلوا من خلاله القدس هو عزل الشعب الفلسطيني في القدس عن مؤسساته الفلسطينية من خلال وضع العراقيل أمام هذه المؤسسات واضعافها بمختلف الوسائل بما في ذلك التعقيدات القانونية وعمليات إرهاب ضد هذه المؤسسات وتعطيل الوصول اليها وكذلك خلق قوانين جديدة لم تكن مكتوبة في السابق والتعامل معها على أنها كانت موجودة كالطلب من الأطباء ان يكونوا أطباء مسجلين في الجمعية الطبية الإسرائيلية وبالتالي على كل طبيب ان يتقدم لامتحان جديد حتى يستطيع ان يمارس هذه المهنة في القدس، وبيت الشرق عليه أن يطلب الإذن ليكون مكتب بدلاً من كونه فندق فعليه ان يطلب ترخيص بذلك والهدف هو عزل المؤسسات عن الشعب الفلسطيني في القدس وبالتالي الزام الشعب الفلسطيني على ان يتعامل مع المؤسسات الإسرائيلية تدريجياً وبالتالي ينتهي هذا الوجود المدني الفلسطيني في داخل القدس ليصبح جزءا من العجلة الإسرائيلية.

الطوق الثالث وهو تعويد العالم على ان يتعامل مع الشرق الأوسط ومع القضية الفلسطينية بدون القدس، وذلك من خلال فرض الطوق على الا تتم هناك نشاطات سياسية ذات طابع دولي في القدس. ولربما هذا هو السبب الأساسي الذي يركزون فيه على بيت الشرق فهناك تتم هذه اللقاءات السياسية والتي يعبّر فيها هذا الزائر عن ان موضوع القدس لم يحل بعد. هذه الدول لم تعترف بعد بأن القدس هي جزء من إسرائيل، ولم تعترف بها كعاصمة لإسرائيل ولم تعترف بضم القدس الشرقية للقدس الغربية. لهذا السبب فسفاراتهم موجودة في تل أبيب وقنصلياتهم هنا ليس لها علاقة بالسفارات في تل أبيب وإنما مع وزارات الخارجية التابعة لهم وعلى سبيل المثال اذا أتى وزير الخارجية من الخارج ليزور هذه المنطقة وقابل إسرائيليين في

القدس وفلسطينيين في غزه فعليه أن يقابل أيضاً فلسطينيين في القدس. فالتعبير الأوروبي هو أنه اذا كنا مجبرين على أن نقابل إسرائيليين في القدس فيجب أن نقابل فلسطينيين في القدس حتى نحقق التوازن.

من هنا واضح ان هذه المعركة يخوضوها الإسرائيليون من خلال هذه الأطواق الثلاثة وما علينا أن نفعله هو محاولة إحباط هذه الأطواق الثلاثة وبالتالي إبقاء مدينة القدس في الوضع الذي نستطيع فيه ان ندخل المفاوضات وهي مازالت مدينة عربية، وأنا على قناعة كاملة بأننا اذا استوعبنا هذا الموضوع ومارسنا عملنا من خلال الوعي لهذه الأطواق الثلاثة فإنه يمكن في النهاية أن نصل ونحقق أهدافنا بالرغم من أننا سنواجه الكثير من المصاعب. يجب ألا يكون هناك نقل للمؤسسات من داخل القدس الى خارجها ولو واجهنا كثيراً من المتاعب فهذا مؤشر على الإحباط لا يجوز أن نشجع أي نوع من الحركة من القدس الى خارجها من ناحية الإسكان مهما بلغت المشاكل ومهما اضطررنا أن نسكن في بيوت مزدحمة أحدنا بجانب الأخر، ولكن يجب أن نبقى في القدس وأن نعمل من الناحية الدبلوماسية على اثبات وضعنا في القدس.

إننا ونحن مقدسيون نكره ان نرى القدس مقسّمة الى مدينتين احداهما محتلة والأخرى تمارس هذا الاحتلال والحل الوحيد لإنهاء هذا الوضع هو ان يكون هناك مدينة مفتوحة ولكن تضم فيها العاصمة الفلسطينية. هذه الصورة اذا استطعنا ان نصل اليها ونحن كفلسطينيين بتركيبتنا نمثل الجانب الاسلامي والجانب المسيحي في حين أن الجانب الاسرائيلي يعبر عن نفسه بأنه يمثل الجانب اليهودي، فقط نحن نستطيع ان نمثل عنصرين من العناصر الثلاثة الموجودة في القدس.

بالقدر الذي نستطيع فيه نحن الفلسطينيون أن نحمل خطاباً سياسياً للعالم يقنعه بأن هذه الجهة هي التي تمثل المصالح الاسلامية والمسيحية في هذه المنطقة وكلما كان خطابنا السياسي واضحاً كلما استطعنا ان نقود المعركة بشكل أفضل.

بشكل أو بأخر لدينا معادلة ثلاثية في هذه المنطقة وهي تقول بأن أصغر تجمع في العالم يملك اكبر قوة في المنطقة واكبر تجمع في المنطقة تمتلك اصغر قوة في

المنطقة، واكبر قوة في العالم تمتلك اصغر تجمع في المنطقة، واذا نظرنا بشكل اخر، اكبر واقوى دول في العالم هي الدول التي تضم الغالبية المسيحية مثل الولايات المتحدة والدول الأوروبية وهي تشكل القوة الكبرى في العالم، اليهودية وهي التجمع الأصغر في العالم (١٥ مليون) تمتلك اكبر قوة في المنطقة، المسلمون الذين يشكلون اكبر تجمع في المنطقة يمتلكون اقل قوة، اذا حاولنا أن نخوض المعركة فقط كفلسطينيين في مواجهة الاسرائيليين فنحن نخوض معركة غير رابحة لا على المستوى الديمغرافي العددي ولا على مستوى القوة، واذا اردنا ان نخوضها معركة إسلامية فمعنى ذلك ان القوة الأضعف ستكون في مواجهة القوة الأكبر والأقوى، ولكن اذا خضناها معركة تستوعب هذا البعد الاسلامي المسيحي نظراً لمكانة القدس ولكونها العاصمة الروحية للمسيحيين في العالم فنحن نجمع العدد الأكبر والقوة الأكبر في مواجهة ما يجري هنا في القدس وضمن هذه الصيغة الدولية التي لا يمكن أن تتجاهل هذه الأبعاد، فإذا استطعنا ان نفعل ذلك نكون ويكون خطابنا السياسي واضحاً للعالم حيث سنستطيع أن نحشد ما يكفي من القوة للخروج بوضع متوازن للقدس من هذه العناصر الثلاثة ونبني القدس ليس فقط عاصمة لدولتين ولكن ربما عاصمة الشرق الأسط بل وربما كنت أبالغ اذا قلت عاصمة للعالم.



القدس جوهر الصراع في منطقتنا، ولا سلام في العالم بدون السلام في الشرق، ولا سلام في الشرق بدون السلام في القدس ولا سلام في القدس بدون العدل واستعادة الحقوق وشعور كل طرف من أطراف الصراع بالرضا والقبول.

وإذا حاولت جهة فرض سيطرتها على القدس، بدون أي مراعاة لحقوق الآخرين ومطالبهم ومشاعرهم، فان ميزان العدل سوف يختل وميزان السلام لن ينتصب ولن تقوم له قائمة. ولذلك فإننا ضد هيمنة جهة واحدة على المدينة المقدسة.

ونحن ضد اللامبالاة والوقوف مكتوفي الأيدي، والوجود الهامشي، لأننا جزء من القدس لا ينفصل عنها، والقدس في قلوبنا وضمائرنا وحين نتكلم عن القدس فان القدس هي التي تتكلم فينا، ليس كما لو كنا في مكان بعيد. إن لنا الحق الكامل في الحديث عن مستقبل القدس، وفي السعي للمشاركة في رسم صورة هذا المستقبل وتحديد الشكل الذي نتصور مدينتنا عليه، مستقبلا والى أجيال كثيرة قادمة.

* الأب عطا الله حنا، دكتوراه في اللاهوت، الناطق الرسمي لبطريركية الروم الأرثوذكس - القدس - للشؤون العربية.
إفتتاح الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

لقد أدت محاولات السيطرة المنفردة على القدس الى ردود فعل سلبية واسعة اذ ان إغلاق المدينة المقدسة أدى الى تعمق مشاعر الخلاف وازدياد التباعد بين الشعبين، في وقت يسعى فيه الجميع الى التقارب والتفاهم. كما أدى إغلاق المؤسسات الفلسطينية في القدس ومحاصرتها والتضييق عليها، الى فقدان الإيمان بمصداقية هذا السلام الذي يسعون الى إقامته، ويجاهدون لإرساء قواعده، ذلك لان فرض سيطرة جهة واحدة على القدس لا يعني سوى بقاء النار مشتعلة تحت رماد التسوية التي يتحدثون عنها. ولا يوجد فرد واحد مستعد لقبول هيمنة الجهة الأخرى على مدينة السلام.

هل من العدل أن يصبح الفلسطينيون عابري سبيل ومجرد زائرين في القدس، بدون أن يكون لهم حق البقاء والوجود فيها. القدس قدس إذا اتحدت المدينة والشعب، فلا مدينة بدون شعب ولا شعب بدون المدنية. القدس لأهلها لا للعنصرية، فالعنصرية في القدس كما هي في كل مكان وصمة عار في جبين الحق والعدالة.

نحن نعارض تشويه صورة القدس وتغيير طابعها المقدس، كما نرفض رفضا قاطعا فصل مصير المدينة عن مصير الشعب الفلسطيني الذي قدم التضحيات الجسام من اجل قضيته. ومصير هذه المدينة ليس قائما بذاته ولا هو منفصل عن قضية الشعب الفلسطيني الذي يعيش ويصلي فيها.

لذا ومن هذا المنبر، فإننا نعلن للمرة الألف رفضنا المطلق لحصار القدس ومحاصرة مؤسساتها الفلسطينية والمساعي المستمرة لخنق الوجود العربي فيها.

نحن ضد كل المساعي لتهويد القدس، وضد كل المحاولات لتغيير معالم القدس وتزييف حضارتها وتاريخها، وإقامة الاحتفالات في ما يسمى العام الألفي الثالث على تأسيسها، لإضفاء الطابع الانفرادي عليها حاضرا وماضيا، وليس فوق هذا التزييف للحقائق من تزييف! ويأتي لهذه الاحتفالات المزعومة القادمون من أقاصي الأرض وأطرافها الأربعة، وأهل رام الله وبيت لحم وحتى العيزرية وأبو ديس، لا

يستطيعون الوصول الى مدينتهم الحبيبة للصلاة. فأي منطق هذا وأي عدل هذا وأي سلام يتحدثون عنه.

إن من الأهمية بمكان عدم النظر الى القدس كأماكن مقدسة أو حجارة صماء، لان البشر لا الحجر هم همنا في القدس التي يجب أن تكون مدينة العدل والحق والسلام ومثال التعايش والتآخي والتعاون بين الشعوب.

القدس قلب إنسانيتنا وما يصيبها يصيب كل البشر وفيها نلتمس وجه الله. عهدنا مع القدس عهد طويل، ففيها يرفع العبادة الى الله كل مؤمن بالإله الواحد الأحد. وفيها يلتقي المصلي أخاه المصلي، ولا مدينة أخرى في أقطار العالم كله تشابه هذه المدينة الخالدة والفريدة المميزة. إن المسيحية نبعت من القدس وامتدت الى أقاصي الأرض، ولا يمكن أن تتنازل عن منبعها العام وعن القدس قلب هذا المنبع، بصورة خاصة.

إننا نؤمن بان الله حق، وان كل حق يدعمه الله ذاته، ولذلك فإننا مؤمنون بأهمية سلام القدس. إننا كإخواننا المسلمين، تواقون الى خالق السموات والأرض ونلتمس الرضا الإلهي، ومن فيض هذا الرضا نستمطر غيثا من البركات على كل عامل وساع لإحقاق الحق ونبذ الباطل.

فإيماننا ثابت كالجبال بأن الباطل مآله في النهاية الى زوال.

وبهذا فإنني انقل أدعية صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة كيريوس كيريوس ذيودوروس الأول بالنجاح الباهر لهذا المؤتمر مع شكرنا الجزيل لأسرة اللقاء لهذه البادرة الطيبة.

قراءة في ملف القدس

مهدي عبد الهادي*

تمهيد

إن مقدمة الموضوع تتناول ثلاثة أسئلة: أ) أية قدس نتحدث عنها؟ ب) ما هية المواطنة المقدسية؟ ج) ومستقبل المقاومة الفلسطينية في المدينة؟ أما موضوع الورقة فانه يتناول الأمور التالية: أ) قضايا أساسية في قضية القدس. ب) التحديات الذاتية في القدس. ج) والمتطلبات الملحة الرئيسة لتساعد على فتح ملف الحوار في قضية القدس. أما القسم الثالث والأخير من الورقة، فانه يتناول دعوة لرسم استراتيجية وطنية للدفاع عن الحق العربي الاسلامي والمسيحي في القدس.

المقدمة:

أ) *أية "قدس" نتحدث عنها؟*

إن التساؤل المطروح هو حول أية "قدس" نتحدث، وهذا يعني البحث عن الحدود الجغرافية والديموغرافية للمدينة، وفيما يتعلق بنا فعندما نتحدث عن القدس، فاننا نتحدث عن حدودها ونصفها بانها:

- ليست القدس في حدود البلدية الاسرائيلية للعام ١٩٩٥.
- وليست القدس الغربية فقط أو الشرقية فقط أو البلدة القديمة المسورة فقط.

* مهدي عبد الهادي، دكتوراه في التاريخ، ومدير مؤسسة PASSIA (المؤسسة الفلسطينية للدراسات الدولية في القدس).

محاضرة في الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

ان الحدود الجغرافية للقدس هي حدود عام ١٩٤٧، بالاضافة الى الأحياء والقرى المحيطة بها، والتي تعتبر جزءًا لا يتجزأ من المدينة، فهناك حوالي ٣٢ قرية تم هدمها وتهجير سكانها وشطب اسمها عن الخارطة الجغرافية والبشرية والاجتماعية للمدينة.

إن حدود المدينة كانت في العام ١٩٤٧-١٩٤٨ من الشرق قرية أبوديس ومن الجنوب مدينة بيت لحم ومن الغرب عين كارم ومن الشمال شعفاط ... إننا نتحدث عن القدس الغربية والشرقية بما فيها المدينة المسورة والأحياء والقرى المحيطة بها ككل متكامل.

ب) *المواطنة المقدسية وصفاتها:*

المجتمع الفلسطيني بشكل عام والمقدسي بشكل خاص، يحمل وجهين لعملة واحدة، وهما وجه اسلامي - ووجه مسيحي ... انهما معا عارضا ورفضا وقاوما الإحتلال، وما زال المسيحيون أحد أعمدة البيت الفلسطيني، ليس فقط لانهم يرفضون المحاولات المتعددة لتمييزهم عن بقية أفراد المجتمع، أو لانهم يعارضون ربطهم بمن هو خارج حدود المجتمع العربي، بل لانهم فلسطينيو المنبت والمعشر والولاء، وإن الوحدة الوطنية الفلسطينية مسألة حيوية يجب التركيز عليها باستمرار، وبالتالي فان المواطنة المقدسية هي مواطنة وطنية فلسطينية وليست مواطنة دينية، فالمصالح والحقوق المسيحية الدينية والبشرية، تفضل أن تكون بإستمرار في داخل الدائرة الفلسطينية - العربية وليس في الدائرة الدولية "التدويل" كما أن هناك "مخاوف" مسيحية شرعية من "التورط" في أية علاقة مع المؤسسة الاسرائيلية!!

ج) *المقاومة الفلسطينية وفعالياتها*

لم تتوقف المقاومة في يوم من الأيام ضد الممارسات والسياسات الاسرائيلية، الهادفة الى ضم القدس أو تهويدها منذ العام ١٩٦٧ ولغاية الآن، ويمكن متابعة فصول المقاومة الفلسطينية منذ الأيام الاولى للاحتلال الاسرائيلي للمدينة، بدءا باعلان الشيخ عبدالحميد السائح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس عام

١٩٦٧، "الفتوى الاسلامية" التي تنص على قرار واجماع المسلمين برفض وعدم القبول أو الخضوع أو المساومة مع الحكم الأجنبي اليهودي، وبالتالي جرى تشكيل الهيئة الاسلامية العليا لتشرف على شؤون المسلمين من مؤسسات الوقف الاسلامي والمحاكم الشرعية والمدارس والمعاهد وصناديق الأيتام الاسلامية، ومن ثم تشكلت أول لجنة توجيه وطني جمعت كافة الفعاليات، وشاهدنا مطران الكنيسة الانجيلية المطران نجيب قبعين، والشيخ عبد الله غوشه، والشيخ عبد الحميد السائح، يقودون الحركة الوطنية الاسلامية وشركة الكهرباء العربية والغرفة التجارية والمعاهد والمدارس والمؤسسات الثقافية ومراكز البحوث وغيرها.

العامل الجغرافي والديموغرافي في المدينة

قبل العام ١٩٦٧، كانت القدس الغربية تغطي ما مساحته ٥٣ كيلو متر مربع، وعدد سكانها ١٩٥،٠٠٠ ألف نسمة، في حين كانت القدس الشرقية تغطي ما مساحته ٦ كيلو متر مربع وعدد سكانها ٧٥،٠٠٠ ألف نسمة. وعندما احتلت اسرائيل كامل المدينة عام ١٩٦٧، وأعلنت من طرف واحد "توحيد" المدينة، تشكل لدى الرأي العام انطباع بأن هناك مدينة اسرائيلية واحدة اسمها القدس.

وحاولت السلطات الاسرائيلية تحويل طابع المدينة الى طابع يهودي بالقوة، وتشاهد اليوم ان هناك حوالي ٢٨ مستوطنة وحي يهودي اضيفت الى المدينة، هناك ٣٣٠،٠٠٠ ألف اسرائيلي يعيشون في القدس الغربية، وحوالي ١٥٠،٠٠٠ ألف مستوطن يهودي يقيمون في القدس الشرقية. في حين يبلغ تعداد المواطنين الفلسطينيين في القدس الشرقية حوالي ١٦٦،٠٠٠ ألف نسمة بالاضافة الى حوالي ٥٠،٠٠٠ ألف مقدسي يقيمون في الضفة الغربية.

لقد سعت السلطات الاسرائيلية الى تخفيض نسبة المواطنين الفلسطينيين في المدينة فكانت خطة ١٩٦٨ لتخطيط وتنظيم المدينة.

فالاطار الأول كان إقامة مباني على الأراضي الحرام لالغاء الحاجز الفعلي الذي يفصل قسمي المدينة.

والاطار الثاني كان في إقامة مستوطنات فيما بين الأحياء العربية لعزلها عن بعضها البعض.

والاطار الثالث كان على شكل إقامة حزام بين المستوطنات حول القدس، وبالتالي عزلها عن بقية الأراضي المحتلة. والواقع الحالي في المدينة اليوم أن: ٣٤٪ من أراضي القدس الشرقية مصادرة، و٥٢٪ مسجلة كأراضٍ خضراء يمنع استعمالها أو استغلالها، وما تبقى في الأيدي العربية ١٤٪ فقط! وأما بالنسبة للسكان، فان السياسة الاسرائيلية نجحت في الابقاء على مستوى النسبة ذاتها منذ العام ١٩٦٧، أي ٧٢٪ يهودي و ٢٨٪ فلسطينيين!

القضايا الأساسية في قضية القدس

١- هي قضية وطنية: تتعلق بالأرض والشعب والحقوق والمقدسات، وهي عاصمة الشعب الفلسطيني، استشهد على ثراها وفي الدفاع عنها مئات الآلاف نتيجة الحروب التي شنت عليها أو التحديات التي فرضت عليها.

٢- هي قضية سياسية: تتعلق في بؤرة الصراع الفلسطيني- الاسرائيلي والحق العربي الفلسطيني في السيادة الكاملة على المدينة.

٣- هي قضية مركزية: فهي أكبر مدينة فلسطينية ووطن معاشي وحياتي لأكثر وأنشط الفعاليات المؤثرة وذات النفوذ والمركز الرئيسي للنشاطات التعليمية والثقافية والمهنية والتجارية ... الخ.

٤- هي قضية وحدة الولاية الجغرافية: فهي تقع في المحور الشمالي والجنوبي للضفة الغربية وبدونها يحدث خلل في الالتحام والتماسك الجغرافي والديموغرافي الفلسطيني.

٥- هي قضية اسلامية-عربية: فعروبتها تعود لتأسيس مدينة يابوس العربية منذ خمسة آلاف عام، وترسخت هويتها الاسلامية بالاسراء والمعراج، وبكونها اولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وبالتالي أصبحت جزءًا من العقيدة

الاسلامية، ووضعت اسس هويتها العربية بالعهدة العمرية التاريخية وبالثبات واستمرار الحضور السكاني والعمراني والتراثي والحضاري العربي في المدينة دونما انقطاع، وهي مركز المقدسات المسيحية، بل عاصمة العقيدة المسيحية، وفيها كنيسةالقيامة والكنيسة العربية وجبل الزيتون، إن أهميتها الاسلامية والمسيحية المستمرة، لا يمكن تجاوزها باحتلال عسكري لمدة ٢٧ سنة.

٦- هي قضية متكاملة غير قابلة للتقسيم المادي: بسبب طبيعتها الرمزية وأبعادها الثلاثة التي يجب عدم تفضيل أو اختيار أحدهما على حساب الآخر، انها مدينة تاريخية ومدينة مقدسة ومدينة سياسية، فالبعد الأول التاريخي يعني التراث والحضارة والآثار والمعالم وواجب المحافظة فيها، والبعد الثاني يعني العبادة والأماكن المقدسة والحق في الوصول اليها والتعبد فيها، والبعد الثالث يعني السيادة الاقليمية وهو حق للمواطنين وليس للسلطة الحاكمة. هذا الحق لم ولن يتم التنازل عنه وواجب المحافظة عليه، والموقف هو ضرورة استمرار الربط بين هذه الابعاد الثلاثة في وقت واحد.

٧- هي قضية حدود: فالخارطة الهيكلية للمدينة تطورت عبر حقب الزمن وسلطة الادارات المتعاقبة عليها ١٩١٧، ١٩٤٧، ١٩٥٠، ١٩٦٧، ١٩٨١، ١٩٩١، وإن ما تم حتى الآن من اجراء التوسع في احد أطراف المدينة على حساب الطرف الاخر، وما يسمى الآن القدس هي ليست القدس الحقيقية. ان حدود المدينة حسب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (١٨١) تاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ في القسم الثالث البند الثاني، تشمل حدود البلدية في ذلك الوقت (١٩٤٨) إضافة الى القرى والبلدات المجاورة (وكان عددها في ذلك الوقت ٣٢ قرية وبلدة) وحدود المدينة شرقا قرية أبوديس وجنوبا مدينة بيت لحم وغربا عين كارم وشمالا شعفاط.

٨ - هي قضية ملكية وممتلكات: ليس هناك أية شرعية أو إجازة في القانون الدولي أو المقررات الدولية منذ مطلع هذا القرن، وحتى اليوم بما فيها قراري ٢٤٢ و٣٣٨ تجيز لاسرائيل الاستيلاء على أراضي عربية في القدس العربية

المحتلة. هذا أولا، أما ثانيا فهو بالنسبة للقدس الغربية فان الممتلكات العربية فيها، استولت عليها إسرائيل عام ١٩٤٨ ولا تزال خاضعة لبنود القرار ١٩٤ حول حق التعويض أو العودة.

٩- هي قضية تشريع قانوني ونظام اداري: فالمدينة منذ قرار التقسيم في عام ١٩٤٨ وتعليق تنفيذ البند الخاص حول القدس أبقى مسألة طبيعية وحدود التشريع القانوني الدولي أو الاقليمي أو المحلي الذي يحكم المدينة، أبقاه معلقا دونما حسم، وبالتالي فان وضع المدينة الاداري خضع لممارسات الأمر الواقع خلال محطات الصراع التالية.

١٠- هي قضية مؤسسات: فهناك بلدية عربية عريقة في القدس العربية، جرى إغلاقها والحاق اجهزتها بالبلدية الاسرائيلية في القدس الغربية، وفي نفس المسار، هناك مؤسسات سياحية وخطوط مواصلات داخلية ودائرة تسجيل الأراضي، والمحاكم المدنية والجمعيات الأهلية والتطوعية والمهنية والمراكز العلمية والثقافية والاعلامية، والمستشفيات والمراكز الصحية.

التحديات الذاتية في القدس

١- قضية الاستيطان: من الخطأ تأجيل موضوعه أو حتى الاستخفاف باثاره، ولم يفت الوقت لطرحه ضمن القضية الكلية مع التركيز على وضع القدس فيه.

٢- قضية المواطنة: وهي تعني الآن المقدسيين الذين يعيشون خارج الحدود الحالية للمدينة، وهم مهددون بفقدان مواطنتهم المسجلة.

٣- قضية النزوح والعودة: فهناك الآلاف الذين تشملهم مسألة "سقوط" فعالية وصلاحية تصاريح السفر والمغادرة والعودة للقدس بعد مضي أكثر من سنة واحدة على غيابهم خارج الوطن حسب الأنظمة الاسرائيلية المفروضة كأمر واقع، ولم يفت الوقت بعد على التركيز على حقهم وشموليتهم ضمن القضية الكلية.

٤- قضية اعلامية: فهناك توظيف سيء للتصريحات السياسية كذلك فإن هناك انعكاسات وانعكاسات سيئة في الساحة الداخلية باعتبارها أصبحت شعارات مفرغة من مضمونها على أرض الواقع، بالاضافة الى آثارها السلبية على الأطراف الاخرى عربيا واسرائيليا ولكونها أصبحت استفزازية، جاءت بمردود عكسي يتحدى الموقف والحق والمصلحة الفلسطينية.

٥- قضية التنسيق الداخلي: فهناك غياب لاي عمل مشترك بين الاجسام والآليات التي يمكن من خلالها بذل جهد فعال للتعامل مع القضايا السياسية العليا التي تتراكم دونما مرجعية أو مسؤولية مشتركة للبت فيها.

٦- قضية مؤسسات: فهناك عجز في المضمون والبرنامج والجهاز الاداري للأدوات التنفيذية لدى الهيئات والمؤسسات الرئيسة مثل الأوقاف والمعاهد والمدارس والمستشفيات والمراكز الصحية وأيضا الغرفة التجارية.

٧- قضية التنسيق الاقليمي: فهناك غياب للتنسيق الموضوعي والمصلحي المتبادل مع الاردن أو القدرة على استيعاب او مهادنة المؤسسات او الاجهزة التي تديرها وتشرف عليها، وأيضا مظاهر الوقوع بين المعسكرين السعودي والاردني، واستغلال اسرائيل لفشل التنسيق العربي وتنفيذها لسياسة "فرق تسد".

٨- قضية صراع طائفي: أمام تجزئة الأجندة الوطنية الى ثلاث محطات: أ) غزة - أريحا ب) الضفة ج) القدس، تحركت بعض الأطراف لتوظيف هذه التجزئة لتجزئة اخرى داخل أسوار المدينة على صراع طائفي - مسيحي وأيضا احتمالات تحالفات بين الأقلية مع الطرف الآخر للمحافظة على مصالحها إن لم يكن للرد على الهجوم عليه.

٩- قضية انتخابات: إن البدء في ربط معركة الانتخابات القادمة في المرحلة الانتقالية بقضية القدس بمشاركة أهل القدس حسب اتفاق إعلان المبادئ، تعني البدء في إعداد قوائم باسماء المواطنين وتعداد إحصاء سكاني وتعيين مراكز اقتراع والاعلان عن مرشحين والقيام بحملة إعلامية انتخابية، وهذا يدعو الى

المحافظة على استمرار تلاحم القدس مع بقية الأراضي المحتلة، ولكن هذا الأمر يفتقد الى الآلية التنفيذية.

١٠- قضية السلطة الوطنية: من حق منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني أن تتخاطب مع مؤسساتها وأفراد شعبها، وبالتالي فان من صلاحيات السلطة الوطنية الفلسطينية التعامل بخطين متوازيين "تكليف وتلقي" من أفراد مؤسسات وفعاليات في القدس بما فيها عنوان وطني مثل بيت الشرق وشخصيات قيادية مقدسية.

١١- قضية تفاوضية: خلال المرحلة الانتقالية فإن السلطة الوطنية تقيم مقرات عملها الرئيسية في غزة وأريحا ولكنها هي المسؤول والممثل الشرعي للشعب الفلسطيني في كل مكان بما فيها القدس، وهناك قضايا تتعدى الحدود الحالية لمرحلة غزة - أريحا، ومن حق بل ومن واجب السلطة الوطنية أن تقيم علاقاتها مع أبناء شعبها وتتخاطب مع المؤسسات الفلسطينية أينما وجدت.

١٢- قضية مستقبل: ليس من حق الطرف الآخر أن يقدم على إجراءات تحجف بالوضع المستقبلي والمتفق عليه: أ) إحترام الوضع الفلسطيني الراهن وهو مهدد الآن بمشاريع القوانين والأنظمة الاسرائيلية لقمع المؤسسات أو الفعاليات الفلسطينية. ب) تجميد اجراءات المصادرة والاستيطان والتهويد والضم، وهذه مفروضة على أرض الواقع وخاصة الطوق السياسي وعزل المدينة. ج) البدء في مفاوضات الوضع النهائي باسرع وقت ممكن بحيث لا يتجاوز انتهاء السنة الثانية من المرحلة الانتقالية، وهذه أصبحت تحت تأثير الحرب الاعلامية في منتهى الحساسية والخطورة لدى الطرفين، الأمر الذي يكاد يشل تنفيذ هذا الاتفاق.

١٣- قضية اجماع وطني: هنالك اجماع وطني على أ) تشكيل "جسم" يضم "الجميع" بهدف الحفاظ على عروبة القدس وكمقدمة لاسعاف أولي في التصدي لمشاكلها وقضاياها دون أن يكون خاضعا للكوتة الفصائلية، وايضا غير مرتبطة بالعملية السياسية الحالية ب) تفتقر الى منحها الشرعية السياسية من قيادة م.

ت. ف. بقرار معلن ج) رصد مخصصات مالية لتنفيذ المشروع الوطني والذي قد يحمل أحد الاسماء التالية: مجلس القدس، لجنة القدس الوطنية، الهيئة الوطنية للقدس، لجنة الدفاع عن عروبة القدس، لجنة الاعمار والتطوير في القدس.

المتطلبات الملحة الرئيسة

إن من الأهمية القصوى، وكمدخل للبحث عن "حوار" لصياغة أجندة تعايش فيما بين الفلسطينيين والاسرائيليين، تعتمد على العدالة والمساواة، فان هناك ضرورة لتحقيق وتنفيذ الحاجات الملحة التالية:

١- الوقف والتجميد الفوري لأية تغييرات في القدس بالنسبة للاراضي وللسكان وللمؤسسات أو الأنظمة والقوانين وأفعال "السلطة" الحاكمة!

٢- وضع وتنفيذ برنامج إصلاح لسد الفجوة التي أحدثتها السياسات والممارسات الاسرائيلية طوال سنوات الاحتلال الـ ٢٨ الماضية، وهذا البرنامج يجب أن يضمن "عدم التأثير على التطور الطبيعي للحياة اليومية للمواطنين، ويجب توفير الدعم المالي الكافي لتنفيذه بالسرعة الممكنة.

٣- إسقاط كل الحواجز السياسية والعسكرية التي تطوق وتحاصر القدس الشرقية، وفتح أبوابها أمام بقية نشاطات وفعاليات شرائح المجتمع الفلسطيني في الضفة والقطاع والمهجر، كحرية المرور والعمل والاقامة والعبادة وغيرها ...

٤- إتخاذ إجراءات فورية ضد المتطرفين الاسرائيليين الذين يهددون الحياة اليومية في المجتمعين الفلسطيني والاسرائيلي.

نحو استراتيجية وطنية للدفاع عن الحق العربي في القدس

هنالك ثلاثة مسارات متوازية ومتزامنة، لتأكيد الحقوق وتحقيق المصالح في الفترة الانتقالية تمهيدا للانتقال للفترة النهائية.

- في المسار الأول، تشكيل آلية تخدم تقوية وتفعيل الوجود الفلسطيني في المدينة وبالتالي تؤمن التنسيق والتكامل فيما بين المؤسسات والهيئات والفعاليات وتصبح مع الوقت "العنوان" المشترك لهم جميعا.

- في المسار الثاني، السعي لربط هذا "العنوان" وما يمثله من قوى وفعاليات ومصالح وحقوق وآمال وخطط مع كل ما يتم وسيتم مع بقية الأراضي الفلسطينية في الضفة والقطاع، باعتبار القدس جزءًا لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية.

- في المسار الثالث، وبعد تحقيق الأمرين المذكورين أعلاه، يتمكن الطرف الفلسطيني في القدس وخارجها، من فتح أبواب "الحوار" مع جميع الأطراف المعنية بما فيها الطرف الاسرائيلي نحو مستقبل للتعايش بعدالة ومساواة في القدس.



إن أي مفاوضات بين طرفين يجب أن يرافقها دائماً عنصر ضاغط وفي غياب العنصر الضاغط يصبح الطرف المفاوض هو طرفاً ضعيفاً. لقد دخلنا المفاوضات في ظروف تعتبر من أقسى الظروف التي مرت على الشعب الفلسطيني، وكل الذين كانوا يراهنون على المنظومة الاشتراكية وعلى الحليف الاستراتيجي (الاتحاد السوفياتي) فوجئوا بانهياره، وانهيار الوحدة العربية وكل المسميات الاخرى. على خلفية حرب العراق ، أصبح الشعب الفلسطيني سواءاً في الداخل أو في تونس يعيش في حصار، ياسر عرفات حين كان في تونس لم تقبل به أية دولة عربية، دخلنا المفاوضات بروح الحصار وبروح القمع التي كنا نعاني منها ، وكانت المواجهة أمامنا، الآن توجد مرحلة ما بعد الحرب والتي فيها ترسم خرائط لساحات القتال وانفرض فيما بعد ، فمن يتواجد على الطاولة يظهر على الخارطة السياسية والخارطة الجغرافية. وقد كان هذا في اعتبار القيادة الفلسطينية حين قررت دخول المفاوضات لانه كانت هناك عملية إعادة ترسيم المنطقة وبالتالي لم يكن بمقدور القيادة الفلسطينية أن تكون غائبة في مرحلة نهاية الترسيم في منطقة الشرق الاوسط.

---

* زياد أبو زيّاد، بكالوريس في القانون، عضو المجلس التشريعي الفلسطيني. محاضرة في الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

لذا لم يكن أمامنا خيار رغم كل ما يقال من انتقادات للعملية السياسية والمفاوضات، هناك ايجابيات كثيرة جداً لا يستطيع أحد أن ينكرها: لاول مرة في تاريخ الشعب الفلسطيني توجد قيادة فلسطينية على الارض الفلسطينية تقود وتدير شؤون هذا الشعب، سمها سلطة وطنية أو سمها ما تسميها، هذه مرحلة تاريخية لا يمكن أن تقف عند حد ولا يمكن إلا أن تنتهي بتحقيق الاستقلال والسيادة الفلسطينية، هذه قراءة للواقع. أكثر الناس فهماً للعملية الجارية الآن هم الليكود واليمين الإسرائيلي فحزب العمل مراوغ، كذاب، مناور، يدجّل، اليمين الإسرائيلي واضح جداً وهو الوحيد الذي يقرأ العملية السياسية القراءة الحقيقية الصحيحة .

موضوع القدس موضوع مشحون بالعواطف ولكوننا الطرف الاضعف، فإذا اثير موضوع القدس في بداية المفاوضات فإنها ستتفجر وتنتهي ، كان ينبغي جلب اسحق شامير الى مائدة المفاوضات وبدء العملية السياسية . وفي اللحظة التي تحس فيها الاطراف انها حققت تقدم وحققت انجازات من خلال المفاوضات، بعدها يطرح موضوع القدس سيكون الخيار أمامنا: إما التنازل عن كل ما حققته العملية التفاوضية أو الاحتفاظ بما حققته. وفي أوسلو ولاول مرة قبلت إسرائيل رسمياً على ورق ان يوضع موضوع القدس على جدول أعمال المرحلة الثانية . القدس أولاً ، القدس آخراً هو كلام عواطف والسياسية لا تعتمد على العواطف وانما تعتمد دائما على الوقائع والمصالح . لو قلنا القدس أولاً ، لم تكن العملية السياسية لتقوم ، ولو لم يكن هناك عملية سياسية لتحولنا الى منفيين في صحراء ليبيا على حدود تشاد، مشتتين في تونس والعراق واليمن. العملية السياسية هي عملية ذكاء.

لا أستطيع أن أقف على هذا المنبر في هذا المكان دون أن أوضح بأن هذا المكان كان في يوم من الايام عرضة الى أن يتحول الى كنيس يهودي ، وهذا المكان كان موضوعاً لصفقة بيع لاطراف ولجهات يهودية ولولا حرص ووعي القيادة الروحية المسيحية العليا التي تدخلت وبقوة وأفشلت عملية البيع وأبقت هذا الدير ملكاً للمسيحين العرب وملكاً للعرب .

أنا أعتقد أن عقد ندوة حول القدس هو موضوع مهم بحد ذاته، وذلك لانه كان هناك تغييب للقدس من موضوع الجدل القائم بيننا وبين الطرف الآخر ولذلك يجب

فرض القدس موضوعاً للنقاش والجدل على المائدة في كل مكان . وينبغي على مؤسساتنا أن تعقد النقاشات والمؤتمرات حتى مع الجانب الإسرائيلي وذلك لنقضي على مقولة أن القدس خارجة عن النقاش وغير واردة على جدول الاعمال وانه لا ينبغي لاحد أن يتحدث حولها لانها موضوع اجماع وطني قومي يهودي . يجب أن تستمر هذه المناقشات وهذه الندوات ليس فقط على الجانب الفلسطيني فبإعتقادي أن الندوات حول القدس يجب أن تنزل الى مستوى عامة الناس ، فلا يجب أن تقتصر هذه الندوات على مستوى المثقفين فقط أو السياسيين فقط بل يجب أن تنتقل الى الشارع . حيث ينبغي توعية الناس وإفهامهم حول الاحقية في القدس وتعميق ارتباطهم بالقدس ووعيهم لحقوقهم في القدس يجب أن، تكون عملية جماهيرية في الشارع . من الضروري جداً أن يستمر النقاش حول القدس وأن يتعمّق هذا النقاش ويعمم .

أود أن أشير الى السياسية الإسرائيلية حول السيادة السياسية والولاية الدينية ، إسرائيل منذ ١٩٦٧ ، لم يمر بذهن قادتها ولو للحظة واحدة بأن بامكانهم أن يمارسوا سيادتهم الكاملة على مدينة القدس . القيادة الإسرائيلية منذ ١٩٦٧ تدرك جيداً أنها لن تستطيع فرض سيادتها الكاملة على مدينة القدس . ويمكن رؤية بعض الملامح وبعض الدلائل في السلوك الإسرائيلي عليها منذ ١٩٦٧ . حين رفع العلم الإسرائيلي على قبة الصخرة ، امر موشيه ديان فوراً بانزاله عنها وهذا اعتراف واقرار صريح ومباشر من موشيه ديان أن لا سيادة لإسرائيل على قبة الصخرة والمسجد الاقصى أو ما يسمونه هم جبل الهيكل ، وبعد أن ضمت إسرائيل مدينة القدس لم تفرض جنسيتها على المواطنين العرب في مدينة القدس، ولا يوجد هنالك نموذج لدولة تتخذ عاصمة لها تقبل أن يكون نصف سكان هذه العاصمة غير مواطنين في تلك الدولة . إسرائيل لم تجرؤ على فرض جنسيتها على سكان مدينة القدس لانها تعرف أن ذلك سيؤدي الى مواجهة فاشلة ولذلك تظاهرت أنها تركت الباب مفتوحاً لمن يرغب بذلك . إسرائيل في عام ١٩٦٧ فشلت في فرض مناهجها الدراسية في مدارسنا، وظلت المدارس العربية في مدينة القدس تدرس مناهج عربية منذ العام ١٩٦٧ وحتى هذه اللحظة على العكس من ذلك فبعد أن استلمت السلطة الوطنية الفلسطينية مسؤولية التعليم في كل الضفة الغربية وقطاع غزة ، تدرس الآن

كتب السلطة الوطنية في مدينة القدس، وايهود اولمرت رئيس بلدية القدس طلب بوضع ملصقات على شعار السلطة الوطنية الموضوع على الكتب المدرسية ليغطيها.

إسرائيل في اوسلو قبلت التفاوض على موضوع القدس في المرحلة الثانية من المفاوضات ، والمفروض أن أي انسان يقبل أن يفاوض على شيء فهو يقبل بمنطق التسوية "Compromise" ، ولا أحد يقبل تسوية على حساب سيادته اذا كان مقتنعاً بسيادته أو إذا كان يدّعي بالسيادة، وبالتالي فإن قبول إسرائيل في اوسلو على أن تتفاوض على القدس يؤكد ويعزز ما قلته في البداية بأنه لم يمر في ذهن الإسرائيليين بأن لهم سيادة على مدينة القدس . إسرائيل قبلت في اتفاقها مع الاردن أن تعطي الاردن الاولوية عندما يناقش موضوع القدس وعندها سيناقش موضوع الولاية الدينية على مدينة القدس وهذا بحد ذاته يمكن أن يسمى إنجازاً أردنياً حيث اكدوا أن القدس هي موضوع ومادة للتفاوض ، وهذا الانجاز الاردني ينضم الى الانجاز في اوسلو وهو القبول الإسرائيلي بوضع القدس على مائدة المفاوضات .

الآن ، قلت بأن إسرائيل لم تقتنع في لحظة من اللحظات بأن لها السيادة على القدس ولم تمارس هذه السيادة وقبلت مبدأ التفاوض على مدينة القدس بموازاة هذا الموقف، بدأت إسرائيل تعمل على تحسين موقف المفاوض الإسرائيلي في موضوع القدس حين يأتي الاوان للتفاوض حول القدس ، بهذا الشكل يجب فهم كل الاجراءات الإسرائيلية التي تمت في القدس منذ ١٩٦٧ وحتى اليوم، إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ واثقة وواعية جداً بأنه سيأتي يوم يفرض عليها فرضاً بأن تجلس على مائدة المفاوضات وتتفاوض حول القدس، ولذلك كانت تحاول دائما تحسين موقفها التفاوضي حول القدس حتى تكون في موقع أفضل ، إسرائيل وضعت سقف منذ عام ١٩٧٣ كان في قرار حكومي رسمي وصودق عليه بلجنة وزارية لشؤون القدس وضعت سقف لنسبة السكان العرب في مدينة القدس الكبرى رغم أن مفهوم القدس الكبرى لم يكن مطروحاً في ذلك الوقت ولكن كان هناك موقف رسمي متفق عليه هو أن نسبة العرب يجب ألا تتجاوز ٢٨٪ . وهنا أحب أن أنوّه أن نسبة العرب في القدس ليست ٢٨٪ وانما هذه النسبة هي السقف وربما تكون نسبة العرب في القدس

٣٥٪ أو أكثر أو أقل . وحتى يضمن الإسرائيليون الحفاظ على ثبات هذه النسبة لجأوا الى عدد من الاجراءات الإدارية منها على سبيل المثال القيود المفروضة على البناء في مدينة القدس ، مصادرة الاراضي ، إهمال تطوير الاحياء العربية ، والقيود المفروضة على هوية القدس فمن يسافر لمدة سبع سنوات يفقد هويته ، وقيود على عمليات جمع الشمل .

بعض الامثلة: من عام ١٩٦٧ - ١٩٩٥ تم بناء ٥٧٠٠ وحدة سكنية للعرب في حين أن عدد العرب زاد من ٨٨٠٠٠ - ١٦٠٠٠٠ - ١٧٠٠٠٠. كما منع البناء في معظم أحياء مدينة القدس بحجة عدم وجود مخططات تنظيم هيكلية وذلك لمنع قيام حركة بناء عربية . منذ العام ١٩٦٧ لغاية ١٩٩٤ تم مصادرة ٢٥،٠٠٠ دونم من العرب وبني عليها ٣٨،٥٠٠ وحدة سكنية لليهود . منذ عام ١٩٩٠ - ١٩٩٣ تم إعطاء ١٠٣ رخص بناء لوحدات سكنية فلسطينية، وفي نفس الفترة أعطيت رخص بناء لـ ٢٦١٧ وحدة سكنية لليهود. وما دمنا نتحدث عن السكان وعن البيوت وعن البناء ، أحب أن ألفت النظر الى واقع معين هو أنه في عام ١٩٦٧. بعد الاحتلال مباشرة كانت أزمة السكن عند العرب تزيد عن ٥٠٪ عما كانت عند اليهود، أما الآن فالازمة تصل الى ٢٠٠٪ . ملاحظة أخيرة: ضمن الاجراءات الادارية الإسرائيلية لفرض أو تغيير الأمر الواقع في القدس ، في نهاية عام ١٩٩٤، قام نقاش في اسرائيل حول توسيع حدود بلدية القدس ، وهذا الموضوع لو حدث في ذروة المفاوضات فإنه كان سيثير ضجة عالمية ويؤثر بشكل حتمي على مسيرة المفاوضات ، فلم يتم توسيع حدود بلدية القدس ، ولكن لجأو الى اجراء معاكس حيث أن قائد المنطقة الوسطى أمر بتوسيع حدود معاليه أدوميم (المستوطنة الموجودة شرقي العيزرية وأبوديس) غرباً حتى تصل الى حدود بلدية القدس . وبالتالي يبقى سكان العيزرية مواطنين ضفة غربية ولا يحصلون على هوية القدس وتكون لمعاليه أدوميم سيطرة وهيمنة على عمليات التنظيم في منطقة العيزرية ، وهو قانون لم يطبق ولم ينفذ على أرض الواقع .

أريد أن أقول ، أنه رغم كل المضايقات الإسرائيلية الموجودة على الارض لم تستطع إسرائيل طمس وجود ١٧٠٠٠٠ مواطن عربي فلسطيني في مدينة القدس العربية، ويجب علينا أن نحذر مقولة أن القدس انتهت ولم يبق قدس لان هذا الحديث

حديث سلبي وحديث انهزامي وسيؤدي في المحصلة الى احباط أي شخص يمكن أن يقف الى جانبنا أو يناصرنا أو يدعم حقنا في القدس . القدس لم تضع ونحن حقيقة ثابتة على الارض لا يمكن لإسرائيل أن تزحزحها .

أنا لا أؤمن بشيء اسمه سيادة سياسية مفصولة عن الولاية الدينية ، أنا كمسلم أقول بأن الإسلام دين ودولة، والولاية الدينية تندمج مع السيادة السياسية ، أنا كعربي ، أنا كمسيحي حضارتي وثقافتي المسيحية مستمدة وتتكامل مع الحضارة والثقافة الإسلامية ، أنا أؤمن بأن هناك تلاحم بين الدين وبين السياسة على هذه الارض لذلك لا فصل بين الولاية الدينية والسيادة السياسية على الارض والسيادة هي للشعب والشعب هو مصدر السلطات ومصدر الصلاحيات وما دام هناك حقيقة ثابتة في القدس التي أشرت اليها "١٧٠٠٠٠ فلسطيني في القدس" . هؤلاء ال ١٧٠،٠٠٠ مواطن هم الذين يملكون السيادة في القدس وهم الذين يقررون السيادة في القدس ولا يمكن لإسرائيل في يوم من الايام ان تنجح في فرض سيادتها على مدينة القدس .



المقدمة:

تتميز مدينة القدس المقدسة بتعددية الجماعات المسيحية (ما يدعى طوائف) في الكنيسة الواحدة، وكذنا نقول في الإيمان الواحد أو في جوهر الإيمان الواحد. التعددية في الدين المسيحي ميزة ملازمة ومميزة له. ويعبّر عنها بالعبارة المشتقة من اللغة اليونانية: كاثوليكية. ونقول في قانون الإيمان المشترك بين المسيحيين جميعهم على اختلاف طوائفهم وطقوسهم وتقاليدهم، في كل بقاع الأرض، من مشارقها الى مغاربها، ومن شمالها الى جنوبها، "أومن بكنيسة واحدة جامعة (أو كاثوليكية)** مقدسة رسولية".

التعددية في الطوائف أو الكنائس المحلية (أو الكثلكة) متأتية من دخول شعوب ذات ثقافات ولغات وحضارات وعادات مختلفة، في الإيمان المسيحي، وقبولها له، مع المحافظة على هذه الميزات الخاصة. لهذا ترجم الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، الى كل لغات الأرض، وأنشد في الكنائس في هذه اللغات. ولذا نقول: إيمان مسيحي أساسي واحد، وإذا كنيسة واحدة. ولكن تعدد في التعبير عنه، ومن هذا وجود طوائف وكنائس محلية متعددة.

---

* المطران لطفي لحام، دكتوراه في اللاهوت، رئيس مجلس أمناء مركز اللقاء والنائب البطريركي للكنيسسة الملكية الكاثوليكية في القدس.
محاضرة في الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

** هنا عبارة "كاثوليكية" لا تعني فقط الروم الكاثوليك، أو الرومان كاثوليك، وباقي الطوائف الكاثوليكية في مفهوم اليوم، بل أصلا الأرثوذكس هم كاثوليك، لا بل اصل كلمة كاثوليك يونانية، وبالمعنى الآخر الكاثوليك هم أرثوذكس، وأرثوذكس تعني هنا مستقيم الرأي وليس طائفة معينة.

التعددية في القدس ذات طابع مميز وفريد، وتعود الى وجود الأماكن المقدسة فيها. ولا بأس أن نشرح ذلك باختصار. أهل البلاد على عهد المسيح والرسل، كانوا ينطقون بالسريانية (والآرامية) واليونانية. وهم اليوم الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك، والسريان الأرثوذكس والسريان الكاثوليك، والموارنة. (٥ طوائف)

ولكن منذ فجر المسيحية، وخاصة بعد السلام القسطنطيني وبعد أن أصدر الملك قسطنطين مرسوم ميلانو (٣١٥) وأعطى الحرية الدينية في الإمبراطورية الرومانية، بدأ سيل الحجاج المسيحيين من كل الأقطار، خاصة من البلاد المجاورة ذات الحضارات المختلفة. ولم يكونوا فقط حجاجا، بل بدأوا يستقرون في القدس خاصة ليكونوا قريبين من الأماكن المقدسة:

وهكذا توافد الى القدس وتواجد فيها الكلدان والآشوريون (من العراق) والأرمن والأقباط والأحباش. وأسسوا فيها الكنائس والاديار والمؤسسات المختلفة.

الأوروبيون (اللاتين) تواجدوا هنا خاصة في الاديار. ولم يكن لهم مرجع كنسي خاص بهم. تأسست أول سلطة كنسية لاتينية من قبل الصليبيين الفرنجة. وتأسست البطريركية اللاتينية عام ١٨٤٨، على أثر قدوم البروتستانت والانجليكان عام ١٨٤١. هذه الفئات الثلاث هي ذات تقليد غربي ولكن المؤمنين المنتمين إليها هم من السكان المحليين من أعضاء الطوائف المذكورة أعلاه.

وفي القرن الماضي توافد أيضا الى البلاد الروس والرومان، ولكن انحصر عملهم في جالياتهم. ولم يؤلفوا طائفة محلية.

القدس والولاية الدينية

لكل طائفة أو كنيسة من الطوائف والكنائس المذكورة أعلاه، رئيس ديني مستقل، ويحمل لقب بطريرك أو مطران أو نائب بطريركي. لهذا الرئيس الولاية الدينية المطلقة والكاملة على طائفته أو جماعته أو كنيسته، حسب القوانين الكنسية الخاصة بكل جماعة. وتشمل الكنائس كل أفراد أو أبناء الرعية أو الطائفة، والقضاء في أمور الأحوال الشخصية (خاصة الزواج والإرث والتبني ...).

هذه الولاية ذات طابع ديني واجتماعي. ولكن البطرك والمطران يعتبر رئيس الطائفة، وأباها الروحي ومرجعها الديني والاجتماعي وحتى السياسي بالمعنى العام الواسع. تمتع البطاركة ورؤساء الكنائس المسيحية بهذه الولاية الدينية والشؤون

السياسية في العهد العربي وخاصة أبان الحكم العثماني. وقد صدرت وثائق تثبت هذه الولاية المتشعبة، منها العهدة العمرية والفرمانات العثمانية، ومنها فرمانات تثبيت انتخاب البطاركة من قبل السلطة المدنية. وهكذا تألفت مجموعة من الحقوق والامتيازات الخاصة بكل طائفة أو كنيسة. ومنها نظام الستاتوسكو (١٩٥٦) الذي ينظم تواجد الطوائف والكنائس في الأماكن المقدسة خاصة المشتركة منها.

(في العهدة العمرية يعطى العهد والميثاق للبطرك صفرونيوس وكأنه الوالي الديني، على الفئات المتواجدة في القدس: الكرج - والحبش والذين يأتون للزيارة من الإفرنج والقبط والسريان والأرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة، تابعين للبطرك ...).

القدس والسيادة الوطنية

تعلم المسيحيون على مر العصور وبعد زوال الإمبراطورية البيزنطية، أمثولة لقنها إياهم السيد المسيح له المجد، إذ قال: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فأصبح المسيحيون جزء مترابطا مع مجتمعهم وفي خدمته، تحت إشراف السلطة المدنية القائمة: تحت الحكم العربي ثم في الإمبراطورية العثمانية، ثم في العهود المعاصرة: الانتداب ثم عقود النزاع العربي الفلسطيني - والإسرائيلي اليهودي في هذه المنطقة.

وقد ساهم المسيحيون مساهمة فعالة في تاريخ مدينة القدس، في كل هذه الحقبات التي ذكرناها. ولهم فيها الأماكن المقدسة والمؤسسات المختلفة. وكانوا خاضعين للسلطة المدنية القائمة.

أما مشكلة السيادة الوطنية على القدس، متميزة عن الولاية الدينية، فهي جديدة ونشأت مع الصراع العربي الفلسطيني الإسرائيلي، ولم تكن موضوع نزاع أو إشكال في السابق. المشكلة قائمة اليوم لأننا نرى شعبين يتنازعان الولاية الدينية والوطنية والقومية على مدينة واحدة.

الموضوع إذن حديث المثل اللاتيني المشهور وهو: Cujus Regio euis Religio، وبالعربية: القوم على دين أسيادهم. فقد كانت السلطة المدنية واحدة على المدينة المقدسة والأرض المقدسة عامة، ولكن مع تواجد رعايا ومواطنين من أديان مختلفة وطوائف مختلفة، وقد تواجدت هذه الفئات الدينية على عهد البيزنطيين، ومن ثم بعد الفتح العربي الإسلامي. وهذا ما نراه في العهدة العمرية. (كما ذكرنا

أعلاه). فكان الولاة يؤمنون الولاية الوطنية والقومية والسياسية في المدينة. لكن رعاياهم كانوا من مختلف الطوائف والملل (وحتى القوميات) ولهم رئاساتهم الدينية.

الصراع العربي الفلسطيني - الإسرائيلي ابرز وافرز هذه الازدواجية التي نحن بصددها في ندوتنا: الولاية الدينية من جهة والسيادة والوطنية من الأخرى. وبرز السؤال: أي دين؟ وأية ولاية؟ وأية قومية؟

نظريات حول القدس

١. النظرية الأولى: نظرية تدويل القدس، وهذه نظرية الأمم المتحدة. ولوقت محدود نظرية الفاتيكان، هذه النظرية تعني فقدان الولاية الدينية والسيادة الوطنية سواء بسواء.

٢. نظرية اليهود: القدس عاصمة إسرائيل الموحدة الى الأبد. وهذا ما أعلنته إسرائيل من جانب واحد (عام ١٩٨٠) متحدية المجتمع الدولي والمجتمع العربي وحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة.

٣. القدس عاصمة دولة فلسطين، ولجميع الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين. هذا شعار الثورة الفلسطينية بكل فصائلها، وهذا موضوع المطالبة الثابتة والمتكررة. المسيحي لا يحتاج الى تأكيد خاص بهذا المعنى، لأنه يشعر انه فلسطيني مثل اخوته الفلسطينيين، وله ما لهم من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات. أو بالأحرى هو يجاهد مع اخوته الفلسطينيين كفلسطيني مثلهم ويبذل الغالي والثمين في سبيل القدس.

٤. الفاتيكان: كان موقفه سابقا التدويل. لكنه الآن يعتقد أن السلطة الفلسطينية الوطنية هي المرجعية المباشرة واقتراحه هو إيجاد حل محلي يأخذ بعين الاعتبار أوضاعا متداخلة متلازمة: ألا وهي شعبان قائمان حاليا على ارض واحدة وفي مدينة واحدة (الشعب الفلسطيني والشعب اليهودي)، وديانات ثلاثة لها حدودها ومقدساتها وتراثاتها وعماراتها ومؤسساتها وشعبها وقومها (اليهودية والمسيحية والإسلام) .

ملاحظة: العلاقات التي قامت مؤخرا بين الفاتيكان وإسرائيل لم تتعرض لقضية القدس. كما ولم تغيّر موقف الفاتيكان من قضية الفلسطينيين عموما والقدس خاصة. الفاتيكان يحترم حقوق الشعوب المتواجدة في القدس وفي المنطقة. وهو الى جانب

حق الفلسطينيين في المدينة المقدسة. وإذا دافع الفاتيكان عن حقوق الكاثوليك في الديار المقدسة، فلأن له علاقة مباشرة مع الكاثوليك، وهو المرجع لهم. ولكنه يدافع من خلال ذلك عن حقوق جميع المسيحيين، لا بل عن الحقوق المكتسبة إطلاقا للجميع. الفاتيكان يشدد على حقوق السيادة الوطنية بنوع متكافىء بين اليهود والفلسطينيين. وإنني اعتبر أن الفاتيكان هو خير شريك للفلسطينيين، مسيحيين ومسلمين. هذا هو موقف الفاتيكان الثابت.

هذا الحل المحلي، الديني والقومي والوطني، يحتاج في نظر الفاتيكان وفي نظر المسيحيين عموما، والكاثوليك خصوصا، الى ضمانات دولية، من جهة لأجل تدعيم هذا الحل وهذه الاتفاقيات التي يمكن أن تقوم. ومن جهة أخرى لان العالم المسيحي بأسره له حقوق في القدس من منطلق وجود جذور المسيحية جمعاء في القدس أم الكنائس. والأمر عينه هو صحيح عن المسلمين في كل العالم وعن اليهود وكذلك.

موقفنا الفلسطيني

إن موقفنا الفلسطيني يصب في هذا التوجه. وإنه لعمري موقف سليم، يؤكد على حقوقنا المحلية في الولاية الدينية والسلطة والسيادة الوطنية، مسلمين ومسيحيين، وعلى حقوق الآخرين. وهو حل مقبول لدى الغرب، ويمكننا أن نسوقه بنجاح كبير في الغرب المسيحي الذي نحن بحاجة إليه والى تعاطفه مع قضيتنا.

ولا يفيدنا شيئا، إذا أكدنا حقوقنا ونفينا حقوق الآخرين. ولا يفيد شيئا إذا تعاظمت العناصر المتطرفة بين صفوفنا. فهناك فرق وشتان الفرق، بين التعصب والتطرف، وبين الموقف الواضح الكريم، الذي لا يفرط بالحقوق، بل يدافع عنها بعزم وعناد وكرامة.

وفي ظني أن الموقف المسيحي الفلسطيني المتميز هو دعم للموقف الإسلامي الفلسطيني. وهذا واجب علينا كمسيحيين فلسطينيين، بسبب قربنا من المسيحيين الغربيين، ونحن مستعدون للقيام به بكل قوانا.

وقد عبر رؤساء الطوائف والكنائس المسيحية كلهم عن موقفهم الموحد تجاه القدس في وثيقة مشتركة، أمضوها كل البطاركة والمطارنة ورؤساء الكنائس في ٩٤/١١/٢٣ (راجع منشور المطران لطفي لحام بعنوان: "القدس مدينة إيماننا"، والمنشور الآخر بعنوان: "القدس مدينة مقدسة عام ١٩٩١").

خاتمة

إن هذا الموقف الفلسطيني المسيحي الإسلامي، المتميز والمعتدل، هو الجواب الحقيقي على عنوان ندوتنا: القدس بين الولاية الدينية والسيادة الوطنية. إن هذا الموقف يضمن الولاية الدينية، التي ولا بد أن يكون للطوائف الدينية (إسلامية ومسيحية ويهودية) حصة فيها، ولا بد للطابع الديني اللاهوتي الذي ميّز القدس في كل عصورها، أن يكون الطابع الأساسي فيها (فالقدس لم تكتسب أبدا طابعا سياسيا مدنيا مميزا، لا عند البيزنطيين ولا عند الإسلام ولا عند الأتراك، إلا لمدة قصيرة على عهد الفرنجة الصليبيين).

كما لا بد وان تتضافر جهودنا مسلمين ومسيحيين فلسطينيين وتكون مواقفنا موحدة ثابتة. وربما أصدرت الجهات الإسلامية والمسيحية معا وثيقة مشتركة حول القدس، خاصة لمجابهة الدعاية القومية التي سيقوم بها اليهود بمناسبة الاحتفال بيوبيل ثلاثة آلاف سنة قدس داود.

وهكذا فلنصب كل جهودنا في خدمة قضية قدسنا الحبيبة. ولنكن كلنا رسلا للقدس. رسل قضية القدس. رسل مستقبل القدس. معلنين للملأ أن لا سلام للعالم بدون القدس. وأن سلام العالم من سلام القدس.



بعد توقيع "إعلان المبادئ" في واشنطن بتاريخ ١٣/ أيلول ١٩٩٤، بدا وكأن مشارف جديدة تتجلى أمام الفلسطينيين وأن آفاق الصراع الفلسطيني الإسرائيلي قد غيرت مسارها، وأن احتمالات حل هذا الصراع باتت قائمة. واستند كثير من التفاؤل الفلسطيني الى "حسن النية" الإسرائيلي، والى الرغبة في طي صفحة وبدء صفحة جديدة. وجاءت جولات المفاوضات - التي لا تتوقف- لتبرز الإصرار الإسرائيلي على طرح (إسقاط) قضية اللاجئين ومنعهم من العودة والإصرار على الاحتفاظ بمساحات واسعة من الضفة الغربية وقطاع غزة، والإصرار على الاحتفاظ بالقدس الكبرى جزءا من دولة إسرائيل.

ويبدو اليوم وعلى ضوء ما توصلت إليه المفاوضات والاتفاقات بين الطرف الفلسطيني المفاوض وبين حكومة إسرائيل أن تغييرا جوهريا وعميقا طرأ على معنى 'السيادة' من حيث الشكل ومن حيث المضمون. وأن هذا التغيير أضحى لازما حتى تترتب عليه جملة من التغييرات في مجالات أخرى رئيسية كالأمن مثلا، ويتبين أن هذه التغييرات في شأن السيادة والأمن تصيب الفلسطينيين دون غيرهم، ووحدهم

---

* محمد جاد الله، حاصل على شهادة طب عام وجراحة من اسبانيا، يعمل حاليا طبيبا في عيادته في بيت صفافا، ورئيسا لاتحاد لجان الرعاية الصحية في الضفة والقطاع.
محاضرة في الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

لا يحظون بالسيادة السياسية أو الجغرافية، ولا نجد في تاريخ الشعوب وفي تاريخ دول المنطقة ما يمكن الاسترشاد بمثله أو الاعتماد عليه كنموذج في العلاقات مع الجيران ومع الدول المجاورة. وليس هذا فقط، بل أن الأمر يصبح صارخا ونافرا أيضا عندما تكون السيادة الكاملة والأمن المطلق هما مركز التفاوض "ومحركة" لدى الطرف الآخر، حتى بات الأمن الإسرائيلي والسيادة الإسرائيلية هما المرجعية الوحيدة للمفاوضات. ولأن هناك تباينا هائلا وربما لا قياس في القوى والقدرات بين إسرائيل وبين الطرف الفلسطيني على خلاف أي علاقة ثنائية استراتيجية بين أي دولة وأخرى، وحتى بين إسرائيل ودول عربية أخرى، فان الفلسطينيين باتوا معرضين للوقوع رهينة التبعية لإسرائيل وتحديدا لانعدام قدرتهم على تحقيق السيادة وعلى ضمان الأمن لهم ولأرضهم من خلال المفاوضات والاتفاقات. ولان قدرتهم على تحديد احتياجاتهم السيادية والأمنية باتت محدودة جدا بعد أن جعلوا من المفاوضات خيارهم الوحيد.

ولا يستطيع الطرف الفلسطيني أن يقنع أحدا بأن ما تم التوصل إليه والاتفاق حوله لا يعدو كونه مؤقتا وأن المفاوضات حول الوضع النهائي ستعيد الأمور الى نصابها وستضمن توازن المصالح بين الطرفين. فلا يوجد في الواقع ما يوجب الاعتقاد بوجاهة هذا الرأي. ومع ذلك، فان صعوبات جمة أصبحت قائمة أمام الجانب الفلسطيني تحد من قدرته على تعيين الأهداف النهائية، في حين أن الطرف الإسرائيلي قد "حزم أمره" وعقد العزم على إرساء قواعد الحل النهائي وتأسيس كل ما يمنع ويحول دون نيل الشعب الفلسطيني لاستقلاله وإقامة دولته المستقلة من خلال خططه لإعادة انتشار الجيش الإسرائيلي وبناء الطرق الالتفافية والطرق الحدودية وتقطيع أوصال الضفة وضم مساحات واسعة منها مع الاحتفاظ بالقدس الكبرى الموحدة جزءا من دولة إسرائيل وعاصمة أبدية لها.

فأولا إذا سلمنا بأن القدس ستكون على أجندة المفاوضات حول الأوضاع الدائمة، وبأن الطرف الفلسطيني سيدافع عن القدس وعن عروبتها وعن كونها عاصمة الشعب الفلسطيني، فانه يصبح من المهم أن يحدث التصارع حول القدس وحول أدق التفاصيل وأنه سيصل حده الأقصى ويصبح مهيأ لاستخدام العنف والقوة والإكراه وفي ذات الوقت فإننا نجد أن إسرائيل قد بدأت منذ حزيران ١٩٦٧ أي منذ أن

دخلت قوات الجيش الإسرائيلي الى المدينة، في اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لخلق وقائع وحقائق جديدة على الأرض تقطع الطريق على أي احتمالات تتناقض مع إبقاء المدينة جزءا من إسرائيل، وإضفاء الطابع اليهودي عليها. أو على الأقل جعل التفكير فيه أصلا أمرا غير واقعي.

وثانيا أن منهج وطريقة وأسلوب التفاوض الحالي بين الطرفين لا توحي باستعداد الطرف الأقوى -إسرائيل- بمراعاة توازن المصالح مع الطرف الفلسطيني ولا تفسح في المجال إمكانية أن تنشأ وتنمو مرونة في المواقف تجاه القضايا الأكثر تعقيدا والأكثر قابلية للتضجر مثل قضية القدس. كما أن درجة الالتزام لتطبيق ناجح لما يتم الاتفاق عليه، والتراجع المستمر عن تنفيذ الإجراءات التي نص عليها الاتفاق لا يسمحان بافتراض ظهور إمكانية التوصل الى طرق للتوفيق بين المطالب السياسية والسيادية المتعارضة ففي كل ما يتم التفاوض عليه لا تزال القواعد الأيديولوجية المتشددة لدى إسرائيل هي التي تحكم مسارات التفاوض وأشكال الاتفاقات التي تبرم حول كل القضايا. وهذا بدوره أيضا يقيد الأمل والتفاؤل في التوصل الى حل متوازن بشأن وضع القدس.

ثالثا يواجه الفلسطينيون مسارين متميزين: أما السعي وراء مزيد من الأهداف من خلال إدارة فلسطينية أضيق حدودا، أو من خلال ترتيبات ثلاثية أو رباعية أوسع يكون الأردن و/أو السعودية طرفا فيها إضافة الى إسرائيل أو الى جانبها. ويعتبر الفلسطينيون الطرف الأضعف في أي شكل من أشكال الترتيبات الخاصة بالقدس سواء في علاقتهم مع إسرائيل أو مع الأردن وسوف يظلون على هذا الحال خاصة إذا لم يتبلور تفاهم فلسطيني أردني حول الأماكن المقدسة في القدس وحول الدور الذي يتمسك به الأردن في لعبة المرحلة الآنية وعلى المدى البعيد. ويظل الفلسطينيون هم الطرف الأضعف في المعادلة الاستراتيجية وتظل قدرتهم محدودة على الضغط على الآخرين أو إجبارهم على تغيير سياساتهم السلبية والمعادية والمنتقصة من حقوقهم.

المعاهدة الأردنية -الإسرائيلية

يسود الاعتقاد لدى قطاع واسع من القيادة الفلسطينية ولدى قطاع لا بأس به من الشعب الفلسطيني بأن هناك مصلحة استراتيجية مشتركة بين الإسرائيليين والأردنيين في الحيلولة دون قيام دولة فلسطينية مستقلة في الأراضي الواقعة بينهما وتأتي المعاهدة الأردنية الإسرائيلية الموقعة في ٢٦ أكتوبر ١٩٩٤ لتعترف بمسؤولية الأردن عن المواقع الدينية الإسلامية والمسيحية من ناحية فانه يعني إسقاط ونفي المسؤولية الفلسطينية عنها من ناحية أخرى وإبقاء السيادة والسلطة السياسية في يد إسرائيل وبخاصة إذا كانت مسؤولية الأردن لا تشمل إلا المواقع الدينية الإسلامية دون المسيحية التي تبقى في يد إسرائيل. وهذا أمر يفسح المجال أمام احتمال تدويل "الأماكن المقدسة" ويغلق الباب أمام تدويل المدينة نفسها لتبقى تحت السيادة الإسرائيلية. علما بأن القدس كلها قد أدرجتها المعاهدة المذكورة في فصل عنوانه "الأماكن التاريخية والأثرية" وكأنها موقع تاريخي من بين مواقع عدة، فقد جرى تناولها من زاوية تحديد مسئولية الأردن عن الأماكن الإسلامية المقدسة مما يسمح لإسرائيل بأن تؤكد قبول الأردن باختصار الوجود العربي في القدس الشرقية على هذه الأماكن، وبما يسند قرار إسرائيل بضمها على حساب الحق الفلسطيني المكرس بقرارات مجلس الأمن التي أكدت أن القدس جزء من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧.

وقد احتاج الفلسطينيون الى بذل كافة الجهود من أجل الإحاطة بالتصريحات الأردنية المتلاحقة حول حال الرعاية على الأماكن الدينية في القدس وحول --- الرعاية عليها الى الفلسطينيين عندما تبسط السلطة الفلسطينية نفوذها على المدينة. ويمكن الاعتقاد بأن الأمور لا تزال يشوبها الكثير من الشك فما ورد في توضيحات (رئيس الوزراء الأردني السابق عبد السلام المجالي) المسئولين الأردنيين وما ورد في الديباجة السياسية للاتفاق بين الأردن والسلطة في ١٩٩٥/١/٢٥ من تأكيد على دعم الأردن لقيام الدولة الفلسطينية المستقلة لا يزال يكتنفه الغموض والشك العميق.

أما معاهدة السلام الأردنية الإسرائيلية فإنها بدون أدنى شك تشكل محطة سياسية ثنائية وإقليمية هامة، وتشكل إنجازا ملحوظا لإسرائيل ولسياستها في المنطقة في

بعدها الثنائي الإسرائيلي الأردني وبانعكاساتها السلبية على الحقوق الفلسطينية والعملية التفاوضية وعلى الترتيبات الإقليمية عموما. فهي الى جانب أنها كرست التخلي عن الأرض بصيغة الضم والتبادل والتأجير وتعديل الحدود والاستيلاء على مصادر المياه والإبقاء على المستوطنات ومبدأ الفصل بين السيادة واستعادة الأرض مما يشكل سابقة في التجاوز على السيادة والحقوق الوطنية الأردنية ذاتها ويفسح المجال إجراء التغييرات على مبدأ السيادة من حيث الشكل والمضمون. ويبقى واقع الإساءة الى والتفريط بالحق الوطني الفلسطيني الذي يقع للمرة الأولى إزاء مسألة القدس بشكل رسمي في معاهدة مع دولة عربية هو حجر الزاوية في المعاهدة الأردنية الإسرائيلية وإظهار النوايا الإسرائيلية بشأن مستقبل المدينة المقدسة.

تفرض إسرائيل على واقع الحياة اليومية للشعب الفلسطيني جملة من الإجراءات العسكرية التي تشكل فصولا ثابتة من خطة إسرائيلية لشكل العلاقة بين قوات الجيش وبين المواطنين الفلسطينيين من جهة ولطبيعة الحدود الرسمية والفاصلة بين 'الكيان الفلسطيني' وبين دولة إسرائيل من جهة أخرى. فالأطواق العسكرية التي تفرض بين الفينة والأخرى سواء على مناطق الحكم الذاتي في غزة وفي أريحا، أو على مناطق الضفة الغربية الى جانب الطوق الدائم المفروض على مدينة القدس العربية إنما هو الترجمة العملية للفصول المتنوعة للمشروع الأمني العسكري الإسرائيلي الذي يقوم على مرتكزات أساسية تشمل: أولا إيجاد معازل في شمالي الضفة الغربية ووسطها وجنوبها تقتصر على المدن ذات الكثافة السكانية العالية دون القرى التي ستبقى محاصرة وتفصلها حواجز عسكرية عن تواصلها مع المدينة. كما أن تغيير أوضاع بعض البلدان وتحويله الى وضع مدينة إنما يأتي في سياق إيجاد هذه المعازل (سلفيت). ثانيا: إنشاء نقاط عبور بين هذه المعازل وبين امتدادها في القرى والبلدان حيث أن كل ما يقع خارج حدود البلديات سيكون تحت السيطرة الإسرائيلية وإنشاء معابر حدودية بين هذه المعازل وبين إسرائيل على غرار نقطة عبور ايرز بين قطاع غزة وإسرائيل. وأما فيما يتعلق بمدينة القدس فان الخطة الإسرائيلية تهدف الى إتمام فصلها عن الضفة الغربية على أساس حدود القدس الكبرى وليس على أساس حدود ٤ حزيران التي كانت قائمة قبل الاحتلال العسكري للمدينة. وفي القدس – كما هو معروف – استطاعت ومنذ احتلال المدينة عام

١٩٦٧ أن تزرع غابة من الإسمنت تحيط بالقدس العربية وتوقف نموها وتمددها الطبيعيين كما أنها وبنفس الطريقة استطاعت أن تحاصر القرى المحيطة بالمدينة بأسوار إسمنتية وتخترقها بالشوارع السريعة والعريضة بهدف إلغاء طابعها القروي وبهدف تقسيمها الى وحدات وتحويلها آلي أحياء سكنية متناثرة معزولة عن بعضها وتحيط بها القلاع الحجرية والشوارع من الجهات الأربع وقد أدى ذلك الى انقطاع التواصل بين هذه القرى وبين مدينة القدس وألحق سكانها العرب بالمؤسسات الإسرائيلية المدنية وغير المدنية الموجودة في المستوطنات القائمة حول هذه القرى. وفي مدينة القدس كما في القرى يعيش المواطنون العرب في مواجهة مستمرة مع المستوطنين والجماعات الدينية المتطرفة التي تشن الاعتداءات المتكررة وبتنسيق مع الهجمة الرسمية التي تقوم بها أجهزة الحكومة المختلفة على المؤسسات والمراكز في مدينة القدس وضواحيها. فحملات مصادرة الأراضي والاستيلاء على الأراضي هي الهم اليومي للمواطنين الذين لم يبق لهم من القدس وضواحيها أكثر من ٤٪ فقط من مساحتها الكلية.

وتأتي كافة هذه الإجراءات لتشكل واقعا معاكسا لكل المساعي التي تهدف الى استعادة القدس وبقائها جزءا من الضفة الغربية واعتبارها مركزا وطنيا وعاصمة للشعب الفلسطيني. وإذا ما كان لا بد من استذكار اتفاق أوسلو في هذا الصدد، فإننا نجد أن هذا الاتفاق قد اختزل حقوق الشعب الفلسطيني التاريخية في القدس وعلى مدى ٤٥٠٠ عاما، الى محتويات "رسالة" كتبها مسؤول إسرائيلي الى آخر أجنبي تعد ب "الحفاظ على جميع المؤسسات والمصالح الفلسطينية القائمة في القدس الشرقية". والقادرون على التنصل والتنكر لأوسلو لا تقلقهم رسالة كهذه.

تسعى إسرائيل الى خلق حالة من التشابه والترابط والاندماج بين شطري مدينة القدس بحيث يتعذر إعادة تقسيمها وتعتقد أن الإعلان عن القدس كجزء من دولة إسرائيل يعفي من البحث في وضعها، وتفترض أن رأيا عاما بات موحدا على نطاق واسع في العالم يقبل بمحاولات إخراج القدس من معادلة الأرض في مقابل السلام، وأن مسألة القدس باتت منتهية. فإسرائيل تجهد أولا في اتجاه بلورة القدس الكبرى وإسقاط إمكانية أن تصبح القدس عاصمة للشعب الفلسطيني وتدفع بالمؤسسات

الفلسطينية الى خارج نطاقها وتساعد في الوقت ذاته على أن تتشكل العاصمة الفلسطينية في أبو ديس أو العيزرية، إن لم تكن رام الله. وتعتبر ثانيا أن مدينة القدس باتت موحدة تحت السيادة الإسرائيلية بعد أن ضمنت تغيير طابعها الديموغرافي والجغرافي واستطاعت أن تجر العديد من الدول العربية والإسلامية الى الاعتقاد بأن القدس بالنسبة لهم لا ينبغي أن تتجاوز الأماكن المقدسة في البلدة القديمة. ولا تزال دعوة إسرائيل مفتوحة باتجاه تشكيل لجنة من الأردن والسعودية ومصر والمغرب الى جانب الفاتيكان وبمشاركة فلسطينية، للإشراف على الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية ، دون أي اعتبار للشعب الفلسطيني فيها ولحقوقه فيها ودون أي اعتبار لكون القدس عاصمته التاريخية والسياسية والاقتصادية، فالقدس بهذه الصفة يمكن استبدالها بمكان آخر وبدأت إسرائيل ثالثا، في تشكيل لجان أحياء على غرار لجنة تطوير الطور، بيت حنينا، في اتجاه تنفيذ "السيادة الوطنية" التي تتعلق بالإشراف على شؤون السكان دون أي علاقة بالأرض والبنى التحتية مثل الطاقة والمياه، تمشيا وتطبيقا للموقف الإسرائيلي الذي يفصل بين الأرض وبين السكان. فالأرض في القدس إسرائيلية والسكان يمكن أن يكونوا فلسطينيين وعربا، طوائف وملل عديدة، لا ضير، ويمكن أن تناط بهم مسؤولية إدارة شؤونهم بأنفسهم، فإسرائيل تعتقد أنها تستطيع إسقاط حق الفلسطينيين في الإقامة الدائمة في مدينة القدس. ويمكن فهم موافقة إسرائيل على مشاركة الفلسطينيين في القدس في الانتخابات الفلسطينية على أساس أنها مشاركة مجموعة اثنية ذات تبعية لجهة أخرى، وتقيم في القدس. فأهل القدس بالنسبة لإسرائيل هم "رعايا" للحكم الذاتي يذهبون للاقتراع في أماكن خارج حدود مدينة القدس التي هي إسرائيلية وفق هذا الفهم.

إن محاولة تجزئة قضية القدس وتفتيتها وابتداع أشكال مختلفة من الصراع، أدت الى تداول أفكار عديدة لحل الصراع على المدينة، ونحن نعتقد أن الكثير من هذه الأفكار يفتقر الى مقومات أساسية تضمن لها إمكانية التطبيق والنجاح. ويجب أيضا أن لا يدفعنا التفاؤل المفرط الى الاعتقاد بأن نموذج بنيلوكولس، أو المنطقة المفتوحة التي قد تربط الأردن وفلسطين وإسرائيل بهيكل خاص. يمكن أن تؤسس لحل عادل ودائم. ليس لأن الوقت لا يزال مبكرا فحسب، بل لأن هذا الهيكل قائم على أساس

توازن القدس بين أطرافه الثلاثة. وإذا كان الأردن يملك هوية سياسية وهوية جغرافية معترف بها من دول العالم، فليس هذا حال "فلسطين". في حين تبقى إسرائيل "قوة عظمى" إقليمية وذات تفوق استراتيجي وبما لا يقاس مع "فلسطين" على الأقل. ونحن نعتقد أن هذه الأفكار إذا ما أتيح لها أن تستمر فإنها ستقود الى الانحراف عن القضايا الرئيسية والمركزية وستؤدي الى تنحية الحلول الجذرية والشمولية القادرة على وضع حد للصراع على قاعدة العدالة والمساواة. فالصراع حول القدس ليس عرقيا كما يحاول بعض الإسرائيليين تصويره، وهو ليس دينيا حتى تنجر جهات عربية وإسلامية الى الموافقة على إيجاد ترتيبات بشأن الإشراف على بعض الأماكن المقدسة.

إن القدس هي مركز التوحيد للديانات السماوية الثلاث وهي أيضا ومنذ البدء عاصمة للشعب الفلسطيني سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وروحيا. وأي حل لا يأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار سيبقى حلا عاجزا وغير قابل للبقاء.

القدس جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧، وأي تفاوض أو نقاش أو حل يجب أن يقوم على هذا الأساس فالأراضي الفلسطينية وحدة واحدة لا تتجزأ ولا يستطيع أي طرف أن يقبل بغير الحل الذي يضمن الحقوق الوطنية الدينية والسياسية والتاريخية للشعب الفلسطيني ولبقية الشعوب العربية والإسلامية. ويتحمل الشعب الفلسطيني مسؤولية تمثيل مصالحه ومصالح جميع هذه الشعوب التي تجد جزءا من تاريخها وحضارتها في مدينة القدس. ولن يكون مقبولا على الشعب الفلسطيني أن تعقد إسرائيل مع أي بلد عربي ترتيبات أو اتفاقات أو معاهدات بشأن القدس مهما كانت هذه الترتيبات شكلية، فجميع الإجراءات والترتيبات تخص الشعب الفلسطيني وهو بدوره يجري ما يراه مناسبا مع جميع من لهم علاقة بالقدس وبالأماكن المقدسة فيها. فالوصول الى جميع الأماكن الدينية في القدس وحق ممارسة الشعائر الدينية هو حق لكل البشر تكفله الشرائع السماوية والقوانين والأعراف الدولية وهو جزء من السيادة التي يمارسها الشعب الفلسطيني الذي يعيش في كنف هذه الأماكن منذ أن كانت القدس بغض النظر عن النظام أو الحاكم. وإذا كان الشعب الفلسطيني قد عاش تحت أنظمة احتلالية قرونا طويلة،

فانه اليوم قد بدأ يشكل كيانه المستقل الذي تكفله الشرعية الدولية ودول العالم التي تعتبر القدس جزءا لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧. وتعترف معظمها بالقدس عاصمة للشعب الفلسطيني ولدولته القادمة.

خلاصة

لا يقوم السلام على أساس إلغاء الآخر ويقوم السلام على أساس المشاركة. إن سياسة فرض الأمر الواقع التي مارستها إسرائيل حتى الآن، هي نتيجة الحرب والقوة. وتوازن القوى يثبت الأمر الواقع الذي هو الحاضر وليس المستقبل. والحاضر واضح ومعروف ولكن المستقبل مجهول. ولا يستطيع أحد أن يعلم المجهول أو يضمنه لصالحه. ونحن نريد أن نؤسس للمستقبل وليس للحاضر. الحاضر شاخص أمام أعيننا ولا يحتاج الى ذهن غير عادي لمعرفته. أما المستقبل فانه يحتاج الى ذهن متميز، وبصيرة ثاقبة وخيال واسع. وإذا أراد أحد أن يجعل المستقبل على شاكلة الحاضر فعليه أن يعلم أنه لا يؤسس للسلام وإنما يؤسس للحرب. ومن يريد أن يؤسس للمستقبل على أساس حقائق الأمر الواقع فانه لا يؤسس للسلام إنما يؤسس لحلقة أخرى من العنف. إن من يريد أن يؤسس للمستقبل على أساس توازن القوى فلن يجد شريكا فلسطينيا وعليه أن يستعد لسنوات طويلة من المواجهة.

نحن نرى الأمر الواقع ولكننا لا نقبل به. ومن هنا فنحن نرفض "الدعوات الصديقة" التي تطالبنا بقبول المستوطنات على أرضنا.

نحن ندعو الى مستقبل يتأسس على أساس توازن المصالح بيننا وبين إسرائيل. توازن المصالح الدينية في المدينة المقدسة، وتوازن المصالح السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية في المنطقة. ونحن نعتقد أن قرارات الشرعية الدولية توفر توازن المصالح من جهة وتوفر مرجعية للطرفين تضمن تأسيس الحل على قاعدة حفظ حقوق الطرفين وعلى قاعدة المشاركة.

إن مصالحنا تحددت عندما قبلنا تطبيق قرارات الشرعية الدولية التي تنص على الانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧.

والقدس الشرقية جزء من هذه الأراضي. إن إعادة تقسيم المدينة والعودة الى خط الهدنة أو خط التقسيم أو الخط الأخضر كما تسميه إسرائيل ويمارس كل طرف السيادة الكاملة على الجزء الخاص به وتكون القدس عاصمة للشعب الفلسطيني وعاصمة الدولة المستقلة ويترافق مع الانسحاب إخلاء جميع المستوطنات التي أقيمت حول المدينة وفي داخلها. أما الأماكن الدينية فيجب ضمان حرية الوصول إليها دون قيود أو شروط. وتتشكل لهذا الغرض لجنة دينية يهودية مسيحية إسلامية. تنسق عملها مع السلطة السياسية الفلسطينية. ويمكن للمدينة أن تكون مدينة مفتوحة على قاعدة الانسحاب الإسرائيلي منها. وعلى قاعدة حق عودة جميع اللاجئين والمهجرين والنازحين عن مدينة القدس ويمكن مقايضة المستوطنات بالأملاك والبيوت العربية في القدس الغربية، فالفلسطينيون يملكون ٢٦٪ من مساحة القدس الغربية، ويوجد لهم فيها ٥٧٠٠ بيتا.

وحتى يصبح ذلك ممكنا لا بد من:

- التصدي لكافة إجراءات التهويد ومصادرة الأراضي وفرض القانون الإسرائيلي على المدينة.
- وقف نزيف الهجرة من داخل المدينة المقدسة.
- المحافظة على المؤسسات الدينية والتعليمية والصحية والاجتماعية وتطويرها وتحسين أدائها.
- تشكيل لجنة شعبية للمتابعة.
- خلق صندوق القدس.
- خلق الوقائع على الأرض مقابل ما تفرضه إسرائيل.



تفرض السلطات الإسرائيلية منذ عام ١٩٩٣ طوقا أمنيا صارما على مدينة القدس. ولقد تخطى هذا الإجراء المتطلبات الأمنية ليبدو قرارا سياسيا خطيرا ينطوي على أبعاد تبعث على القلق والغضب والإستنكار. ليست القدس مدينة عادية بحيث يحق لأي كان أن يلعب بمصيرها كما يشاء، ضاربا عرض الحائط بجميع المشاعر الإنسانية والروحية والدينية والتراثية والقومية المرتبطة بهذه المدينة المقدسة. إن سجل الإجراءات القاتلة والدامية، التي اتخذتها السلطات الإسرائيلية منذ بداية الاحتلال، طويل وحافل. ولكن إغلاق القدس أكثرها جورا وظلما وإستهتارا بالتاريخ والحضارة والقيم. أبهذه السهولة يتخذ إجراء من هذا النوع وفي هذه المدينة وبهذا الشكل؟

إننا لا نستطيع حقا أن نفهم كيف يمكن أن يسمح الإحتلال لنفسه أن يتمادى الى هذا الحد. وكأنه لا يفهم ما هي مدينة القدس، وكأنه لا يفهم ماذا تعني القدس لأبنائها ومحبيها، وكأنه لا يفهم أن إغلاق القدس إنما هو هدر صارخ لكرامة الله، الذي أراد لهذه المدينة أن تكون مكان حوار بينه وبين خلائقه، وكرامة الإنسان، الذي يرى في القدس محطا لأعز مشاعره وتطلعاته. وكأنه لا يفهم ... وهو الذي يجب أن يدري، ويدرك، ويفهم. الى هذا الحد يصل عمى البصر والبصيرة؟

* الأب رفيق خوري، دكتوراه في اللاهوت، السكرتير العام للسينودس، مدير تحرير مجلة اللقاء باللغة العربية وعضو مجلس أمناء مركز اللقاء.
مقال في مجلة اللقاء، السنة الثامنة، العدد ٢، ١٩٩٣.

إن الروابط التي تصل الشعوب بمدنها لهي روابط حميمة وعميقة الجذور نسجتها الآلاف المؤلفة من السنين فجعلت التعامل معها، ذهابا وإيابا، حاجة لا يمكن الاستغناء عنها. وعندما تكون هذه المدينة القدس بالذات، فان المرء يستطيع أن يتصور، أو بالأحرى لا يستطيع أن يتصور، عمق واتساع هذه الروابط. فالقدس هي القلب، وقلب القلب. والانقطاع عنها موت محقق. وعلى اكثر من صعيد.

موت نفسي:

إن الألفة التي خلقتها الأجيال بين نفوسنا ومدينة القدس جعلت منها جزءا من كياننا، وذاتنا العميقة، وحواسنا، وتركيبتنا النفسية، ووجداننا، وروحنا، وحياتنا. وعندما نستيقظ يوما ما لنجد أننا لا نستطيع أن نصل إليها، ونسير فرحين في أسواقها، ونشم بنهم رائحة أسوارها، ونلامس بحنان حجارتها القديمة، ونصلي بحرارة في رحابها المقدسة... أقول، عندما نستيقظ يوما ما وإذا بنا أمام واقع من هذا النوع فإننا نشعر ان الدنيا تهتز وتتزعزع تحت أقدامنا. نشعر وكأن شرايين قلوبنا تتمزق.

موت روحي:

ليست القدس مدينة عادية. بإمكانك أن تستبدل باريس أو لندن أو واشنطن بغيرها. أما القدس فلا. القدس مسقط رأسنا جميعا. القدس أرواحنا. فهي ليست مدينة ما. إنها المدينة. وان الذهاب إليها، في كل الأحوال، حجة مقدسة، حتى ولو ذهبنا إليها لمجرد التسوق، والعودة منها، هي في كل الأحوال عودة من حجة مقدسة حتى ولو كانت عودة من عمل. أحقا إننا لا نستطيع أن نضيء شمعة في قبرها المقدس عندما نشاء، ونصلي ركعة في مسجدها الأقصى عندما تحن نفوسنا الى الله؟ إن المشاعر الروحية من أغلى، وأقوى، وأعمق ما فينا. وان المس بهذه الجذور إنما هو اقتلاعنا بالذات، والحكم علينا بالموت الروحي الذي هو اشد قساوة من الموت الجسدي.

موت اجتماعي:

لقد أمّ أبناء الشعب الفلسطيني، طيلة تاريخهم الطويل، مدينة القدس لألف سبب وسبب. ومنهم من شغف بها واستقر فيها، فأصبحت امتدادا لقراهم أو مدينتهم. ففيها الأخ والأخت والعم والخال الخ... الذين نشد الرحال إليهم كلما سكننا الشوق والحنين. والان يطلب منا أن ننظر إليهم كغرباء وأباعد وأجانب. كأننا لا نواجهه بروح رياضية وهدوء الأعصاب وصفاء الذهن. ويطلب منا، بتعبير أخر، أن نكون من حجر، لا شعور لنا ولا جذور ولا روابط عائلية. ومع كل هذا يقال لنا بألا نغضب وألا نحتد وألا نتمرد. أهذا ما يطلب منا؟

موت ديني:

إن المكانة الدينية التي تحتلها المدينة المقدسة في قلوب المسلمين والمسيحيين والفلسطينيين جعلت منها المركز الديني النابض للمؤمنين من الديانتين على مدى الأجيال. يأمونها في أعيادهم لمواصلة هذا الحوار السرمدي بينهم وبين الله، في سر قلوبهم أو جماعة مع سائر المؤمنين. ويكفي أن نتجول في القدس في مثل هذه الأعياد لنسمع اللهجات الفلسطينية المتعددة وقد أتى أصحابها من الشمال والجنوب والوسط، كي يتبركوا برحاب القدس المقدسة، مستمدين منها الحزم والشجاعة لمواصلة المسيرة وسط الآلام والعقبات والصعوبات الجمة التي يواجهونها كل يوم. وهذا كله يجب ان يتوقف. وهذا كله يجب ألا يدخل في الحسبان. وهذا كله يجب أن يداس بكل بساطة وبكل سهولة. أضف الى ذلك ان المؤسسات الدينية المتعددة، الإسلامية والمسيحية، جعلت من القدس مقرها، مما يجعل الذهاب إليها والإياب منها حاجة يومية ملحة، وروتينا يوميا لا بد منه، لجميع أبناء الضفة الغربية. إن الإغلاق يقتل، بجرة قلم، نهجا حياتياً درجت عليه الأجيال، وبنته الحقب المتعاقبة، في الصبر والألم والجد والكد. أليس لهذا الواقع أي إعتبار في نظر الذين يتخذون القرار؟

موت قومي:

لا نغالي إن قلنا أن الوجود الفلسطيني في المدينة المقدسة يعود الى عمق التاريخ متخذا أشكالا متعددة في الفترات التاريخية المتعاقبة. ولقد اتخذ هذا الوجود شكلا جديدا مع الفتح العربي الذي أعطى المدينة طابعا لا رجعة فيه، وهو الطابع الذي نعرفه لها اليوم. وقد أصبحت القدس قلب الحياة الوطنية بحيث لا يمكن ان نتخيل الوجود الفلسطيني بغير القدس. ان هذا الواقع الوطني، المنغرس في الوجدان العربي والفلسطيني، لا يحق لأحد اغتياله أو التغاضي عنه عندما يأتي الحديث عن سلام أو تسوية أو إجراء ما يتخذ. ان التاريخ لا يغتال بتلك السهولة التي يتخيلها البعض. إن ذاكرة الشعوب من المقدسات التي لا يحق لأحد أن يعبث بها أو يستهين بها.

موت اقتصادي:

أخيرا وليس آخرا. فإذا كانت القدس ينبوعا حيا لأرواحنا العطشى الى المطلق، فهي مصدر رزق لأجسادنا في حاجاتها اليومية. إن مركزية القدس في حياة الناس جعلت منها مركزا اقتصاديا، بحيث أن المصالح الاقتصادية للمدن الفلسطينية لا يمكن فصلها عن القدس من غير أن يؤدي ذلك الى اختناقها وموتها. إن الاقتصاد شبكة متكاملة لا يمكن فض إحدى خلاياه من غير أن يصاب النسيج كله بالأذى. والقدس ليست مجرد خلية، بل هي العقدة الأساسية في النسيج. أضف الى ذلك أن سلطات الاحتلال وضعت العقبات أمام تطوير اقتصاد محلي مستقل، مما جعل الناس يتوجهون الى إسرائيل لطرق أبواب الرزق والمعيشة. وإذا بإسرائيل تغلق هذه الأبواب فجأة حارمة الناس من مورد رزقهم اليومي. وكأن الناس وأرزاقها ألعوبة هينة بين يدي أصحاب القرار. وعندما تفتح السلطات بالقطارة هذه الأبواب فإلى الحد الذي يستفيد منه الاقتصاد الإسرائيلي لا الى حد المصلحة العامة للعمال الفلسطينيين.

إن إغلاق القدس يمس عصب الحياة الفلسطينية بكل أبعادها، ويؤذي أوتارا عميقة في الذات الفلسطينية ومشاعرها. لقد عانت القدس ما عانت في تاريخها. ولقد آن الأوان أن تأخذ دورها في حياة المؤمنين بالله من مسلمين ومسيحيين ويهود، وفي الحياة الوطنية للشعبين المتصارعين، وفي حياة العالم بأسره. ليست القدس مشكلة، بل إنها حل للمشكلة، إذا ما اخذ واقعها كاملا غير منقوص بعين الاعتبار، بعيدا عن الأنانية والاستثناء والاحتكار. لقد حان الوقت ان تتحول المدينة المقدسة الى واحة سلام ومصالحة ولقاء حقيقي بين أبنائها والبشر أجمعين. ان إقصاء الفلسطينيين عن نعمة مدينتهم هو تعدٍ على جانب أساسي من هويتها وعنف يمارس على شخصية تلك المدينة المقدسة.

هل سقط جدار برلين كي يقوم مكانه جدار آخر، في وقت يجب أن تسقط فيه جميع الجدران؟ لا يمكن أن نسمح بذلك. مهما كلف الأمر. نقولها بكل ما أوتينا من غضب.

نعم، القدس ... أو الموت

القدس مدينة السلام للديانات السماوية الثلاث

الأب مارون لحام*

يقول قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في ندائه من أجل القدس عام ١٩٨٤: "القدس وطن روحي لجميع أبناء إبراهيم فهي مكان الإيمان الذي فيه يلتقي سمو الله تعالى بالمخلوقات. لذا فهي رمز التجمع في الوحدة والسلام لجميع أفراد الأسرة البشرية.... أطلب الى الله تعالى أن نستطيع رؤية ذلك اليوم الذي فيه نسمع جميعا رسالة المصالحة المنطلقة من مدينة القدس " (أعمال الكرسي الرسولي، ١٩٨٤، ٦٢٦-٦٢٧).

١ • رسالة مدينة القدس.

القدس مدينة الله. لذا ينبغي على من يعيش أو يتكلم عنها أن يسمو الى مستواها وإلا ضاع من كلامه بعد أساسي وكان حديثه عنها ناقصا ان لم يكن خاطئاً. والسمو الى مستوى القدس معناه الإرتفاع الى مستوى الله تعالى الذي أراد في فترة ما من تاريخ البشرية - وهذا أمر تقر به الأديان السماوية الثلاث - أن يتواجد في القدس وأن يعمل فيها بطريقة فريدة. كما يفترض الإرتفاع الى مستوى المحبة والعدل اللذين هما مرادفان لإسم الجلالة في الأديان الثلاثة المذكورة. يقول القديس يوحنا: **'الله محبة'**

* الأب مارون لحام، دكتوراه في علم اللاهوت، رئيس المعهد الإكليريكي اللاتيني - بيت جالا.
محاضرة في الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

(يوحنا ٤،٨). ويقول المزمور ٣٦: "إن القدوس يحب العدل" (٢٨). واللفظة العربية "الحق" تعني العدل كما أنها اسم من أسماء الله الحسنى في الإسلام.

ذلك أن العدل والمحبة يتكاملان وعندما نقول محبة نقصد نظرية موضوعية وصافية ترى الآخر كما يرى نفسه وتقبله "بكامل هويته وشخصيته الفردية والإجتماعية ومزاياه الدينية والحضارية' (رسالة البطريرك صبّاح الأولى رقم ٢٢). ويتابع البطريرك صبّاح في رسالته الثانية قائلاً: ' لذا فنحن ندعو كافة الفرقاء الى قبول وجود الآخر وحقوقه وقبول إرادة الله تعالى عليه" (رقم ٤٥).

ماذا يعني كل ذلك عمليا؟ يعني قبول الحقيقة القائلة أن القدس مدينة مقدسة للديانات السماوية كما يعني قبول كل ما تعنيه المدينة المقدسة تاريخياً أو حضارياً أو سياسياً. فالقدس قلب شعبين وعاصمتهما: الشعب الفلسطيني والشعب الإسرائيلي. وأي حل لمشكلة القدس لا يأخذ هذا الواقع بعين الإعتبار حل خيالي ولا يمكن أن يطبق أبداً. والحل المطلوب ليس مستحيلاً، إنما هو منوط بقبول المبادئ المذكورة أعلاه كما هو منوط بتصميم الأطراف الصادق على إيجاد الحل المنشود. وعكس ذلك معناه رفض صريح لطبيعة مدينة القدس ولرسالتها الفريدة.

٢ . هل يمكن الإنفراد بالقدس؟

ينتج عما ذكر حقيقة لا مفر من القبول بها. لا يمكن للقدس أن تكون ملك أحد فهي ملك كل إنسان مؤمن. لذا نقول أن محاولة السيطرة الكاملة على مدينة القدس حلم يناقض طبيعتها اللاهوتية والتاريخية، كما يناقض رسالتها والواقع المعاش فيها يوميا.

٣ . طبيعة القدس اللاهوتية.

يؤمن أكثر من نصف البشرية أن الله تعالى يتواجد في مدينة القدس بشكل خاص. وإن أراد الله تعالى أن يلتقي بني البشر في المدينة المقدسة فذلك ليجمع

شملهم لا ليزيد في فرقتهم. لذا، فقبول مبدأ السيطرة على القدس من طرف واحد يعني السير في إتجاه معاكس لإرادة الله على المدينة.

٤ - رسالة القدس

القدس مدينة واحدة بثلاثة أسماء وثلاث ذكريات تاريخية وروحية: ثلاثة أسماء: القدس للعرب المسيحيين وبيت المقدس للعرب المسلمين وأورشليم (مدينة السلام) لليهود وهذه الذكريات الثلاثة تجتمع في القدس بطريقة فريدة وتتجسد في أماكن ثلاثة تحظى بمعزة خاصة في الديانات الثلاث: قبة الصخرة بالنسبة للإسلام وكنيسة القيامة بالنسبة للمسيحيين وحائط المبكى بالنسبة لليهود. وهذه الذكريات التي كثيراً ما تناحرت عبر التاريخ تلتقي في القدس. فهناك سنوات يحتفل فيها المسلمون بعيد الفطر والمسيحيون بعيد القيامة واليهود بعيد الفصح في تواريخ متقاربة، وفي أماكن متقاربة جغرافياً. نحن هنا في قلب رسالة القدس، فالإحتفال بذكرى الماضي يتحول الى دافع المصالحة في الحاضر ليصبح إلهاماً نبوياً للمستقبل.

فليست القدس بحاجة الى جنود بقدر حاجتها الى قديسين وأنبياء. قديسون يجمعون الناس بعضهم ببعض ومع الله. وأنبياء يذيعون على الملأ الرسالة التالية "لا أحد غريب في القدس. القدس مدينة لكل المؤمنين. ولكل مؤمنٍ في القدس الحق في أن يكون ما يريد مع إحترام الآخرين. فإن كل مؤمنٍ له الحق أن يكون يهودياً أو مسيحياً أو مسلماً. فإيمانه مرتبط بالمدينة بشكل من الأشكال. وإن كان مسيحياً له الحق في أن يكون شرقياً أو غربياً، كاثوليكياً أو أرثوذكسياً أو بروستنطياً، لاتينياً أو قبطياً أو أرمنياً. فالقدس تكسر جميع الحواجز. القدس هي المدينة الوحيدة في العالم وفي التاريخ التي تحمل هذه الرسالة ويجب أن يسمح لها البشر بتأديتها.

أنا أعلم أني لا أتكلم عن مدينة القدس الأرضية القدس الأرضية التي يعيش فيها بشر بصعوباتهم وتحدياتهم وقلقهم وحروبهم، وإن كنا مجتمعين اليوم فبهدف التفكير سوياً للمساهمة، ولو جزئياً، في إيجاد حل لمعضلة الأراضي المقدسة بنوع عام ومدينة القدس بنوع خاص. العلاج الوحيد لمشكلة القدس والحل الوحيد هو ذلك الذي يأخذ بعين الإعتبار النزاعات القائمة وتطلعات شعوب القدس الشرعية ودعوة القدس الوحيدة والمتسامية.

٥. الخبرة المعاشة

هذا أمر أصبح واضحاً: لا يمكن لأي سلطة سياسية ستضطر يوماً ما لأسباب سياسية أو أمنية الى إتخاذ إجراءات تناهض حرية الحركة وبالتالي حرية الوصول الى الأماكن المقدسة. هذا ما حصل أثناء الحكم الأردني في القدس، حين منع اليهود من الوصول الى حائط المبكى. وهذا ما يحصل منذ عام ١٩٦٧ حيث يمنع مسيحيو الدول العربية من الوصول الى الأراضي المقدسة. وهذا ما يحصل بشكل مأساوي منذ فرض الطوق الأمني في ١٩٩٣/٤/١ حيث تقول السلطات الإسرائيلية ان أسبابا أمنية محددة تحملها على إغلاق القدس أمام جميع سكان الأراضي المحتلة وقطاع غزة، مسيحيين ومسلمين.

٦. دور الكنيسة

للكنيسة الجامعة والمحلية كلمة يجب أن تقولها حول القدس وذلك بسبب وجودها في المدينة منذ ألفي سنة وبناء على حقها في هذا التواجد. تختلف الكنيسة عن الديانتين السماويتين الأخريين بأنها لا تحمل بعدا سياسيا ملازما لإيمانها. ليست للكنيسة طموحات سياسية، لكنها تطالب، كمؤسسة وكأفراد، بحق الوجود والعمل الحر وذلك بالرغم من عدد أفرادها الضئيل وبغض النظر عن أي نزاع سياسي. فوجود الكنيسة في القدس دولي لذا يجب أن تكون حقوقها حقوقا معترفا بها على المستوى المحلي مع ضمانات دولية. كما تطلب أن يكون للمواطنين المسيحيين في القدس، وبغض النظر عن عددهم، وضع يحدد وجودهم ودورهم في حياة المدينة ويحترمه. وما تطلبه الكنيسة لنفسها تطلبه بنفس القوة والمساواة للديانة السماوية الأخرى الموجودة في الأرض المقدسة.

الخاتمة:

القدس مدينة إختارها الله وهي المدينة التي فيها يسكن الله. القدس مدينة فداء الجنس البشري ومدينة القيامة. يقول حديث شريف "من أراد أن يرى زاوية من

الجنة فلينظر نحو القدس'. وهذه المدينة المقدسة، مدينة الله ومدينة الفداء ومصالحة الجنس البشري مع الله، هذه الزاوية من الجنة عانت الكثير من ظلم التاريخ والبشر. والبشر وحدهم يستطيعون ان يعيدوا الى مدينة الله هذه والى زاوية الجنة هذه بهاءها الأصلي.

إن البشر الذين يعيشون معا في القدس بحاجة الى ارتداد يعيدهم الى أنفسهم والى الأخرين والى الله رسالة القدس الفريدة. عندئذ يمكن للقدس أن تصبح ليس فقط زاوية من الجنة بل مسكنا لله وللبشر الذين يحبونها والذين يتصالحون فيها ليستطيعوا ان يعبدوا الله فيها بالروح والحق.



مركز اللقاء ولد عربي القلب واليد واللسان عام ألف وتسعماية وثلاثة وثمانين في مدينة القدس الشريف لوالدين روحيين هما الأقصى الشريف والقيامة المباركة. وأقسم أن لا يحمل منذ ولادته إلا الهوية الفلسطينية التي لم تحمل حتى الان رقما. لأنها كانت قبل ولادة الأرقام وسوف تظل بعد خلاصها وقد ترعرع هذا الوليد المبارك في أسرة صغيرة بعددها كبيرة برمزها حتى بلغ من الأعوام عشرا، وهو اليوم يحتفي معكم بايضاء شمعاته التي نأمل أن تضيء قلوب أسرتنا الفلسطينية بالمحبة التي أخذها منها، فبادلها حبا بحب، وعطفا بشوق، فتواصل العطاء. ونما فكان اللقاء، هذا هو الإسم الذي إرتضاه لنفسه وإرتضيناه له، لإننا باللقاء ونسغ المحبة الدافق في عروقه نستطيع ان نحافظ على سلامة البقاء ودوام اللقاء.

هذا هو مركزكم، مركز اللقاء للدراسات الدينية التراثية في الأرض العربية المقدسة، يحتفل معكم ويحتفي بكم بمناسبة مرور عشر سنوات على إنعقاد دورته الأولى لمؤتمر التراث العربي للمسيحيين والمسلمين في الأرض المقدسة فلسطين، مهبط الوحي وشاهدة الإسراء، أرض التجسد والفداء، الأرض التي عرج منها الرسول الى السماء للقاء ربه ومخاطبته. الأرض التي أرادها الله أن تكون المكان للقائه ولحوار الإنسان مع الأنبياء نقلة الوحي وبلاغ الرب.

* جريس سعد خوري، دكتوراه في الفلسفة، مدير مركز اللقاء، ومحاضر في جامعة بيت لحم.
كلمة الإفتتاح للدورة العاشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٢.

لقد أراد الله لهذا المكان أن يكون الأنسب والأليق لمباشرة الحوار واللقاء بين الإنسان وأخيه من جهة، وبين الإنسان وخالقه من جهة أخرى، ولأجل تحقيق هذا الهدف قام مركز اللقاء، ولأجل دوامه وبقائه سيعمل، حتى نقيم جسور التفاهم والتقارب والوفاق ونصنع الوحدة الوطنية التي لا نقبل عن تحققها كاملة بديلا.

وفي هذا المجال انتهز هذه الفرصة لأقدم الشكر الخالص، والإمتنان الوفير الى السادة أعضاء مجلس أمناء مركز اللقاء، ومن ساندنا من اعضاء اللجان المتعددة، وبخاصة أصدقاء اللقاء وأنصاره، والعاملين فيه ومن أجله الذين ضحوا في سبيل رسالته بكل غال، حتى يستمر بقاؤه، ويتباشر عطاؤه، ويكتمل نماؤه.

كما أشكر بشكل ملحوظ أولئك النفر المثابر من نخبة الباحثين والنشطاء الذين أسهموا في انجاح أنشطة المركز المتميزة على صعيديه المحلي والوطني العربي، والخارجي الدولي، وفي هذا الصدد أذكر بالعرفان أولئك الغيورين الذي أعطوا من مالهم ووقتهم ما دعم نشاطات المركز، وقدّمه حيث أثمر هذا الدعم مؤتمرات ومحاضرات ونشرات وإصدارات كتب ومجلات، كان بضمنها طبعتان بالعربية والإنجليزية، ومشاركات في مؤتمرات دولية أبرزوا خلالها دور هذا المركز الريادي واسهامه المبكر في التنبيه لأهمية الموضوعات التي يتبناها ويناقشها ويدعمها، مما لفت اليه الإنتباه وجعله موضع الإعتبار.

إلى هؤلاء جميعا كلمات الحب والعرفان، ومنهم اليكم كلمات الشكر، لأنهم بحبكم المتواصل تقدموا، وبدعمكم ساروا.

أيها الأخوة الكرام،

إذا ذكر السابقون الى فكرة الحوار جاء مركز اللقاء أولا، فهو المحلي، فما سبقه أحد الى ذلك، فهو الرائد الى فكرة الحوار بين أبناء الشعب الواحد، وهو القائد الى كتابة اللاهوت الفلسطيني المحلي، بهدف إبراز الهوية الكنسية المحلية المتفردة وقراءة دورها وفق منظور تاريخي فلسطيني، وقد نهض بهذه المهمة ثلة من المفكرين والسياسيين والصحفيين الفلسطينيين الذين استشرفوا التاريخ وتطلعوا نحو

المستقبل، وباشروا عملهم بهمة، الى أن جاءت الإنتفاضة المباركة، التي شحنتهم وقوت عزائمهم، وزادتهم إيمانا بتجذير الوحدة الوطنية وتفريعها، بين الإتجاهات الفكرية والعقدية المتغايرة على الساحة، لأن تباين الآراء وتعدد المواقف في البناء الفكري للأمة يعدّ عامل صحة يديم لها البقاء والحيوية، وليس عامل هدم جرثومي يميت فيها الإندفاع، فالبناء الديمقراطي يسمح لكل خلية أن تنتعش وتتنفس ولكن ليس على حساب خلية أخرى.

أيها الأصدقاء،

انتهز هذه المناسبة العزيزة لأبعث من هذا المكان، من القدس قدس القيامة والصخرة، قدس القباب العربية الرافعة صواري الإيمان لأبعث باسمي شخصيا وباسم مركز اللقاء وأصدقائه بتحية تقدير الى وفدنا الفلسطيني المفاوض الذي يمثل منظمة التحرير الفلسطينية، ممثلنا الشرعي والوحيد متمنين لهم النجاح في تحقيق أمنيات شعبنا، مقدرين لهم جهدهم ومسعاهم لانتزاع حقوقنا الوطنية الثابتة، التي تقف القدس في مقدمتها، فيا أيها الأشقاء، لا تنسوا القدس، فإنها من فلسطين القلب، منه تتوجه الدماء الى سائر الجسد، لهذا تتابعت مواكب الشهداء من حولها، وتعطرت تربتها بحناء دمائهم، اننا نعلم دقة وضعكم وخصوصا على أبواب الإنتخابات الأمريكية ومعركة الرئاسة التي يتبارى المتنافسون فيها على اكتساب الأصوات وخصوصا الصوت اليهودي الذي تحسن الصهيونية توجيهه لنيل مطالبها وذلك بفرض حلول على العرب والفلسطينيين بخاصة، يستفيد منها بوش في الإنتخابات وتستفيد منها إسرائيل بقبض عشرات المليارات. انها صفقة يتم بموجبها مقايضة المال بالموقف والخاسر الوحيد هم العرب الفلسطينيون الذين يرون أراضيهم تبتلع وتتآكل مع استمرار تدفق المهاجرين الى بلادهم، وقد اخذت سيئات هذه العملية تظهر سافرة من خلال ضياع أماكن العمل التي كان العرب الفلسطينيون وبخاصة في الجليل يشغلونها، حيث جرى استبدال هؤلاء العمال بمهاجرين من روسيا وسواها، بشكل هدد لقمة عيشنا وسوف يهدد ما دامت الهجرة اليهودية مستمرة وما دام الخط السياسي الإسرائيلي الرسمي عاملا في هذا الصدد.

كما أوجه كلمة صادقة الى أعضاء الوفود العربية الشقيقة المشاركة في مفاوضات واشنطن لأقول لهم بأنه على مرمى سكاد الى الشرق من هذا المكان

يوجد هناك بلد عربي شقيق تعرض وما زال يتعرض لأعتى هجمة غربية منذ وعى التاريخ حوادثه وحروبه، وإن هذه الهجمة تستهدف تقسيم عراق النجدة وتفتيت وحدة شعبه بهدف خلق دويلات عميلة لقاتلي كرامة العراق وسارقي خبز أطفاله ومجوعي شعبه.

يضرب العراق الان،ويحاصر وتصادر شحنات الحليب المرسلة الى أطفاله، وجرعات الدواء المرسلة الى مرضاه وشيوخه، كي يركع ويستسلم لكنه ما زال مرفوع الجبين يقاتل عما تبقى من كرامة العرب.

اننا نطالب الوفود العربية عامة والوفد الفلسطيني بخاصة أن يطالبوا بصوت جاهر ولو لمرة واحدة بوقف ممارسات الدول الغربية العدوانية ضد العراق.

ولا يفوتني الا أن أندد ببعض المواقف المتخاذلة التي اظهرتها بعض الدول العربية خلال مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في جاكرتا مؤخرا، والذي امتنعت فيه عن المطالبة برفع الحصار عن العراق ووقفت ضد مطالبه العادلة، اننا اذ ندين هذا الموقف اللاأخلاقي لنستنكر هذا الموقف من الشقيق ضد شقيقه، مما يسقطنا جميعا في شراك الأجنبي ويجعلنا جميعا موضع الاستهانة والاستباحة، فلو كان هناك موقف عربي واضح ضد الغزو العدواني، وضد المذابح التي ترتكب يوميا ضد كل ما هو انساني، لما تجرأت صربيا على الإعلان عن رغبتها في إبادة جميع المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك، ولما وقف الغرب متفرجا فرحا بما يمارس ضد الأبرياء من قتل مبرمج.

اننا ندين تصرفات الصرب العدوانية ونستنكر استعداءهم على حقوق المسلمين وانتهاكهم لمواثيق حقوق الإنسان بتجاوز كل الحدود في طرد المسلمين من بيوتهم وقتلهم الجماعي وممارسة اشد أنواع التعذيب ضدهم.

باسمكم اناشد الأسرة الدولية ومؤسسات الأمم المتحدة أن تتدخل وبسرعة لإيقاف هذه المذابح التي ترتكب باعصاب باردة، دون أن تجد من يوقفها.

أيها الحفل الكريم،

بودي ان أبوح لكم ببعض الأفكار التي تطل برأسها من رأسي طالبة الإذن بالخروج، وانني انتهز فرصة الإحتفال بايضاء الشمعة العاشرة لمركز اللقاء لاصارحكم بان القائمين على هذا المركز لم يكن بايديهم عصا سحرية تعالج جميع القضايا والمشاكل التي واجهتنا وما زالت تواجهنا، وتلح بعضها علينا باصرار.

وبضمن هذه المشاكل ما نشاهده في عدد لا يستهان به من المدن والقرى في شمالي البلاد وجنوبها من إرتفاع نبرة الحسّ الطائفي المقيت، وذلك في أماكن متعددة كالشارع أو المدرسة أو البيت أو أماكن العمل أو الجلسات الخصوصية أو العائلية الهادئة.

انني قد احيل هذا التعصب أو التعنصر الى الجهل وعدم معرفة الواحد دين الآخر أوعاداته، أو أنه ناتج عن التأثر الأعمى بالإعلام المغرض الذي لا هدف له سوى شق الصفوف، أو لأسباب شخصية أو استجابة لتلبية رغبة يريدها الإحتلال واعداء وحدة هذا الشعب. هؤلاء الأعداء الذين لم يتمكنوا من شق الصف الفلسطيني الواحد، فعمدوا الى استئجار بعض اصحاب النفوس المريضة الذين يخضعون الى الشهوة أو المال أو الحكم كي ينفذوا للأعداء مآربهم. ولكن باسماء عربية وشخصيات عربية وسلوكات ينفذها عرب.

مهما تعددت هذه الأسباب فان التعصب واحد، وأيا كان هذا التعصب فانه لا مبرر له لأنه يقود حتما الى منطقة الموت. لهذا كان علينا أن نهتم بالمناهج التربوية وان نحسن تقديمها للناشئة منا وان نحذر الوقوع في فخاخ الأعداء ومصائدهم، حتى نتجنب مصائبهم.

وفي هذا الصدد أهيب بخطباء المساجد، والكنائس أن يعظوا للاصلاح ومن أجله، وأن يعملوا على تقريب ما تباعد من قلوب، وتليين ما قسى منها، وان يكونوا

بناة جسور لا جدر، وان يتجنبوا التعرض لدين غير دينهم، فكل انسان له من الحق تنظيم علاقته مع خالقه وفق دينه، دون إكراه أو ضغط من أي طرف.

ان دعوتنا كانت وما زالت تنتظر كل غيور على مصلحة هذا الوطن الذي تستهدف كل ذرة تراب فيه بان يتجنب الهمس قبل الجهر في كل ما يسيء الى أخيه

وشريكه التاريخي في تقاسم النضال الوطني دفاعا عن قداسة هذه الأرض وحريتها. فالدين لا يمكن أن يكون عباءة يستتر داخلها ادعياء التفرقة، كانت حججهم لان محصلة العداء لا تصب إلا في خدمة بقاء الإحتلال ودوام سيطرته. فلننبذها جميعا.

في الختام اتمنى لكم النجاح، ولهذا المؤتمر العتيد تحقيق أهدافه حتى تقوم دولتنا وترتفع رايتنا في قدسنا وعاصمتنا.

ولكم محبتنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



مقدمة

لم تتعرض مدينة القدس لهجمة خطيرة كما تتعرض هذه الأيام، فالهجمة ليست إحتلالية عسكرية فقط، بل هي تمتد لتشمل جميع نواحي الحياة المقدسية، سواء تمثلت في الإقتصاد أو الإجتماع أو التعليم أو الإسكان، وحتى الوجود العربي الفلسطيني محل خطر وتهديد.

وتتزايد هذه الأخطار في ظل إزدياد القوة والغطرسة الإسرائيلية، بما يرافقها من قوة عسكرية وضعف وإنحلال عربيين، حتى وصل الصلف الى حد الإدعاء إقامة عاصمة إسرائيلية وإنكار أي حق عربي تليد في هذه الرقعة الفلسطينية المقدسة، ومن هنا جرت هذه التظاهرة الإعلامية حول ما سمي بإحتفالات الثلاثة آلاف عام على وجود اليهود في القدس.

وحتى لا يعتقد البعض أن الحق العربي في بيت المقدس إهتز أو بهت، جاءت هذه العجاله لتركز على الحق العربي في القدس الشريف عبر تعاقب العصور، وفي إطار القانون الدولي العام وضمن قواعده فالحق لا يموت ولا يتقادم، وبخاصة اذا كان الشعب مقاوما ورافضا للاحتلال، فالشعب هو موئل السياده، والقوة والإحتلال لا تخلقان حقا وان خلقا سلطة فعليه مدعومة بالقوة العسكرية.

---

* إبراهيم شعبان، ماجستير في القانون العام، محاضر في كلية القانون - جامعة النجاح الوطنية. كتب هذا المقال لكتاب القدس.

ومن هنا سنتطرق الى المركز القانوني لبيت المقدس مع تقديم نبذة تاريخية حتى يتسنى تعزيز وجود الحق العربي في هذه المدينة، لعلنا نقدم ولو كلمات بناءة في سبيل دعم الحق العربي في القدس الشريف.

القدس عبر التاريخ

تعتبر مدينة القدس إحدى المدن الجميلة في فلسطين، وقد بنيت سنة ٣٠٠٠ ق.م. على يد اليبوسيين وقد أسموها "يبوس" علما أن اليبوسيين هم من الكنعانيين العرب. وكانت 'يبوس' ذات أهمية تجارية وإستراتيجية وعسكرية لموقعها العالي، وكان اليبوسيون يقيمون الصلات بينهم وبين الكنعانيين والفراعنة (١) حتى إمتدت الى التحالف العسكري أحيانا.

وعرفت أرض فلسطين بأرض كنعان، وقد تعرضت الأخيرة لغزو العبريين عدة مرات الا أن ملك 'يبوس' آنذاك 'سالم اليبوسي' زاد بنيان المدينة وتحصيناتها، وتلاه الملك "مليكصادق" والذي سمي "ملك السلام" ومن هنا عرفت القدس إسمها الحالي 'أورسالم' والتي حولت الى أورشليم' (٢).

وعندما دخلها اليهود إثر طردهم من مصر، كان سكان القدس والقرى المجاورة لها من أصل كنعاني وكانت اللغة السائدة هي الكنعانية واللغة الشائعة للعلاقات الدبلوماسية والدولية آنذاك هي اللغة البابلية (٣).

وتحت ضغط اليبوسيين خرج اليهود من القدس، لكنهم عادوا واحتلوهابقيادة الملك داود الذي جعلها عاصمة ملكه بدلا عن مدينة "حبرون" الخليل، وسمى القدس 'باوروسالم' أو 'أورشليم' وبعد سليمان لم يستطع اليهود الإستمرار في الحفاظ على وحدتهم القومية فانقسموا الى دويلتين واحدة في الشمال في نابلس والأخرى في أورشليم.

ولوحظ تفكك هاتين الدويلتين ومظاهر الضعف والإنحطاط السياسي فيهما، فتارة كان يسيطر عليهما أو على واحدة منها الأشوريون أو الفراعنة، وتارة ينشب القتال

ما بين هاتين الدويلتين وما بين الكنعانيين، وقد قيل – وبحق – أن الغزوة اليهودية للقدس تعتبر أقصر الغزوات لفلسطين بالنسبة الى الغزوات الأخرى.

وتوالت على فلسطين والقدس موجات متلاحقة من الغزو حتى مجيء الفتح العربي، فقد وقعت البلاد تحت سيطرة البابليين والأشوريين والفرس واليونان والرومان، ولم تتأثر حياة الناس القاطنين في فلسطين بهؤلاء الغزاة القادمين والداخلين، فقد بقيت حياتهم إستمرارا للوضع الكنعاني العربي بما له من مزايا وعناصر وغلبت حياتهم وطابعهم العربي على حياة وطابع الغزاة الفاتحين [٤].

ورغم المحاولات غير الناجحة لفتح القدس – ايلياء آنذاك – الا انها لم تفت من عضد المسلمين. حيث قام أخيرا أبو عبيدة بن الجراح بمحاصرتها الى أن استسلمت وطلبت الصلح على نفس الأسس والمعايير لما إتفق عليه مع أهل مدن الشام من اداء الجزيه والخراج، واشترطوا أن يتولى العقد الخليفة عمر بن الخطاب، وكتب عمر وثيقة الأمان الشهيرة – التي عرفت فيما بعد بالعهدة العمرية – حيث أعطاهم عهدا وأمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم [٥].

ومنذ الفتح العربي الإسلامي سنة ٦٣٦م. وفق ١٥ هـ، ظلت القدس عربية إسلامية تعاقب وتتابع عليها الحكام العرب والمسلمون، من خلفاء راشدين الى أمويين الى عباسيين الى طولونيين الى أخشيديين الى فاطميين الى سلاجقة الى مماليك الى أتراك وأخيرا الفلسطينيين، ولم يعكر صفو هذه السلسلة سوى فترة الحروب الصليبية [٦].

الغزو في القانون

من المتعارف عليه في فقه القانون الدولي أن هذا القانون وضع قواعده الأولى بعد حرب الثلاثين عاما – وهي الحرب الدينية بين البروتستانت والكاثوليك – وقد وضعت هذه الحرب أوزارها وأفرزت إتفاقية 'وستفاليا' سنة ١٦٤٨، التي تعتبر حجر الرحى بالنسبة للقانون الدولي [٧].

لذا فإن من الغريب أن يوصف الوجود العربي ببيت المقدس بأنه غزو، فقواعد القانون الدولي لم تكن موجوده قبل سنة ١٦٤٨، حتى في هذا التاريخ الأخير فإنها لم تكن في درجة التطور والإرتقاء التي نعرفها اليوم.

والحقيقة أن وسائل كسب ملكية الإقليم كما بينها فقهاء القانون الدولي القديم وليس الحديث تنحصر في الإكتشاف الجغرافي، إحتلال أراض ليس لها مالك، أو تخلى عنها المالك نهائيا، التقادم أو مرور الزمن، الغزو، التنازل والإلحاق (٨) أي أن هذه الوسائل جميعا كانت وسائل مشروعه لكسب ملكية الأقاليم، لذا كان هناك تنافس كبير ما بين الدول الغربية على - وجه الخصوص - على اقتسام الإكتشافات الجغرافية الحديثة.

وكما قلت آنفا أنه في زمن فتح المسلمين لبيت المقدس - لم يكن هناك قانون دولي بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة وبالتالي فان حجم عدم المشروعية في الإطار الدولي كان أمرا منتفيا، حتى أن فقهاء المسيحيه لجأوا لتبرير وإجازة الحرب فيما سمي 'الحرب العادله' وكان أبرز هؤلاء الفقيه 'أوغسطين' وجاءت نظريته وفق اسمه (٩).

حتى لو افترضنا - على سبيل الجدلية - أن هناك قانونا دوليا بالمعنى الدقيق أيام الفتح العربي، فان ذلك لا ينتقص من القيمة القانونية للفتح العربي الإسلامي لبيت المقدس وفلسطين، بل العكس هو الصحيح، فالعالم القديم كان قائما على الغزو وبقي كذلك الى القرن التاسع عشر والقرن العشرين، وحتى لو أسقطنا عن الفتح العربي الإسلامي كل أمر وإكتفينا بكونه 'غزوا' فإن هذا يشكل سند مشروعية لكسب ملكية بيت المقدس وفلسطين، ذلك أن الغزو كان أحد الوسائل المشروعه لكسب ملكية الإقليم حينما ترعرع القانون الدولي، فما بالك حينما لم يكن هناك قانون دولي؟ إن من الأولى أن يكون مشروعا في الحالة الأخيرة.

واذا استمررت بقبول مقولة أن الفتح العربي لبيت المقدس وفلسطين ما هو الا غزو، فإن الوجود العبري لفلسطين كان حالة نقية للغزو وحيث لم تختلط بها أية

شائبه لنفيها، فالعبرانيون - كما يدل إسمهم - عبروا الفيافي والقفار لغزو فلسطين وبيت المقدس، وهذا ما تشهد به كتبهم (١٠).

واذا كان الغزو العبري قصيرا حيث يعتبر أقصر الغزوات لفلسطين وبيت المقدس فان "الغزو" العربي الإسلامي لهما قد قارب أكثر من ثلاثة عشر قرنا ولم يتخلله سوى الغزوة الصليبية.

وحتى هذا "الغزو العربي" قد رافقه عنصر آخر ألا وهو التقادم ومرور الزمن فان الحكم العربي استمر اكثر من ثلاثة عشر قرنا، وكان هذا الحكم فعالا ومستمرا ولم تنازعه أية جهة وفوق هذا وذلك فان هذا الحكم العربي الإسلامي كان يستند الى رضاء المحكومين، وكان سليما وغير متقطع ويحوز الأراضي الفلسطينية كافة حيازة هادئة غير منازعة وغير متقطعة.

بينما نرى "الغزو العبري" لم يقم حكومة مستقرة، فإنقسم اليهود على أنفسهم، وقامت دويلتا إسرائيل، وخضعت الدويلتان لنفوذ مصر تارة وأشور تارة أخرى، كما نشب قتال بينهما وبين الكنعانيين تارة وبين الفلسطينيين على الساحل تارة أخرى، حتى أضحت بيت المقدس وفلسطين ميدانا ومثالا حيا لزعزعة الحكم وضعفه ومظهرا من مظاهر الفوضى والإضطراب السياسيين (١١).

واذا أراد الإسرائيليون إعمال معايير القانون الدولي الحديث فان مقولتهم ستنهار لعدم توافقها لا مع إحتلال أرض ليس لها مالك أو بالتقادم أو الغزو لأن حكمهم في ذاك الزمن السحيق على هذه الرقعة الجغرافية لم يأخذ صفة الحكم المستقر الهادىء الذي لا ينازعه أحد فيها، أضف أن الحكم اليهودي لم يكن فعالا ولا مستقرا وكان غير سلمي وشابه التقطع ولم يدم سوى ردح قصير من الزمن، واذا عدنا الى القانون الدولي الحديث فسنجد أن معظم هذه الوسائل لكسب ملكية الإقليم قد سقطت ما عدا التنازل الرضائي الحر دونما إكراه أو قسر، فالإكتشافات الجغرافية في العصر الحالي لم تعد أمرا ممكنا فمعظم بقاع الأرض مكتشفة، أضف الى ذلك أن الإكتشاف لم يعد أمرا مقبولا في وقت تطورت فيه وسائل المواصلات بشكل كبير (١٢).

أما بقية هذه الوسائل فكانت مشروعة ولا غبار عليها الى وقت قريب، فقد كان الغزو وسيلة مشروعة لحل المنازعات الدولية، بل كان الوسيلة الشائعة ونظرة بسيطة على القارة الأوروبية وما حدث فيها من حروب في القرن التاسع عشر يؤيد هذا الأمر، والحقيقة أن الحظر الكامل على الحرب لم يتم الا أثر تبني معاهدة باريس لسنة ١٩٢٨ (إتفاقية بريان - كيلوج)، وجاء ميثاق الأمم المتحدة لسنة ١٩٤٥ حيث أيد ما توصلت اليه معاهدة باريس آنفة الذكر.

وقد نصت على ذلك بشكل واضح وصريح الفقره الرابعة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة حيث نصت على أن "يمتنع أعضاء الهيئة جميعا في علاقاتهم الدولية عن التهديد بإستعمال القوة أو إستخدامها ضد سلامة الأراضي أو الإستقلال السياسي لأية دولة، أو على وجه آخر لا يتفق ومقاصد الأمم المتحدة [١٣].

وكذلك تسقط وسيلة الغزو، لأن الحرب أو النزاع المسلح محظور دوليا حظرا مطلقا وبالتالي فلا يعقل، أن يعطي الأمر المحظور ثمارا أو شرعية، لأن الباطل لا ينتج إلا باطلا ولا يعقل أن الغازي سيصبح صاحب سياده فوق الأراضي المهزومة أو الأراضي المحتلة [١٤].

وحتى نحيط بجميع صور كسب ملكية الإقليم نقول ان الشكل الذي يضفي عليه شرعية هو التنازل، وهو تصرف ثنائي وليس أحادي الجانب، بمعنى أنه يجب أن يكون هناك موافقة من كلتا الدولتين، واحدة تتنازل والأخرى تقبل به وتأخذه، أي أن يكون هناك عنصران: أولهما الإتفاق بين دولتين، وثانيهما التسليم الفعلي، واذا طبقنا هذا الأمر على فلسطين وبيت المقدس فلا نجد هذين العنصرين إطلاقا، فليس هناك إتفاق أو معاهدة دولية تقضي بتسليم فلسطين أو بيت المقدس أو أي جزء منهما، أضف أن إسرائيل قبل عام ١٩٤٨ لم تكن دولة وبالتالي لا تملك الدخول في إتفاقات دولية للتنازل أو غيره، وعليه فإن هذا الأسلوب يسقط كسبب لكسب ملكية بيت المقدس أو فلسطين من قبل الإسرائيليين.

ويجب أن نشير هنا الى إتفاقية الهدنة المعقودة ما بين الأردن وإسرائيل في ٢ نيسان - إبريل سنة ١٩٤٩ أو ما بين إسرائيل ومصر في ٢٤ شباط - فبراير سنة

١٩٤٩، لا تشكل مصدرا للسيادة لأحد، كما أن هذه الإتفاقيات لا تعطي سياده شرعية لأحد ولا تنقصها من أي كان، نظرا لأن إتفاقية الهدنة عمل قانوني لوقف العمليات الحربية بين طرفين أو أكثر لحين إيجاد تسوية سلمية بين المتنازعين، بل أن إتفاقيات الهدنة أعلنت صراحة عدم المس نهائيا بين المتنازعين بقضية السيادة، وقد نصت على ذلك - صراحة ودون لبس - الفقرة الثانية من المادة الثالثة من إتفاقية الهدنة الأردنية الإسرائيلية حيث قالت 'لا نص في هذه الإتفاقية سيؤثر على مواقف الأطراف من التسوية النهائية للمسألة الفلسطينية وأن نصوص الإتفاقية أملتها أساسا الإعتبارات العسكرية (١٥).

وبناء على ما تقدم فإن العرب ملكوا وحكموا بيت المقدس وأقاموا سيادتهم عليها دون منازع حتى في الزمن المتأخر حينما بدأت الإمتيازات الأجنبية في الإستفحال على أرض بيت المقدس، فوسائل كسبهم لملكية الرقعة الإقليمية على بيت المقدس أمر لم يثر أي جدال طوال العصور الماضية، سواء قبل وجود القانون الدولي العام الحديث أو ما بعده، فإننا لا نستطيع أن نجد سببا معقولا ينفي سيادة العرب على بيت المقدس.

وعلى العكس من ذلك فإننا لا نجد أي إسناد صحيح وشرعي لسيادة اليهود على بيت المقدس يكفي أن تواجدهم كان ضئيلا بحيث شكلوا جزءا من الشعب الفلسطيني إستمر ذلك حتى عام ١٩٤٨، كما أنهم فقدوا السيطرة عليها منذ زمن بعيد أي أكثر من ألفي عام، أضف الى ذلك أن الإكتشاف الجغرافي لا يساعد موقفهم، وكذلك الغزو أو التقادم أو الإلحاق لأن هذه الأمور لم تتم أصلا أي لم تحدث كأمر واقعي بعد أن تم طردهم من هذه البلاد. وببساطة شديدة فإن موقفهم يخلو من الأساس القانوني الصحيح.

القدس والتدويل

برزت فكرة التدويل في المجتمع الدولي حديثا، وتحديدا منذ مؤتمر فينا سنة ١٨١٥، حيث تقرر وضع مدينة كراكاو والتابعة لبولندا تحت الرعاية المشتركة لكل من النمسا وبروسيا وروسيا، وتوالت الإتفاقات المماثلة حيث بدأت فكرة التدويل في

الإنتشار، فكان تدويل بعض أراضي الكونجو في مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥، وكانت الإدارة الدولية لألبانيا بموجب معاهدة لندن سنة ١٩١٢، وكان هناك تدويل منطقة طنجة في المغرب بموجب إتفاق سنة ١٩٢٣، وكان تدويل ميناء دانزنج البولندي بموجب إتفاقية باريس سنة ١٩٢٠، حيث وضع تحت تنظيم وإشراف عصبة الأمم، وهكذا كان في منطقة تريستا الحرة بموجب إتفاقية الصلح مع إيطاليا سنة ١٩٤٧، وأخيرا وليس آخرا، كان قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ وتدويل منطقة القدس وإدارتها كوحدة مستقلة وإخضاعها للإشراف المباشر لمجلس الوصاية (١٦).

والداعي الى فكرة التدويل يعود الى البحث عن حل ملائم ومعقول حول النزاعات أو المصالح المتضاربة وبقصد الإتفاق على تأمين المصالح المشتركة وإشاعة الإستقرار والهدوء في المناطق المختلف عليها، ببساطة حل يرضي جميع الأطراف خاصة حول الأراضي والموانيء والمدن المهمة (١٧).

ويجب أن نبادر الى القول أن جميع الأمثلة التي سقناها للتدويل أصبحت في ذمة التاريخ، كما أن توصية الجمعية العامة للأمم المتحدة لتدويل مدينة القدس قد لاقت رفضا من كل من الفلسطينيين واليهود، ومن هنا نرى أن فكرة التدويل لم تعد تتمشى مع الوضع القانوني الدولي الحالي.

وتقتضي فكرة التدويل أن يكون هناك إتفاق يخول سلطة دولية ما ممارسة السيادة بصورة دائمة على رقعة إقليمية محددة هادفة من وراء ذلك رعاية مصالح الأسرة الدولية وإستقرار الأمن والنظام في المنطقة المتنازع عليها. والحقيقة أن هذه الإعتبارات اللفظية البراقة والمخادعة لتمرير التدويل كما حصل في حالات عدة، لم تستطع أن تقدم الإستقرار الحقيقي ولا أن تخدم النظام في منطقة متنازع حولها، بل شكل هذا الحل فتيلا قابلا للإنفجار في أية لحظة، اذ هو ببساطة يوكل ممارسة السيادة الى هيئة أو سلطة دولية بعد أن يكون قد نزع هذه المنطقة من نطاق سيادة شعبه، ومن هنا قيل وبحق أن نظام التدويل الحديث له خصائصه الخاصة، ويمارس السيادة فيه شخص دولي حديث، هو صاحب إرادة مستقلة وتنظيم مستقبل أفرزته إرادة الدول المتعاقدة مجتمعة (١٨) وينتج عن ذلك إهدار مبدأ حق تقرير المصير

لشعب ما، وأن اعتباراته التوفيقية سرعان ما تتخلخل وتنتقد وتؤدي الى عودة الإحتلال أو عدم الإستقرار من جديد.

وتعود فكرة تدويل بيت المقدس حينما تقدم الفاتيكان الى بريطانيا بوضع الأماكن المقدسة في فلسطين تحت إشراف إدارة دولية الا ان الأخيرة رفضت رغبة الفاتيكان وكان ذلك عام ١٩١٩، ويبدو ان بريطانيا في آخر سنوات إنتدابها على فلسطين عادت واقتنعت أن تدويل مدينة القدس سيؤدي الى حمايتها ويحافظ على الحرية الدينية وأماكن العبادة فيها ويخفف من الأعمال العدائية ما بين العرب والصهاينة، ولا يؤدي الى فرض سيادة أي كان على المدينة المقدسة.

وكانت لجنة "بيل" المشكّلة سنة ١٩٣٧ قد إقترحت حلا شبيها وذلك حينما أوصت بتقسيم فلسطين الى ثلاثة أقسام، كان قسم منها يحتوي على الأماكن المقدسة في فلسطين بحيث يمتد من شمال القدس حتى جنوب بيت لحم، ويشمل كذلك الناصرة وشواطيء بحيرة طبرية، وإقترحت وضع هذا القسم تحت سلطة الإنتداب البريطاني وحده فلا تسري عليه سيادة عربية فلسطينية ولا يهودية [١٩].

أما قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٨١-٢ الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩ القاضي بتقسيم فلسطين وتدويل القدس فقد عين حدود منطقة القدس المدولة بحيث تشمل حدود بلدية القدس آنذاك سواء أكانت تلك الأحياء عربية أو يهودية، كما تشمل القرى والمدن المحيطة بها والتي تشكل معها منطقة واحدة، وهي على وجه التحديد قرى: أبو ديس والعيزرية والطور والعيسوية وسلوان وصور باهر وأم طوبا ولفتا ودير ياسين وعين كارم والمالحة وشرفات وبيت صفافا ورمات راحيل وشعفاط، أما المدن فهي بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا.

على أية حال فقد رفض هذا المشروع سواء بشكل صريح من العرب الفلسطينيين أو بشكل ملتو من الصهاينة، وقد قضى على المشروع إغتيال الكونت برنادوت في القدس وإحتلال الجيش الصهيوني لأجزاء كبيرة من القدس الغربية ومن ثم أعلنت الحكومة الإسرائيلية أن القدس جزء لا يتجزأ من إسرائيل وإتخذتها عاصمة لها، وكان ذلك في ١٩٤٩/١٢/٢٦ وقد صادق الكنيست الإسرائيلي على ذلك.

ويمكن القول ان سياسة الأمر الواقع الإسرائيلية في صدد جعل بيت المقدس عاصمة لإسرائيل لم تلاق النجاح الذي توقعه لها الإسرائيليون، فها هو الفاتيكان يرفض هذه الخطوة الإسرائيلية، علما بأنه كان يؤيد التدويل بقوة والحاح، كما ان الكنائس الغربية والشرقية رفضت الوضع الإسرائيلي لبيت المقدس، أضف الى ذلك أن الدول العظمى رفضت هذا الوضع ولم تعترف بقانونيته، وأبقت مكاتب سفاراتها في تل أبيب. رغم أن إسرائيل نقلت وزارة خارجيتها للقدس، وليس هناك من دول تقيم سفارات لها في القدس سوى النزر اليسير وهي دول غير ذات تأثير في المجتمع الدولي (الدومينكان – جواتيمالا – أوراجواي) [٢٠].

وبعد فإن قرار التدويل – رقم عدم قانونيته لأن الأمم المتحدة لا تملك إصدار مثل هذا القرار – قد إنتهكه الإسرائيليون بغزوهم مدينة القدس. وإعلانهم إياها عاصمة لدولة إسرائيل، أضف الى ذلك أن قرار التدويل قد تم ربطه مع قضية عودة اللاجئين التي لم تنفذ بعد، وفي هذا إهدار لقواعد العدالة والأمن والإستقرار الدوليين.

وكما قلنا سابقا أن التدويل هو إخراج لسيادة شعب عن رقعة جغرافية ما، وفي حالتنا هو نفي لسيادة الشعب الفلسطيني عن جزء عزيز وغال من الوطن الفلسطيني الا وهو بيت المقدس، والحقيقة الثابتة أن السيادة للشعوب وهي حق لا يزول ولا يتم التنازل عنه ولا ينفيها إحتلال ولو طال ولا يظفر بهذه السيادة غير صاحبها الوحيد وهو شعبها الذي لم يقبل به أو يعترف به في وقت من الأوقات.

القدس والضم

أثر حرب ١٩٦٧، وقعت القدس والأراضي العربية الأخرى في قبضة الإحتلال الإسرائيلي، وما زال معظمها رازحا تحت هذا الإحتلال، ولا زالت إسرائيل سائرة في غيها رافضة الإنسحاب من هذه المناطق المحتلة وخصوصا مدينة القدس العربية.

وقد قامت السلطات الإسرائيلية بإجراءات فورية لضم مدينة القدس الى الحظيرة الإسرائيلية، وقد كانت البداية بأن اتخذت الحكومة الإسرائيلية قرارا بسريان القانون الإسرائيلي على القدس العربية المحتلة، وكان ذلك بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٥ وما لبث الكنيست الإسرائيلي أن إجتمع بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٧، حيث قرر أمرا بدا غاية في البساطة وعدم الأهمية ولكن مضمونه كان أخطر الأمور على القدس العربية فعلا وتأثيرا، لقد قرر تعديلا لقانون أنظمة السلطة والقضاء الصادر سنة ١٩٤٨، حيث تمت إضافة المادة "١١ب" والتي تنص على "سريان قانون الدولة وقضائها وإدارتها على كل مساحة من أرض إسرائيل حددتها الحكومة في مرسوم" [٢١].

وقامت الحكومة الإسرائيلية بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨، بإصدار نظام تنفيذي لقانون السلطة والقضاء المشار اليه آنفا وحمل الرقم "١" لسنة ١٩٦٧، وتقرر بموجبه أن المنطقة المبنية في الذيل المرفق بالنظام هي منطقة يسري عليها القضاء والإدارة الإسرائيليين، وهذه المنطقة هي أساسا ما كان يدخل في إدارة بلدية القدس العربية، ورافق هذا التعديل تعديل قانون البلديات وحمل الرقم "٦" لسنة ١٩٦٧، ومرة أخرى يلجأ وزير الداخلية الإسرائيلي الى ذيل نظام تنفيذي من أجل تطبيق قانون البلديات الإسرائيلي على سكان ومناطق القدس العربية، ونشير هنا الى تطابق الذيلين في كلا النظامين.

وطبقا للذيلين تضم حدود بلدية القدس الإسرائيلية، المناطق العربية التالية: البلدة القديمة، وادي الجوز، الشيخ جراح، المصرارة، العيسوية، شعفاط، بيت حنينا، وتستمر حدود البلدية شمالا حتى مطار قلنديا على شكل شريط مستطيل يضم "المطار وطريق القدس – رام الله والمساكن المقامة على جانبه الغربي وتستثنى المساكن الواقعة شرقي الطريق وهي ضاحية البريد والرام" أما جنوبا فتشمل حدود البلدية قرى "بيت صفافا، سلوان، الثوري، صور باهر، أم طوبا، السواحرة الغربية، ويستثنى من حدود البلدية قرى العيزرية وأبو ديس في الشرق" [٢٢].

وبموجب هذين الذيلين والقوانين الإسرائيلية، بدأت السلطة الإسرائيلية المحتلة تنفيذ سياسة الضم الفعلي، لذا قامت وزارة الداخلية بتوزيع الهوية الإسرائيلية على سكان القدس العربية، وألغت القوانين الأردنية، وتم إلغاء المحاكم الأردنية وحولت بناية المحاكم الى دار للمحاكم الإسرائيلية، كما ألغيت المحاكم الشرعية وألغي إختصاصها بشأن مسلمي القدس، وألغت البنوك العربية، وفرضت مناهج التعليم الإسرائيلية، وحل المجلس البلدي العربي ووضع مخطط هيكلي لشقي المدينة الشرقي والغربي، وببساطة شديدة فمنذ السابع من حزيران ١٩٦٧، حاولت السلطة الإسرائيلية المحتلة وخططت الى إقصاء أي أثر لسلطة عربية في المدينة وأخضعت سكانها العرب لكافة أشكال السلطة الإسرائيلية [٢٣].

ومن ضمن ما تم إحتلاله في مدينة القدس كان المسجد الأقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة، ويجب أن يكون واضحا أن اصطلاح "المسجد الأقصى" يعني ببساطة جميع المنطقة التي يحيطها سور الحرم والتي تبلغ مساحتها ١٤٠ دونما و٩٠٠ مترا مربعا، وهذا يشمل القسم المغطى من المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة والأروقة واللواوين والمساطب والقباب والممرات وأبوابه الرئيسة هي باب الأسباط، باب حطة، باب فيصل، باب الغوانمه، باب المجلس، باب الجديد، باب القطانين، باب المتوضأ، باب السلسله، باب المغاربه [٢٤].

وقامت السلطات الإسرائيلية فور إحتلال مدينة بيت المقدس، برفع العلم الإسرائيلي على المسجد الأقصى المبارك لعدة أيام على يد أشهر قادتها أمثال موشيه ديان ومردخاي غور وما هي الا أيام حتى أنزل العلم الإسرائيلي وأبقي المسجد الأقصى المبارك تحت سلطة الأوقاف الإسلامية من ناحية شكلية، إذ أن سلطات الإحتلال قد وضعت قضايا النظام والأمن والترخيص في أيديها، فأقامت مركزا لقوات الأمن والشرطة الإسرائيلية على سطح باحة قبة الصخرة المشرفة وسيرت دوريات راجلة لقوات الشرطة وحرس الحدود داخل باحة المسجد الأقصى المبارك، وتحكمت في الداخل والخارج للحرم القدسي الشريف، وتم الإستيلاء على مفاتيح باب المغاربة وهو المطل على حائط البراق - وإستولت الشرطة العسكرية على المدرسة التنكزية الملاصقة لسور الحرم القدسي الشريف من الناحية الشمالية وتم

هدم أكثر من ٥٠٠ منزل في حارة المغاربة بحيث أصبح هناك ساحة واسعة أمام حائط البراق، ومنعت الأوقاف الإسلامية من أي بناء جديد في المسجد الأقصى المبارك وسيرت دوريات راجلة وجوية لملاحقة أي تغيير يحدث في الحرم القدسي الشريف من أجل المحافظة على الوضع الراهن.

وحتى لا يخرج هذا الكتاب عن هدفه ونضيع في متاهات وصف التغيرات الناجمة عن الإحتلال الإسرائيلي للقدس العربية، نتوقف عن هذا الوصف ونتساءل عن القيمة القانونية لهذا الضم الإسرائيلي، وهل هو ضم بالمعنى القانوني أم هو إجراء أقل شأنا وأهون أثرا وشرا.

القيمة القانونية لضم بيت المقدس

أدعى كثير من الإسرائيليين أن الخطوات التي اتخذت بصدد بيت المقدس ليست ضما بالمعنى القانوني وإنما عملية تكامل في الإطار الإداري والمالي والبلدي، وان هذه الخطوات ليس لها طابع سياسي، وانها تعبير عن الحاجات الضرورية الناشئة عن التقسيم وزواله، وان العالم قد أساء فهم هذه الخطوات وعبر عن هذا المعنى أبا أيبان وزير الخارجية الأسبق في خطابه أمام الجمعية العامة يوم ١٩٦٧/٦/٢٩ [٢٥].

والحقيقة أن هذه الحجة تسقط اذا علمنا أن إسرائيل قامت في ٣٠ تموز - يوليه ١٩٨٠، بإقرار قانون القدس ضمن مجموعة القوانين الأساسية "Basic Law" حيث نص هذا القانون في مادته الأولى أن "القدس الكاملة والموحدة عاصمة إسرائيل" [٢٦]، وهذه القوانين شبيهة الى حد ما بالقوانين الدستورية.

إن هذه القوانين الأساسية تسمو على القوانين العادية، ولا تملك الأخيرة مخالفة الأولى [٢٧]، بل إن البرلمان الإسرائيلي عاد ليؤكد من جديد الموقف السابق بالضم وأن القدس الكاملة لن تكون محلا لأية مفاوضات وان السيادة الإسرائيلية عليها ليست محل جدل أو شك [٢٨].

لذلك كان كل من إدعى أن الخطوات الإسرائيلية لا تمثل ضما مثل اليـاهو لوتـر باخت [٢٩]، أو جوليوس ستون أو يهودا بلوم أو يورام دنشتاين [٣٠]. فـإن مثـل هـذا الإدعاء سقط بـالخطوات التشريعية الإسـرائيلية اللاحقـة وبـالخطوات التنفيذيـة التـي قامت بها الحكومة الإسرائيلية، وقد ركـز هـذا الجـانب علـى القضيـة الشـكلية ورأى ضرورة أن يصدر إعلان بضم مدينة القدس حتى نعتبره ضما من الناحية القانونيـة، خاصة وأن القوانين التي سرت على القدس لم تشـر مـن قريـب أو بعيد لإصطـلاح الضم. وكأن الضم لا بد أن يكون شكليا أو أنه الشكل الوحيد للضم.

وسقطت حجة هؤلاء أيضا بعد القـرارات المتعاقبـة والمنتظمـة مـن قبـل محكمـة العدل العليا الإسرائيلية، حيث قالت المحكمة أن هذه السلسلة القانونية والتشريعية لا تترك مجالا للشك لتطبيق السيادة الإسرائيلية على القدس، وان الأخيرة تعتـبر جـزءا لا يتجزأ من إسرائيل وهو أمر مفروغ منه وهي جزء مـن أرض إسـرائيل ويسـري عليها القضاء الإسرائيلي والإدارة الإسرائيلية وأن القدس الشرقية وحدت مـع القـدس الغربية [٣١] لذلك فمن أراد إختصار الطريق ونفي الضـم عـن الخطـوات الإسـرائيلية تجاه القدس فقد خاب أمله، وجاءت المحكمة العليا الإسرائيلية لتزيل مقولته ولتفرغها من أي مضمون، وبذا فإن ما قامت به إسرائيل هـو ضـم صريـح واضـح وليـس أي إجراء آخر ولكن يبقى السؤال حـول المشـروعية فـي هـذه الخطـوات أم هـي باطلـة ولاغية من أساسها.

منذ القرن التاسع عشر والفقهاء يرددون مقولة أن الإحتـلال لا يملـك ذرة واحـدة من ذرات السيادة، وان ما تلجأ اليه السلطات المحتلة من ضـم للإقليـم المحتـل ونقـل سيادته اليها هو أمر مناف للقانون الدولي والعرفي ولقانون الإحتـلال الحربـي، ذلـك أن إدارة المحتل تملك سلطة فعلية مؤقتة عسكرية وليس لها أن تستحوذ على عنصر السيادة [٣٢].

فها هو ميثاق باريس يحظر تسوية المنازعات الدولية عن طريق الحرب، وزيادة في التأكيد جاء ميثاق الأمم المتحدة ليكرس هذا الحظر كما جاء في المـادة الثانيـة – الفقرة الرابعة وفوق هذا وذاك جاء إعلان مبادىء القانون الدولي لعام ١٩٧٠ لـيزيل

أي غموض أو إبهام حول حظر اللجوء الى الحرب لتسوية المنازعات الدولية وبدلا من ذلك الإلتجاء الى الوسائل الودية.

وقد قرر المبدأ الأول من هذا الإعلان عدم جواز التهديد بإستعمال القوة المسلحة من أجل إحتلال دولة أخرى أو جزء منها، أو من أجل حل أي نزاع دولي أو حدودي أو من أجل حرمان شعب ما حقه في تقرير المصير، أو إنتقاص سيادته، والأهم من هذا وذاك أنه لا يجيز الإحتلال ولا يقبله ولا يعده سببا مشروعا لكسب ملكية الإقليم بل ينفي المشروعية عنه جملة وتفصيلا (٣٣).

أما مقولة أن إسرائيل كانت في حالة دفاع شرعي عن النفس فتنفيها الوقائع ذاتها اذ ان من بادر الى الهجوم على الدول العربية آنذاك وبإعتراف قادتها كانت إسرائيل، أضف أنه حتى لو لم تكن فإن شرط التناسب غير محقق، بمعنى أنه لو كان الهجوم الإسرائيلي دفاعيا فهذا لا يخولها الإحتفاظ بالأرض العربية، أو ضمها.

كما أن تعريف العدوان الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة بشكل إجماعي يقول أن إستعمال القوة المسلحة ضد دولة ما أو ضد سيادتها الإقليمية أو ضد إستقلالها السياسي، ويقف على رأس الأفعال العدوانية الغزو، أضف الى ذلك أن حق تقرير المصير ينبذ العدوان ويتقدم عليه، وبعد فهل بعد هذا نستطيع أن نقول أن إسرائيل كانت في حالة دفاع شرعي عن النفس؟ وهل كان في أعمال الدول العربية سنة ١٩٦٧ ما يشكل خطرا وشيكا لهجوم مسلح عربي عليها، وهل تم إستنفاذ الإجراءات السلمية بحيث لم يعد هناك خيار آخر (٣٤).

إن العمل في المجتمع الدولي قد إستقر على رفض الضم أو إعطائه أية مشروعية ويكفي الإشارة الى هذه السوابق التاريخية دون الخوض في تفاصيلها، فمبدأ ستمسون سنة ١٩٣٢، وتصريح بيونس أيريس سنة ١٩٣٦، وتصرح ليما سنة ١٩٣٨، وميثاق الدول الأمريكية في بوجوتا سنة ١٩٤٨، كلها تقوم على عدم الإعتراف بالتغيرات الإقليمية التي تنشأ بالقوة أو التي تنشأ بشكل يخرق القانون الدولي أو الإلتزامات الدولية العامة أو الخاصة وهذه المواثيق تشجب الغزو الإقليمي وأن أي تغيير إقليمي أو حدودي عبر الغزو أو بالقوة أو بغير الوسائل السلمية تعتبر

غير صحيحة وباطلة وبالتالي لا تولد اثار قانونية [٣٥] وختمت محكمة نورمبوغ هذه السوابق التاريخية حينما قررت بشكل بين وقاطع حينما أعلنت عدم جواز ضم الأراضي المحتلة [٣٦].

وكثيرة هي القرارات الصادرة عن الأجهزة الدولية والتي لا تعترف بالضم الإسرائيلي لمدينة القدس العربية وتعتبره باطلا ولاغيا ولا قيمة قانونية له، وكانت بداية قرارات الجمعية العامة هو القرار رقم ٢٢٥٣، الصادر في ٤ تموز ١٩٦٧، أما مجلس الأمن فكان قراره الأول هو الذي حمل الرقم ٢٧١، كذلك كانت هناك تقارير لجنة التحقيق الخاصة بالممارسات الإسرائيلية والتي تؤثر على حقوق الشعب في الأراضي المحتلة وتقارير لجنة حقوق الإنسان [٣٧].

وقد ضربت إسرائيل بالقانون الدولي وقرارات المجتمع الدولية عرض الحائط، وغيرت معالم مدينة القدس تغييرا كليا، وأقامت المستوطنات وحزاما من البناء الإسرائيلي لتسوية كل مخارج ومداخل المنطقة العربية، ولا حاجة للتذكير أن الأرض كانت نهبا مشاعا للدوائر الإسرائيلية تحت ذرائع شتى، فهذه ارض جدباء أو غير مزروعة، وهذه أراضي دولة، وهذه أراضٍ لا هيكلية لها، وهذه أراضٍ تم تزوير ملكيتها وهكذا دواليك.

وبعد، فإن أسباب كسب ملكية الإقليم بشكل مشروع لا تعطي الإسرائيليين أي سند من أسانيد المشروعية، بل العكس هو الصحيح، فقبل إنحلال الدولة العثمانية كان الحكم عربيا والسكان عربا منذ مئات السنين وحتى قبل القانون الدولي الحديث أي أن السيادة إنحصرت في هذا الشعب، وان وجود عدد من اليهود الساكنين في تلك الحقبة الزمنية لا ينفي هذه الحقيقة وان الأقليات عادة لا تتمتع بحقوق السيادة وان تمتعت حديثا بالحقوق المدنية والإجتماعية والإقصادية والثقافية.

وإستمر الأمر بعد إنحلال الدولة العثمانية بالرغم من جود الإنتداب البريطاني، إذ أن الدولة المنتدبة لا تملك السيادة، وهي مقيدة بتحقيق مصلحة الشعب المنتدبة عليه وهي لا تملك ولا يجوز أن تملك أكثر من الشعب صاحب السيادة، وهو هنا الشعب الفلسطيني العامل على إنجاز حقه في تقرير المصير [٣٨].

وان حرب ١٩٦٧ تشكل عدوانا صارخا بمعايير القانون الدولي، ولما كان العدوان المسلح وحق الفتح لا يكونان في العصر الحديث سببا من أسباب كسب ملكية الإقليم، كذلك فإن الأسانيد الإسرائيلية من غزو دفاعي وفراغ السيادة والحيازة السابقة لا تتسق مع المنطق القانوني وتم تفنيدها من قبل الفقهاء [٣٩].

ولا جدل في أن السيادة على القدس تعود للشعب العربي الفلسطيني عملا بمبدأ الإستخلاف الدولي وإستقرار هذا الشعب منذ مئات السنين على هذه الرقعة الجغرافية، يقابل ذلك نفي لأسانيد السيادة الإسرائيلية، أضف الى ذلك أن الإحتلال - كما قدمنا - لا ينقل السيادة لأنه ليس مالكها أصلا، كما وان إجراءات الضم محظورة وغير مشروعة في القانون الدولي.

ولا بد أن نشير الى الهالة الكبيرة التي يرسمها الإسرائيليون عن "الحق التاريخي والديني"، فنقول أن وجود هذا الحق التاريخي قد انتهى بإحتلال الرومان لفلسطين، وتجزئة اليهود ومحاربتهم لبعضهم البعض، كما ان فترة مكوثهم كانت قصيرة جدا بالمقارنة مع غيرهم وخاصة العرب، بل أن الأخيرين كانوا أسبق منهم تاريخيا في هذه البلاد، أضف الى ذلك أن تغيير كثير من حدود الدول سيترتب على قبول مقولة الحق التاريخي.

والقانون الدولي هو قانون علماني، والإعتقاد الديني ليس له قيمة قانونية في نظر هذا القانون، ولا يشكل قاعدة أو مصدرًا يمكن الإستناد اليها أو المطالبة بحق أو إثبات دعوة بموجبه، وبذا ينهار أيضا ما يسمى بالحق الديني [٤٠].

الخاتمة

تعتبر القدس جزءًا لا يتجزأ من القضية الفلسطينية وان حل وضعها لن يكون الا في الإطار الشامل للقضية الفلسطينية، ويجب أن تقوم على مبادىء القانون الدولي ومبادىء العدالة ولا جدل أن في مقدمة هذه المبادىء حق تقرير المصير وان ثمار الإحتلال باطلة ولاغية.

بعد كل هذا العرض هل يعقل أن دولة تعتد بالقانون الدولي العام تسمي الحرم القدسي الشريف بجبل الهيكل وحائط البراق بالحائط الغربي أو حائط المبكى، بل أن هذه الدولة تشكك في قداسة المسجد الأقصى وباحته بالنسبة للمسلمين، دولة تصف الوجود العربي بالغزو، دولة تضفي طابع المشروعية على الإحتلال وعلى كافة الإجراءات لضم القدس العربية الى الدولة الإسرائيلية دولة لا تشير من قريب أوبعيد الى أن القدس العربية منطقة محتلة، بل محررة وتم توحيدها، دولة تنكر سريان إتفاقية لاهاي الرابعة لسنة ١٩٠٧ وإتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب لسنة ١٩٤٩ على مدينة القدس وسكانها، دولة تنكر صلاحية تطبيق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وميثاقي الحقوق السياسية والمدنية والحقوق الإقتصادية والإجتماعية والثقافية لسنة ١٩٦٦. فهل بعد هذا يبقى مجال للكلام القانوني والحجج والأسانيد في وجه إدعاءات تنكر المواثيق والأعراف الدولية؟؟؟

ببساطة شديدة - في قضية القدس - تتجاهل الدولة الإسرائيلية كل أبجديات القانون الدولي العام وقواعده الراسخة وتريد إستبدالها بأفئدة وقلوب الإسرائيليين وتطلعاتهم الروحية والعاطفية، وكأن الدعوات الغامضة تعطي حقا أو تسلب حقا، وكأن هذه المنطقة لم يكن بها سوى الإسرائيليين. مقولات ثبت زيفها ولا مكان لدعمها الا عبر قوة السلاح وعجرفة القائمين عليه حيث لم يستطع الإسرائيليون إسناد حججهم بأية قاعدة من قواعد القانون الدولي العام والا إمتلأت شوارع القدس بالسفارات ونضبت الأمم المتحدة من القرارات.

المراجع

١. عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، القدس، مطبعة العارف، ١٩٦١، ص ٢-٣؛ د. سالم الكسواني، **المركز القانوني لمدينة القدس**، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة القاهرة، ص ١٢.

٢. انظر في وصف هذه الحقبة. محمد عزت دروزه، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، القاهرة / الدار القومية، الجزء الأول، ص ٨٠-٩٠.

٣. د. عز الدين فوده، **قضية القدس في محيط العلاقات الدولية**، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٩، ص ٤٧.

٤. أنظر العهدة العمرية كاملة في كتاب العهدة د. عز الدين فوده، المرجع السابق ص ٤٨-٥٠؛ د. سالم الكسواني، المرجع السابق، ص ١٩-٢٠.

٥. انظر العمرية كاملة في كتاب د. عز الدين فوده، المرجع السابق؛ ص ٥١؛ د. سالم الكسواني، المرجع السابق، حاشية ص ٥٢.

٦. د. عز الدين فوده، المرجع السابق، ص ٥٢، د. سالم الكسواني، المرجع السابق، ص ٢٣.

٧. علي صادق أبو هيف، **القانون الدولي العام**، الإسكندرية، منشأة المعارف، الطبعة الثانية عشرة، ١٩٧٥، ص ٣٣-٣٤؛ د. إبراهيم محمد العناني، **القانون الدولي العام**، دار الثقافة الجامعية، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٠؛ د. محمد سامي عبد الحميد، **أصول القانون الدولي العام**، الطبعة الثانية، مكتبة مكاوي، بيروت ١٩٧٧، ص ١٣١-١٣٢؛ د. محمد طلعت الغنيمي، **الوسيط في قانون السلام**، منشأة المعارف الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ٢٢-٢٣. Jacobini H.B. *International Law A Text*. The Dorsey Press Inc, 1962, Homewood. Illinois, USA, p. 13.

٨. Brownlie, I. *Principles of Public International Law*. 3rh ed Oxford, Oxford University Press, 1979, p.134; Jenning, R.Y. *The Acquisition of Territory in International Law*, Manchester University Press, 1963, pp. 55-67; Greig, D.W. *International Law*. Second edition, London, Butterworths, 1976; Brierly, J.*Law of Nations*. 6th ed, London, Butterworths, pp. 163-173.

٩. د. حامد سلطان، **أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية**، القاهرة، دار النهضة العربية، فبراير ١٩٧٠.

١٠. د. عز الدين فوده، المرجع السابق، ص ٤٨.

١١. المرجع السابق، ص ٤٨.

١٢. إبراهيم محمد شعبان، **الإنتفاضة الفلسطينية في عامها الأول**، دراسة في ضوء أحكام القانون الدولي العام، القدس، ١٩٨٩، ص ٣٠-٣١.

١٣. لمزيد من التفاصيل حول مكانة القوة في حل المنازعات الدولية أنظر: د. يحى الشيمي علي، **مبدأ تحريم الحروب في العلاقات الدولية**، ١٩٧٦، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة القاهرة؛ د. ويصا صالح، **العدوان المسلح في القانون الدولي**؛ رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة القاهرة، ١٩٧٥؛ د. زكريا حسين عزمي، **من نظرية الى الحرب الى نظرية نزع السلاح**، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة القاهرة؛ د. عدنان عباس موسى النقيب، **تغيير السيادة الإقليمية وآثارها**، رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة عين شمس ١٩٨٩؛ د. تيسير النابلسي، **الإحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية**، منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث، بيروت ن ١٩٧٥.

١٤. Brownlie, I, *International Law and the Use of Force*. Oxford, Clarendon Press, 1963. Jenning, R.Y. op. cit. pp. 55,56,61.

١٥. For the full text see: *the Arab-Israeli Armistice*. Agreement February - July 1949, the Institute for Palestine Studies, Beirut, 1976, p. 19.

١٦. د. فؤاد شباط، **الحقوق الدولية العامة** / دمشق ١٩٦١، ص ١١٩-١٢٦؛ د. سالم الكسواني المرجع السابق ص ١٧٠؛ د. عز الدين فوده، المرجع السابق، ص ١٧٠. Lauterpahct, E. *Jerusalem and the Holy places Anglo - Israel Association*, London, October 1968, pp. 8,9,10; Gerson, A. *Israel, the West Bank and International Law*. London, Frank Cass, 1978. p. 211; Mallison, W.T.I. & Mallison, S.V. *The Palestine Proplem in Internationla Law and World order*, London, Longman, 1986, pp. 208-213.

١٧. د. عز الدين فوده المرجع السابق، ص ١٧٠، ١٧١.

١٨. المرجع السابق، ص ١٧٢، ١٧٣؛ د. سالم الكسواني، المرجع السابق ص ١٦٤، ١٧٤.

١٩. أنظر تفصيلا حول لجنة بيل وتوصياتها في كتاب: مهدي عبد الهادي، **المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤-١٩٧٤** / صيدا - المطبعة العصرية.

٢٠. لمزيد من التفاصيل حول رفض المجتمع الدولي لقرار إسرائيل بجعل القدس عاصمة لها (قبل عام ١٩٦٧) أنظر د. عز الدين فوده، المرجع السابق. ص ٢٠١-٢٣١.

٢١. أسامة حلبي، القدس، **آثار ضم القدس الى إسرائيل على حقوق ووضع سكانها العرب**، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، القدس الشريف، أيلول ١٩٩٠، ص ٧، ٨؛ د. عز الدين فوده، المرجع السابق، ص ٢٤٢. Cohen, E.R. *Human Rights in the Israeli Occupied Territories 1967-1982*. Manchester, University Press, 1985, pp. 38,39; Yishai, Y. *Israeli Annexation of East Jerusalem and the Golan Heights Factors and Processes*. Middle Eastern Studies, Vol. 21, No. January 1985, pp. 45-60, at p. 45; Mallison, W.T. op. cit. p. 215; Berman, S.M., Territorial Acquisiton by Conquest in International Law and the Unification of Jerusalem. *International Problem*, Vol. 6, 1968, pp. 11021, p. 16; Cattan, H. the Status of Jerusalem under International Law and United Nation Resolutions, *Journal of Palestine Studies* Vol. x, Spring, 1981, pp. 3-15.

٢٢. أسامة حلبي، المرجع السابق، ص ٨و٩؛ روحي الخطيب، **تهويد القدس** / عمان، ١٩٧٠، ص ١٢-١٥.
٢٣. أسامة حلبي، المرجع السابق، ص ٩؛ روحي الخطيب، المرجع السابق، ص ١٢-١٥؛ د. سالم الكسواني، المرجع السابق، ص ٢١٧-٢٢٠.
٢٤. أنظر **دليل المسجد الأقصى المبارك** الذي صدر عن دائرة الأوقاف والشؤون الإسلامية / القدس، ١٩٩٠.
٢٥. أسامة حلبي، المرجع السابق، ص ١٣،١٤؛ د. سالم الكسواني، المرجع السابق، ص ٢٢١.
٢٦. Cohen, E.R. op. cit., p 39; Yishai, Y. op. cit., p., 48.
٢٧. أنظر في **مدلولات القانون الدستوري** وخاصة "القوانين الأساسية" مؤلف الأستاذ الدكتور ثروت بدوي، القانون الدستوري وتطور الأنظمة الدستورية في مصر / القاهرة - دار النهضة العربية، ١٩٧١، ص ١٢،١٣.
٢٨. أسامة حلبي، المرجع السابق، ص ١٤.
٢٩. Lauterprach, E., op. cit; p. 48.
٣٠. Cohen, E.R. ، أسامة حلبي، المرجع السابق ص ١١،١٢.
٣١. Schwarzenberger, G. *International Law as Applied by International and Tribunals*. Vol. II. *The Law of Armed Conflict*. London Courts, Stevens & Sons Limited, 1968, pp. 163, 164; Oppenheim, L. International Law a Treatise. Vol. II. *Disputes, war and Neutrality*. 7th ed, London, Longman, 1952, p. 434; Verzigil, J.H.W. International Law in Historical Perspective, part IX-A. *The Laws of War*. The Netherlands Sijthoff & Noordhoff, 1978, pp. 171, 211, 226.
٣٢. Resenstock, R. *The Declaration of Principles of International Law Concerning, Friendly Relations*: A Survey. *The American Journal of International Law* vol. 65, No. 4, October, 1971, pp. 713-73.
٣٣. لمراجعة نصوص إعلان مبادىء القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الدولية والتعاون ما بين الدول أنظر: Brownline, I. *Basic Documents in International Law*, Oxford, Oxford Clarendon press, 1983, pp. 35-44.
٣٤. Cattan, H. op. cit., pp. 126-134; Mallisonl, W.T. op. cit. pp. 296-300; Jennings, R.Y. op. cit. pp. 54,55.

٣٥. د. عز الدين فوده، المرجع السابق، ص ٢٤٠-٢٤١.

٣٦. د. محيي الدين عشماوي - **حقوق المدنيين تحت الإحتلال الحربي** - عالم الكتب القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٦٣-١٦٦.

٣٧. Mallison. W.T. op. cit. pp. 209-299.

٣٨. Ibid., pp. 21-67.

٣٩. أنظر د. سالم الكسواني، المرجع السابق، ص ٢٤٠-٢٤٨؛ كتابنا **عن الإنتفاضة الفلسطينية في عامها الأول**، المرجع السابق، ص ٢٨-٣٠.

٤٠. د. سالم الكسواني، المرجع السابق، ص ٧٤-٩٤، حيث يعالج بإسهاب الحق التاريخي والحق الديني.



هوية القدس في القانون الإسرائيلي

علي مصطفى رافع*

مقدمة

يا من جعلتم القدس في قلوبكم وعقولكم قبل أن تستقبلكم في رحابها، يا من عاهدتم الله ألا تنسوا القدس، لأنكم لو نسيتم القدس لنسيتم الله وكنتم كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم [١] أيها المرابطون في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، التي ما من شبر فيها إلا وصلّى عليه نبي أو سقط دونه شهيد، ونفسه آمنة مطمئنة تردّد وهي راجعة إلى ربها راضيةً مرضيةً: [٢]

نموت فدى ترابك يا بلادي

خذي منا الحياة وخلّدينا

لكي تدخل في عباده وتدخل جنته هذه النفس تنظر خلفها وهي في طريقها إلى البرزخ وتردد ويل للباني مدينة بالدماء وللمؤسس قرية بالأثم [٣]، وويل للذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم [٤]، لأنه بسببهم تُفلح صهيون كحقل وتصير أورشليم خِرباً.[٥]

---

* علي رافع، بكالوريس في القانون، ويعمل محاميا في حيفا.
محاضرة في الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

ويسمعون نداء القدس من خلفهم وصراخها بصوت عظيم إلوي إلوي لَمَا شبقتني [٦]، ولولا انه سبحانه وتعالى "لا يُسأَلُ عمّا يَفعَلُ وَهُم يسألون" [٧]، لَوَهَبتُ القدس لساني – ولا يقاس هذا مع من وهبها روحه لتنادي وتستغيث، إلهي إلهي لماذا تركتني [٨].

والقدس التي هُدِمَت عشرين مرة وكانت تنهض لتبنى من جديد، سوف تبقى على العهد ما دمنا نحن على نفس العهد.

هوية القدس في القانون الإسرائيلي

في أعقاب نكسة حزيران ١٩٦٧ والتي كانت نتيجتها أن جيش الدفاع الإسرائيلي احتل الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة وسيناء وهضبة الجولان، أظهرت الحكومة الإسرائيلية نيّتها بالنسبة للقدس العربية التي عملت على سلخها عن الضفة الغربية وضمها إلى الدولة العبرية وتم هذا الضم بصورة تدريجية عملية وقانونية، وموضوعنا في هذا البحث الناحية القانونية التي بدأت مع تعديل قانون أنظمة السلطة والقضاء لسنة ١٩٤٨ حيث تمت إضافة البند ١١ ب وهذه ترجمته:

> ١١ ب: القانون والقضاء والإدارة التابعة للدولة تطبق على كل منطقة من فلسطين – ارض إسرائيل – التي تعيّنها الحكومة في أمر تصدره. [٩]

وفي تقديمه لهذا التعديل قال وزير الداخلية يعقوب شمشون شبيرا:
"ترى الحكومة انه بالإضافة إلى احتلال جيش الدفاع هناك حاجة لعمل ذات طابع سيادي واضح تقوم به الدولة من أجل تطبيق القانون الإسرائيلي على منطقة كهذه، وبناء عليه وجدت الحكومة انه من الضرورة أن تقترح على البرلمان – الكنيست – إقرار التعديل الذي اقترحه والذي موضوعه تطبيق القانون والقضاء والإدارة للدولة على كل منطقة تعينها الحكومة". [١٠]

وفي نفس اليوم تم تعديل قانون البلديات، تعديل رقم (٦) سنة ١٩٦٧ والذي خوّل وزير الداخلية صلاحية الإعلان عن توسيع بلدية القدس لكي تضم على المناطق

التي ستطبق عليها الحكومة منطوق البند ١١ ب المذكور أعلاه، وهذا يعني حل المجلس البلدي الفلسطيني برئاسة روحي الخطيب.

وفي تعليق على هذين التعديلين قال عضو الكنيست عن الحزب الشيوعي المنشق شموئيل ميكونيس: "اقتراح هذين التعديلين يخولان الحكومة من الناحية العملية الحق في الضم، هذا تفويض قانوني للحكومة دون أن تسأل أو تهتم بالطرف الآخر، وهي تقوم بذلك من طرف واحد". (١١)

استنادا إلى هذا التعديل في قانون أنظمة السلطة والقضاء نشرت الحكومة بتاريخ ٦٧/٦/٢٨ الأمر رقم ١* بشأن تطبيق القانون والقضاء والإدارة على المنطقة التي عينتها في الملحق والذي وَسَّعَ عَمَليا حدود بلدية القدس بشقيها الغربي والعربي المحتل والمضموم من طرف واحد ليصبح ١٠٨ دونما بعد أن كانت لا تتعدى ٤٨،٢٠٠ دونما، لتقام على المناطق التي أدخلت ضمن القدس الكبرى ** أحياء جديدة بأسماء عبرية، مثل رمات اشكول، التلة الفرنسية، رموت، نفي يعقوب، جيلو، تلبيوت الشرقية، جفعات زئيف، وطبعا إضافة إلى البلدة القديمة داخل السور، إن هذا الضم يتعارض مع القانون الدولي وخاصة مع اتفاقية لاهاي الرابعة لسنة ١٩٠٧، ولمعاهدة جنيف بشأن حماية المدنيين وقت الحرب لسنة ١٩٤٩، وقد صدرت عدة قرارات عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي تستنكر هذه الخطوة من جانب إسرائيل مما حدا بوزير الخارجية السابق أبا ايبان وأمام الإجماع الدولي في استنكار الضم أن يكتب في رسالة بعث بها إلى السكرتير العام للأمم المتحدة ردا على القرار ٢٢٥٣ الذي أصدرته الجمعية العامة In the Term Annexation used by supporters of the solution is out of place ويضيف ويوضح وزير الخارجية في رسالته أن الخطوات التي اتخذتها إسرائيل كانت ضمن in the administration and municipal sphere وجاءت للدفاع عن الأماكن المقدسة في القدس. (١٢)

---

* أنظر ملحق رقم ١.
** أنظر ملحق رقم ٢.

أمر أنظمة السلطة والقضاء (رقم ١) لسنة ١٩٦٧
مجموعة الأنظمة ٢٠٦٤ (٦٧/٦/٢٨) ص ٢٦٩٠

استنادا إلى صلاحيتها بموجب البند ١١ ب من قانون أنظمة السلطة والقضاء لسنة ١٩٤٨ واستنادا إلى باقي صلاحياتها بموجب كل قانون آخر، تأمر الحكومة بما يلي:

١. المنطقة من فلسطين – ارض إسرائيل – المعرفة في الملحق المرفق تقرر أن يسري عليها قانون وقضاء وإدارة الدولة.
٢. هذا الأمر يدعى "أمر بشأن أنظمة السلطة والقضاء (رقم ١) لسنة ١٩٦٧.*

الملحق على طول وادي عيسى .... (حدود القدس)

إن اكثر الفقهاء المختصين بالقانون الدولي فسّروا هذا القانون بشكل لا يؤدي إلى ضم القدس العربية، لأنه يتعارض مع القانون الدولي، ويذهبون إلى ابعد من ذلك حيث يعتبرون أن هذا التعديل الإسرائيلي لم يهدف إلى الضم من أساسه.

وبعكس هذا الرأي فان فقهاء القانون الدستوري قالوا برأي مناقض واعتبروا القانون قد هدف إلى ضم القدس وقد ضمها فعلا.

وفي الوقت الذي كان يعلن فيه قادة الدولة في الكنيست وخارجها أن القدس الشرقية قد تم ضمها لإسرائيل، فان ممثلي الدولة في المنظمات الدولية، حتى تم سن قانون القدس – عاصمة إسرائيل الذي سنتطرق له لاحقا، كانوا يحرجون فينكرون أن إسرائيل تهدف إلى الضم، ورسالة أبا ايبان وزير الخارجية السابق دليل على ذلك.

---

* هناك أمر آخر يقضي بحل المجلس البلدي الفلسطيني الذي كان يدير شؤون القدس العربية وكان أمين العاصمة المرحوم روحي الخطيب. صدر هذا الأمر في ٦٧/٦/٢٩ وبموجب هذا الأمر تم عمليا توسيع حدود بلدية القدس من ٤٨،٢٠٠ دونم إلى ١٠٨،٠٠٠ دونم، وأقيمت فيما بعد أحياء سكنية جديدة بأسماء عبرية ومنها رمات اشكول، التلة الفرنسية، رموت، نيفي يعقوب، جيلو، تلبيوت الشرقية، جفعات زئيف، وطبعا البلدة القديمة التي هي قلب القدس.

القانون في التطبيق

القرارات على ضوء قانون الضم

من المعروف أن المحاكم هي التي تفسر القوانين وتطبقها، ولهذا فان محكمة العدل العليا الإسرائيلية تعرضت للبند ١١ ب والأمر الذي صدر بناء عليه في عدة قرارات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر القرار رقم ٦٩/٢٨٣ دافيدي ضد المحكمة العسكرية لمنطقة الخليل(١٣) والذي كان موضوعه نقل أثار من الخليل إلى القدس وهل هو بحاجة إلى تصريح لان القدس بعد ضمها إلى إسرائيل أصبحت بلدا أجنبيا أم أنها ما زالت جزء ا من الضفة الغربية التي تطبق فيها القوانين الأردنية، والقانون الأردني (قانون الآثار الأردني لسنة ١٩٦٦، في مادة ٣١، والأمر العسكري الإسرائيلي بشأن الآثار (رقم ١١٩) لسنة ١٩٦٧) يحظران تصدير الآثار أو نقلها إلى بلد أجنبي بدون ترخيص وتصريح مسبق.

تناول قضاة المحكمة العليا الموضوع وقرروا فيه على النحو التالي:

- القاضي حاييم كوهين أعتبر القضية سياسية وليست قانونية وإذا كان تطبيق القوانين الإسرائيلية على القدس الشرقية يعني ضمها إلى إسرائيل، فهذه نقطة ما تزال بحاجة إلى البحث.

- القاضي يتسحاق كاهان في نفس القضية كان منحازا لجانب الضم واعتبر "إن القدس الشرقية قد تم ضمها لدولة إسرائيل وتعتبر جزءا لا يتجزأ منها"(١٤) وكان القاضي كاهان يعتمد في قراره هذا على قرارات سابقة، أو سوابق قضائية للمحكمة العليا نفسها مثل: القرار ٦٨/١٧١ حنزاليس ضد المحكمة الدينية لليونان الأرثوذكس(١٥)، القاضي بنيامين هليفي القرار ٦٨/٢٢٢ أوساط قومية ضد وزير الشرطة(١٦)، القاضي تسفي بيرنزون القرار ٦٧/٢٢٣ بن دوف ضد وزير الأديان(١٧).

أما المحصلة النهائية فقد كانت أن القدس بالنسبة للخليل تعتبر بلدا أجنبيا وكل قاض اعتمد على واقعة معينة ولمن يريد المزيد، فالقاضي حاييم كوهين قرر ذلك لان المدعي العام ووكيل المستدعين لم ينكرا الضم(١٨) وبناء على هذه الفرضية المشتركة كان الحكم النهائي.

أما القاضي ي. كاهان فقد قرر صراحة كما أشرنا أعلاه انه مع الضم دون انتظار شهادة من وزير الخارجية ودون حاجة حتى لموافقة وكلاء الأطراف في الدعوى (كما فعل زميله ح. كوهين). والقاضي الثالث الفريد فيتكون، فصل في الموضوع على أساس انه اعتبر ضم القدس "حقيقة قائمة" وهذه الحقيقة لم ينكرها حتى وكيل المستدعين.

قضية محمد سعيد برقان

إن ضم القدس لم يمنع التمييز ضد مواطن عربي اعتمد على الضم وطالب بشراء بيته في حي المغاربة، والقضية باختصار على النحو التالي:

محمد سعيد برقان ضد:

١. وزير المالية.
٢. شركة اعمار وتطوير الحي اليهودي في البلدة القديمة في القدس م.ض.
٣. وزير الإسكان.

قضية عدل عليا رقم ٧٨/١١٤ قرارات عدل عليا مجلد ل ب (٢) ص ٨٠.

المستدعى ضدها شركة حكومية تعمل كما يدل اسمها لعمار وتطوير الحي اليهودي في البلدة القديمة من القدس، على خرائب وأنقاض المدينة القديمة أقامت بيوتا جديدة تؤجرها لأغراض السكن لمدة طويلة.

المستدعي تقدم ليستأجر دارا فَرُفِضَ طَلَبُهُ رغم أن الدور عُرضت على الجمهور لكن على المتقدم أن يكون:

١. مواطن إسرائيلي ساكن في إسرائيل وخدم في الجيش (أو أعفي من الخدمة)
٢. مهاجر جديد يسكن في إسرائيل.

المستدعي يعترف انه ليس مواطنا إسرائيليا ولم يخدم في جيش الدفاع، وهو ليس مهاجرا جديدا، ويحمل الجنسية الأردنية، وكان دائما من سكان البلدة القديمة في

القدس، وهو يدعي أن الدار التي يطلب شراءها أقيمت على ملك آبائه وأجداده وكان يسكنها مع والده قبل ١٩٤٧ وهي ملك للمسلمين ولم يسكنها أي يهودي.

المستدعي – برقان – يدعي أن المستدعى ضدها تميز ضده لأنه يسكن في نفس الدولة مع اليهود الذي يحق لهم شراء داره أو غيرها. المحكمة العليا أجازت هذا التمييز، وحرمت برقان من شراء داره التي أخرج منها، ومنعته من العودة إليها حتى في ظل القدس الموحدة.

الضم الفعلي الزاحف

إن إعلان توسيع حدود بلدية القدس كان إشارة البدء لتنفيذ مخطط الضم والتوسيع على الأرض، وما كانت الإجراءات القانونية الشكلية إلا الأداة والغطاء لهذا التوسيع بهدف إقامة القدس الكبرى التي أصبحت جزءا من إسرائيل تسري عليها جميع القوانين التي بموجبها صودرت الأراضي الفلسطينية في الجليل والمثلث والنقب والتي تركت للعرب ٤٪ فقط من مساحة فلسطين الانتدابية، وحتى هذه المساحة استكثرها بعض الزملاء المحامين على أصحابها الشرعيين فعملوا – لا سامحهم الله – على السمسرة كما قرأنا في الصحف مؤخرا على بيعها لأكثر المنظمات اليهودية تطرفا مثل غوش إيمونيم وغيرها.

ولكي يكون لهذه الدراسة صفة عملية وليس صفة نظرية أكاديمية فقط فإننا نورد فيما يلي وباختصار شديد بعض الحقائق والأرقام عن الكيفية التي بها جرى تهويد القدس منذ ١٩٦٧/٦/٢٨ وحتى اليوم، وازدادت وتيرته بعد إعلان المبادئ في أوسلو بين منظمة التحرير وإسرائيل حتى لا يبقى شبر من أراضي القدس يمكن التفاوض عليه في مرحة الحل النهائي. وهذه المعلومات مستقاة من دراسة وبحث ميداني أجرته الصحفية ميخال سيلع ونشرته في ملحق صحيفة هآرتس العبرية اليومية اللبرالية الصادر بتاريخ ١٩٩٤/٦/٣٠ وافتتحت هذه الدراسة بمقابلة أجرتها الصحيفة اليابانية 'أساهي شيمبون' مع دافيد بن غوريون مؤسس دولة إسرائيل

ورئيس حكومتها ووزير دفاعها الأول والى سنوات عديدة جاء فيهـا علـى لسان بن غوريون:

"إن إسرائيل ستنسحب من شبه جزيرة سيناء، بعد توقيع اتفاق سلام مع مصر، والأمر ذاته سيحدث مع سوريا، أما في الضفة الغربية فانه ستقام دولة تتمتع بحكم ذاتي برعاية الأمم المتحدة، لكننا سنحتفظ بالقدس إلى الأبد، على الرغم من جميع القرارات التي ستتخذها الأمم المتحدة، فالقدس كانت عاصمة إسرائيل على امتداد ثلاثة آلاف عام وستبقى كذلك في المستقبل".

وبتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٠ (قبل نشر الأمر بشأن الضم الفعلي بثمانية أيام) دعا بن غوريون في اجتماع عقده مركز قائمة عمال إسرائيل "رافي" إلى هدم سور المدينة القديمة معددا ثلاثة أسباب لذلك:

أ. لأننا نريد قدسا واحدة لا اثنتين، يهودية وعربية.

ب. يجب هدم السور، فهو غير يهودي إذ بناه سلطان تركي في القرن السادس عشر.

ج. سيكون لهدم السور قيمة سياسية عالمية، إذ سيعرف العالم أن هناك قدسا واحدة يمكن أن تعيش فيها أقلية عربية.

مع ذلك فان إسرائيل لم تهدم السور لكنها بذلت ما في وسعها على امتداد ٢٧ عاما التي مرت كي تحول القدس إلى مدينة واحدة يهودية، لكن القدس الكاملة والموحدة ذلك الإجماع القومي الوحيد الذي بقي قائما تحت أنقاض بقايا الاحتلال، ليس لها وجود في الواقع. فالعاصمة أصبحت رقعا رقعا من الأحياء اليهودية تنحشر بينها جيوب عربية منبوذة تحافظ على وجودها ضمن شروط صعبة.

قبل حرب سنة ١٩٦٧ كانت مساحة المنطقة الخاضعة لبلدية القدس الغربية نحو ٣٨ ألف دونما وفي ٦٧/٦/٢٩ نشر وزير الداخلية "أمر الضم" الذي أضاف إلى المدينة ٧٢ ألف دونما أخرى، أي ضعفي مساحتها السابقة وذلك استنادا إلى قوانين التمويل الثلاثة التي أقرها الكنيست وشملت المناطق التي ضمت بالقانون والقضاء

والإدارة الإسرائيلية، واشتملت هذه المناطق على القدس الشرقية العربية وعلى أراضي ٢٨ قرية عربية أيضا ورسمت الخريطة على نحو يتيح قدر الإمكان اقل ما يمكن من التجمعات السكانية العربية واكبر ما يمكن من التجمعات السكانية اليهودية على اكبر ما يمكن من الأراضي، وهذا المبدأ يوضح المسار الغريب لخط حدود البلدية فأحيانا - على سبيل المثال - في عناتا وبيت حنينا وكفر عقب والرام، أبقى هذا المسار جزءا من القرية في نطاق حدود الضفة والحق الجزء الآخر بالقدس. وعارض الضم في حينه عضو كنيست واحد هو مئير فلنر من القائمة الشيوعية الجديدة "راكاح"، أما الآخرون ومنهم أعضاء الكنيست اليساريون فقد أيدوا الضم بحماسة، فعضو الكنيست في حينه أوري افنيري قال "إن الشعب راغب في توحيد المدينة" وأعلن زعيم الحزب الشيوعي الإسرائيلي - ماكي - شموئيل ميكونيس، إن القدس هي عاصمة إسرائيل منذ القدم".

في المقابل كانت هناك معارضة واسعة للضم في الخارج ففي الجمعية العامة للأمم المتحدة صوتت ٩٩ دولة لصالح مشروع قرار يلغي توحيد القدس وبقي موقف الأمم المتحدة على حاله حتى اليوم. والمعركة على القدس لم تنته باحتلالها عسكريا، وهي لا تزال حتى اليوم مدينة يشطرها الخوف والتمييز والغربة المطلقة إلى شطرين.

ولا يمكن للباحث في موضوع القدس، أو في مواضيع القدس إلا أن يحتاج إلى المجهودات المباركة والمضنية والدؤوبة التي قام بها العالم الجغرافي الفلسطيني ومستشار الوفد الفلطسيني المفاوض، ومدير المركز الجغرافي الفلسطيني الذي يتابع تحركات الاستيطان والمستوطنين خطوة بخطوة، خليل التفكجي (يعمل في مركز الدراسات العربية) فقد أعد دراسة نشرتها الصحف المحلية والصحف العربية الصادرة في الخارج، كما اعتمدتها وزارة الإعلام في السلطة الوطنية الفلسطينية في الأوراق التي قدمتها إلى اجتماع الدورة ال ٥٦ للجنة الدائمة للإعلام العربي ووزراء الإعلام العرب المنعقدة في القاهرة في تموز ١٩٩٥، وقد نشرتها مؤخرا مجلة الدراسات الفلسطينية العدد ٢٢، ونقلتها عنها مجلة "الضحى" وهي مجلة الفكر القومي الإسلامي التوحيدي في عددها ٤٢ الصادر في آب ٩٥ من ص ١٤ ومن ضمن ما جاء في هذه الدراسة الهامة معلومات وأرقام لا غنى للباحث عن التغيير

السكاني والجغرافي استنادا إلى القانون الإسرائيلي الذي تم تطبيقه على القدس العربية عنها فبعد أن أعلن توسيع حدود بلدية القدس وتوحيدها في حزيران ٦٧ بدأت الخطوات العملية لتنفيذ هذا المخطط بإعلان مصادرة ١١٦ دونما للمصلحة العامة (استنادا إلى قانون الأراضي استملاك للمصالح العامة سنة ١٩٤٣) من أحياء البلدة القديمة من القدس لإقامة الحي اليهودي الجديد وهدم الحي العربي (حارة الشرف وحارة المغاربة) وهُجِّر السكان العرب من تلك الأحياء ووسعت رقعة الحي اليهودي من خمسة دونمات إلى مائة وثلاثين دونما يسكنه ٢٣٠٠ نسمة.

وفي شتاء ١٩٦٨ تمت مصادرة ٣٣٤٥ دونما من أراضي الشيخ جراح ووادي الجوز وارض السمار لتقام عليها أحياء استيطانية إسرائيلية بدأت تغلق الأفقين الشمالي والغربي للقدس العربية وأقيمت مستوطنة معلوت دفنا على أراضي الشيخ جراح على مساحة ٣٠٧ دونما وهي تضم ٣٤٠ وحدة سكنية تستوعب ٣٧٠٠ نسمة. وعلى أرض البياض والمنطقة الحرام أقيمت مستوطنة جفعات همفتار ورمات أشكول على مساحة ٤٩٠ دونما وضمت ٢٢٠٠ وحدة سكنية ويسكنها ٦٦٠٠ نسمة.

وعلى أراضي كرم اللوز وارض السمار أيضا وعلى مساحة ٩٦١ دونما أقيمت ٥٠٠٠ وحدة سكنية يسكنها ٦٥٠٠ نسمة. وهكذا تم إنجاز الهدف السياسي الأول من ربط القدس الغربية بالجامعة العبرية المقامة على جبل المشارف (سكوبس) وتحكمت هذه المستوطنات بالطرق الخارجية الموصلة إلى القدس ولا سيما شارع القدس رام الله الحيوي.

وفي سنة ١٩٧٠ بدأت الخطوة الثانية من سياسة بناء الأطواق حول القدس، استنادا إلى قانون الأراضي (استملاك للمصلحة العامة) لسنة ١٩٤٣ المذكور.

صودرت ١١٧٨٠ دونما شمال شرق القدس لتقام عليها مستوطنة نفي يعقوب، وصودرت ٤٧٠ دونما مرورا بالمنطقة الغربية راموت ٦٨٤٠ دونما وانتهت بالمنطقة الجنوبية الشرقية تلبيوت شرق ٢٢٤٠ دونما، والمنطقة الجنوبية الغربية، جيلو التي صودر لإقامتها ٢٧٠٠ دونما، كما صودرت من أراضي مدينة بيت جالا

وقريتي بيت صفافا وشرفات وكان ذلك سنة ١٩٧١ لتقام عليها ٩٠٠٠ وحدة سكنية تستوعب ٣٠،٠٠٠ نسمة. وبعد أن أقيمت مستوطنة جيلو بدأت مرحلة جديدة فأقيمت نواة استيطانية على أراضي بيت صفافا على مساحة ١٧٠ دونما تحت اسم جفعات همتوس أو القرية الهولندية وأنشئت هذه النواة على خربة (طبالية) بعد أن تم إخراجها من المخطط الهيكلي لقرية بيت صفافا، وجاء في النظام المرفق أن هناك ١٤٦٠ وحدة سكنية على مساحة ١٧٠ دونما مما يعني عمليا وضع مداخل ومخارج القدس بيت لحم تحت نفوذ وسيطرة المستوطنين علما بان هناك مشروعا يحمل رقم ٢٩٥٢ على مساحة ٤٧ دونما من أراضي بيت جالا لغلق الامتداد الجغرافي ما بين مستعمرة جيلو وجفعات همتوس في موقع خربةِ جرملة ويقع على الشارع رقم ٤ الذي يجري شقه، وأقيمت ٣٠٠ وحدة سكنية على هذا الموقع بعد أن تم إغلاق المنطقة الجنوبية الغربية فتم استملاك بقايا أراضي قرية الولجة باعتبار أهاليها غائبين رغم انهم يسكنون عليها ويحملون هوية الضفة الغربية وأراضيهم تقع ضمن حدود بلدية القدس الموسعة لذا فانهم غائبون في نظر القانون، بالإضافة إلى اعتبار قرية الولجة الجديدة قرية غير قانونية، لهذا جاءت الخطة الإسرائيلية لبناء ٥٠٠٠ وحدة سكنية لترتبط ارتباطا كليا مع المستعمرة التي تقام الآن على أراضي المالحة وبعد أن تم تحضير المناطق الواقعة على الشارع رقم (١) مقابل دير مار الياس وجنوب مستعمرة رمات راحيل فقد تم الاستيلاء عليها لتوسيع الشارع وإنشاء مستعمرة جديدة تحت اسم "جفعات هأربعاه" لبناء ٣٠٠٠ وحدة سكنية.

أما المخطط الهيكلي لمستعمرة معاليه ادوميم فانه يشير إلى أن اتجاه المستعمرة سيكون خلف قرية الزعيم، كذلك فان مصادرة ١٣،٢٣٥ دونما ضمن المشروع ٤/٢٢٧ لسنة ١٩٨٧ يشير إلى أن ما مساحته ٢٧٥٠ دونما أو ما يعادل ٢٠،٧٩٪ للإسكان بالإضافة إلى بناء فنادق ومناطق للاستجمام على ما مساحته ٢٠٠ دونما. يبلغ عدد سكان – معالي أدوميم – ٢٢ ألف نسمة سنة ١٩٩٤ لكن القرى العربية القائمة غربها، أبو ديس والعيزرية تختنق من قلة الأراضي نتيجة لمصادرة جميع أراضيها لأنه سبق وصودرت لصالح معاليه أدوميم كيدار. كما صودرت منطقة باب الخليل لتقام عليها قرية داود على مساحة ١٣٠ دونما (حي الشماعة) وصودرت ١٠٠ دونما في حي الربابة لتكون منطقة خضراء. وفي شتاء سنة ١٩٨٠ فوجئ أهالي قريتي بيت حنينا وشعفاط بمصادرة ٤٤٠٠ دونما من أراضيهم لتقام

عليها حلقة الوصل بين المستوطنات الشمالية الشرقية وبين مستوطنات الطوق الأول الذي ذكرناه آنفا.

أما بسجات زئيف في الغرب فقد أقيمت على مساحة ١١٥٠ دونما، وبسجات عومر أقيمت على مساحة ١٧٠٠ دونما وهكذا على مدى عقدين ونيّف من الزمن وضعت اليد الصهيونية الثقيلة على ٣٣٪ من مساحة القدس الموسعة أو ما يقارب ٢٤ كم٢.

نتيجة هذا الواقع تغير الواقع السكاني حيث أصبح عدد اليهود الساكنين في القدس الشرقية ١٦٠ ألفا وكان عددهم صفر قبل ١٩٦٧* وبهذا شكلوا ولأول مرة أكثرية في الشطر الشرقي العربي من القدس بعد أن تمت إقامة ١٥ مستوطنة لليهود على أراضي القدس تضم ٣٠،٠٠٠ وحدة سكنية لليهود مقابل ٥٥٥ وحدة سكنية للعرب. إضافة إلى المصادرة المباشرة بهدف "المصلحة العامة" التي تعني تجريد المواطنين العرب من أراضيهم وتسليمها للمواطنين اليهود فهناك مصادرة من نوع آخر.

الخرائط الهيكلية

هذه مصادرة بطابع "حضاري" حيث تم بواسطتها خنق وضبط البناء العربي ووقف النمو السكاني للتجمعات والقرى العربية: مثلا قرية العيسوية [(١٩)] التي تبلغ مساحتها بحسب المسح الإنكليزي ١٠،٤١٧ دونما صادرت منها إسرائيل ٨٠٠٠ دونما **، جاء المخطط الهيكلي الإسرائيلي ويحمل رقم ٢٣١٦ ليختصر هذه المساحة إلى ٦٦٦ دونما، والنظام المسموح به في البناء يسمح بالبناء في الأحياء العربية على ٥٦٪ فقط من مساحة الأرض وفي المنطقة الإسرائيلية يسمح بالبناء اكثر من ٣٠٠٪ أو ما يزيد عن ٨ طوابق، والنتيجة الثانية لهذه المخططات

---

* أنظر ملحق رقم ٣.

** ومن الباقي اقتطعت ١،٥٨٤ دونما أعلنتها منطقة خضراء – ويبقى للبناء ٣٦٢ دونما فقط.

"الحضارية" فتقضي بتقسيم هذه القرية وإحاطتها بالمستوطنات بغية السيطرة عليها وإنهاء وجودها كقرية عربية وتحويلها إلى مجموعة أبنية موزعة وبعيدة عن جاراتها كل البعد وتدميرها اقتصاديا واجتماعيا.

مثال آخر: بيت صفافا، تم تقسيم هذه القرية إلى أربعة أجزاء بشوارع طولية وعرضية بالإضافة إلى إحاطتها بالمستوطنات، ومناطقها الخضراء تحولت إلى مستوطنات مقترحة أو قيد الإنشاء وهكذا فان من يزور القرية اليوم يجدها عبارة عن أشلاء من القطع الشطرنجية بعيدة عن بعضها البعض ممزقة ومرتبطة بالسوق الإسرائيلية اقتصاديا مع كل ما يترتب على ذلك من عواقب.

المناطق الخضراء والمحميات الطبيعية

هذا أسلوب ثالث في المصادرات، فالمنطقة الخضراء يمنع فيها البناء العربي، أو تزرع فيها الغابات لمنع التمدد العربي، وتتحول إلى مناطق خضراء، ومن ثم إلى مناطق بناء إذا كان المقصود بناء مستوطنة أو توسيعها.

مثال على ذلك، في سنة ١٩٧٠ صودر ١٣٩٨ دونما من أراضي قرية شعفاط وزرعت أشجارا حرجية أطلق عليها اسم "غابة راموت" وفي أحد أيام ١٩٩١ قطعت أشجار الغابة الخضراء لتقام عليها مستوطنة "ريخس شعفاط" وتم بناء ٢١٦٥ وحدة سكنية عليها لليهود المتدينين الذين تم جلبهم من كندا.

أما المنطقة الجنوبية الشرقية من مدينة القدس العربية حيث يقع جبل أبو غنيم، وهو محمية طبيعية أقيمت لمنع التمدد العربي عليها لقريتي صور باهر وأم طوبا، ففي سنة ١٩٩٠ تمت مصادرة ١٨٥٠ دونما لإقامة مستوطنة على هذا الجبل وقد خسر السكان التماسهم إلى المحكمة العليا والذي قدمته لجنة الدفاع عن الأراضي والمكونة من أهالي بيت ساحور وأم طوبا ضد قرار الاستملاك الذي أصدره وزير المالية باستملاك ١٨٥٠ دونما من أراضي "جبل أبو غنيم" لإقامة مستعمرة جديدة "هارحوماه" وبعد قرار المحكمة العليا كتب خليل التفكجي مقالا نشرته صحيفة القدس في ١٩٩٤/١٢/١٦ تحت عنوان "رفض التماس لجنة الدفاع عن الأراضي – يوم

اسود من أيام القدس السوداء وأرفق معه خارطة توضيحية * تبين الموقع وكيف سيتم ربطه مع باقي المستوطنات لتشكيل القدس الكبرى وكتب تعليقا على ذلك يقول فيه:

"لقد تسارعت وتيرة الاستيطان في القدس بعد أوسلو تسارعا عنيفا بغية فرض الأمر الواقع، كذلك فان الفلسطينيين الذي لجأوا إلى المحاكم الإسرائيلية بغية إنصافهم، إذا كان هناك إنصاف، وجدوا هذه المحاكم تسرع إلى عقد الجلسات واتخاذ القرارات التي أصبحت معروفة للجميع".

أما المشروع الاستيطاني التوسعي الثالث فهو الذي يهدف إلى اتصال مستوطنة عطروت في الشمال مع مستوطنة ريخس شعفاط خلف قريتي بيت حنينا وشعفاط على مساحة ٣ كم٢ (القدس القديمة داخل الأسوار مساحتها ١ كم٢ فقط). والمخطط الهيكلي رقم ٣٠٠٠ ب يستهدف وضع هاتين القريتين بين فكي كماشة المستوطنات الشرقية والغربية وتقطيع أوصالها بالشوارع الطولية والعرضية.

وهكذا نرى انه بهذا الأسلوب، "الحضاري" "والمتطور" استطاعت سلطات الاحتلال أن تجمد ٤٠٪ من مساحة القدس وان تسيطر عليها من دون أية ردة فعل على هذه المصادرة أو من دون أية ضجة في حجمها ومساحتها، واصبح المواطن المقدسي الباحث عن قطعة ارض مثل الباحث عن الماء في الصحراء ولهذا فقد أصبح ٧٣٪ من مساحة القدس تحت السيطرة والسيادة الإسرائيلية الفعلية ويحس ابن القدس في بلده انه اصبح غريب القلب واليد واللسان.

ضريبة الأملاك

منذ ١٩٨٥ بدأت السلطات الإسرائيلية تبعث بتقديرات فلكية للسكان العرب وتطالبهم بدفع مبالغ خيالية على أراض لا يمكن أن يتم البناء عليها، ونشرت صحيفة النهار اليومية المقدسية في عددها الصادر بتاريخ ٢٩/١٢/١٩٩٤ عن طرح ٦٥

---

* أنظر ملحق رقم ٤.

دونما من أراضي بيت حنينا و١٢ دونما من أراضي بيت صفافا للبيع بالمزاد العلني. ولا ننسى أن نذكر بمشروع شارون حين كان وزيرا للإسكان بتعبئة الفراغ ٢٦ بوابة حول القدس، وخصوصا في مناطق كرم المفتي وجبل الزيتون وراس العامود وجبل المكبر.

ويضاف إلى كل ما ذكر أعلاه أن ٦٪ من مساحة القدس خصصت لشق شوارع طولية وعرضية بهدف الوصل بين المستوطنات ومحاصرة القرى العربية وجعل مداخلها ومخارجها تحت السيطرة الإسرائيلية فيبقى من القدس ٢١٪ من مساحتها فقط. من هذه النسبة المتبقية ١٠٪ هي مساحة المناطق الآهلة بالسكان. ٧٪ مناطق غير منظمة ومعرضة للمصادرة أو لطرحها للبيع بسبب ضريبة الأملاك كما أسلفنا، ٤٪ يبقى للعرب فقط وعليها يجري صراع في جو من عدم التوازن بل إن الكفة تميل لصالح الاحتلال.

وإذا أضفنا إلى هذا التغيير الجغرافي الواضح المعالم المدينة العربية وأكنافها، والهجرة العربية منها والتغيير السكاني، بسبب هجرة المقدسيين إلى الضواحي لعدم إمكانية البناء والسكن والتوسع في القدس، وما تقدمه السلطات من تسهيلات للحصول على الجنسية الإسرائيلية هذه الأيام لأهداف سياسية تتعلق بالانتخابات للمجلس التشريعي الفلسطيني وللحكم الذاتي، وما يتبع ذلك من إغلاق مناطق، فإننا نلاحظ بوضوح وعلى ارض الواقع أن القدس أصبحت متحفا يزوره سياح من جميع الأقطار فكأنما سكانها العرب غدوا من الشعوب الآيلة إلى الزوال.

وربما كان من المفيد أن يطلع القارئ على خارطة الطرق الالتفافية* في كل الضفة الغربية أما عن سياسة الهدم بحجة البناء بدون ترخيص في القدس العربية وضواحيها فان ما جاء في مقال الصحفي الإسرائيلي روني شكيد والذي اقتبس منه فيما يلي بعض الفقرات، يوضح هذه السياسة ويلقي الضوء عليها من وجهة نظر صحفي لا يمكن اتهامه بميوله العربية، وألحقها بشهادة السيدة كامنكر التي كانت تعمل في بلدية القدس.

---

* انظر ملحق رقم ٥.

الهدف مواصلة تهويد المدينة وتفجير عملية السلام

بقلم روني شكيد، يديعوت احرونوت، ١٩٩٥/٦/٥

أهدم قدر الإمكان "هذه هي السياسة الجديدة لبلدية القدس في الأسابيع الأخيرة ضد البناء العربي غير القانوني في القدس. ولا يمر يوم تقريبا دون أن يوضع على طاولة اولمرت ملف هدم ينتظر توقيعه عليه.

نائب رئيس البلدية شموئيل مئير (مفدال) وهو رئيس عصابة عطيرت كوهنيم، قال هذا الأسبوع انهم هدموا منذ بداية كانون ثاني ١٩٩٥ وحتى اليوم اكثر مما جرى في ١٩٩٤ بكامله بين أوامر الهدم التي وقعها اولمرت، هناك أمر ضد مسجد بني في راس العامود قبل اربعة اشهر بتطوع من سكان الحي وقد أعلمتهم البلدية أن الجرافات ستصل عما قريب.

شموئيل مئير مسؤول عن حقيبة المالية يعمل بكد من اجل تهويد شرق المدينة، وبدون أن يحصل على تعيين رسمي تحول إلى مسؤول عن مراقبة البناء في القدس الشرقية وبشكل أدق مسؤول عن تشجيع عملية هدم البيوت العربية المبنية بشكل غير قانوني.

موظف كبير قال هذا الأسبوع أن شموئيل مئير طلب من المراقبين إحضار (٧٠) أمر هدم على الأقل شهريا، قسم المراقبة تحول إلى "كوماندو هدم" وتم شراء ثلاث سيارات جيب تويوتا لذلك كما تم تعزيز الطاقم بمهندسين غالبيتهم من القادمين الجدد من رابطة الشعوب الذين لا يعرفون المدينة الشرقية ومشاكلها.

قال مستشار رئيس البلدية لشؤون القدس الشرقية السابق أميرحيشن، "لدى العرب أسباب كثيرة تدعوهم للبناء بدون ترخيص، توجد أزمة سكن رهيبة في القدس الشرقية، وهدم أي بيت هناك يقرّبنا من إعادة تقسيم المدينة تصدر قرارات الهدم بدون إنذار مسبق أو بدون قرار وقف البناء، وبدون دعوى في المحكمة وبدون معرفة من هو صاحب البيت أو ما هي حالته، حتى أن بعض البنايات قدم ترخيص بشأنها وحصل أصحابها على رخصة بناء. قال حيشن في عهد تيدي كوليك، كنت

اذهب إلى الموقع لاتأكد ما إذا كان هناك مبرر فعلي للهدم، ولا يوقع موظفو البلدية بسهولة على قرار الهدم، بينما الآن يوقعون بسهولة لأنهم إمعات.

قال يكوتئيلي - عضو بلدية عن حزب ميرتس - توجد في بلدية القدس خطة على مراحل تهدف إلى نسف المفاوضات السياسية، وسيختار أو لمرت وشموئيل مئير اللحظة المناسبة، لهدم عشرات البيوت وإشعال حريق كبير.

سياسة الهدم الحالية هي جزء من خطة عامة تهدف تهويد شرقي المدينة، ويقود مئير هذه السياسة، وهو الذي يحرك الهيئة من اجل القدس التي تعمل في القدس على غرار غوش ايمونيم في الضفة الغربية، ومن أعضاء هذه الهيئة مئير دفيدسون وماتي دان، وكلاهما من جمعية عطيرت كوهنيم تخطط الهيئة لإقامة حيين يهوديين في القدس الشرقية أحدهما ليفي دانيئيل في راس العامود والثاني حي اليامينيين في سلوان.

شهادة موظفة كانت تعمل في بلدية القدس، قسم البناء، وتدعى السيدة كامنكر(٢٠) حول سياسة الهدم في الأحياء العربية.

في الماضي تقول كامنكر، كانت أعمال هدم منازل عربية تنفذ بمعدل عمليتين في كل شهر، وسياسة رئيس البلدية الجديد أصبحت ملموسة على الأرض: فخلال أسبوع واحد في أيار / مايو الماضي هدمت البلدية خمسة منازل والمصيدة التي وقع السكان العرب في شباكها أصبحت واضحة: لا يقتصر الأمر على عدم حصولهم على تراخيص بناء بل أيضا جراء غياب الخرائط الهيكلية وجراء تلوين المساحات من الأراضي غير المصادرة باللون الأخضر [محظور البناء عليها]، فانهم يضطرون إلى حل الضائقة السكنية من خلال اللجوء إلى البناء غير القانوني. والآن هناك المئات من المنازل العربية التي تنتظر تنفيذ أوامر الهدم.

وتروي كامنكر حادثة س.ف من قرية صور باهر فتقول في أحد أيام ربيع سنة ١٩٩٣، وصلت إلى عملي في البلدية ورأيت عربيا مع أسرته كلها أطفالا وأولادا وعجزة، تجلس أمام مدخل مبنى البلدية، وعلى الجدران الكثير من اللافتات بالعربية

والعبرية مكتوب عليها لا تهدموا بيتي. وقلت للعربي أنني سآتي في الغد مع جمهور من اليهود، وان عليه أن يحضر الكثير من العرب وسنتظاهر معا، وهذا ما حدث؛ تظاهرنا أربع ساعات، أجرينا مفاوضات مع بلدية القدس كي لا تهدم البيت. وفي النهاية وافق ممثلو البلدية على إبقائه مع أسرته - ثمانية أفراد - في غرفتين فقط أما باقي المنزل فسيهدم. وقدم لي هذا الرجل خريطة تظهر مساحة الأرض التي كان يملكها قبل مصادرتها لغرض إقامة حي تالبيوت - مزراح. وتمكنت من تحديد مكان قطعة الأرض - وهي عبارة عن سبعة دونمات ونصف الدونم أقيمت عليها عشرات الوحدات السكنية لليهود. ولن انسَ في حياتي هذا الأمر. لقد ابقوا له دونما واحدا فقط لم يكن مخصصا للبناء وبالتالي لا يمكن الحصول على ترخيص للبناء عليه، وعلى هذا الدونم بنى البيت الذي هدموه، لقد ابقوا له غرفتين لأنه لم يكن لديه مأوى آخر. أما عشرات العائلات التي لم تحتج ولم تتظاهر فوجدت نفسها مع مرور الوقت دون مأوى.

وفي الوقت الذي تبغي الحصول على ترخيص للبناء، يتضح لك إلى أي قدس تنتمي. فنسب عمليات البناء للعرب تتراوح بين ١٥٪ و ٧٥٪ [من مساحة الأرض]. أما لليهود فتصل النسبة إلى ٣٠٠٪ والعرب الذين على أكتافهم، كما يبدو، واجب الحفاظ على الطابع الأصيل للقدس، يستطيعون أن يبنوا منازل ترتفع طبقتين فقط، أما اليهود فثماني طبقات.

هل نجحت كل هذه المصادرات لتغيير طابع القدس العربية؟

هل تم فصل القدس عن الضفة الغربية؟

هل يمكن فصل القدس عن الضفة الغربية؟ الجواب بالنفي طبعا!!

رغم المصادرات والمضايقات والإغلاق وإنني أورد هنا رأيا لمراسل صحيفة هآرتس للشؤون العربية داني روبنشتاين يجيب عن هذه الأسئلة من وجهة نظر صحفي إسرائيلي لا يمكن اتهامه بالانحياز للجانب العربي أو للرأي العربي في موضوع القدس.

كيف نقص عدد العرب وزاد عدد اليهود في القدس

ويكمن إجمال وتلخيص الأساليب التي سلكتها سلطات الاحتلال لسلب ونهب الأراضي العربية وفرض التهجير القسري على المواطنين الفلسطينيين، مما أدى في المحصلة النهائية إلى الهدف المنشود، زيادة في الكثافة السكانية اليهودية يقابله تناقص في الكثافة السكانية الفلسطينية في القدس، ومن هذه الأساليب التي ذكرناها آنفا:

١. مصادرة الأراضي العربية اعتمادا إلى القوانين العديدة التي تتيح ذلك طالما أن القانون الإسرائيلي هو الذي يسري على القدس العربية.

٢. تقليص مساحات البناء الصالحة للبناء العربي الفلسطيني.

٣. عدم منح المواطنين العرب تراخيص بناء عن طريق التسويف والمماطلة في فحص الطلبات التي تستمر أحيانا اكثر من ١٥ عاما وحتى الرفض النهائي الصريح.

٤. تحديد ارتفاع البناء حيث لا يعلو في المناطق الفلسطينية على طابقين بينما في المناطق اليهودية يزيد عن ٨ طوابق.

٥. فرض ضرائب خيالية على المواطنين العرب، ولا يقابل ذلك تقديم خدمات للمواطنين العرب قياسا بالخدمات المقدمة لليهود.

٦. الاستمرار في هدم المنازل العربية بغية إحباط السكان ودب اليأس في قلوبهم لكي يتركوا القدس بعد أن تبوء محاولاتهم للتجذر فيها بالفشل.

٧. فرض الطوق السياسي، ويدعى زورا بالطوق الأمني، منذ نيسان ١٩٩٣ والكل يعلم مدى تأثير ذلك على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصحية والدينية.

القيود والإجراءات الإسرائيلية لن تغير شيئا
لا يمكن فصل القدس عن الضفة الغربية
لأنها المدينة المركزية في حياة المجتمع الفلسطيني

بقلم داني روبنشتاين / هآرتس، القدس ١٨/٨/١٩٩٤ (ص١)

ليس بالإمكان فصل شرقي القدس عن الضفة الغربية ان ١٦٠ ألف فلسطيني في القدس (يقول البعض إن عددهم يصل إلى ٢٠٠ ألف) هم جزء لا يتجزأ من سكان المناطق. وقد اعترفت إسرائيل بذلك حيث لم تقدم لهم جنسية، كما سمحت لهم بالمشاركة في انتخابات الحكم الذاتي. (انظر الملحق رقم ١ - بروتوكول بشأن طريقة تنفيذ وشروط الانتخابات) بند رقم ١ من هذا الملحق ينص على:

١. سيكون من حق الفلسطينيين القاطنين في مدينة القدس المشاركة في عملية الانتخابات وفق الاتفاق بين الطرفين.

ويوصف الإغلاق في وسائل الإعلام الفلسطينية بأنه مثل فرض إغلاق على تل أبيب من دخول سكان رمات غان وبني براك وحولون وهرتسليا إليها، ولا توجد مبالغة في هذه الاطروحات حتى وان كان عدد السكان أقل.

على الرغم من كافة المجهودات الإسرائيلية، فان شرقي القدس ما زالت كما كانت عليه سابقا، العاصمة السياسية الفلسطينية، يعيش في المناطق المحيطة بالقدس حوالي ثلث سكان الضفة الغربية وتوجد في القدس جميع المؤسسات الهامة بالنسبة للمجتمع الفلسطيني: الأماكن المقدسة، والمؤسسات التعليمية الكبرى، والخدمات الصحية والقنصليات الأجنبية والمراكز الاقتصادية والتجارية.

إن إضفاء حدة على الصراع الذي تخوضه إسرائيل بما في ذلك القوانين والقرارات التي تفرض قيودا على نشاطات السلطة الفلسطينية في القدس لن تستبدل الواقع الذي يؤكد بأن شرقي القدس المدينة المركزية في المجتمع الفلسطيني.

أما عن ردود الفعل العالمية فإنني انقل فيما يلي رأيين حول موضوع ضم القدس العربية لإسرائيل أحدهما للباحث الأميركي المختص بشؤون الشرق الأوسط السيد جفري ارونسون.(٢١) والثاني لمراسلة صحيفة الانديبندنت البريطانية في إسرائيل سارة هيلم وذلك لإعطاء صورة ولو مقتضبة عما يفكر به هذان الكاتبان، وهما لا يعبران في الواقع عن وجهة نظرهما فقط.

مجلة الدراسات الفلسطينية، صيف ١٩٩٤

القدس الكبرى

جيفري ارونسون

يقول موشيه عميراف وهو عضو سابق في مجلس القدس البلدي "إن المنطقة الواقعة بين رام الله شمالا، وبيت لحم جنوبا ومعاليه ادوميم شرقا، ومفسيرت تسيون غربا هي منطقة بلدية واحدة.

- القدس الكبرى هي الآن عنوان لنحو ٧٠٪ من إجمالي عداد المستوطنين، وتشمل ١٠٪ تقريبا عن مساحة الأرض في الضفة الغربية.
- هناك برنامج لدى حكومة رابين للضم الفعلي للمنطقة الواقعة بين رام الله والخليل وأريحا.
- يحذر د. حيدر عبد الشافي الرئيس السابق للوفد المفاوض لمحادثات السلام في واشنطن من انه وفي غضون سنتين أو ثلاث ربما يكون الوقت قد فات لإقامة دولة فلسطينية، وذلك بسبب سياسة الاستمرار في إقامة المستوطنات حول القدس.
- بعيد وصوله إلى السلطة ١٩٩٢ قال رابين: "لا يمكن لنا أن نعرّف القدس والمناطق المحيطة بأنها تمثل موضوعا سياسيا أو أمنيا. إن القدس الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية ستبقى عاصمتنا إلى الأبد. وهي بالنسبة إلينا بمثابة القلب والروح للشعب اليهودي".

- وافق رابين على إنجاز طريق غيلو كتلة عتسيون وتكلفتها ٤٢ مليون دولارا والتي تربط المستوطنات الواقعة جنوب بيت لحم بالقدس.

- في كانون أول ٩٣ وافق رابين على إحداث تواصل بلدي Municipal Continuity بين القدس ومستوطنات الضفة أي جفعات زئيف القريبة من رام الله ومعاليه أدوميم وذلك على الأخص من خلال بناء طرق وأنفاق وجسور جديدة.

- تمت مصادرة مئات الدونمات من أراضي الضفة قرب بيت إكسا وإضافتها إلى غفعات زئيف حيث يتم الآن بناء ٢٢٠٠ شقة، بهدف إقامة ترابط على الأرض بين المستوطنة والقدس.

- أما الاعتداء على أسطح الأسواق في القدس فقد عالجه الصحفي محمد خليل في تقرير نشرته صحيفة المنار المقدسية بتاريخ ١٩٩٥/٣/٢٠ تحت عنوان الحفريات الإسرائيلية اسفل العقارات الإسلامية تصدّعات خطيرة وانهيارات في أهم المواقع الأثرية والتاريخية، اقتطف من هذا التحقيق ما يدل على المحافظة على الأسطح في ظل "الاحتلال المتنور":

تقع داخل البلدة القديمة أسواق متعددة مثل سوق باب خان الزيت وسوق العطارين، وسوق الخواجات وسوق الباشورة، وأهمها من ناحية الأسطح سوق العطارين والخواجات والباشورة وسوق اللحامين. يعود تاريخ إنشاء الأسواق المذكورة إلى الفترتين الأيوبية والمملوكية وقد تم تجديدها في الفترة العثمانية. وتتألف الأسواق الإسلامية المذكورة من طريق مسقوف يقوم على جانبيه دكاكين وغرف كما هو الحال في سوق العطارين، وقد غطي ما بين صفيّ الدكاكين والمحلات التجارية بأقبية متقاطعة يتخللها مناور للإنارة استعملتها عصابة كهانا لإلقاء القنابل على أصحاب الحوانيت الفلسطينيين فاستشهد واحد وجرح اكثر من عشرة أشخاص، وربما كان هذا هو النور الذي ينبعث من الاحتلال "المتنور".

وقامت الأوقاف الإسلامية قبل سبع سنوات بتبليط أسطحها بالبلاط الحجري وصيانتها. وتتمثل الاعتداءات الإسرائيلية عليها بتحويل الأسطح إلى أماكن عامة تمهيدا للاستيلاء على هذه العقارات وضم هذه المساحات إلى ما يسمى حي اليهود واعتبارها متنفسا لهذا الحي (وخنقا وضيق نفس للفلسطينيين أصحاب البيوت المجاورة والحوانيت).

وأكدت بلدية القدس السابقة برئاسة تيدي كوليك في حينه على هذا الاعتداء بوضع إضاءة على هذه الأسطح ودرابزينات لحماية المشاة من المستوطنين، وعمل جسر خشبي.

وقام بعض المستأجرين لهذه العقارات برفع دعاوى لدى المحاكم الإسرائيلية المختصة ولكن دون جدوى، وبقي الحال على ما هو عليه من تكريس للعدوان بهدف إزالة وطمس المعالم الإسلامية والعربية والتضييق على العرب أصحاب الحقوق بهدف التوسيع على المستوطنين المعتدين.

وكما أسلفت فان باطن الأرض المقدسية لم يسلم من الحفريات والعدوان لتغيير معالم وفرض الأمر الواقع، تحت الأرض وفوق الأرض وفوق أسطح الأسواق والمنازل. ومعروفة للجميع الحفريات التي اكتشفت مؤخرا تحت الحي الإسلامي والتي جرى حفرها ليلا وباستعمال كواتم للصوت، وقد جرى اكتشافها فتم تجميد المشروع.

وقد جاء تفجير قنبلة آدمية في الباص المضاعف ٢٦ يوم ١٩٩٥/٨/٢١ في الذكرى السنوية لحرق المسجد الأقصى المبارك في السنة الثانية للاحتلال الإسرائيلي ليشكل ذريعة لوزير الإسكان بنيامين بن اليعزر ليطالب الحكومة بالعمل على البدء الفوري في البناء فوق جبل أبو غنيم لإقامة مستوطنة هارحوما في الجنوب الشرقي للقدس وهي منطقة محتلة تعود ملكيتها للمواطنين العرب.

أما المقربون من وزير الشرطة موشيه شاحال فقد طالبوا أن ينفذوا كل ما كانوا ينوون تنفيذه ولم يجرأوا على فتح النفق الذي تم شقه على طول حائط المبكى، لان

في هذا إضافة إلى التواجد اليهودي في قلب الحي الإسلامي، والعمل ضد المؤسسات الفلسطينية في القدس الشرقية.

أما رئيس البلدية فإنه يسعى أولا إلى إقفال بيت الشرق، وهذا هو التوقيت المناسب على حد تعبيره لان حوله رجال أمن فلسطينيون إذا لم يكن لهم يد في عملية التفجير فسوف تكون لهم يد في التفجير القادم.[٢٢]

سكين كبيرة تعمل في القدس تشريحا The Independent ٥/٦/١٩٩٤

مراسلة ذي انديبندنت في إسرائيل - سارة هيلم

إن الزعم الإسرائيلي أن القدس عاصمتها لم يحظ بالاعتراف الدولي قط وما زالت الدول في معظمها تعتبر أن القدس الشرقية "محتلة". ومع أن الاستيطان في أراض محتلة غير قانوني بموجب القانون الدولي، فان أغلبية الإسرائيليين ترى أن المدينة بكاملها يجب أن تبقى تحت السيادة الإسرائيلية.

وفي تلك الأثناء، يريد رئيس م.ت.ف. ياسر عرفات أن تكون القدس الشرقية عاصمة لدولة فلسطينية، فالصراع على القدس المشحونة بالتنافر الديني والتاريخي هو الديناميت الذي قد يفجر عملية السلام.

ولم يكن في القدس الشرقية العربية سنة ١٩٦٧ أي مواطن يهودي، واليوم يبلغ عدد اليهود فيها ١٦٠،٠٠٠ (مئة وستون ألف) نسمة بينما يبلغ عدد العرب ١٥٠،٠٠٠ (مئة وخمسون ألفاً) نسمة، وفي المدينة ككل وعدد سكانها ٦٠٠،٠٠٠ نسمة تبلغ نسبة الأغلبية اليهودية نحو ٧٥٪.

تقول سارة كامنكر وهي تعمل في مجال تخطيط المدن وتعارض المستوطنات: "إن الإنجاز الذي حققته إسرائيل في القدس هو من اعظم التغييرات الديموغرافية في تاريخ العالم".

يقول افراهام كاهيلا، وهو المخطط الإسرائيلي الرئيس الذي أشرف على بداية مشروع البناء عندما كان تيدي كوليك رئيسا للبلدية: "سيستحيل على السيد ياسر عرفات أن يزعم أن القدس الشرقية عاصمته، قد ينجح في القيام بعملٍ رمزي، غير أن عمليات البناء التي قمنا بها ستجعل تقسيم المدينة من جديد أمرا مستحيلا".

في اتفاق أوسلو اتفق أن يبحث وضع القدس سنة ١٩٩٦ ولا يحق لأحد من الجانبين أن يقوم بعمل من شأنه التأثير في وضع المدينة النهائي استباقا للمفاوضات من اجل خلق حقائق على الأرض.

تتعامل إسرائيل مع موضوع القدس وكأنها في سباق مع الزمن، وبشكل لا يدل أنها تثق فيما تدعيه من حقوق دينية وتاريخية في القدس، فسياستها تقوم على فرض الأمر الواقع لأنها تعلم علم اليقين انه ما من عربي، مسلم أو مسيحي، يستطيع أو يرغب في التنازل عن الحقوق العربية الإسلامية والمسيحية في هذه المدينة المقدسة، لهذا ورغم أن إسرائيل تمارس السيطرة الفعلية، إلا أنها تفتقر لسيادة الشرعية التي لن تنالها ولن تجد من يقبل بها على القدس شعبا وأرضا، فإنها قامت بسن قانون أساس، القدس عاصمة إسرائيل.

أهمية هذا القانون تأتي من تسميته قانون أساس وهو يشكل مع ثلاثة عشر قانونا أساسيا آخر مشروعا لدستور مكتوب للدولة العبرية التي كما هو معروف لم تسن دستورا مكتوبا متكاملا وذلك لاعتبارات سياسية، ودينية واجتماعية وجغرافية، وللحفاظ على العلاقات بين المتدينيين والعلمانيين لوجود عربي يشكل ١/٥ خمس سكان الدولة العبرية.

بعض القوانين المذكورة تحتوي على مواد تحصنها وتشترط لتعديلها أو إلغائها أكثرية مطلقة، أو أكثرية نسبية أو أكثرية الثلثين وغير ذلك.

قانون أساس القدس، لا يحتوي على أي تحصين وباعتقادنا يمكن تعديله بأكثرية عادية من أعضاء الكنيست الذين سيتواجدون يوم التصويت مهما كان عددهم.

هذا القانون لم تتعرض له محكمة العدل العليا حتى اليوم، ولكن رئيس هذه المحكمة الجديد البروفيسور اهرون براك عبّر عن رأيه في كتابه، تفسيرات دستورية، إن أي قانون أساس عادي - لا يحتوي على مواد تحصينية كما أسلفنا، هو ذات صبغة عليا أعلى من القانون العادي.

قانون أساس: القدس - عاصمة إسرائيل (٢٣)

كتاب القوانين رقم ٩٨٠ ٥/٨/١٩٨٠، ص ١٨٦.

١. القدس الكاملة والموحدة هي عاصمة إسرائيل.

٢. القدس هي مكان إقامة رئيس الدولة، الكنيست، الحكومة، والمحكمة العليا.

٣. الأماكن المقدسة تكون مصانة من كل تدنيس أو أي مسّ آخر، ومن أي شيء يمكن أن يمسّ بحرية الوصول لأبناء الديانات إلى الأماكن المقدسة لديها أو بمشاعرهم تجاه تلك الأماكن.

٤. أ. تحرص الحكومة وتعمل جاهدة على تطوير وازدهار القدس وعلى رفاهية مواطنيها عن طريق تخصيص موارد خاصة، بما في ذلك هبة سنوية خاصة لبلدية القدس (هبة العاصمة) بمصادقة اللجنة المالية للكنيست.

ب. تعطى للقدس أولويات خاصة في أعمال سلطات الدولة من أجل تطوير القدس في مواضيع الخدمات العامة والاقتصاد وفي مواضيع أخرى.

ج. تشكل الحكومة هيئة أو هيئات خاصة لتنفيذ هذا البند.

إسحاق نافون-رئيس الدولة *مناحيم بيغن-رئيس الحكومة*

شكلت الحكومة فعلا لجنة وزارية من اجل القدس بناء على الصلاحية الممنوحة لها في هذا البند من وزراء الشرطة والقضاء والمستشار القانوني للحكومة ورئيس بلدية القدس.

ولا يمكن تعديله إلا بقانون لاحق ليبقى ذكر قانون الأساس قائما، غير أن محكمة العدل العليا وفي أربع قضايا نظرت فيها في قوانين عادية تتعارض مع قوانين أساسية ألغت القوانين العادية. أما وجهة النظر الفلسطينية في هذا القانون فقد عبر عنها الدكتور ناجي صادق شراب وهو باحث وكاتب في الشؤون السياسية في دراسة هامة نشرها في صحيفة القدس على حلقتين كانت الأولى بتاريخ ٩٥/٦/١ والثانية بتاريخ ٩٥/٦/٣ وكانت تحت عنوان "القدس والقوة والسلام" - التحديات والخيارات.

يلاحظ المدقق في المادة (٢) أنها تكرر ما جاء في قوانين أساسية أخرى وهذا نص المادة ٢:

"القدس هي مكان إقامة رئيس الدولة، والبرلمان - الكنيست - والحكومة، ومحكمة العدل العليا".

ما هو الهدف من إضافة هذه المادة التي تبدو لأول وهلة وكأنها زائدة ومحشورة حشرا ولا مكان لها ذلك، لان قانون أساس رئيس الدولة سنة ١٩٦٩ [٢٤]، ينص في مادته الثانية:

"مكان إقامة رئيس الدولة هو القدس". وكذلك الحال بالنسبة لقانون أساس الكنيست سنة ١٩٥٨ [٢٥]، الذي ينص في مادته الثانية أيضا.

٢: **مكان إقامة الكنيست هو القدس.** وكذلك الحال بالنسبة لقانون أساس الحكومة لسنة ١٩٩٢ مادة ٢: مكان إقامة الحكومة هو القدس. وكذلك الحال بالنسبة للمحكمة العليا، كما ينص على ذلك قانون المحاكم.[٢٦]

ويبقى السؤال هل هذه الإضافة زائدة ولا لزوم لها وخاصة أنها جاءت في قانون أساسي، وهي تتطرق إلى قوانين أساسية أيضا، عدا، قانون المحاكم، أم المقصود أن القدس الموحدة هي مكان إقامتهم أم انه كلما كان الموضوع يتعلق بالقدس فان الحكومة والبرلمان تخشى أن يضيع شيء منها، وخاصة أن المجتمع الدولي كما أسلفنا يعارض الضم من طرف واحد ويعارض اعتبار القدس الموحدة والكاملة عاصمة أبدية لإسرائيل، ولزيادة الحرص أو التحدي جاءت هذه المادة، مثلما أن القادة الإسرائيليين لا يدعون مناسبة إلا ويعلنون هذا الإعلان، وهكذا فعل رئيس

وزراء إسرائيل[٢٧] في مؤتمر الدار البيضاء على مسمع من العالم وخاصة المسؤول عن ملف القدس في مؤتمر العالم الإسلامي، ملك المغرب الحسن الثاني، ولم ينبس أحد ببنت شفة إلا وزير خارجية مصر عمرو موسى الذي علق على ذلك قائلا "القدس أيضا قابلة للبحث".

هذا التحدي الإسرائيلي للعالم كله وبضمنه العالم الإسلامي والعربي، والعالم المسيحي، أليست القدس حاضنة القيامة والجلجلة وبيت لحم مهد المسيح من أكنافها القريبة جدا بل هي ضمن حدودها بموجب قرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ٢٩/١١/٤٧ وما هي المسيحية إن لم تكن العماد، أو المعمودية لكل مسيحي ومسيحية والأيمان بصلب المسيح في بيت المقدس مدينة الله التي اختارها ليعيش فيها، وقيامته والأيمان بعودته في مجده، ولا يتم إيمان المسيحي بغير ذلك.

إن هذه التصريحات المتحدية يقابلها تحديات من الجانب الفلسطيني الذي لا يكل ولا يمل عن اعتبار القدس الشريف عاصمة الدولة الفلسطينية العتيدة، ويبقى فارق جوهري واحد، إن الجغرافيا مع الجانب الإسرائيلي وقد بسط عليها سلطته بالقوة، أما الجانب الفلسطيني فيحتفظ بمواعيد غير مقدسة من الجانب الإسرائيلي، ووعود للتطمين والتجدير، واتفاقيات، كل اتفاق لاحق فيها أسوأ مما سبقه بالنسبة للفلسطينيين شعبا وقيادة وحقوقا والانتقال إلى النقطة التالية في البحث الذي يُملي شروطه الجانب الإسرائيلي ويقبل به مرغما الجانب الفلسطيني.

والفريق الإسرائيلي المفاوض يعلم علم اليقين قبل غيره أن وزير خارجية إسرائيل شمعون بيرس بعث برسالة إلى نظيره النرويجي* يقرّ فيها بأن المؤسسات الفلسطينية في القدس الشرقية والمصالح التي تعود للفلسطينيين ذات أهمية قصوى وسوف يتم الحفاظ عليها (نستدرك هنا ونقول أن بيرس يقصد بالطبع الحفاظ عليها تحت السيطرة والسيادة الإسرائيلية كأبنية ومؤسسات ومصالح من حجارة خالية من أي نشاط أو مضمون والذي يتابع معالجة السلطة الإسرائيلية لمؤسسة بيت الشرق يتأكد مما نرمي إليه).

* أنظر ملحق رقم ٦.

ويضيف شمعون بيرس الخبير في علم الكلام وتدوير اللسان حسب المقتضى إلى درجة أن يدعو ياسر عرفات رئيس سلطة الحكم الذاتي الفلسطيني المحدود، أو رئيس منظمة التحرير باسم سيادة الرئيس، صحيح أنها كانت بيضة الديك التي لم يكررها بيرس لكنه نطق بها في لحظة تجلي، نقول: نضيف بناء عليه فان المؤسسات الفلسطينية في القدس الشرقية بما فيها الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية والأماكن المقدسة للمسيحيين والمسلمين ذات حيوية وأهمية لدى المواطنين الفلسطينيين، وانه من نافلة القول أن تلك المؤسسات لن تمس بسوء بل بالعكس سوف يتم تشجيعها. وأضيف هنا أيضا كما أضفت أعلاه، تحت السيادة الإسرائيلية سوف تتم كل هذه المحافظة التي يشعر بها أهل القدس الفلسطينيون على جلودهم وفي قلوبهم وحلوقهم وتكتحل بها عيونهم كل يوم. بدءا بالخيمة التي أقامها المستوطنون الغرباء قبالة بيت الشرق، للاستفزاز والمضايقات وانتهاء بمن يحج إلى تلك الخيمة ويعتبرها جزءا لا يتجزأ من حائط البراق، ابتداء من زعماء الأمة من أمثال رئيس الحكومة السابق اسحق شامير مرورا بصاحب نظرية التسفير رحبعام زئيفي "غاندي" انتهاء بالقطعان السائبة من المستوطنين المتطرفين الذين لا يفوتهم أن يطلقوا بعض الأعيرة النارية باتجاه بيت فيصل الحسيني وهم في طريقهم إلى خيمة الاستفزاز والتحدي لمشاعر كل فلسطيني.

ومحمود عباس أبو مازن مهندس اتفاق أوسلو من الجانب الفلسطيني كما يدعونه يعي جيدا ما وقع عليه وما أهميته ومدى أهميته فيكتب في الصفحة قبل الأخيرة من كتابه [٢٨]، صفحة ٣٣١-٣٣٢، "إن نصوص الاتفاق التي قد تقرأ على أنها زرعت أوتاد الاستقلال، لا تكفي لبناء الاستقلال لأن موازين القوى هي التي تتحكم بالنتائج، والقوة أهم من القانون، وان تكلم العالم كله عن سيادة القانون وعبر عن احترامه لها. إن الأماني والآمال مشروعة ومطلوبة، ولكن الواقع هو الذي يفرض نفسه وهو الذي يعتد به، وان كان من حقنا أن نسعى إلى تغييره.

وما دمنا في الحديث عن الاستفزازات الاستيطانية للمشاعر الفلسطينية فلا بد من أن اعرض هنا الخارطة التي وزعها المستوطنون، والتي أعدتها جماعات يهودية متطرفة لتحريض الإسرائيليين على التظاهر في القدس العربية أمام المؤسسات الفلسطينية وذلك في إطار حملتها المحمومة ضد الفلسطينيين وحقوقهم في القدس

وفي إطار حملتها ضد عملية السلام، وقد ترجمتها ونشرتها صحيفة القدس يوم الجمعة ٩٥/٧/٢٨ تحت عنوان "هكذا يحرضون ضد المؤسسات الفلسطينية في القدس".

قانون تطبيق الاتفاق بشأن قطاع غزة ومنطقة أريحا

(تقييد نشاطات) لسنة ١٩٩٤.

لا تنتهي رحلتنا مع القوانين الإسرائيلية التي تستهدف القدس العربية شعبا وأرضا، والأرض تضم باطنها أيضا من حفريات، وحتى أسطح الأسواق لم تنج من العدوان في ظل القدس الكاملة والموحدة كما نبين لاحقا، مع أننا كنا نفضل رحلة تبعث السرور والبهجة في النفس وليس الانقباض ولا أقول اليأس.

القانون المذكور أعلاه جاء ليناقض ما تعهد به وزير خارجية إسرائيل لوزير خارجية النرويج المرحوم جوهان جورغان هولست الذي كان من ضحايا اتفاق أوسلو المبكرين، وإنني أورد فيما يلي ترجمة لهذا القانون مع إثبات نصّه باللغة العبرية.

هذا القانون جاء ليمنع السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية من أي نشاط في القدس - باعتبار أنها جزء من إسرائيل حسب المفهوم الإسرائيلي - .

وقد تباهى رئيس لجنة القانون والقضاء عضو حركة ميرتس في الحكومة الإسرائيلية ديدي تسوكر في مقابلة معه أجراها برنامج مساء جديد في قناة البث الأولى من التلفزيون الإسرائيلي يوم ٩٥/٨/٢٣ يوم أعلنت لجنة الوزراء من اجل القدس التي تضم وزيري الشرطة والقضاء، نقول أن هذا القانون قد جرى التصويت عليه وإقراره بدون مشاركة أي عضو من أعضاء المعارضين، الليكود وذلك في رده على عضو الليكود عوزي لانداو في تلك المقابلة التلفزيونية.

أما عضو الكنيست ارئيل شارون فقد استقبل تطبيق قانون تطبيق الاتفاق الذي سرى مفعوله في ٩٥/١/١ بمقال نشره في صحيفة جروزاليم بوست بتاريخ

٩٤/١٢/٣٠ تحت عنوان: "الاورينت هاوس مقر وزارة الخارجية الفلسطينية في شرقي القدس مستقبلا يعج بالنشاطات"، ويتساءل شارون كيف يمكن الدفاع عن القدس، ويجيب على تساؤله بإعطاء أولوية قومية عليا لتعزيز المدينة اقتصاديا وإقامة بُنيات تحتية في كل القطاعات مثلما يطالب رئيس البلدية.

إقامة عمران في داخل المدينة وخارجها وحولها وجعل اليهود يستوطنون في كل مكان لأننا سنفقد كل حي لا يستوطن اليهود فيه.

تحويل كل المؤسسات الفلسطينية وبضمنها الأورينت هاوس إلى غزة وهناك قانون يمكننا من ذلك الآن.

تأمين أمن كلي في القدس وبذلك نعيد وحدة المدينة كما أن حجم قوات الأمن اللازم لذلك غير مكلف باستعادة القانون الإسرائيلي كاملا في القدس، فرض هذا القانون في شرقي القدس سيمنع تسلل الشرطة الفلسطينية والسيطرة عليها.

مهما قيل عن الوضع القانوني للقدس من وجهة النظر الإسرائيلية، لان وجهة النظر الدولية والعربية والفلسطينية واضحة ومثابرة في معارضتها للضم من طرف واحد طرف المحتل.

ثم أليس مجرد وضع القدس على جدول أعمال المرحلة النهائية يعني – من وجهة النظر الإسرائيلية هذه المرة أنها مسألة مختلف عليها وان قرار الضم قد انتهى.(٢٩)

والقرار الذي اتخذه المستشار القانوني لوزارة الشرطة بتاريخ ٩٥/٨/٢٧ بالتوصية إلى وزير الشرطة أن يستعمل صلاحياته بموجب قانون تطبيق الاتفاق وينذر ثلاث مؤسسات، هي مكتب الأعلام الفلسطيني ومكتب الخدمات الصحية، ومكتب الإحصاء بأن تقفل أبوابها وتوقف نشاطاتها خلال ٩٦ ساعة من الإنذار وإلا لجأ وزير الشرطة للإغلاق بالقوة، بموجب الصلاحيات التي يمنحها له القانون المذكور، وذلك بحجة أن هذه المؤسسات تابعة لسلطة الحكم الذاتي الفلسطيني المحدود ولرئيس هذه السلطة ياسر عرفات الذي تتلقى التعليمات منه، أي منطق في هذا الإنذار وهذا التهديد بالإغلاق؟ ولا تقولوا متى كان للاحتلال منطق غير منطق القوة والقهر والأوامر والنواهي، لان هذا الاحتلال رضي مختارا ولمصلحته هو

أولا أن يفاوض ممثلي الشعب العربي الفلسطيني فعليه أن يحترم مشاعرهم وحقوقهم ولا يستفزهم في كل صغيرة وكبيرة، ويكفي عدم الالتزام بالمواعيد والتواقيع والتعهدات، أين إعادة الانتشار؟ أين الانسحاب قبل الانتخابات؟ أين التوقف عن سرقة المياه الجوفية؟ أين التوقف عن وضع غزة وأريحا وكل الضفة الغربية خلف أبواب مغلقة بأمر عسكري.

١. هدف هذا القانون ضمان تعهد منظمة التحرير الفلسطينية (فيما يلي م.ت.ف.) بشأن تقييد نشاط السلطة الفلسطينية لحدود غزة وأريحا، بموجب الاتفاق، ومنع أي نشاط ذي صبغة سياسية أو سيادية سلطوية أو أي نشاط آخر شبيه لها، ضمن حدود دولة إسرائيل، بدون موافقة حكومة إسرائيل والتي تتعارض مع احترام السلطة الفلسطينية أو منظمة التحرير الفلسطينية للسيادة الإسرائيلية.

٢. "الاتفاق" الاتفاق بشأن قطاع غزة ومنطقة أريحا الذي تم توقيعه في القاهرة بين دولة إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية بتاريخ ٩٤/٥/٤ "ممثلية" بما في ذلك، كل مؤسسة أو مكتب أو فرع.

٣. أ. السلطة الفلسطينية لا تفتح ولا تُشغّل ، أية ممثلية، ولا تعقد أي اجتماع ضمن حدود سلطة دولة إسرائيل، إلا إذا حصلت على إذن خطي من الحكومة أو ممن خولته الحكومة. في هذا السياق يعني تعبير السلطة الفلسطينية كل شخص يعمل من قبل السلطة أو يعمل تحت إشرافها أو يستعمل اسمها.
ب. لوزير الشرطة الصلاحية أن يمنع بأمر منه افتتاح أو تفعيل أي ممثلية للسلطة الفلسطينية، أو يأمر بإغلاقها أو يمنع عقد أي اجتماع إذا لم يتم السماح بها كما جاء في البند "أ" أعلاه.
ج. هذا الأمر المذكور في البند "ب" يسلم إذا أمكن لصاحب الساحات أو لواضع اليد عليها أو للمنظمين أو لمن يرى وزير الشرطة انه عنوان لمثل هذا الأمر، وإذا لم يمكن تسليم الأمر كما ذكر، يأمر الوزير بنشره بالطريقة التي يقررها، وإعلان عن إصدار الأمر نشر في الجريدة الرسمية.

٤. أ. الحكومة تستطيع بأنظمة منها أن تمنع فتح أو تسهيل أية ممثلية لمنظمة التحرير الفلسطينية، أو تأمر بإغلاقها أو تمنع عقد أي اجتماع من قبل م.ت.ف. أو بإشرافها في حدود دولة إسرائيل.
ب. تسري على مثل هذا الأمر ما جاء في البند ٣(ج) مع التغييرات الضرورية.

٥. مدة الأمر الذي يصدر بموجب البندين ٣ أو ٤ لا تزيد على ستة أشهر، ويمكن تمديدها من فترة لأخرى لفترة إضافية لا تزيد على ستة أشهر في كل مرة.

٦. من اجل تنفيذ الأوامر كما جاء في البندين ٣ أو ٤ تكون لشرطة إسرائيل الصلاحيات المخولة لها بموجب كل قانون بما في ذلك الصلاحية للدخول إلى أي مكان، وإخراج كل شخص منه، أمر إغلاق المكان، وتفريق أي اجتماع، واللجوء لكل عمل من شأنه أن يضمن تنفيذ الأمر، وان تستعمل لهذه الغاية قوة معقولة.

٧. إذا اصدر أمر بموجب البند ٣ أو ٤ يمنع فتح أو تفعيل أية ممثلية أو عقد اجتماع، فلا يعطي ترخيص لمثل هذه الفعاليات بموجب أي قانون.

٨. أ. يبدأ سريان هذا القانون بتاريخ ١/١/٩٥.
ب. يبقى هذا القانون ساري المفعول ما دامت أنظمة الطوارىء لسنة ١٩٦٧ (يهودا والسامرة وقطاع غزة، الحكم بشأن المخالفات والمساعدة القانونية) سارية المفعول، وكما جرى تمديدها في قانون تطبيق الاتفاق بشأن قطاع غزة ومنطقة أريحا (صلاحية الحكم وتعليمات أخرى) (تعديل تشريعات لسنة ١٩٩٤).

إسحاق رابين – رئيس الحكومة

شيفح فايس – رئيس الكنيست البرلمان

عازر وايزمن – رئيس الدولة

وإذا كانت المرجعية لقرار هيئة الأمم المتحدة ٢٤٢ الذي ينص على عدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة؟ وهو مع القرار ٣٣٨ كان المرجع والأساس للدعوة السوفيتية الأمريكية لمؤتمر مدريد وأين المرجعية للقرار ٣٣٨ الذي أصدرته الأمم المتحدة أيضا [٣٠]. وهو الذي يدعو الأطراف المعنية إلى التفاوض تحت رعاية مناسبة؟ أين هذه القرارات مما يجري على ارض الواقع؟ والى متى يتم تجاهل هذه القرارات من جانب الدولة المحتلة التي لا تقيم للقرارات الدولية أي وزن أو احترام ناهيك عن الاستعداد للتنفيذ والتطبيق؟

وماذا عن القرار الذي اتخذته الإدارة المدنية يوم الأربعاء ٩٥/٧/١٢ والذي يقضي بمنع سكان الضفة الغربية من الدراسة في مؤسسات التعليم العالي في القدس العربية؟

وماذا عن عزل القدس واقفالها في وجوه المواطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ ٩٣/٤/٣٠ ووضع الحواجز على مداخلها ومنع المصلين من الوصول إلى أماكن العبادة وفيها مسجد تشد إليه الرجال وكنيسة المهد التي شرفت بميلاد المسيح، وربما كانت كنيسة القيامة هي الكنيسة الأولى منزلة لدى أتباع الديانة المسيحية في فلسطين والعالم!

قوانين أخرى

هناك قوانين أخرى لها علاقة بموضوع القدس نذكرها بايجاز:

أ- قانون الدخول الى إسرائيل لسنة ١٩٥٢:

بموجب هذا القانون مواطن القدس، هو مواطن دائم ولا يحمل الجنسية الإسرائيلية إلا إذا تقدم بطلب لذلك، ويحق له، التصويت للمجلس البلدي وليس للبرلمان ويفقد حق الإقامة في القدس في إحدى ثلاث حالات:

١. اذا حصل على جنسية أخرى (غير الجنسية الأردنية).
٢. اذا حصل على حق الإقامة في دولة أخرى.
٣. اذا بقي خارج إسرائيل سبع سنوات متواصلة.

بخصوص الحصول على الجنسية الإسرائيلية يُلاحظ في المدة الأخيرة تهافت على الحصول على هذه الجنسية ولهذا الأمر مغزى سياسي واضح، والسلطة الفلسطينية تحاربه، ومفتي القدس أعلن أكثر من مرة أن هذا حرام وقال في خطبته يوم الجمعة ٩٤/١٢/٣١ في المسجد الأقصى كما تناقلتها الصحف[٣١]، إن الحصول على الجنسية الإسرائيلة يخالف الشرع الإسلامي وهو مساهمة في إنجاح المخططات الإسرائيلية لتهويد المدينة المقدسة. والذي يحصل على الجنسية الإسرائيلية سوف يساعد المحتل في ادعائه أن أكثرية سكان القدس هم من الإسرائيليين. كما أنه يفقد الحق في الإعتراض على القوانين الإسرائيلية التي شرعت ضد وجود كل ما هو عربي وإسلامي في المدينة.

وقد أعلنت طوبا أليسون الناطقة بإسم وزارة الداخلية[٣٢] أنه منذ ١٩٦٧ قدّم ٧٠٠ طلب بينما في السنة الأخيرة لوحدها تم تقديم ١٥٠٠ طلبا، وفي وزارة الداخلية يدعون أن الرقم أكبر من ذلك بكثير.

ب. قانون العودة لسنة ١٩٥٠.

قانون العودة وقضية مبارك عوض

لوزير الداخلية الحق أن يسحب من المواطن المقدسي حقوق المواطنة في القدس بإعتبار أن القدس جزء من إسرائيل بالطبع.

إسرائيل تلجأ بصورة دائمة الى هذه المادة وتطبقها على أهالي القدس الفلسطينيين، وذلك بهدف منعهم من حقوقهم. بينما لو كان المواطن يهوديا فليست هناك أية قيود بالنسبة للمدة التي يمكن أن يعيش فيها خارج البلاد، وكذلك لا تقييد عليه لو كان يحمل جنسيتين أو أكثر.

د. مبارك عوض:

قضية مبارك عوض تمثل دليلا واضحا على ما نقول. مبارك عوض قدّم دعوى الى محكمة العدل العليا ورفضتها المحكمة ٨٨/٢٨٢ (القاضي اهرون براك).

ولد مبارك عوض في القدس سنة ١٩٤٣، جرى إحصاؤه في القدس بعد احتلالها سنة ١٩٦٧ وأصبح بذلك مواطنا دائما في إسرائيل يسكن في القدس. في سنة ١٩٧٠ سافر الى الولايات المتحدة ليتابع دراسته، سنة ١٩٧٣ حصل على اللقب الأول أو الدرجة الأولى، سنة ١٩٧٨ حصل على اللقب أو الدرجة الثانية، سنة ١٩٨٢ حصل على درجة الدكتوراة، سنة ١٩٧٨ حصل على الجنسية الأمريكية، خلال فترة دراسته عاد عدة مرات الى القدس وتزوج في القدس سنة ١٩٧٨.

سنة ١٩٨٧ توجه مبارك عوض الى وزارة الداخلية بطلب لتجديد هويته المقدسية، مواطن دائم – حيث أن الهوية السابقة ألغيت. وزارة الداخلية رفضت طلبه بحجة أنه فقد كونه مواطنا إسرائيليا، ولأنه دخل البلاد كسائح فإنه تقدم بطلب لتجديد إقامته المؤقتة (فيزا) بستة أشهر، ولم تستجب الداخلية لهذا الطلب، وأمرته الداخلية بمغادرة البلاد قبل إنتهاء الإقامة في ١٩٨٨/١١/٢٠. بتاريخ ١٩٨٨/٥/٥ أصدرت وزارة الداخلية أمرا بطرد مبارك عوض من البلاد، ووضع في السجن وعندها إستأنف على أمر الطرد والسجن، المحكمة رفضت الإستئناف وأمرت بطرده، ليس فقط لأن الإذن بالدخول الى البلاد قد إنتهى (الفيزا) ولكن بسبب أيضا نشاطه السياسي الذي تجلى في مقاومته للإحتلال، نضيف هنا أن مبارك عوض من مؤسسي ويدير مركز اللاعنف في القدس الشرقية، وهو يدعو الى المقاومة غير العنيفة للإحتلال.

عزية صلاح من بيت صفافا

(الأسماء في هذه القصة مستعارة لأسباب مفهومة)

مواطن القدس الذي يسكن في الضفة يفقد هويته المقدسية، وقضية عزية صلاح من بيت صفافا تثبت ما نقوله: كانت عزية تحمل هوية القدس، في سنوات السبعين المبكرة حين تواجدت في بيت لحم وتزوجت ولد لها طفلان، رعد وأنور، وفي هذه الفترة كان زوجها الذي كان يحمل هوية الضفة الغربية، في الأردن.

وزارة الداخلية رفضت تسجيل الطفلين في هوية والدتهما التي تحمل هوية القدس كما أسلفنا، وكذلك رفضت السلطات أيضا تسجيل الطفلين في هوية والدهما.

في سنة ١٩٩٣ توجهت عزية الى الإدارة المدنية، وهناك قيل لها، أنه سيتم تسجيل ولديها - أصبحا شابين - شرط أن تسلم هويتها المقدسية، وافقت عزية على هذا الشرط، ورغم ذلك لم يتم تسجيل نجليها، وكان الهدف حرمانها من هوية القدس وهذا ما تحقق لأن السلطات رفضت أن تعيد اليها هويتها.

السلطات تعامل المقدسيين الذين ينتقلون للعيش في الضفة الغربية وكأنهم سافروا الى الخارج لغاية تطبيق المادة ١١ من قانون الدخول الى إسرائيل.

إن بعض فقهاء القانون الدولي ومنهم البروفسور يورام دينشتاين المحاضر في جامعة تل أبيب يعتقدون، إن المواطنين الذين تم ضمهم الى الدولة المحتلة (مواطنو القدس العربية) لهم الحق تلقائيا وبمجرد الضم أن يحصلوا على جنسية الدولة التي ضمت بلدهم - إسرائيل، وذلك دون أن يتقدموا بطلبات للحصول على الجنسية.

ولكن الحكومة الإسرائيلية لا تهدف الى إضافة عشرات الوف الفلسطينيين ليكونوا مواطنين يملكون الجنسية الإسرائيلية لأن هذا يتعارض مع الهدف الصهيوني، أكبر عدد ممكن من اليهود في فلسطين وأقل عدد ممكن من الفلسطينيين.[٣٣]

إسرائيل لم تمنح مواطني القدس الجنسية تلقائيا لأنها كانت على ثقة أنهم سوف يرفضونها، لأن قبول الجنسية يعني القبول بضم المدينة، إضافة الى أن مواطني القدس ليسوا معنيين أن يصبحوا جزءا من الدولة اليهودية التي ستعاملهم كمواطنين من الدرجة الثانية.

وبقي الحال على ما هو عليهم حتى جاءت إتفاقيات أوسلو حيث أصبحت إسرائيل تشجع المقدسيين على الحصول على الجنسية الإسرائيلية بإجراءات سريعة وكانت ترفض ذلك وتضع العراقيل قبل أوسلو.

أما عدم تجديد الفيزا (مفعولها لمدة سنة) فهذا يتعارض مع الميثاق العالمي لحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨ الذي ينص في مادة ١٣:

١. كل إنسان له حق التنقل والسكن في أية دولة.
٢. كل إنسان له الحق أن يغادر أي دولة بما في ذلك دولته والعودة الى دولته.

قانون السلطة لتطوير القدس، ١٩٨٨

كتاب القوانين ١٢٦٠ (تاريخ ١٩٨٨/٧/٢) ص ١٦٨.

مادة ١: تعريفات.

مادة ٢: تشكل بهذا السلطة لتطوير القدس.

مادة ٣،٤: السلطة جمعية تخضع لرقابة مراقب الدولة.

مادة ٥: أهدافها أن تبادر، وتحضر، وتشجع مبادرات لتطوير القدس إقتصاديا وتنسق بين الوزارات المختلفة والسلطات والمؤسسات التي تعمل لتطوير القدس وأن تزودهم بمعلومات بكل ما يتعلق بمبادرات لبرامج ومشاريع إقتصادية في القدس وأن تُسدي النصح وتساعد في كل ما يتعلق بمشاريع إقتصادية في القدس، وفي أعمالها لا تناقض هذه السلطة ما تقوم به بلدية القدس.

مادة ٨: ملجس السلطة يتشكل من رئيس الوزراء وجميع الوزراء في حكومته. و ٩ ممثلين عن بلدية القدس، من بينهم ٦ يعبروا بقدر الإمكان عن ميزان القوى في المجلس البلدي. وخمسة ممثلي الجمهور يعينهم الوزراء ورئيس بلدية القدس. ممثلان عن مؤسسات التعليم العالي، بالإضافة الى مؤسسات توراتّية يعنيهم الوزراء ورئيس بلدية القدس بموافقة وزير العلوم والتطوير ووزير التربية والتعليم ووزير الشؤون الدينية.

مادة ٩: وظائف المجلس:

(١) إبداء النصح والمشورة للحكومة من أجل تطبيق مادة ٤ من قانون أساس: القدس عاصمة إسرائيل، وتشير على الوزراء في كل أمر يتعلق بتنفيذ هذا القانون.

(وهي المادة التي تتعهد بموجبها الحكومة بالعمل على تطوير القدس).

١١-(أ) لا يشغل منصب عضو في المجلس أو عضو الإدارة.

(١) من لم يكن مواطناً إسرائيلياً

أي يحمل الجنسية الإسرائيلية وبموجب هذا البند لا يستطيع حتى مواطن فلسطيني من أهل القدس المضمومة أن يكون عضوا في الملجس أو في الإدارة، وهذا تمييز واضح ضد المواطنين العرب الفلسطينيين أبناء القدس العربية كما سبق وذكرنا.

والمادة الأخرى الأكثر إثارة واستغراباً ولم نجد لها مثيلاً في أي قانون أخر هي المادة الأخيرة ٢٣ والتي تنص على أن جميع الوزراء مسؤولون عن تنفيذ هذا القانون ويحق لهم أن يسنوا أنظمة لتطبيقه.

- رئيس الحكومة اسحق شامير	- وزير المالية موشيه نسيم
- القائم بأعمال رئيس الحكومة وزير الخارجية شمعون بيرس	- رئيس الدولة حاييم هرتسوغ
حتى التوقيع فيه إجماع قومي	"رئيس حكومة ليكودي"
"ورئيس دولة ووزير خارجية من حزب العمل"	"وزير مالية ليبرالي"

في جميع القوانين تعين الحكومة عادة الوزير المختص ذا العلاقة بالقانون ليسن الأنظمة لتنفيذه أما أن يكون كل الوزراء مسؤولين عن تنفيذ القانون ويحق لهم - لكل واحد منهم أن يسن أنظمة لتنفيذه، فهذا من اختصاص قانون يتعلق بالقدس وبالقدس فقط.

وقام رئيس الوزراء - وهو رئيس لجنة شؤون القدس - ووزير المالية اسحاق شامير بسن أنظمة في ١٩٩٠/٤/٢٥ تتعلق بتشجيع الأستثمار في القدس وخاصة المصانع الغنية بالمعرفة والتقنية (التكنولوجيا).

آراء حول مستقبل القدس

وقبل أن أنهي هذا البحث فأنني أورد فيما يلي بعض الآراء وبعض الإقتراحات لحلّ قضية القدس.

١. *جمال عبد الناصر*

بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ قال الزعيم الخالد جمال عبد الناصر جملته المشهورة ان ما أُخذ بالقوة لا يُستردّ بغير القوة، هذا القول ينطبق على القدس وعلى جميع الأراضي الفلسطينية والعربية التي ضاعت بالإحتلال العسكري!

من يملك القوة؟ من يأمر بإستعمالها؟ متى يكون ذلك؟ وهل فعلاً سنعيد ما تمّ إحتلاله؟

نحن في عالم تختلف ظروفه حتى عن الظروف التي قال فيها عبدالناصر جملته المشهورة، والتحالف الدولي الذي حصل في حرب الخليج الثانية حيث تحالفت كل دول العالم تقريباً ضد العراق من أجل تحرير الكويت سوف لن يسمح بإستعمال القوة لإستعادة القدس أو أي أرض عربية أخرى، ولو حارب العرب إسرائيل هل سيكون النصر حليفهم حاضراً أو مستقبلاً؟!

٢. *إتفاقية سايكس بيكو*

هذا الإتفاق تضمنته رسالة وزير الخارجية البريطاني السير إدوارد جري الى السفير الفرنسي في لندن بول كامبون وتاريخه ١٩١٦/٥/١٦ والبند ٣ من الإتفاق يقرّر "في المنطقة المعلَّم عليها باللون البني تكون إدارة دولية والتي تقرر ماهيتها بعد التشاور بين أعضاء عصبة الأمم الأخرى وممثل شريف مكة" وبموجب الخارطة المرفقة مع الإتفاق فالمنطقة البنّية تضم كل مساحة فلسطين - بما فيها القدس - ماعدا حيفا وعكا.

٣. *صك الإنتداب البريطاني*

تاريخه: ١٩٢٢/٧/٢٤ وبموجبه تكون بريطانية مسؤولة عن الأماكن المقدسة في فلسطين والحفاظ على الوضع القائم في هذه الأماكن، وتضمن حرية الوصول إليها وحرية العبادة بما لا يتعارض مع النظام العام، وممنوع على بريطانيا ومحظور أن تتدخل في إدارة الأماكن الدينية الإسلامية وتحافظ على الحصانة الممنوحة لهذه الأماكن، وتشكل دولة الإنتداب لجنة خاصة لدراسة الإدعاءات بالنسبة للأماكن المقدسة وحصرها.

٤. *إقتراح الدكتور حاييم أرلزروف*

تاريخه: كانون ثاني ١٩٣٢،

١. تقسم القدس الى حيين، يهودي وعربي.

٢. الحي اليهودي يضم جيمع الأقسام الحديثة للمدينة ويسكنه اليهود، والحي العربي يضم أساساً البلدة القديمة وتلبيوت ويسكنه العرب.

٣. لكل حي أن يشكل مجلساً مستقلاً مع صلاحيات لجباية الضرائب.

٤. المجلس البلدي المركزي يستمر في مهامه كسلطة للتنسيق والإشراف على الحيين.

٥. **تقرير لجنة بيل:** هذا التقرير تم التوقيع عليه بتاريخ ١٩٣٧/٦/٢٢ ونشر في ١٩٣٧/٧/٧.

أ. اللجنة أوصت بإنهاء الإنتداب البريطاني بشكله الحالي وإقامة دولتين مستقلتين يهودية وعربية في مناطق الإنتداب.

ب. يكون هناك جيب يضم القدس وبيت لحم والناصرة وطبريا وممر بين القدس والبحر المتوسط، وكل هذه الأماكن تبقى تحت سيطرة الإنتداب البريطاني، ومهمة بقاء الإنتداب على هذه المناطق عدم إقامة حكم ذاتي في المستقبل وإنما الحفاظ على الأماكن المقدسة، مع تأمين حرية الوصول الى الأماكن المقدسة والعبادة فيها والمحافظة على الوضع القائم، وبريطانيا تحمي الأماكن المقدسة لليهود والعرب في الدولتين المستقلتين اللتين سيتم إنشاؤهما.

٦. **قرار التقسيم**

تاريخه ١٩٤٧/١١/٢٩ وهو المعروف بالقرار ١٨١ (II)

أ. تعتبر القدس جسماً منفصلاً (Corpus Separatum) تحت حكم دولي وسيطرة الأمم المتحدة.

ب. تضاف الى المدينة مناطق إضافية بحيث تصبح حدودها من الشرق – أبو ديس ومن الجنوب بيت لحم ومن الغرب عين كارم ومن الشمال شعفاط.

ج. تكون المدينة منزوعة السلاح ومحايدة.

د. تكون المدينة جزءاً من التجمع الإقتصادي الذي تنتمي اليه الدولتان اليهودية والعربية.

هـ. سكان الدولتين العربية واليهودية يتمتعون بحرية الدخول والسكن في المدينة ضمن تحديدات الأمن والرفاه الإقتصادي.

و. مواطنو المدينة يحصلون بشكل تلقائي (أوتوماتي) على جنسية المدينة إلا إذا طلبوا أن يحصلوا على جنسية الدولة التي كانوا مواطنيها.

ز. تكون للمدينة شبكة محاكم مستقلة ويخضع لها جميع سكان المدينة.

ح. العربية والعبرية تكونان اللغتين الرسميتين للمدينة.

ط. بعد عشر سنوات من إدارة المدينة من قبل الأمم المتحدة يتم استفتاء فيما يتعلق بصورة الحكم في المدينة.

أما الأماكن المقدسة فيبقى الوضع فيها كما هو عليه مع ضمان حرية الوصول اليها والعبادة وتكون معفاة من الضرائب، ويكون للمدينة حاكم تعينه الأمم المتحدة.

٠٧ مشروع وزير خارجية الولايات المتحدة وليام روجرز

التاريخ ١٩٦٩/١٢/٩

أ. لا يمكن الوافقة على أعمال من طرف واحد بخصوص الوضع النهائي للمدينة.

ب. الوضع النهائي للمدينة يتقرر في إتفاق بين الأطراف المعنيّة، وهي في الأساس حكومة إسرائيل والأردن، والتي تأخذ بالحسبان أيضاً مصالح الدول الأخرى في المنطقة والمجتمع الدولي.

ج. تبقى القدس مدينة موحدة.

د. يجب ضمان حرية الوصول الى المدينة لأتباع الديانات والجنسيات المختلفة وتبقى المدينة موحدة ولا تقييد على حرية التنقل بين أجزائها، والإجراءات التي يتم إتخاذها لإدارة المدينة تأخذ بالحسبان مصالح جميع سكان المدنية، اليهود والنصارى والمسلمين.

٠٨ إقتراح د. رفائيل بنكلر وتاريخها ١٩٧٢: د. رفائيل بنكلر استاذ في القانون الدولي في جامعة باريس

أ- ***تطلعات قومية:***

١. تكون القدس عاصمة الدولتين - إسرائيل والدولة العربية.

٢. تكون القدس مفتوحة لمواطني الدولتين.

٣. تكون المدينة منزوعة السلاح، لا يحق للدولتين إدخال جيوش الى المدينة ما عدا قوات حراسة خاصة. وقوات الشرطة في كل حيّ وحيّ تحافظ على النظام العام.

٤. توسع الصلاحيات القضائية لتضم "القدس الكبرى" ويبقى الأساس، سيادة إسرائيلية على المناطق التي تم ضمّها بعد توحيد المدينة سنة ١٩٦٧ مع تغييرات طفيفة وتضاف للمدينة مناطق تحت السيادة العربية.

٥. بعض الأماكن المقدسة للمسلمين، بما في ذلك الحرم القدسي تسلم الى "شبه سيادة" عربية.

٦. تضمن حرية الوصول من الدولة العربية الى الأماكن المقدسة في القدس والتي تكون تحت السيادة العربية.

٧. جميع مواطني القدس إما أن يكونوا مواطني إسرائيل أو الدولة العربية شرط ألا تكون مواطنة مزدوجة.

٨. كل مواطن يخضع للواجبات الملقاة عليه من الدولة التي ينتمي إليها، من ناحية التجنيد والضريبة، ويتمتع المواطن بحقوق تمنحها له تلك الدولة.

٩. صلاحية القضاة تتبع للدولة المختصة حسب مكان تنفيذ المخالفات.

١٠. تقوم بين إسرائيل والدولة العربية شبكة علاقات إقتصادية لتطوير المدينة المشتركة تضم حملة موحدة أو تنسيقاً بخصوص أسعار العملات.

ب- الأماكن المقدسة:

١. ضمان حرية العبادة والوصول الى الأماكن المقدسة لأبناء الشعبين.

٢. السلطات الدينية المختصة تدير الأماكن المقدسة بموجب النظام القائم المتفق عليه.

٣. تصدر الدولتان قوانين تضمن هذا النظام المقترح للأماكن المقدسة، وتخوّل البلدية الموحدة والبلديات الفرعية مراقبة الأماكن المقدسة وما حولها.

جـ- إدارة بلدية:

١. القدس الكبرى تضم خمس بلديات فرعية للأحياء المختلفة عربية، يهودية، قروية، بيت لحم، بيت جالا.

٢. البلديات الفرعية تعمل في عدة مجالات ما عدا المجالات التي تكون من إختصاص البلدية الموحدة.

٣. مهمة البلدية الموحدة تكون في مجالات الخرائط الهيكلية والتنسيق بين البلديات المختلفة والإشراف عليها، وتطوير المنطقة القروية، الإقتصاد والسياحة، الخدمات الصحية المركزية مثل شبكة المجاري، الإطفائية، المياه الكهرباء، مطار مدني، منطقة صناعية، المواصلات، الإسكان، أماكن عامة وأبنية تاريخية والإشراف على الأماكن المقدسة.

٤. البلدية الموحدة تشكل من ممثلي البلديات الفرعية بنسب تتناسب مع عدد السكان.

٥. تتعاون الدولتان بخصوص ميزانية المدينة وغير ذلك.

٠٩ إقتراح عضوي مجلس الشيوخ نيكسون وفولبرايت

إقتراح نيكسون تاريخه ١٩٦٧/٦/٢٤، إقتراح فولبرايت تاريخه ١٩٧٤/٧/٧

بعد زيارته للمنطقة في أعقاب حرب حزيران - ١٩٦٧ إقترح السناتور ريتشارد نيكسون "إيجاد صيغة توضعّ بموجبها الأماكن المقدسة في البلدة القديمة تحت سلطة شبيهة بالفا تيكان، وفي نفس الوقت لا تمس السيادة الإسرائيلية على القدس بكاملها"

السناتور فولبرايت إقترح خلال "لقاء مع الصحافة" بثه N.B.C "أن يكون للقدس مكانة خاصة شبيهة بمكانة الفاتيكان".

١٠. خطة يغئال الون

تاريخها تشرين أول ١٩٧٦، وضع يغئال الون خطته حيث شغل منصب وزير الخارجية، ورغم ذلك فإن الحكومة الإسرائيلية لم تعتمد خطته المقترحة في يوم من الأيام. ولكن في سنة ١٩٧٣ اعتمد حزب العمل هذه الخطة في برنامجه.

أ- ***التطلعات القومية:***

١. إسرائيل تتنازل عن غالبية المناطق التي بحوزتها في أعقاب حرب ١٩٦٧ وتبقى في مناطق أمنية تتيح للجيش الإسرائيلي صد أي هجوم متوقع من الدول العربية.

٢. المناطق الآهلة بالسكان في الضفة الغربية وقطاع غزة تنتقل الى سيادة أردنية فلسطينية.

٣. القدس لا تُجزّأ، المدينة والمناطق المحيطة بها والحيوية للدفاع عنها والإتصال معها تبقى تحت السيادة الإسرائيلية.

ب- ***الأماكن المقدسة:*** ممثلو الطوائف الدينية المختلفة يتمتعون بمكانة خاصة.

جـ- ***إدارة بلدية:*** الهيكل البلدي للمدينة يقوم على أساس أحياء طائفية ودينية.

١١. إقتراح اللورد كرادون (Caradon)

اللورد كرادون كان موظفاً في حكم الإنتداب على فلسطين في بداية سنوات الثلاثين، وبعد ذلك شغل عدة مناصب في الخارجية البريطانية، سنة ١٩٦٧ وكان مندوب بريطانيا في الأمم المتحدة وشارك بشكل فعال في وضع نص القرار(٢٤٢).

أ. *تطلعات قومية*

١. السيادة على القدس الغربية تكون لإسرائيل، أما القدس الشرقية فتكون تحت سيادة عربية (يبدو أن المقصود دولة فلسطينية تضم الضفة الغربية وقطاع غزة).

٢. الحدود بين شطري المدينة يقررها مجلس الأمن الدولي بعد الأخذ بتوصيات لجنة خاصة يعينها السكرتير العام للأمم المتحدة.

٣. تستمع اللجنة المذكورة الى إدعاءات الطرفين بخصوص الحدود بين شطري المدينة مع الأخذ بالأعتبار الحدود التي كانت قائمة قبل حرب حزيران ١٩٦٧ بحيث أن : أ ـ الحي اليهودي والحائط الغربي (البراق كما يدعوه المسلمون والمبكى كما يدعوه اليهود) يكونان ضمن القسم الإسرائيلي. ب ـ جبل المشارف، بما فيه الجامعة العبرية يكون من ضمن الشطر الإسرائيلي مع ضمان "جسر مفتوح" الى دولة إسرئيل.

٤. بين شطري المدينة لا تكون أية حواجز ويتم ضمان الوصول والإتصال بينهما.

٥. كل المدينة تكون منزوعة السلاح.

٦. السكرتير العام للأمم المتحدة يعين لجنة للتعاون تعمل على تنظيم التعاون في المجال الإقتصادي والمالي بين الدولتين.

٧. السكرتير العام للأمم المتحدة يعين مندوباً سامياً للقدس، وهذا المندوب يمثل الأمم المتحدة ويعمل مع الأطراف المعنية لتنفيذ هذه الخطة.

ب. *الأماكن المقدسة*

مندوب الأمم المتحدة يضمن حرية الوصول الى الأماكن المقدسة.

١٢. خطة فهد للسلام

التاريخ ١٩٨١/٨/٦ حيث كان فهد ما زال أميراً. وضع فهد، ملك العربية السعودية اليوم خطته بعد إبرام معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل. إسرائيل والعراق وسوريا رفضوا هذه الخطة.

أ- *التطلعات القومية:*

١. تنسحب إسرائيل من جميع المناطق التي إحتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ بما في ذلك القدس العربية.

٢. تفكك إسرائيل جميع المستوطنات التي أقامتها في المناطق المحتلة منذ ١٩٦٧.

٣. إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس العربية.

٤. تنتقل الضفة الغربية وقطاع غزة الى سيطرة الأمم المتحدة لفترة انتقالية لا تتعدى بضعة أشهر.

ب- *الأماكن المقدسة:*

ضمان حرية العبادة لأتباع جميع الديانات في الأماكن المقدسة.

١٣. إقتراح هنري كتن (H. Cattan)

هنري كتن كان عضواً في البعثة التي مثّلت الفلسطينيين في الأمم المتحدة قبل قيام إسرائيل، وعضو المجلس الوطني الفلسطيني ونقابة الحقوقيين الفلسطينيين. حسب رأيه السيادة على القدس وعلى كل فلسطين يجب أن تكون للفلسطينيين.

أ- *التطلعات القومية*

١- على الأمم المتحدة أن تتخذ خطوات عملية لوضع حد لأعمال إسرائيل الهادفة الى تهويد (Judaization) القدس وإلغاء جميع ما قامت به إسرائيل من أجل تحقيق هذا التهويد، والحفاظ على الإرث الديني والتاريخي للمدينة.

٢- هذه الخطوات التي على الأمم المتحدة القيام بها يجب أن تتضمن:

أ - فرض قرار الجمعية العامة رقم ١٨١ II (قرار التقسيم).

ب- إعادة اللاجئين الى القدس.

جـ- إلغاء جميع الوسائل التي لجأت إليها إسرئيل من أجل تغيير الإدارة الوضع السكاني وملكية الأراضي في القدس.

د - تفكيك جميع "المستوطنات" التي أقيمت في القدس واخلاء جميع المستوطنين" منها.

٣- من أجل الإشراف على هذه الخطوات تقام سلطة دولية مؤقتة(Temporary International Authority) تعينها الجمعية العامة ومجلس الأمن.

٤- هذه السلطة يكون من صلاحيتها إدارة المدينة في الفترة الإنتقالية وبعد تنفيذ هذه الخطوات لجنة لجنة أحياء الثلاثية (Tripartite Communal Council) وتتشكل من مندوبين عن النصرانية والإسلام واليهود على أساس تمثيل متساوٍ.

٥- لجنة الأحياء الثلاثية يعينها مجلس الأمن والجمعية العامة وتقوم مقام السلطة الدولية، وتنتقل إليها صلاحيّاتها.

٦- لجنة الأحياء الثلاثية تدير شؤون المدينة لحين الحل النهائي لقضية القدس والقضية الفلسطينية.

٧- إقامة لجنة الأحياء الثلاثية لا تؤثر على الحل النهائي للقضية للفلسطينية يمكن تغيير اللجنة أو إلغاؤها على ضوء الحل الدائم الذي يتم التوصل إليه.

١٤- إقتراح البروفسو ج. آي. أ. دريبر (G.I.A. D. Raper)

تاريخ الإقتراح ١٩٨١، دريبر كان محاضراً للقانون الدولي في جامعة سسكس (Sussex) في إنجلترا وساعد الأمير حسن بن طلال في تأليف كتابه حول القدس.

دريبر يعتقد أن السيادة على القدس ليست لإسرائيل أو الأردن لأن الدولتين حكمتا المدينة بالقوة العسكرية، لهذا فإن السيادة على القدس مؤجلة، وإسرائيل في القدس محتل عسكري. وكل حل لموضوع القدس يجب أن يأخذ في الحسبان حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير. (يشار هنا أيضا ان رأي ولي العهد الأردني الأمير حسن يتطابق مع هذا الرأي ويعتبر ان قضية السيادة على القدس مؤجلة الى وقت لاحق).

التطلعات القومية

١- تقسم المدينة الى ثلاثة أقسام:

أ - غرب المدينة يكون عاصمة إسرائيل.

ب- شرق المدينة عاصمة فلسطين.

جـ- البلدة القديمة (داخل الأسوار) تكون تحت سيطرة دولية.

٢- سكان البلدة القديمة لهم الحق والخيار في الحصول على الجنسية الفلسطينية أو الإسرائيلية.

١٥. قرارات مؤتمر القمة العربية في فاس بالمغرب

التاريخ ١٩٨٢/٩/٦، هذه القرارات جاءت رداً على خطة الرئيس الأمريكي رونالد ريغن التي أعلن عنها في ٨٢/٩/١، وقرارات فاس تعتمد على إقتراح الملك فهد (حين كان أميراً) مع إختلاف بسيط.

التطلعات القومية:

١- إنسحاب إسرائيل من جميع المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ بما فيها القدس الشرقية.

٢- تقوم دولة فلسطينية عاصمتها القدس. (وليس كما جاء في إقتراح فهد "القدس الشرقية") مع ضمان حرية العبادة لأتباع جميع الديانات في الأماكن المقدسة.

١٦. إقتراح البروفسور أنطونيو كساسه (A. Cassese)

التاريخ ١٩٨٦، البروفسور أنطونيو كساسة محاضر في جامعة فلورنسا في إيطاليا وفي الجامعة للدراسات الأوروبية في فلورنسا ومعهد الدراسات الدولية في

جنيف. منذ سنة ١٩٨٦ يرأس لجنة الصياغة للمجلس الأوروبي بشأن حقوق الإنسان. يبني كساسه إقتراحه على الوضع القانوني القائم حسب رأيه في القدس، والذي بموجبه تعهدت إسرائيل للأمم المتحدة أن تمتنع عن حل مشكلة القدس بدون موافقة مؤسسات الأمم المتحدة. وفي أعقاب هذا التعهد لا يحق لإسرائيل أن تغير وضع القدس من طرف واحد فقط. والأردن أيضاً وافق (بالصمت) أن لا يغير وضع القدس بدون موافقة الأمم المتحدة. ليس للأردن ولا لإسرائيل سيادة على المدينة لأن كليهما إحتل مناطق في القدس عن طريق إستعمال القوة العسكرية. وحسب رأيه فإن إسرائيل "تسيطر على القدس فعلياً" فقط (De-facto) وليس قانونياً(De-Jure) إن مبدأ حق تقرير المصير (Self-Determination) يقضي بوجوب مشاركة ممثلي الشعب الفلسطيني في إتخاذ القرارات فيما يتعلق بمستقبل القدس.

التطلعات القومية

١- تُمنح السيادة لإسرائيل على القدس الغربية.

٢- السيادة على القدس الشرقية تمنح للممثلين الشرعيين للشعب الفلسطيني، مع ضمان حرية الوصول والعبادة في الأماكن المقدسة.

١٧. إقتراح البروفسور توماس ماليسون وزوجة السيدة سالي ماليسون (T&S Mallison)

تاريخ الإقتراح ١٩٨١ و ١٩٨٦ توماس ماليسون استاذ متقاعد للقانون وكان في الماضي مديراً لمعهد القانون الدولي في جامعة جورج واشنطن وزوجه باحثه في نفس المعهد. يعتقد المؤلفان أنه يمكن القبول بتقسيم القدس بناء على عدم الإحتجاج

وصمت المجتمع الدولي بعد سنة ١٩٦٧ وإدعاءات إسرائيل والأردن لحقوق في شطري المدينة اللذين احتلاهما قبل سنة ١٩٦٧.

١- بناء على ذلك تنسحب إسرائيل الى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ ويبقى الشطر الغربي من المدنية تحت سيطرتها.

٢- الشطر الشرقي من المدينة يُنقل حالاً الى سلطة عربية أو الى سلطة مؤقتة للأمم المتحدة تكون وصيّة على المنطقة الى حين تطبيق كامل لحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم.

٣- الحلّ النهائي لمشكلة القدس يمكن أن يكون عن طريق تدويل القدس أو قسم منها أو تقسيم المدينة نهائياً بين إسرائيل والدولة الفلسطينية.

٤- الأماكن المقدسة تحظى بحماية مناسبة مع ضمان حرية الوصول اليها.

إقتراح د. وليد الخالدي تاريخ ١٩٧٨-١٩٨٨

أ- ***التطلعات القومية***

١- القدس الشرقية تكون عاصمة الدولة الفلسطينية والغربية عاصمة إسرائيل.

٢- تنظم الدولتان إجراءات تنقل حرّبين شطري المدينة.

٣- يكون شطرا المدينة منزوعي السلاح وقوات أمن داخلي فقط يُسمح لها بالتواجد في المدينة.

ب- ***الأماكن المقدسة***

١- الأماكن المقدسة لليهودية في القدس الشرقية تعتبر ذات مكانة خاصة مع ضمان حرية الوصول إليها.

٢ - تشكل لجنة دينية من ممثلين عن المسيحيين واليهود والمسلمين، يترأسـها ممثـل الأمم المتحدة أو تكون رئاستها بالتناوب بين ممثلي الطوائف المذكورة.

٣ - يكـون للجنـة الدينيـة صلاحيـة الإشـراف علـى مصـالح جميـع الأطـراف فـي الأماكن المقدسة وتكون مؤسسة للمصـالحـة والتحكيـم فـي الخلافـات التـي تثـور بخصوص الأماكن المقدس.

جـ- إدارة بلدية

١- تعمل في المدينة بلديتان منفصلتان تقدمان الخدمات للسكان.

٢- مجلس بلدي مشترك يشرف على الخدمات الحيوية المشتركة.

١٩. إقتراح شخصيات من الفلسطينيين والإسرائيليين

بيـن ١٥-١٩٩١/٧/١٩ عقـد لقـاء بيـن شـخصيات فلسـطينية وإسـرائيلية، ونشـر الإقتراح في مؤتمر صـحفي، تم اللقاء بمبادرة مركز الأزمات والحوار التابع لجامعـة

ستانفورد أدار اللقـاء د. هرولـد سـوندرس مديـر البـرامج الدوليـة لصنـدوق كـترينج وعمل في الماضي مساعداً لوزير الخارجية الأمريكـي هـنري كيسـنجر، شـارك فـي اللقاء عشرة أشخاص من النشـيطين الفلسـطينيين والإسـرائيليين وهـم : عـن الجـانب الفلسـطيني : حنـا سـنيورة ، د. برنـارد سـابيلا، د. ممـدوح العكـر و د. رحـاب عيساوي.

عـن الجـانب الإسـرائيلي: موشـي عميـراف، الجنـرال(احتيـاط) غيـورا فورمـن، د. شلوموا الباز، د. جليت حزان روكام والكولونيل (احتياط) عوديد مجيدو.

أرفق مـع الإقـتراح رسـالة مـن د. نبيـل شـعث، يعلـن فيهـا أن المجلـس الوطنـي الفلسطيني يقبل الاقتراح كأساس للحوار من أجل السلام.

أ. *التطلعات القومية:*

١- إقامة دولة فلسطينية بجانب دولة إسرائيل في حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ مع تعديلات طفيفة في الحدود وإنهاء حالة الحرب، وجميع الأعمال العدائية في الشرق الأوسط، وإتخاذ إجراءات أمن شاملة للدولتين، تقليص ترسانات الأسلحة بما في ذلك سلاح الابادة الشاملة.
٢- بعد عقد معاهدة سلام وانقضاء خمس سنوات تكون القدس الشرقية عاصمة الدولة الفلسطينية والغربية عاصمة إسرائيل.
٣- ضمان حرية الوصول الى القدس ومنها لجميع المواطنين والزائرين.

ب. *الأماكن المقدسة*

ضمان حرية الوصول والعبادة في الأماكن المقدسة.

ج. *إدارة البلدية*

١- لا تقسم المدينة فعلياً.
٢- لكل قسم من المدينة بلدية مستقلة.
٣- تقام بلدية مسؤولة للقدس الكبرى يكون فيها تمثيل متساو لشطري المدينة.

٢٠. موقف منظمة التحرير الفلسطينية

التاريخ ١٩٨٨، تضمن إعلان الإستقلال الفلسطيني في الجزائر بتاريخ ١٩٨٨/١١/١٥: منذ إعلان الميثاق الوطني الفلسطيني سنة ١٩٦٨ مرّ موقف المنظمة بعدة مراحل.

التطلعات القومية

١- تنسحب إسرائيل من جميع المناطق التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ بما فيها القدس.

٢- المناطق التي احتلتها إسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ توضع تحت إشراف الأمم المتحدة لفترة محدودة.

٣- تكون القدس عاصمة الدولة الفلسطينية (يبدو أن المقصود القدس الشرقية فقط). مع ضمان حرية الوصول والعبادة الى الأماكن المقدسة لأتباع الديانات المختلفة.

الموقف الفلسطيني بعد اتفاقيات التسوية المعروفة أوسلو(أ) واوسلو(ب)

رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات وجميع الفلسطينيين الذين يؤيدون موقفه يطالبون بإقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس الشريف في كل مناسبة وكل موقف، لكن المطالبة شيء والتنفيذ شيء آخر.

الفلسطينيون الذين لا يؤيدون السلطة الوطنية يطالبون أيضاً بنفس المطالب بالنسبة للدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، سواء كانوا من الإسلاميين أو العلمانيينن فالموقف من الاستقلال والقدس موحد، كما أن الرفض من الجانب الإسرائيلي بالنسبة للقدس الموحدة والعاصمة الأبدية لإسرائيل يجمع اليمين واليسار.

لكن هناك ملاحظة هامة، ففي الوقت الذي تطالب فيه إسرائيل بكل أحزابها بالقدس الموحّدة يتحدث الفلسطينيون والعرب عن القدس العربية أو الشرقية فقط

الواقعة داخل الأسوار وخارجها ولا يتطرقون للقدس الغربية القائمة على أراض عربية محتلة منذ ١٩٤٨ وتضم عدة قرى منها لفتا، والمالحة وديرياسين وعين كارم وأحياء عربية قديمة معروفة لا تزال البيوت العربية المحتلة والمصادرة قائمة فيها وتعود لعائلات عربية معروفة تعيش في القدس العربية القريبة.

إن الفلسطينيين والعرب يفاوضون في ظل عدم توازن بينهم وبين الطرف الذي يسيطر على الأرض فعلاً ويبني فوقها ويحفر تحتها كما يشاء ودون اعتبار لحقوق الطرف الفلسطيني ومشاعره وفي بعض الأحيان بما يتعارض مع تلك الحقوق والمشاعر.

وفي رأينا لن يقوم سلام ثابت ودائم فوق هذه الأرض التي يقال أنها أرض السلام إلاّ إذا كان أساسه العدل وشعور كل طرف أنه حصل على أقصى ما يمكن من حقوقه ويتمتع بسيادته المطلقة فوق أرضه دون تدخل أو إملاء أو أوامر وقيود وحصار وإغلاق من أي طرف خارجي قوي مدعوم باكبر قوة في العالم ضد طرف لا يملك من مقومات الحياة الاّ القليل القليل ولا يدعم موقفه الا بعض الدول العربية الشقيقة وعلى رأسها القوة المركزية في العالم العربي والشرق العربي جمهورية مصر العربية التي تتصرف بحكمة على هدي مبادىء ترى الصورة بشموليتها ولا تهرول مثل غيرها للتطبيع قبل أن يحصل الشعب العربي الفلسطيني على حقوقه كاملة في وطنه.

إننا نعلم مثل غيرنا أن دول "الهرولة" تملك إمكانيات هائلة يمكن وضعها في خدمة المصحلة العربية والفلسطينية وتحقيق الكثير الكثير.

لكن يسبق كل عمل النيّة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى" ولو صدقت النوايا لوصلنا الى حلول عادلة لجميع القضايا.

وما هو الحلّ في رأيك أيها القاريء لقضية القدس؟ إن من حق القدس علينا ان نفكر جديا بالحلول التي تناسب وضعها الذي شغل العالم وسوف يشغله الى ان يتم وضع الحلّ العادل والدائم والثابت لهذه القضية التي هي في قلب كل عربي ومسلم.

خاتمة البحث

وأنهي هذا البحث بما بدأ به المؤرخ المرحوم عارف العارف كتابه: المفصّل في تاريخ القدس[٣٤] بما تناقلته كتب التراث عن العماد الأصفهاني:

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلاّ قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليل على استيلاء النقص على جُملة البشر".

مراجع

١. سورة الحشر ٥٩ الآية ١٩.
٢. مصداقا لقوله تعالى في سورة الحجر ٨٩ الآيات من ٢٧-٣٠.
٣. حبقوق ١٢:٢.
٤. ميخا ١٠:٣.
٥. ميخا ١٢:٣.
٦. مرقس ٢٤:١٥.
٧. الأنبياء ٢٣.
٨. مرقس ٢٤:١٥.
٩. انظر كتاب القوانين - دينيم حي ١٣٩٦٥.
١٠. وقائع جلسات الكنيست رقم ١٩٦٧١٤٩.
١١. وقائع جلسات الكنيست ٤٩ لسنة ١٩٦٧ ص ٢٤٢٥.
١٢. Report of the Secretary - General on Measures taken by Israel to change the status of the city of Jerusalem 22 UN
١٣. انظر قرارات المحكمة العليا، مجلد ٢٤ (٢) ص ٤١٩.
١٤. المرجع السابق، ص ٤٢٤.
١٥. قرارات المحكمة العليا ٢٣ (١) ص ٢٦٠
١٦. قرارات المحكمة العليا ٢٤ (٢) ص ١٤١، ١٧٤
١٧. قرارات المحكمة العليا ٢٢ (١) ص ٤٤٠
١٨. المرجع السابق، ص ٤٤٢.
١٩. عدد سكانها ٤٧٠٠ نسمة.
٢٠. سارة كامنكر مخططة مدينيّة ومستشارة سابقة في بلدية القدس الإسرائيلية.
٢١. مجلة الدراسات الفلسطينية صيف ١٩٩٤.
٢٢. انظر مقال الصحفي ناحوم بارنيع في صحيفة يديعوت احرونوت، الجمعة ١٩٩٥/٨/٢٥.
٢٣. ترجمة حرفية لهذا القانون من اللغة العبرية.

٢٤. قانون أساس رئيس الدولة لسنة ١٩٦٤، كتاب القوانين ٤٢٨ (٦٤/٦/٢٥) ص ١٨.
٢٥. قانون أساس الكنيست، كتاب القوانين ٢٤٤ (٥٨/٢/٢٠) ص ٦٩.
٢٦. قانون أساس الحكومة، كتاب القوانين ١٣٩٦ (٩٢/٤/١٤) ص ٢١٤.
٢٧. المقصود هنا هو اسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل في حينه والذي اغتاله الطالب الجامعي المتطرف اليهودي يغئال عمير يوم ١٩٩٥/١١/٤.
٢٨. طريق أوسلو – محمود عباس (أبو مازن) إصدار شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان – طبعة أولى ١٩٩٤.
٢٩. انظر محمود عباس = طريق أوسلو ص ٣٢٨.
٣٠. صدر بعد حرب أكتوبر ٧٣، بتاريخ ٧٣/١٠/٢٢.
٣١. أنظر صحيفة النهار المقدسية ١٩٩٤/١٢/٣١.
٣٢. انظر يديعوت أحرونوت ١٩٩٥/٨/٢٥ تقرير أريئيلا رينجل هوفمان.
٣٣. أنظر بهذا الصدد Jan de jong *"Jerusalem A city under Siege"* Challenge, vol. 3,2, No. 1.
٣٤. **المفصّل في تاريخ القدس** – تأليف المؤرخ الفلسطيني المرحوم عارف العارف الطبعة الثانية ربيع ثاني ١٤٠٦هـ كانون ثاني ١٩٦٨ مطبعة المعارف – القدس لأصحابها مشحور إخوان والناشر مكتبة الأندلس بالقدس لصاحبها فوزي يوسف.

ملحق رقم ١

צו סדרי השלטון והמשפט (מס' 1), התשכ"ז–1967[1]

בתוקף סמכותה לפי סעיף 11ב לפקודת סדרי השלטון והמשפט, התש"ח–1948, ובתוקף שאר סמכויותיה לפי כל דין אחר, מצווה הממשלה לאמור:

1. השטח של ארץ־ישראל המתואר בתוספת נקבע בזה כשטח שבו חלים המשפט, השיפוט והמינהל של המדינה.

2. לצו זה ייקרא "צו סדרי השלטון והמשפט (מס' 1), התשכ"ז–1967".

תוספת

מ־נ.צ. 1678613520 צפונה לאורך ואדי עיסא עד נ.צ. 1673613678 ומשם בקו ישר צפונית־מזרחית עד למפגש עם הדרך ב־נ.צ. 1675413700 ומשם מזרחה לאורך הדרך עד ל־נ.צ. 1678813706 ומשם בקו ישר ל־נ.ג. 777.3 הנמצאת ב־נ.צ. 1685413710 ומשם בקו ישר עד למפגש עם ואדי אל־עקבה ב־נ.צ. 1690013694 ומשם דרומית־מזרחית* לאורך הערוץ הצפוני של ואדי אל־עקבה עד למפגש עם ואדי א־שרקי ב־נ.צ. 1699813604 משם צפונה לאורך ואדי א־שרקי עד ל־נ.צ. 1705013712 ומשם בקו ישר צפונה עד ל־נ.ג. 703.2 הנמצאת ב־נ.צ. 1705813848 ומשם בקו ישר לנ.ג. 793.5 הנמצאת ב־נ.צ. 1703613938 משם בקו ישר צפונה עד למפגש עם הדרך ב־נ.צ. 1704213974 משם בקו ישר למרכז הכיפה הנמצאת ב־נ.צ. 1702014062 משם בקו ישר עד למפגש עם הדרך ב־נ.צ. 1701214114 ומשם בקו ישר צפונית־מערבית עד למפגש עם הדרך ב־נ.צ. 1697014136 משם צפונה לאורך הדרך עד להצטלבות הנמצאת ב־נ.צ. 1695414232 משם בקו ישר עד ל־נ.צ. 1697214294 משם מזרחה תוך עקיפת גבעה 826 מצפונה לאורך הדרך עד להצטלבות הנמצאח ב־נ.צ. 1703814336 ומשם בקו ישר מזרחה עד למפגש עם הכביש ב־נ.צ. 1710014332 ומשם דרומית־מזרחית עד ל־נ.ג. 835 הנמצאת ב־נ.צ. 1712214288 ומשם בקו ישר עד ל־נ.צ. 1715214164 משם דרומה במקביל לכביש ומצד מזרח לו במרחק של 20 מ' עד ל־נ.צ. 1718813882 משם מזרחה עד נ.צ.

1. ק"ת 2064, התשכ"ז (28.6.1967), עמ' 2690.

צו סדרי השלטון והמשפט (מס' 1), התשכ"ז–1967

1721813878 משם בקו ישר לחירבת שעב א־צירה הנמצאת ב־נ.צ. 1730013916 משם מזרחה עד להצטלבות הגאיות ב־נ.צ. 1736413914 משם דרומית־מזרחית לאורך הערוץ עד למפגש עם ואדי אבו־לטיה ב־נ.צ. 1744413852 משם בקו ישר דרומה עד להצטלבות הדרכים ב־נ.צ. 1744213838 משם דרומית־מערבית לאורך הדרך עד נ.צ. 1739413768 משם דרומה עד למפגש עם הדרך ב־נ.צ. 1738813752 משם דרומית־מזרחית לאורך הדרך עד למפגש עם ואדי אס־דרג' ב־נ.צ. 1752413696 משם דרומית־מערבית לאורך הואדי עד ל־נ.צ. 1743013554 משם בקו ישר למפגש הדרכים ב־נ.צ. 1744213526 משם בקו ישר דרומה עד למפגש עם ואדי סלים ב־נ.צ. 1743813456 ומשם דרומית־מזרחית לאורך ואדי סלים עד ל־נ.צ. 1746613424 משם בקו ישר דרומה עד ל־נ.צ. 1747013336 משם דרומית־מזרחית לאורך הגיא עד ל־נ.צ. 1750013300 משם בקו ישר דרומית־מערבית עד למפגש עם הדרך ב־נ.צ. 1746413252 משם מערבה לאורך הדרך עד להצטלבות הדרכים ב־נ.צ. 1744613248 משם בקו ישר דרומה עד להצטלבות הדרכים ב־נ.צ. 1744413194 משם בקו ישר עד למפגש עם הדרך ב־נ.צ. 1741013086 משם מערבה עד להצטלבות ב־נ.צ. 1739413086 משם דרומה לאורך הכביש עד להצטלבות ב־נ.צ. 1740213050 משם בקו ישר דרומה עד ל־נ.ג. 700.5 הנמצאת ב־נ.צ. 1740613002 משם בקו ישר דרומית־מזרחית עד למפגש עם הדרך ב־נ.צ. 1747012936 משם דרומה לאורך הדרך עד ל־נ.צ. 1750412844 משם בקו ישר דרומית־מערבית עד למהגש הדרכים ב־נ.צ. 1748212830 משם בקו ישר ל־נ.צ. 1747812826 משם בקו ישר דרומית־מערבית עד למפגש עם נחל קדרון ב־נ.צ. 1745612776 משם בקו ישר דרומית־מערבית עד למפגש עם הואדי ב־נ.צ. 1739212736 משם דרומה לאורך ואדי א־לוז עד ל־נ.צ. 1739212666 משם בקו ישר עד למפגש עם ואוי אל־חץ ב־נ.צ. 1737612590 משם בקו ישר דרומית־מערבית עד למפגש עם ואדי אל־פותת ב־נ.צ. 1732012528 משם בקו ישר דרומה עד ל־נ.ג. 616 הנמצאת ב־נ.צ. 1731212442 משם בקו ישר ל־נ.ג. 604 הנמצאת ב־נ.צ. 1727612412 משם בקו ישר צפונית־מערבית עד למפגש עם הדרך ב־נ.צ. 1727612448 משם צפונית־מערבית לאורך הגיא עד ל־נ.צ. 1717412500 משם בקו ישר ל־נ.צ. 1713612516 משם בקו ישר דרומית־מערבית עד ל־נ.צ. 1708412478 משם בקו ישר צפונית־מערבית עד ל־נ.ג. 782.9 הנמצאת ב־נ.צ. 1695012566 משם בקו ישר עד למפגש הדרכים ב־נ.צ. 1679812544 משם בקו ישר עד למפגש הדרכים ב־נ.צ. 1671212534 משם בקו ישר צפונית־מערבית עד ל־נ.צ. 1657212664 משם בקו ישר ל־נ.צ. 1646812678 משם בקו ישר ל־נ.צ. 1643812712.

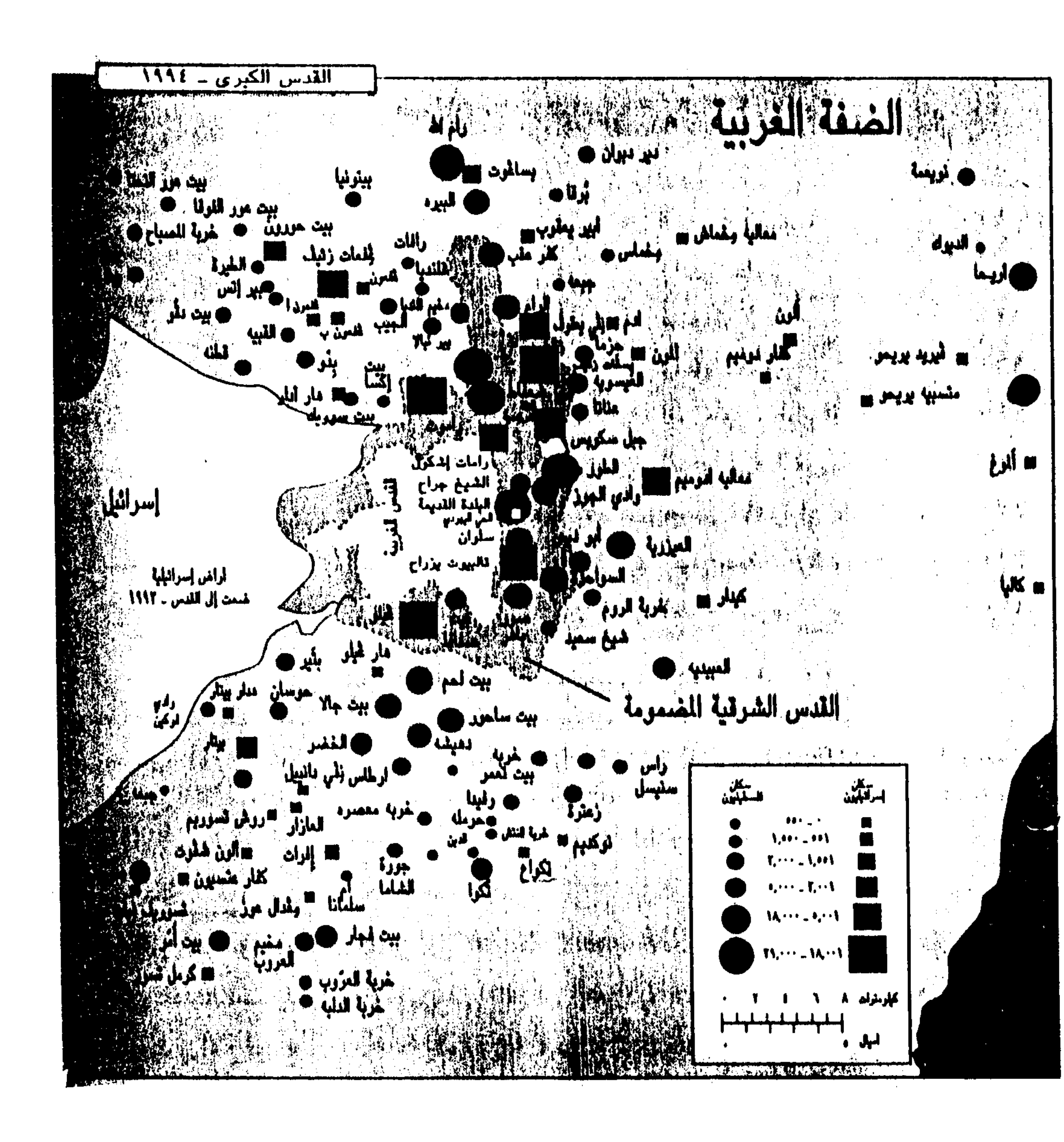
כ' בסיון התשכ"ז (28 ביוני 1967)

יעל עוזאי
מוזכירת הממשלה

14028

1.6.1992

ملحق رقم ٢



القدس الكبرى - ١٩٩٤
الضفة الغربية
إسرائيل
القدس الشرقية المضمومة
رام الله
البيره
بيتونيا
بيت ساحور
بيت لحم
بيت جالا
العيزرية
أبو ديس
سلوان
الشيخ جراح
البلدة القديمة
جبل سكوبس
الطور
بيت اكسا
العبيديه
راس
سكان إسرائيليون
سكان فلسطينيون
كيلومترات
أميال

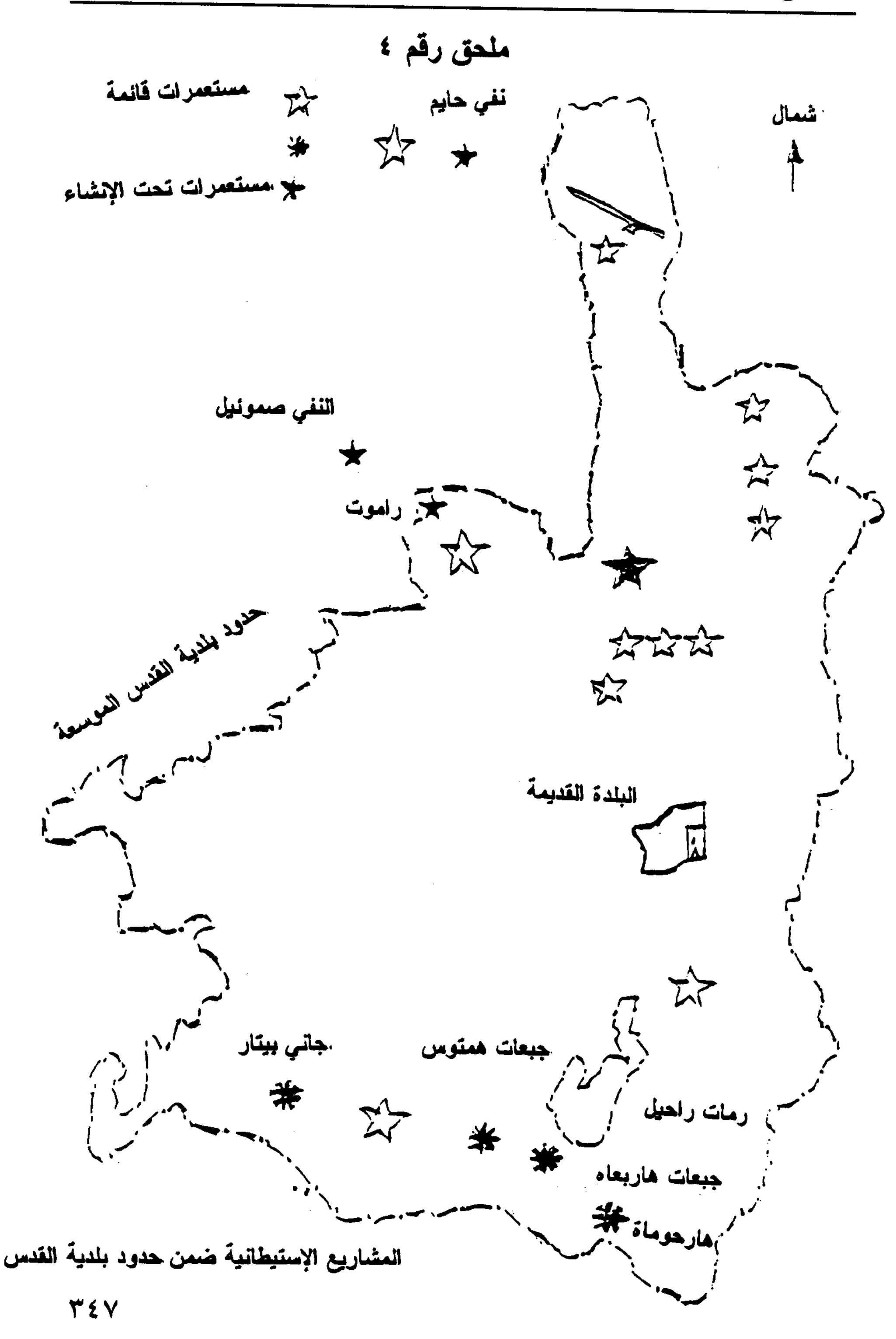
ملحق رقم ٣

سكان القدس (الشرقية والغربية) ١٩٦٧ - ١٩٩٣ (بحسب التقديرات الإسرائيلية)			
	١٩٦٧	١٩٨٠	١٩٩٣
إسرائيليون	١٩٦,٤٠٠ (٧٤٪)	٣٧٩,٠٠٠ (٧٢٪)	٤٠٠,٠٠٠ (٧٢٪)
فلسطينيون	٧٠,٠٠٠ (٢٦٪)	١٤٦,٠٠٠ (٢٨٪)	١٥٥,٠٠٠ (٢٨٪)
إجمالي السكان	٢٦٦,٠٠٠	٥٢٥,٠٠٠	٥٥٥,٠٠٠
إسرائيليون في القدس الشرقية	-----	١٢٠,٠٠٠	١٦٠،٠٠٠
المصدر : Settlement Report, September 1993 .			

سكان القدس الشرقية استناداً إلى الأحياء ١٩٩٣			
الأحياء الإسرائيلية			
نفي يعقوب	١٨,٨٠٠	جبل سكوبس	٢٥٠٠
بسجات زئيف	٢٩,٠٠٠	تلة الفرنسيين	٦٥٠٠
راموت	٣٧,٢٠٠	رامات إشكول	٦٦٠٠
تلبيوت الشرقية	١٥,٠٠٠	معالوت دفنه	٤٧٠٠
غيلو	٣٠,٢٠٠	المدينة القديمة	٢٣٠٠٠
مجموع السكان الإسرائليين: ١٥٢,٨٠٠			
الأحياء الفلسطينية			
كفر عقب	٥٢٠٠	المدينة القديمة	٢٥,٩٠٠
بيت حنينا	١٦,٩٠٠	وادي حلوة	٢٤٠٠
شعفاط	١١,٦٠٠	سلوان	٦٤٠٠
مخيم شعفاط	٦٩٠٠	راس العمود	٩٦٠٠
العيسوية	٤٧٠٠	أبو طور/جبل المكبر	٩٤٠٠
الشيخ جراح	٢٤٠٠	السواحرة الغربية	٨٣٠٠
وادي الجوز	٦٠٠٠	صور باهر/ أم طوبا	٧٢٠٠
باب الساهرة	٤١٠٠	بيت صفافا/شرفات	٤٦٠٠
جبل الزيتون	١٢,٧٠٠	أحياء أخرى	٦٣٠٠
مجموع السكان الفلسطينيين: ١٥٠,٦٠٠			
المصدر: "هآرتس"، ١٩٩٣/٨/١١ كما ورد في عدد شباط/ فبراير ١٩٩٤ الخاص من Settlement Report. وهذا الأرقام هي الأخيرة التي تفصل السكان بحسب الأحياء. ويشير Settlement Report الى التقديرات الشاملة الصادرة حديثا تقدر عدد السكان الإسرائيليين بـ ١٦٨,٠٠٠ نسمة، والفلسطينيين بـ ١٥٤,٠٠٠ نسمة.			

* في مكان آخر من العدد الخاص من Settlement Report الصادر في شباط/فبراير ١٩٩٤، جاء أن عدد الفلسطينيين القاطنين في القدس الشرقية هو بالتحديد ١٥٤,٠٠٠ نسمة. إلا ان هذا العدد يرتفع ليبلغ ١٨٠,٠٠٠ نسمة إذا أضيف إليه عدد الفلسطينيين الذين يقطنون المدينة من دون اذون إقامة.

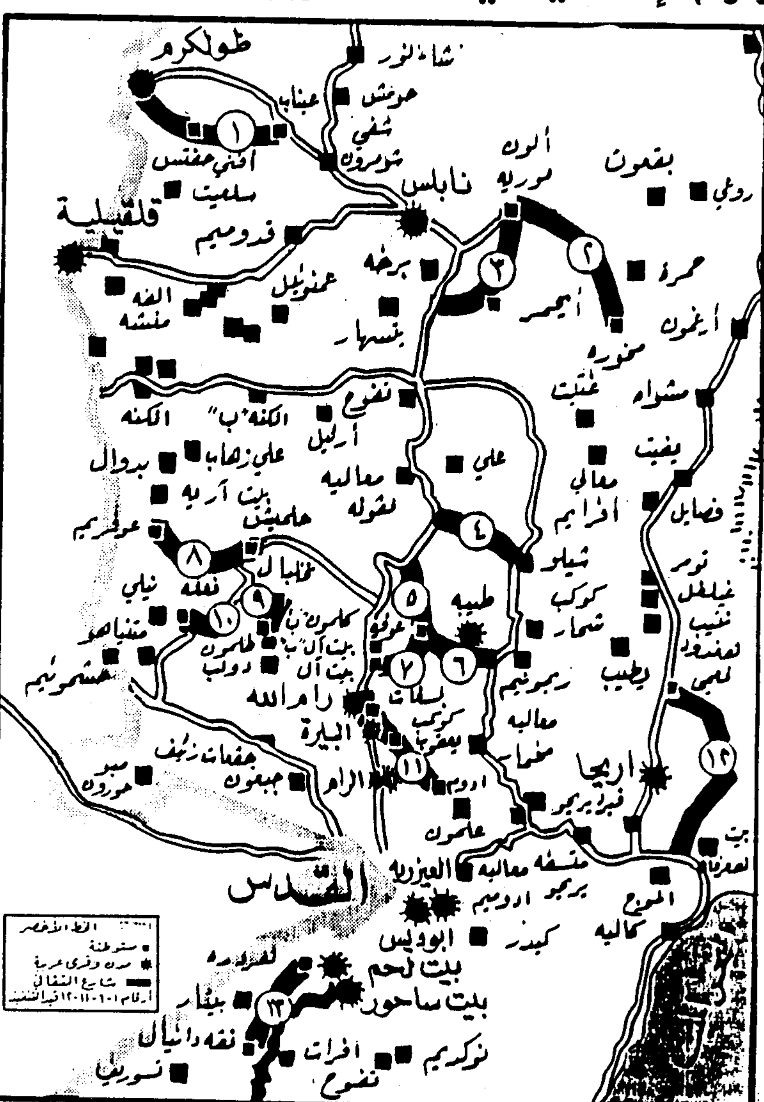
ملحق رقم ٤



المشاريع الإستيطانية ضمن حدود بلدية القدس

ملحق رقم ٥

الشوارع الإلتفافية في الضفة الغربية



• خارطة نشرتها صحيفة «هارتس» امس تظهر فيها الشوارع الالتفافية التي يتم العمل بها وتلك التي تم انجازها في الضفة

الشوارع الإلتفافية

١. يلتف حول طولكرم
٢. شارع آلون موريه – مخوره
٣. آلون موريه ايتمار.
٤. شيلو – شارع آلون
٥. يلتف حول رام الله من الشمال.
٦. يلتف حول رام الله من الجنوب.
٧. عوفره بيت ايل.
٨. يلتف حول عابود.
٩. طلمون نحليال.
١٠. راس كركر – نعله.
١١. بسجوت – كوكب يعقوب.
١٢. يلتف حول أريحا.
١٣. بشارع القدس – هارغيلو.

شوارع تحت التنفيذ

بسجوت – كوكب يعقوب – ٧,٥كم
بيت حجاي – منوح – ٦كم
التفافي حول رام الله من الجنوب (عبر عفرة ومخماس) – ١٢كم
(التفافي حول طولكرم (عبر افني حفتس وعيناب) – ١٠كم
(اليعازر – هارغيلو – ٨كم

شوارع تحت التخطيط

بدأ العمل ببعضها في هذه الأيام

شوارع بعرض ٧م

التفافي حول رام الله من الشمال (من شارع ٦٠ وحتى عوفرة) – ٥كم بتكاليف ١٨ مليون شيكل.
التفافي حول حلحول – ٢٠كم، ٥٠ مليون
شفي شومرون – قدوميم – ٥,٥كم – ١٤ مليون

شوارع بعرض ٦م

شيلو – شارع آلون – ٦كم بتكلفة ١٣مليون.
التفافي حول رام الله – بيت ايل – ٥كم، ١٤مليون.
التفافي حول عابود – ٩كم، ١٢مليون.
اورينت – حورشيم – ٢,٨كم ٧مليون
راس كركر – نعله – ٥كم ١٢مليون.

شوارع بعرض ٥م

التفافي حول جنين من الشرق – ٨,٥م ١٦مليون
آلون موريه ايتمار – ١٣كم ٢٦مليون
التفافي حول تسومت زيف – ١٠٥ كم ٣ مليون.

شوارع بعرض ٤ م

الون موريه-شارع الون-١١ كم ١٧ مليون.
طلمون نحليال – ٥ كم ٨ مليون.
هارغيلو – القدس – ٨ كم ١٥ مليون.
تسوفيم – ايل – ٤،١ كم ٧ مليون.

شوارع عسكرية

حتسور – ايلون – ٩ كم.
عليه الى جبل عيبال – ٨ كم.
التفافي حول قلنديا من الشمال – ١١ كم.

ملحق رقم ٦

MINISTER OF FOREIGN AFFAIRS

שר החוץ

749503

Jerusalem, October 11 1993

Dear Minister Holst,

I wish to confirm that the palestinian institutions of East Jerusalem and the interests and well-being of the palestinians of East Jerusalem are of great importance and will be preserved.

Therefore, all the palestinian institutions of East Jerusalem, including the economic, social, educational and cultural, and the holy Christian and Moslem places, are performing an essential task for the palestinian population.

Needless to say, we will not hamper their activity; on the contrary, the fulfilment of this important mission is to be encouraged.

Sincerely,

Shimon Peres
Foreign Minister of Israel

His Excellency
Johan Jorgen Holst
Foreign Minister of Norway



سحب مكتب الداخلية الإسرائيلية لبطاقات هوية مواطني القدس وقواعد القانون الدولي العام

موسى الدويك*

يسعدني ويشرفني أن أتحدث اليوم الى هذه النخبة المميزة من أبناء وطننا الغالي في موضوع هام يهمنا جميعا، على اعتبار أن هدفه الأول والأخير هو تقليص الوجود السكاني العربي في المدينة المقدسة تمهيدا لتقرير مصيرها النهائي حتى قبل الدخول في المفاوضات حول مستقبل مدينة القدس، هذا الموضوع هو قيام مكتب الداخلية الإسرائيلية في مدينة القدس ومنذ أوائل شهر نيسان الماضي بسحب بطاقات الهوية للمواطنين المقدسيين المقيمين خارج حدود بلدية القدس.

ولبيان الموقف القانوني الدولي حول الإجراءات السابقة فقد قسمت ورقتي هذه الى قسمين رئيسيين، أتحدث في الأول منهما عن مجموعة مقدمات أساسية وفي الثاني أتناول الجوانب القانونية التي تثبت بطلان وعدم مشروعية الإجراءات السابقة.

أولا: مقدمات أساسية

ترتكز هذه المقدمات على النقاط التالية:

١. إن موضوع سحب مكتب الداخلية لهويات بعض مواطني مدينة القدس الذين يقيمون خارج حدود بلدية القدس، ليس مجرد

---

* موسى دويك، دكتوراه في القانون الدولي، محاضر في كلية الحقوق-جامعة القدس، ومدير مركز المعلومات الفلسطيني لحقوق الإنسان (القدس).
محاضرة في الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

شائعات، وإنما هو حقيقة واقعة، كما انه ليس أمرا جديدا، وليد الساعة، وإنما هو أمر سابق ومبرمج [١] ، وقد يكون قد تم التخطيط والإعداد له منذ فترة ليست بالقصيرة.

٢. إن الهدف الرئيسي للحملة هو تقليص الوجود العربي الفلسطيني في مدينة القدس وذلك من خلال تقليص عدد السكان الفلسطينيين الى اقل عدد ممكن، مع دفع البعض الآخر نحو اكتساب الجنسية الإسرائيلية وتسهيل ذلك عليهم.

٣. لا يمكن لمكتب الداخلية في القدس أن يلجأ الى سحب بطاقات الهوية دون أن يكون لديه سند قانوني سواء كان ضعيفا أو قويا، وهذا السند هو المادة ١١ فقرة أ من قانون الدخول الى إسرائيل الصادر عام ١٩٧٤، وهذا القانون يحصر الحالات التي يجوز فيها سحب بطاقة الهوية في حالات ثلاث:

- إذا تواجد الشخص خارج إسرائيل فترة سبع سنوات على الأقل.
- إذا حصل الفرد على إقامة في دولة أخرى.
- إذا حصل على جنسية دولة أخرى بواسطة التجنس.

لذا فاستنادا للفقرة أ من المادة السابقة يقوم مكتب الداخلية بسحب بطاقات الهوية لمن يقيمون في مدن الضفة الغربية المحيطة بمدينة القدس وذلك على اعتبار أن تلك الضواحي هي خارج إسرائيل.

ولا شك أن هذا السند القانوني ضعيف ويمكن الطعن به أمام محكمة العدل الإسرائيلية العليا، (وهذا ما يراه المحامون الفلسطينيون الذين يترافعون أمام المحاكم الإسرائيلية)، غير أننا لا نحبذ هذا الطرح لأنه محفوف جدا بالمخاطر، كما أن صدور أي قرار من المحكمة العليا بتأييد موقف مكتب الداخلية، يعتبر مكسبا كبيرا لها ويقوي لديها السند القانوني.

وللدلالة على رأينا السابق نستشهد بقرار سبق وان صدر عن إحدى المحاكم اللوائية الإسرائيلية، في الدعوى التي أقامها أحد سكان مدينة القدس ضد مؤسسة

التأمين الوطني عام ١٩٧٩ حيث قامت بقطع المخصصات عنه لانتقاله للإقامة من داخل حدود بلدية القدس الى بلدة العيزرية الملاصقة لحدود المدينة، حيث أيدت تلك المحكمة موقف مؤسسة التأمين الوطني بقطع المخصصات استنادا الى المادة ١١ فقرة (أ). [٢] حيث قررت المحكمة انه "مع انتقال المدعي مع عائلته الى السكن في العيزرية ضمن مشروع "ابن بيتك" المشترك بين بلدية القدس، وبين شركة "بوني هآرتس" لم يعد المدعي مقيما في القدس، وليس مهما أن الانتقال الى العيزرية تم بتشجيع من بلدية القدس".

٤. بناء على ما سبق نرى انه من الأقوى والاجدر طرح الموضوع على الجانب السياسي الإسرائيلي استنادا الى قواعد القانون الدولي العام، ومبادىء وأحكام القانون الدولي الإنساني، والقرارات الصادرة عن الهيئات والمحافل الدولية المختلفة والتي تعتبر مدينة القدس أرضا محتلة يسري عليها ما ينطبق على سائر الأراضي العربية التي احتلت اثر حرب سنة ١٩٦٧، كما سأوضح الآن بالتفصيل، أما المراجعات الفردية، والحلول الشخصية فإنها تدعم الموقف الإسرائيلي خاصة وانه يبرر إجراءاته استنادا الى قانون الدخول الى إسرائيل لعام ١٩٧٤ الذي لا نعترف نحن الفلسطينيون، وسائر المجتمع الدولي بشرعيته.

ثانيا: الجوانب القانونية

لا يجوز من وجهة نظرنا مناقشة الحجج الإسرائيلية في سحب بطاقات الهوية من سكان مدينة القدس استنادا الى نص قانون الدخول الى إسرائيل لعام ١٩٧٤م، وذلك لأننا، ووفقا لأحكام القانون الدولي العام لا نعترف بشرعية ذلك القانون، ولا بشرعية جميع الإجراءات التي تبنى عليه استنادا الى المبدأ القانوني العام والمتعارف عليه بان "ما بني على الباطل فهو باطل".

فالقانون السابق وجميع القوانين والأنظمة التي أصدرتها إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ في مدينة القدس ليس لها سند قانوني وفقا لقواعد القانون الدولي، والقانون الدولي الإنساني (الذي تحمي قواعده السكان المدنيين زمن الحرب) وذلك للأسباب التالية:

١. القدس جزء لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية التي احتلت بعد حرب ١٩٦٧، واحتلالها ناجم عن عمل عسكري مسلح، لذا فان أحكام اتفاقيات جنيف عام ١٩٤٩ هي الواجبة التطبيق على تلك الأراضي [٣]، وذلك لان إسرائيل قد صادقت على هذه الاتفاقيات بتاريخ ١٩٥١/٧/٦م. [٤] ووفقا لأحكام المادة السادسة من اتفاقية جنيف الرابعة تخضع الأراضي المحتلة بما فيها القدس للحماية الواردة في أحكام هذه الاتفاقية وتنص المادة ٦ على ما يلي: "تطبق هذه الاتفاقية بمجرد بدء أي نزاع أو احتلال وردت الإشارة إليه في المادة ٢، يوقف تطبيق هذه الاتفاقية في الأراضي المحتلة بعد عام واحد من انتهاء العمليات الحربية بوجه عام، ومع ذلك تلتزم دولة الاحتلال بأحكام المواد التالية من هذه الاتفاقية: من ١ الى ١٢، ٢٧ ومن ٢٩ الى ٣٤، و٤٧ و٤٩ و٥١ و ٥٢ و ٥٩ ومن ٦١ الى ٧٧ و ١٤٣ وذلك طوال مدة الإحتلال ما دامت هذه الدولة تمارس وظائف الحكومة في الأراضي المحتلة. [٥]

٢. لا تستطيع إسرائيل أن تحتج بان الفلسطينيين المقيمين في القدس قد تنازلوا عن الحماية المقررة لهم في الاتفاقية الرابعة، لان كل تنازل عن الحماية باطل وفقا للمادة ٨ من الاتفاقية الرابعة والتي تنص بصراحة على انه "لا يجوز للأشخاص المحميين التنازل في أي حال من الأحوال جزئيا أو كليا عن الحقوق الممنوحة لهم بمقتضى هذه الاتفاقية، أو بمقتضى الاتفاقات الخاصة المشار إليها في المادة السابقة إن وجدت". [٦]

٣. لا تستطيع إسرائيل أن تبرر إجراءاتها تجاه مواطني مدينة القدس بحجة أنها قد ضمت المدينة إليها بعد عام ١٩٦٧ لان ذلك يتناقض صراحة مع نص المادة ٤٧ من الاتفاقية الرابعة والتي تنص على انه "لا يحرم الأشخاص المحميون الذي يوجدون في أي إقليم محتل بأي حال ولا بأية كيفية من الانتفاع بهذه الاتفاقية، سواء بسبب أي تغيير يطرأ نتيجة أي اتفاق يعقد بين سلطات الإقليم المحتل ودول الاحتلال، أو كذلك بسبب قيام هذه الدولة بضم كل أو جزء من الأراضي المحتلة". [٧]

٤. بما أن إسرائيل قد صادقت على اتفاقيات جنيف الأربع بتاريخ ١٩٥١/٧/٦، لذا فانه يتعين عليها أن تعمل على احترامها وحسن تطبيق كل ما جاء فيها، نظرا لأنه القانون الدولي للمعاهدات ينص على وجوب أن تطبق الدول بحسن نية المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي توقعها وتصادق عليها، ويعتبر مبدأ حسن النية في تطبيق المعاهدات مبدأ مهما في القانون الدولي نصت عليها المادة ٢ فقرة ٢ من ميثاق الأمم المتحدة، كما تم النص عليه أيضا في المادة ٢٧ من معاهدة فينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩ والتي دخلت حيز التنفيذ عام ١٩٨٠.(٨)

٥. حتى ولو تنصلت إسرائيل من التزامها المنبثق عن اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ متذرعة بأنها لم تكن البادئة في حرب عام ١٩٦٧ فان القانون الدولي العام لا يقرها على ذلك، فسواء كانت إسرائيل هي المعتدي في حرب سنة ١٩٦٧، أو لم تكن، فان مما لا شك فيه ان احتلالها لتلك الأراضي قد تم باستخدام القوة المسلحة، ووفقا لقواعد القانون الدولي فانه لا يجوز اكتساب الأراضي عن طريق الحرب، كما لا يجوز جني ثمار العدوان. وقد تم قول هذا المبدأ دوليا في مؤتمر البلدان الاميركية الذي عقد في عام ١٨٩٠، كما تأكد من جديد في إعلان بيونس ايريس عام ١٩٣٦، وإعلان ليما عام ١٩٣٨، وميثاق بوغاتا لمنظمة الدول الأمريكية عام ١٩٤٨، بالإضافة الى انه قد تم التسليم به في النقاط الأربع عشر التي يقدمها الرئيس ويلسون، وطبق في التسويات السلمية التالية للحرب العالمية الأولى. (٩) وقد أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عددا من القرارات التي تؤكد مبدأ عدم جواز اكتساب الأراضي بالقوة منها على سبيل المثال القرار (٢٥) ٢٦٢٨ المؤرخ في ١٩٧٠/١١/٤، والقرار (٢٦) ٢٧٩٩ المؤرخ في ١٩٧١/١٢/١٣م، والقرار (٢٦) ٢٩٤٩ الصادر في ١٩٧٢/١٢/٨م. (١٠)

٦. حتى ولو سلمنا جدلا بان إسرائيل غير ملزمة بتطبيق اتفاقية جنيف الرابعة متذرعة ببعض الحجج والمبررات التي لا تصمد أمام المنطق القانوني الدولي السليم منها مثلا نظرية الدفاع الشرعي الوقائي، وفراغ السيادة (١١) الذي نادى به البروفسيور يهودا بلوم (أستاذ القانون الدولي العام في جامعة تل أبيب

ومندوب إسرائيل الأسبق في الأمم المتحدة) فان إسرائيل ملزمة باحترام اتفاقيات لاهاي لعام ١٨٩٩ و ١٧٠٧ على اعتبار انهما يشكلان جزءًا من القانون الدولي العرفي. والقانون الدولي العرفي يمتاز بكونه ملزما لجميع الدول سواء من شارك في صنعه أو من لم يشارك، وسواء كانت الدولة موجودة وقت صنع قواعده أم لا [١٢]، وهذا ما أقرته محكمة العدل الإسرائيلية العليا في حكمها الصادر عام ١٩٧٩ في قضية مستوطنة روجيب (ايلون موريه) حيث جاء فيه "إن القانون العرفي الدولي يشكل جزءا من القانون المحلي في إسرائيل". كما نصت في نفس الحكم على أن أحكام لاهاي ملزمة للإدارة العسكرية في (يهودا والسامرة) لأنها جزء من القانون الدولي العرفي". [١٣]

٧. أخيرا فان إسرائيل لا تستطيع أن تبرر إجراءاتها بسحب هوية مواطني مدينة القدس استنادا الى المادة ١١/أ من قانون الدخول الى اسرائيل لأن هذا القانون باطل ومخالف للمادة ٤٣ من اتفاقية لاهاي والتي لم تمنح لسلطات الاحتلال سوى صلاحيات مؤقتة [١٤] ومحدودة وضرورية للنظام العام، أو دواعي الأمن بالقدر الذي تقتضيه الضرورة العسكرية [١٥]، حيث لا يجوز لها أن تصدر كافة أنواع التشريعات وبغض النظر عن موضوعها أو توقيتها، كما لا يجوز أن تغير أو تعدل الأوضاع التشريعية أو القضائية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، وإذا ما تم مثل هذا التصرف (غير الجائز أصلا) فانه يتعين على المحتل عند ذلك مراعاة مصلحة الشعب الرازح تحت الاحتلال. [١٦]

كما تشير المادة ٤٣ من لائحة لاهاي انه يجب على القائم بالاحتلال أن يحترم القوانين السائدة في الإقليم الخاضع للاحتلال ما لم يتعذر ذلك، غير انه لا يجوز تفسير تعذر الاحترام على انه يبيح للقائم بالاحتلال أن يجري ما يرغب من التغيرات في القوانين والتشريعات السائدة في ذلك الإقليم لأنه هذا يعتبر اغتصابا غير مشروع لحقوق السيادة. [١٧]

نخلص من كل ما سبق الى أن جميع الإجراءات التي يتخذها مكتب الداخلية في القدس بحق مواطني المدينة هي إجراءات باطلة ومخالفة لأحكام القانون الدولي العام، وقواعد القانون الدولي الإنساني، والمبادىء العامة للقانون التي أقرتها الأمم

المتحدة، لان هذه الإجراءات تستند الى قانون الدخول الى إسرائيل الصادر عام ١٩٧٤ أي بعد خضوع مدينة القدس للاحتلال العسكري الإسرائيلي، والاحتلال الحربي لا يمنح للمحتل رخصة التشريع وبذلك يكون ذلك القانون باطلا، وكل ما بني عليه من إجراءات أو أحكام أو تصرفات باطلة أيضا، تطبيقا للمبدأ العام في القانون "كل ما بني على الباطل فهو باطل". (١٨)

الهوامش

١. انظر اللقاء الذي اجرته صحيفة القدس مع يوسف طوف مدير دائرة تسجيل السكان في وزارة الداخلية الاسرائيلية بتاريخ ٥/٤/١٩٩٥.
٢. انظر الملف رقم ٢٦١/م ح عزمي رابية ضد مؤسسة التأمين الوطني.
٣. Frarah Mohammad, *legal status of Israel and the occupied Territories* (university of Chicago), association of Arab - American university Graduates, INC, Detroit, Michigan April 1975, p.45, see also Richardson John, the West Bank, A portrait (special study 5) the Middle East Institute, Washington D.C. 1984, p.68.
٤. انظر ابراهيم شعبان، **الانتفاضة الفلسطينية في عامها الأول**، دراسة في ضوء أحكام القانون الدولي العام، ص ٣٩.
٥. انظر اتفاقيات جنيف المؤرخة في ١٢ آب / اغسطس ١٩٤٩، اللجنة الدولية للصليب الأحمر جنيف ١٩٨٧، ص ١٨٦.
٦. المرجع السابق، ص ١٨٧.
٧. المرجع السابق، ص ٢٠٣.
٨. انظر د. غسان الجندي، **قانون المعاهدات الدولية عمان - الأردن**، ١٩٨٨ ص ١٠٥-١٠٦.
٩. *The legal status of the West Bank and Gaza*, prepared under the Quidance of the Committee on the Inalienable rights of the Palestinian people, United Nations, New York 1982, p10.
١٠. Ibid, p.15.
١١. Blum, Yahuda Z. the missing reversioner: *reflections on the status of Judea and samaria, in the Arab - Israeli conflict* vol.11 edited by John Norton Moore, the American society of International law 1974, pp. 287-312.

١٢.وانظر في الرد على ذلك وتفنيده رسالتنا للدكتوراة بعنوان **المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة في ضوء قواعد القانون الدولي العام** / المقدمة الى كلية الحقوق / جامعة القاهرة ١٩٩٢، ص ٣٥٤-٣٦١.

١٣.انظر كتابنا **محاضرات في القانون الدولي العام**، دار الحسن للطباعة والنشر، طبعة أولى ١٩٨٧/٨٦، ص ٥٥.

١٤.انظر قرار محكمة العدل الإسرائيلية العليا، رقم ٧٩/٣٩٠.

١٥.انظر الأستاذة الدكتورة عائشة راتب، **بعض الجوانب القانونية في النزاع العربي الإسرائيلي**، دار النهضة العربية، القاهرة، عام ١٩٦٩، ص ١١٠.

١٦.انظر الأستاذ الدكتور صلاح الدين عامر، الحق في التعليم في الأراضي العربية المحتلة، **المجلة المصرية للقانون الدولي**، المجلد الرابع والثلاثون عام ١٩٧٨، ص ١٠٧، وانظر أيضا د. عثمان التكروري وعمر ياسين، **الضفة الغربية وقانون الاحتلال الحربي** إصدار مركز الدراسات في نقابة المحامين، مركز القدس عام ١٠٨٦، ص ٢٨.

١٧.انظر رسالتنا للدكتوراة المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة، مرجع سابق، ص ١٧٦.

١٨.انظر الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام، **قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية**، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ص ٦٧١.

الإستيطان في مدينة القدس

خليل التفكجي*

مقدمة:

تلعب الحدود السياسية دورا هاما في تحديد العلاقة ما بين رجل القانون، والسياسي والمؤرخ والجغرافي، إذ ان لكل واحد منهم وجهة نظر مختلفة، فرجل القانون يحدد الحدود التي تخضع للسيادة وإشراف السلطة وإخضاعها لقوانينها، بينما يحدد السياسي النظام الأيدلوجي والإقتصادي والإجتماعي والسياسي. أما الجغرافي فهو يهتم بدراسة الحدود السياسية بإعتبارها جزءا من (اللاندسكيب). ولا شك في أن جميع هذه العناصر لعبت دورا هاما في ترسيم حدود بلدية القدس. فقد كان للموقع الجغرافي الذي يجمع بين ميزتين، ميزة الإنغلاق وما يوفره من حماية للمدينة، وميزة الإنفتاح وما يتبعه من إتصال بالمناطق والأقطار المجاورة، دوره في تحديد الحدود. كذلك لموقع القدس الجغرافي أهمية خاصة في المجال العسكري نظرا للتضاريس الطبيعية التي تعزز الدفاع عنه. ولا يقل موضوع المدينة أهمية عن موقعها، فهو موضوع ديني دفاعي يجمع بين قدسية المكان وسهولة الدفاع عنه.

نشأت النواة الأولى لمدينة القدس على (تل أوفيل) المطل على قرية سلوان، حيث إختير

* خليل التفكجي، مدير دائرة الخرائط في جمعية الدراسات العربية – القدس. مقال لكتاب القدس.

هذا الموقع لأسباب أمنية، وساعدت عين سلوان في توفير المياه للسكان، وهجرت هذه النواة الى مكان آخر هو (جبل بزيتا) ومرتفع موريا الذي تقع عليه قبة الصخرة المشرفة. وأحيطت المدينة بالأسوار، ثم بدأت بالتقلص حتى بنى السلطان العثماني (سليمان القانوني) السور الحالي محددا حدود القدس القديمة جغرافيا بعد أن كان سورها يمتد شمالا حتى وصل في مرحلة من المراحل الى منطقة المسجد المعروف (مسجد سعد وسعيد). وفي عام ١٨٦٣ تأسست أول بلدية للقدس. وفي منتصف القرن التاسع عشر بدأت الأحياء اليهودية تظهر طابع هذه الحدود، لتبدأ في رسم الحدود السياسية لمدينة القدس. ومن أجل هدف أيدولوجي أقيم حي (يمين موشيه) عام ١٨٥٠ في منطقة جورة العناب ليكون نواة لأحياء يهودية تقام خارج الأسوار بإتجاه الجنوب الغربي والشمال الغربي والغرب. ثم أقيم حي (مئة شعاريم) في منطقة المصرارة، و(ماقور حاييم) المسكوبية في عام ١٨٥٨.

ونتيجة لنشوء الضواحي الإستيطانية في المنطقة العربية، ونتيجة للزعم الصهيوني بأن القدس كانت دائما ذات أغلبية يهودية، علما بأن مساحة الحي اليهودي في القدس لم تتجاوز مساحة ٥ دونم وعدد سكانه لم يتجاوز التسعين أسرة، فان حكومة الإنتداب البريطاني وقادة الصهيونية اتفقوا على رسم حدود البلدية بطريقة ترتبط بالوجود اليهودي، حيث امتد الخط من الجهة الغربية عدة كيلومترات (جبعات شاؤول، سكنات مونتفيوري، بيت هاكيرم، شكنات هبو عليم، بيت فجان) التي تبعد ٧ كم عن أسوار المدينة، بينما اقتصر الإمتداد من الجوانب الجنوبية والشرقية على بضع مئات من الأمتار، وقفت حدود البلدية أمام مداخل القرى العربية المجاورة للمدينة ومنها قرى عربية كبيرة، خارج الحدود (الطور، شعفاط، لفتا، دير ياسين، سلوان، العيسوية، عين كارم، المالحة، بيت صفافا) رغم ان هذه القرى تتاخم المدينة حتى تكاد تكون كل منها ضاحية من ضواحيها.

ثم جرى ترسيم الحدود البلدية عام ١٩٢١ حيث ضمت حدود البلدة القديمة وقطاعا عرضيا بعرض ٤٠٠م على طول الجانب الشرقي لسور المدينة بالإضافة الى أحياء (باب الساهرة، وادي الجوز، الشيخ جراح) من الناحية الشمالية، ومن الناحية الجنوبية انتهى خط الحدود الى سور المدينة فقط، أما الناحية الغربية والتي تعادل مساحتها اضعاف القسم الشرقي، فقد شملتها الحدود لإحتوائها تجمعات يهودية

كبيرة بالإضافة الى بعض التجمعات العربية (القطمون، البقعة الفوقا والتحتا، الطالبية، الوعرية، الشيخ بدر، ومأمن الله).

أما المخطط الثاني لحدود البلدية فقد وضع عام ١٩٤٦ بقصد توسيع منطقة خدماتها، غير أن التوسيع تركز أيضا على القسم الغربي حتى يمكن إستيعاب وضم الأحياء اليهودية الجديدة التي بقيت خارج منطقة التنظيم العام ١٩٣١، وفي الجزء الشرقي أضيفت قرية سلوان من الناحية الجنوبية، ووادي الجوز، وبلغت مساحة المخطط ٢٠،١٩٩ دونما توزعت ملكية أراضيها كما يلي:

١	أملاك عربية	٤٠٪
٢	أملاك يهودية	٢٦،١٢٪
٣	أملاك مسيحية	١٣،٨٦٪
٤	أملاك حكومية وبلدية	٢،٩ ٪
٥	طرق، سكك حديدية	١٧،١٢٪
	المجموع	١٠٠٪

وتوسعت المساحة المبنية من ٤١٣٠ دونما عام ١٩١٨ الى ٧٢٣٠ دونما عام ١٩٤٨. وجاء قرار التقسيم والتدويل ١٩٤٧-١٩٤٩ لأن فكرة تقسيم وتدويل القدس لم تكن جديدة، فقد طرحتها اللجنة الملكية بخصوص فلسطين (لجنة بيل)، حيث اقترحت اللجنة إبقاء القدس وبيت لحم إضافة الى اللد والرملة ويافا خارج حدود الدولتين (الهيودية والعربية) مع وجود معابر حرة وآمنة. وجاء قرار التقسيم ليوصي مرة أخرى بتدويل القدس. وقد نص القرار على ان القدس ستكون (منطقة منفصلة) تقع بين الدولتين (العربية واليهودية) وتخضع لنظام دولي خاص وتدار من قبل الأمم المتحدة بواسطة مجلس وصاية يقام لهذا الخصوص. وقد حدد القرار المذكور حدود القدس الخاضعة للتدويل بحيث شملت اضافة الى المدينة ذاتها (أبو ديس شرقا، بيت لحم جنوبا، عين كارم، موتسا، قالونيا غربا، وشعفاط في الشمال) (خارطة رقم ٢).

ولكن حرب عام ١٩٤٨، وتصاعد المعارك الحربية التي أعقبت التقسيم أدت الى تقسيم المدينة الى قسمين. ففي تاريخ ١٩٤٨/١١/٣٠ وقعت السلطات الإسرائيلية والأردنية على إتفاق وقف إطلاق النار بعد أن تم تعيين خط تقسيم القدس بين القسمين الشرقي والغربي للمدينة في ١٩٤٨/٧/٢٢. وهكذا فإنه مع نهاية عام ١٩٤٨ كانت القدس قد تقسمت الى قسمين وتوزعت حدودها نتيجة لخط وقف النار الى:

١	مناطق فلسطينية تحت السيطرة الأردنية	٢،٢٢٠ دونما	١١،٤٨ ٪
٢	مناطق فلسطينية محتلة (الغربية)	١٦،٢٦١ دونما	٤٨،١٣ ٪
٣	مناطق حرام ومناطق للأمم المتحدة	٨٥٠ دونما	٤،٣٩ ٪
	المجموع	**١٩،٣٣١ دونما**	١٠٠ ٪

وهكذا، وبعد اتفاق الهدنة بين الطرفين الأردني والإسرائيلي في ١٩٤٩/٣/٤، تأكدت حقيقة اقتسام القدس بينهما انسجاما مع موقفهما السياسي المعارض لتدويل المدينة. وفي ١٩٥١/٧/١٣ جرت أول انتخابات لبلدية القدس العربية، وقد أولت البلدية اهتماما خاصة بتعيين وتوسيع حدودها البلدية وذلك لإستيعاب الزيادة السكانية واستفحال الضائقة السكنية. وصودق على أول مخطط يبين حدود بلدية القدس (القدس الشرقية) في ١٩٥٢/٤/١، وقد ضمت المناطق التالية الى مناطق نفوذ البلدية: (قرية سلوان، راس العامود، الصوانة، أرض السمار، والجزء الجنوبي من قرية شعفاط). وأصبحت المساحة الواقعة تحت نفوذ البلدية ٦،٥ كم^{٢} في حين لم تزد مساحة الجزء المبني منها عن ٣ كم^{٢}. وفي ١٩٥٧/٢/١٢ قرر مجلس البلدية توسيع حدود البلدية نتيجة للقيود التي وضعها كاندل في منع البناء في سفوح جبل الزيتون والسفوح الغربية والجنوبية لجبل المشارف (ماونت سكوبس). بالإضافة الى وجود مساحات كبيرة تعود للأديرة والكنائس، ووجود مشاكل أخرى مثل كون أغلبية الأرض مشاعا ولم تجر عليها التسوية (الشيخ جراح، شعفاط). وهكذا، في جلسة لبلدية القدس بتاريخ ١٩٥٨/٦/٢٢ ناقش المجلس مشروع توسيع حدود البلدية شمالا بحيث تشمل منطقة بعرض ٥٠٠م من كلا جانبي الشارع الرئيسي المؤدي

الى رام الله ويمتد حتى مطار قلنديا. واستمرت مناقشة موضوع توسيع حدود البلدية بما في ذلك وضع مخطط هيكلي رئيسي للبلدية حتى عام ١٩٥٩، دون نتيجة. وفي أيلول عام ١٩٥٩، تم الإعلان عن تحويل بلدية القدس الى أمانة القدس. ولكن هذا التغيير في الأسماء لم يتبعه تغيير في حجم الميزانيات أو المساعدات. وفي عام ١٩٦٤، وبعد انتخابات عام ١٩٦٣، كانت هناك توصية بتوسيع حدود بلدية القدس لتصبح مساحتها ٧٥كم٢، ولكن نشوب حرب عام ١٩٦٧ أوقف المشروع، وبقيت حدودها كما كانت عليه في الخمسينات. أما القدس الغربية فقد توسعت بإتجاه الغرب والجنوب الغربي (وضمت اليها أحياء جديدة منها كريات يوفيل، كريات مناحيم، عير غانيم، وقرى عين كارم، بيت صفافا، دير ياسين، لفتا والمالحة، لتبلغ مساحتها ٣٨ كم٢). وقد شرعت بلدية القدس الغربية بإعداد مخطط هيكلي للمدينة في عام ١٩٦٤ ثم أعيد تصميمه عام ١٩٨٦ (خارطة رقم ١).

حرب حزيران وتوسيع الحدود:

اندلعت حرب عام ١٩٦٧، فإحتلت إسرائيل شرقي القدس، وبدأت خطوات تهويد المدينة، واتفقت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة سواء حكومات المعراخ أو الليكود على هذه السياسة، ووضعت البرامج الإستراتيجية والتكتيكية لبلوغ هذا الهدف. فبعد الإعلان عن توسيع حدود بلدية القدس وتوحيدها بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٨، وطبقا للسياسة الإسرائيلية للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأرض مع أقل عدد ممكن من السكان العرب، رسم (رحبعام زئيفي) حدود البلدية لتضم أراضي ٢٨ قرية ومدينة عربية، وإخراج جميع التجمعات السكانية العربية لتأخذ هذه الحدود وضعا غريبا، فمرة مع خطوط التسوية (الطبوغرافية) ومرة أخرى مع الشوارع. وهكذا بدأت حقبة أخرى من رسم حدود البلدية، لتتسع مساحة بلدية القدس من ٦،٥ كم٢ الى ٧٠،٥ كم٢ وتصبح مساحتها مجتمعة (الشرقية والغربية ١٠٨،٥ كم٢) لتتسع مرة أخرى عام ١٩٩٠ بإتجاه الغرب لتصبح مساحتها الآن ١٢٣ كم٢. (خارطة رقم ٣).

ومنذ الساعات الأولى للإحتلال، بدأت الجرافات الإسرائيلية والسياسة الإسرائيلية في رسم المعالم لتهويد القدس من أجل فرض الأمر الواقع وخلق ظروف

(جيوسياسية) يصعب على السياسي أو الجغرافي إعادة تقسيمها مرة أخرى، فبدأت بوضع الأساسات لبناء الأحياء اليهودية في القدس الشرقية لتقام عليها سلسلة من المستوطنات أحاطت بالقدس من جميع الجهات وملأتها بالمستوطنين لتخلق واقعا جغرافيا وديموغرافيا وخلخلة سكانية في القدس العربية. وبعد ان كان السكان الفلسطينيون يشكلون أغلبية عام ١٩٦٧، اصبحوا أقلية عام ١٩٩٥، وبعد ان كانوا يسيطرون على ١٠٠٪ من الأراضي، أصبحوا يسيطرون على ٢١٪ من الأراضي بعد عمليات المصادرة، وإقامة المشاريع الإستيطانية عليها، وفتح الطرق، والبناء ضمن الأحياء العربية، لتأتي مرحلة أخرى من مراحل التهويد ورسم الحدود. وهي حدود القدس الكبرى (المتروبوليتان) لتشمل أراضي تبلغ مساحتها ٨٤٠ كم^{2} أو ما يعادل ١٥٪ من مساحة الضفة الغربية، ولتبدأ حلقة أخرى من إقامة المستعمرات خارج حدود البلدية، ولكن هدفها هو التواصل الإقليمي والجغرافي ما بين المستعمرات خارج حدود البلدية والواقعة في الضفة الغربية، بالإضافة الى إقامة شبكة من الطرق تصل ما بين هذه المستعمرات. وهكذا فان خارطة الحكومة الإسرائيلية للإستيطان تشمل إفرات وغوش عتصيون ومعاليه أدوميم، وجبعات زئيف، ويجري البناء فيها بطاقة كاملة.

(وقد أشار باحثو الجغرافية منذ سنوات طويلة الى الصلة الوثيقة بين حدود بلدية القدس وبين القدس الكبرى). خارطة رقم ٣.

السكان والمساحة

١. *السكان*

تشكل زيادة عدد السكان اليهود داخل وحول القدس جزءا أساسيا، من الإستراتيجية الإسرائيلية لضمان سيادتها المستمرة. وقد وزع السكان اليهود في كل مكان من القدس الشرقية التي ضمت عن طريق بناء أحياء جديدة قريبة ذات كثافة

سكانية عالية. وقد تركزت معظم هذه الزيادة في عدد السكان اليهود في هذه المستعمرات، وكانت نتيجة ذلك ان حققت إسرائيل أغلبية يهودية على الفلسطينيين في القدس الشرقية (١٦٥ ألفا مقابل ١٦٠،٨ ألف فلسطيني) وبلغ عدد اليهود في القدس الشرقية والغربية حوالي (٤٠٦،٤ ألف نسمة) أو ما يعادل ٧١،٧٪. وحينما يتم اشغال آلاف المنازل التي يجري التخطيط لها، والتي في طور البناء في المستعمرات، فإن عدد السكان الإسرائيليين في القدس الشرقية سوف يتفوق على عدد الفلسطينيين لتصل ١،٣ ولتصل نسبة الفلسطينيين الى ٢٢٪ من المجموع العام. (يبلغون اليوم ٢٨،٣٪ من المجموع العام لسكان القدس. (خارطة رقم ٣)

٢. *المساحة*

تحتاج المستعمرات والشوارع التي ستخدم الزيادة الهائلة في عدد المستوطنين الى مساحات من الأراضي، ونتيجة لذلك فإنه يتم تقليص المساحة التي يعيش فيها الفلسطينيون بشكل مبرمج من خلال قوانين التخطيط والقيود على رخص البناء، ومصادرة الأراضي، بالإضافة الى (البروتوكولات) التي تعتبر نموذجا متطورا في منع البناء العربي. ففي المناطق العربية يمنع البناء بأكثر من ٣ طوابق كأقصى حد، بينما في المناطق اليهودية تكون نسبة النباء عالية جدا تصل الى ٨ طوابق. ولهذه الأسباب ونتيجة للزيادة السكانية الفلسطينية فإن الفلسطينيين يجبرون على مغادرة الأحياء العربية المركزية الى الأحياء خارج حدود بلدية القدس أو الى الضفة الغربية حيث تكون قوانين التخطيط والبناء أقل صرامة، وأسعار الأراضي رخيصة مقارنة بما هو موجود ضمن حدود بلدية القدس. وفي مقابل ذلك فانه يتم ضمان البناء السريع للمستعمرات الإسرائيلية من خلال الحوافز الحكومية للمتعهدين الخاصين وفيما تقام ألوف الوحدات السكنية اليهودية، تتقلص المناطق العربية، وبينما تشق الشوارع الإسرائيلية الجديدة للمستعمرات لربطها بعضها ببعض، تقسم هذه الشوارع المناطق والقرى العربية وتعزلها عن بعضها البعض.

شل مركز المدينة العربية:

بعد ان تمت محاصرة القدس العربية من جميع الجهات بالمستعمرات، وإقامة ألوف الوحدات السكنية اليهودية ومصادرة ٣٣٪ من مساحة القدس، واسكان الألوف من المستوطنين بدأت مرحلة أخرى من عملية التهويد وضرب العصب الإقتصادي

الفلسطيني وذلك بالإعلان عن مخطط جديد لمركز المدينة لتقييد النشاط التجاري بطمس التجارة والصناعة في المدينة العربية. إن النشاط التجاري امتد بشكل ضئيل جدا وراء صفين من المحلات التجارية والمكاتب التي كانت موجودة قبل عام ١٩٦٧. لقد كان من الممكن ان تكون الأراضي التي صودرت شمالي القدس مساحة للتوسع التجاري وللمؤسسات الفلسطينية التي ابتعدت عن المنطقة التجارية من جراء سياسة المصادرة عن مركز المدينة الى الأحياء البعيدة، وتنوي البلدية الآن إحداث تغييرات جذرية على المنطقة التجارية حيث سيتم إخلاء مواقف الشاحنات والسيارات العمومية والبسطات لتنظيف الشوارع المحيطة بأسوار البلدة القديمة. كما سيتم إعادة تخطيط طريق حركة السير حتى يتم تخفيف الإزدحام المروري. إلا أنه وبدون خلق بديل للوصول الى موقع المناطق التجارية وإيجاد مناطق تجارية جديدة، فإن هذه التغييرات ستضعف القدس الشرقية أكثر من حيث موقعها التقليدي كمركز للمواصلات التجارية في الضفة الغربية، وبدأت ظاهرة نقل المؤسسات التجارية والاقتصادية من قلب المركز تأخذ بعدا سياسيا واقتصاديا، وبرزت ظاهرة مدينة الأشباح بعد الساعة الرابعة.

وهكذا، يمكننا القول أن سلطات الإحتلال قد خلقت واقعا سياسيا وديمغرافيا جديدا في مدينة القدس، فالديمغرافية الإسرائيلية كانت على حساب الجغرافية الفلسطينية من خلال مصادرة الأراضي، وبناء المستعمرات، ومناطق خضراء، وسياسة هدم البيوت، ورفض منح تراخيص البناء. وقد أدى مجمل هذه الإنتهاكات الإسرائيلية بحق الأرض والشعب الفلسطيني الى خلق خلل ديمغرافي، لإستخدامه كوسيلة للضغط في أية مفاوضات مع الطرف الفلسطيني لإنجاز اتفاقيات تخدم المصالح الإسرائيلية.

بيت صفافا القرية العربية التي كانت ...؟ وفيما يلي سنرى من خلال الحديث عن بيت صفافا كيف قامت وما زالت تصادر اسرائيل الأرض العربية وتقسم قراها ومدنها.

بيت صفافا القرية العربية التي كانت ...؟

في كانون الثاني عام ١٩٩٣، اتخذت الحكومة الإسرائيلية برئاسة السيد اسحق رابين قرارا سريا بتشجيع الإستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية في دائرة قطرها عشرة كيلو مترات حول القدس. مما أدى الى زيادة عدد الوحدات السكنية المتاحة للمستوطنين للعام ١٩٩٥ بمعدل ٧٧٪ مقارنة بالعام ١٩٩٤. وفي حين يؤكد الفلسطينيون ان القدس العربية هي عاصمة الدولة الفلسطينية فإن قادة اليمين الإسرائيلي يعقدون اجتماعات من أجل نسف مشروع الحكومة (بيع القدس بأبخس الأثمان). وفي جلسة لمجلس الوزراء، قال وزير الطاقة والبنية التحتية (غونين سيغف) ان الحكومة الحالية تبني في نطاق القدس الكبرى ما لم يبنه الليكود طوال فترة سلطته).

وفي هذه الأثناء تدور معركة في جنوب غرب القدس، اشرفت على نهايتها، واسفرت عن تفسخ قرية بيت صفافا العربية الى مجموعات من بيوت متناثرة ومحاطة من جميع الجهات بالطرق والمستعمرات، لتكون نموذجا لما سوف يحدث لبقية الأحياء العربية في القدس. وقرية بيت صفافا الواقعة الى الجنوب الغربي من القدس (الموسعة) تعتبر مثالا على الأثر السلبي للمستعمرات اليهودية على القرى الفلسطينية، ونموذجا حيا لما هو مخطط لبقية الأحياء والقرى العربية الواقعة ضمن حدود بلدية القدس.

تبلغ مساحة القرية ٣٣١٤ دونما بالإضافة الى قرية شرفات البالغة مساحتها ١٩٧٤ دونما كانت موارد القرية في الماضي تعتمد على الإقتصاد الريفي القائم على الزراعة. ومع التطور الطبيعي للإقتصاد الحديث المختلط، فان هذه الأراضي الباقية ضرورية جدا للتطور والنمو، ولكن السياسة الإسرائيلية في مصادرة الأراضي وفي التخطيط المبرمج الهادف الى تدمير النمو الطبيعي وسهولة السيطرة

على السكان، حاصرتها وحالت دون توسعها الطبيعي وقد أحيطت قرية بيت صفافا من الشمال والغرب بمناطق صناعية ومناطق سكنية تابعة للقدس الغربية (إسرائيل). ومن الجنوب والشرق بمستعمرتي جيلو وجبعات همتوس. (انظر الخارطة)

وقد بنيت مستعمرة جيلو أساسا على أراض صودرت من قرية بيت صفافا، شرفات، ومدينة بيت جالا. ففي تاريخ ١٩٧٠/٨/٣٠، تم الإعلان عن مصادرة (٢٧٠٠) دونم ونشرت هذه المصادرة في الجريدة الرسمية الإسرائيلية (رقم ١٦٥٦).

وبدىء بتأسيس المستعمرة سنة ١٩٧١ على عدة مراحل كان آخرها المرحلة الثانية عام ١٩٧٩. وحسب الخارطة الهيكلية رقم ١٩٠٥ أقيم فيها حتى الآن ٩،٠٠٠ وحدة سكنية يسكنها ٣٠،٢٠٠ مستوطن، وهذه العمارات يتراوح إرتفاعها بين أربعة وثمانية طوابق، وهي شبيهة بمباني المستعمرات المقامة في المناطق الأخرى في القدس الشرقية وتم توسيعها بشكل أكبر على أراضٍ أعتبرت (أملاك غائبين) لفلسطينيين من قرية بيت صفافا. ثم وسعت مرة أخرى باتجاه الجنوب ضمن مشروع قم ٢٩٥٢، على أراضي بيت جالا، وقد صودرت لصالحها ٤٥ دونما وأقيمت ٣٨٠ وحدة سكنية على أراضي (خربة جرملة). والى الشرق من جيلو أقيمت مستعمرة همتوس (القرية الهولندية) التي تأسست من بيوت متنقلة (كرافانات) في تشرين الأول لسنة ١٩٩١ على مساحة ١٧٠ دونما وسيتم تحويليها الى حي يهودي دائم خلال بضع سنوات على مساحة ٩٨٠ دونما لإقامة ٣٦٠٠ وحدة سكنية ذات كثافة بنائية عالية، ومن سخرية القدر ان الحكومة الأردنية كانت قد خصصت هذه الأرض لسكان بيت صفافا وبيت جالا لسد حاجاتهم السكنية مستقبلا.

ولم يستطع السكان إقامة أبنية بسبب حرب عام ١٩٦٧، وما تلاها من سيطرة إسرائيلية على الأرض. أما الأراضي التي تقع في القسم الشمالي من قرية بيت صفافا فقد وقعت تحت السيطرة الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٩ عندما قسمت القرية بواسطة الخط الأخضر وهي الآن منطقة صناعية إسرائيلية او منطقة سكنية إسرائيلية (بات).

أما أراضي بيت صفافا التي تقع شرقي شارع بيت لحم الرئيسي فهي تخضع لسيطرة كيبوتس رامات راحيل ودير مار الياس، حيث صودرت مساحات أخرى بعد ان كانت خضراء لفتح وتوسيع الشارع رقم (١) وفي الوقت الذي تتوسع فيه مستعمرتا جيلو، وجبعات همتوس، على أراضي بيت صفافا، فإن سكانها البالغ عددهم ٤٦٠٠ نسمة يعانون نقصا حادا في المنازل، ولا تستطيع كثير من العائلات بناء منازل خاصة بها.

وتعتبر خارطة بيت صفافا الهيكلية نموذجا للخطط التي أعدتها السلطات الإسرائيلية للأحياء العربية الفلسطينية في القدس. وقد وضعت السلطات الإسرائيلية مخطط هيكليا يحمل رقم ٢٣١٧ ويشمل مساحة ٢٢٨٥ دونما تقريبا بما فيها أراضي قريتي بيت صفافا وشرفات البالغة مساحتها أصلا (٥٢٨٨) وقد حددت الخارطة كيفية إستعمال الأراضي من قبل الأهالي بالإضافة الى مصادرة ما مساحته ٥٤،٣٪ من مساحة الأراضي كمناطق خضراء أو شوارع أو ما يعادل (١٢٤٠ دونما) أما الشوارع الإقليمية والقطرية والمحلية - فقد التهمت المساحات على النحو التالي:

شارع رقم (٥) ٥٠ دونما (جزء من شارع الطوق).

شارع رقم (٤) ١٤٠ دونما.

شارع بات جيلو ١٧٠ دونما.

شارع رقم (١) ١٠٠ دونم.

المجموع: ٤٦٠ دونما أو ما يعادل ٢٠،١٪.

وهكذا تحولت القرية من قرية هادئة الى قرية مقسمة محاطة بالشوارع التي تغرق القرية في بحر من التلوث والضوضاء.

أما النظام المرفق بهذه الخارطة فإنه لا يسمح بالبناء بأكثر من ٥٠٪ من مساحة الأرض (طابقين) وجاءت المصادرات الأخيرة والبالغ مساحتها ٢٠٠ دونم لتقضي على أي أمل في التوسع مستقبلا بإتجاه الغرب، بالإضافة الى خلق تواصل إسرائيلي

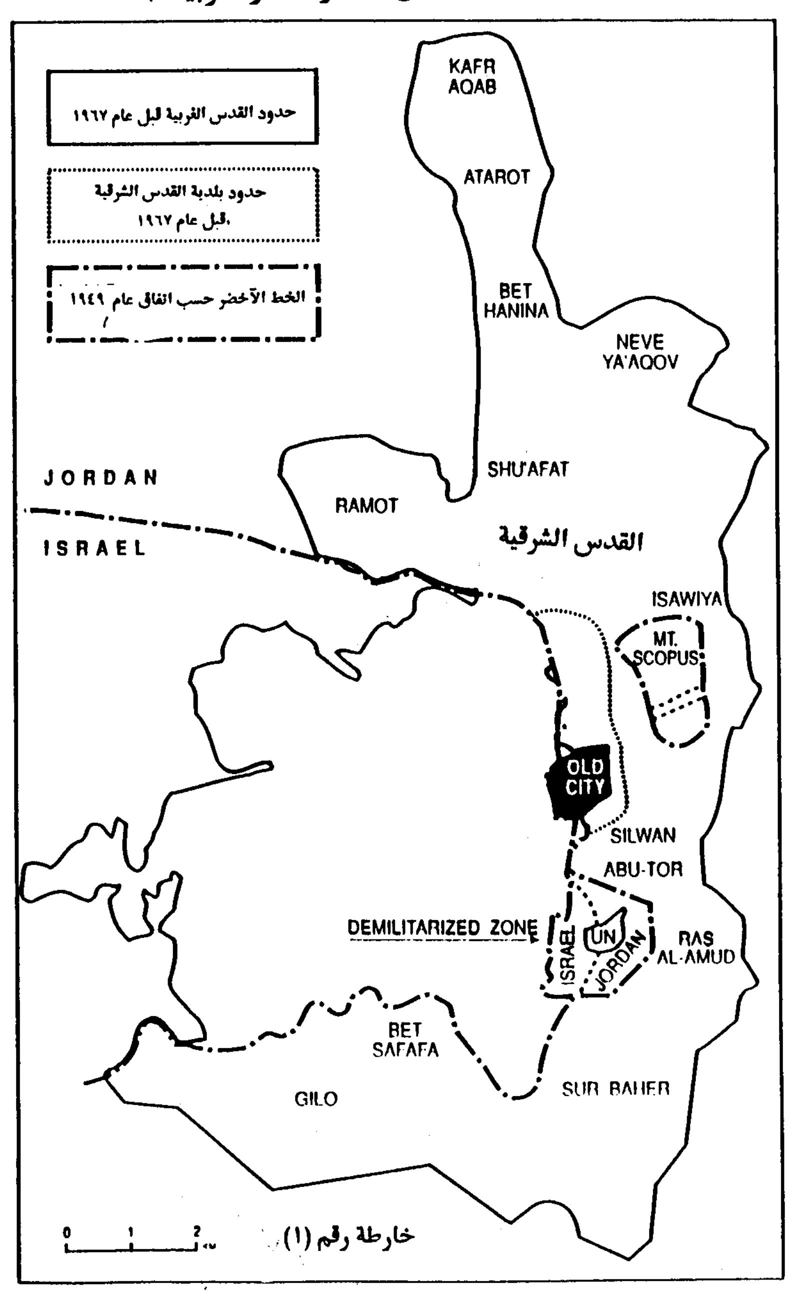
- ما بين (قرية المالحة عام ١٩٤٨ - ومستعمرة جيلو) لملء الفراغ وأحكام السيطرة على القرية.

المراجع:

١. اليشع افرات، **جغرافية الإستيطان**.
٢. خليل التفكجي (١٩٩٤)، **المستعمرات الإسرائيلية**، جمعية الدراسات العربية.
٣. خليل التفكجي، **تهويد القدس**، حقائق وأرقام.
٤. خليل التفكجي، **القدس - مشروع مقترح**.
٥. البروتوكولات المرفقة بالخرائط الهيكلية - بلدية القدس.
٦. **الموسوعة الفلسطينية**.
٧. د. محمد أحمد الديب، **حدود فلسطين**، دراسة تحليلية لوثائق الإنتداب.

خارطة رقم ١

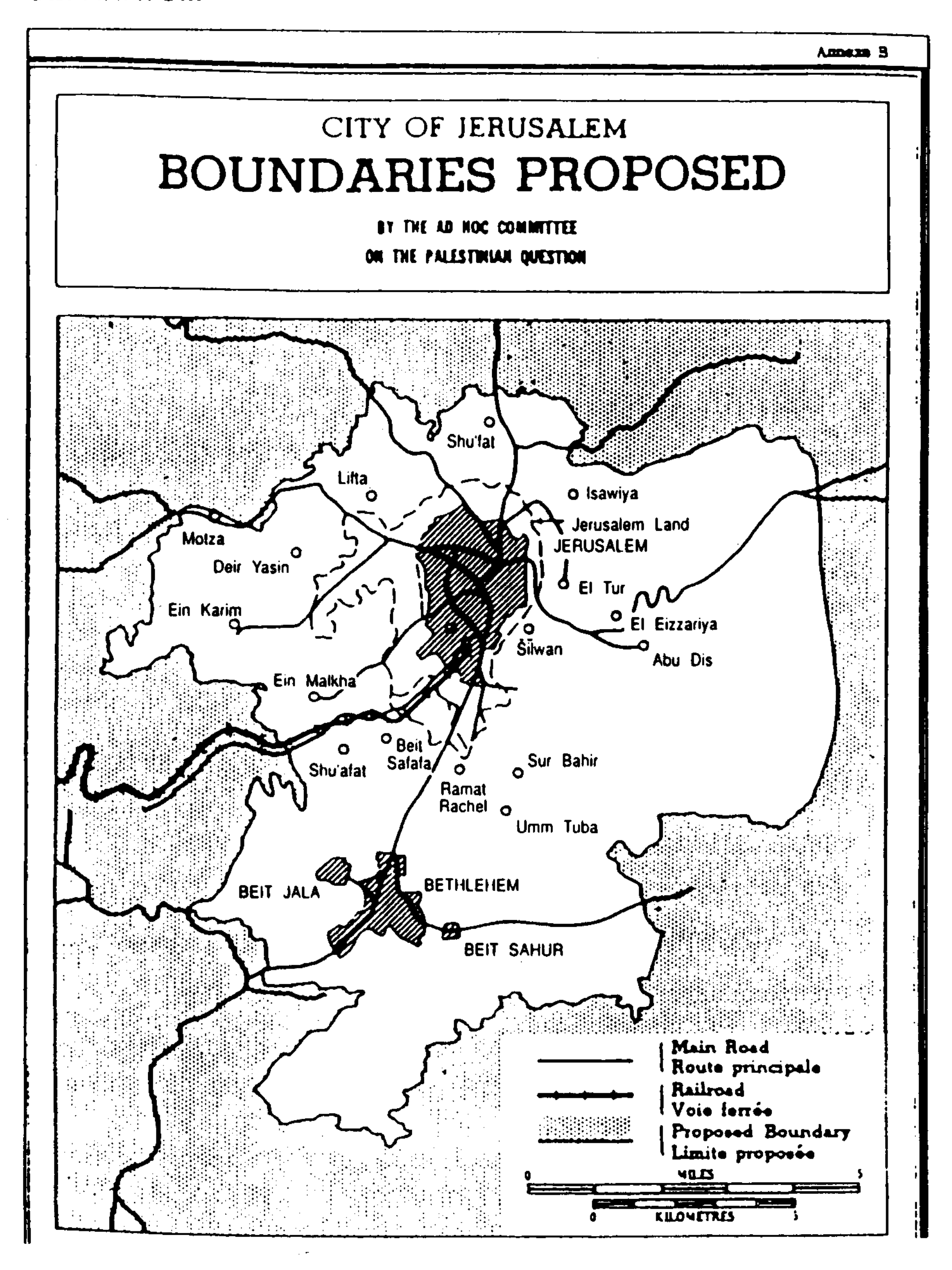
حدود بلدية القدس /الشرقية، والغربية



خارطة رقم ٢

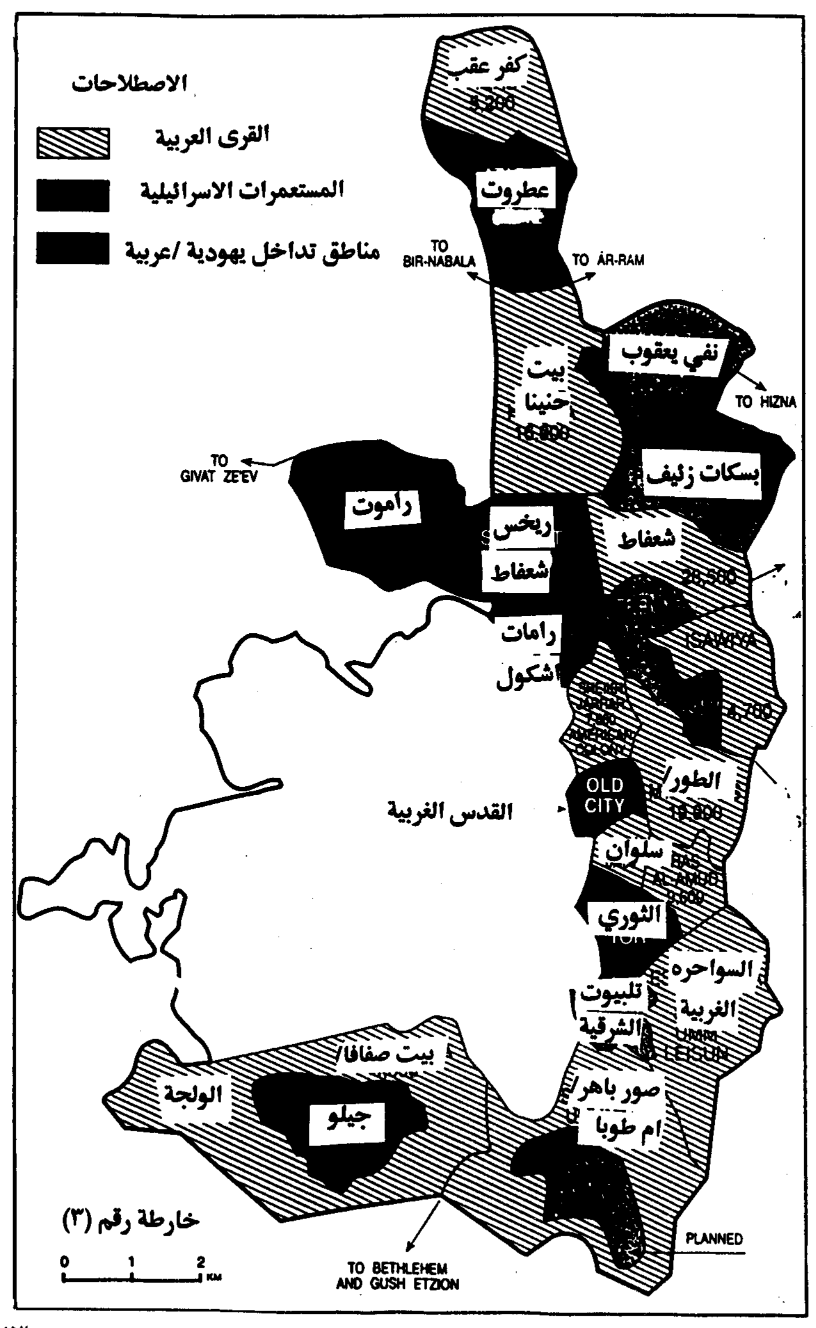
خارطة رقم (٢)

U.N. RESOLUTION 181 - BOUNDARIES OF THE CORPUS SEPARATUM



خارطة رقم ٣

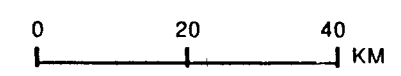
التوزيع الجغرافي والديمغرافي للفلسطينيين واليهود بالقدس الموسعة



خارطة رقم ٤

حدود القدس الكبرى (متروبوليتان القدس)

TO NABLUS
بيت ايل
عوفرا
جفعات زليف
ريحا
MITZPE YERI
معاليه ادوميم
غوش السيون
افرات
TO HEBRON



خارطة رقم (٤)



بعد أن رفضت المحكمة العليا الإسرائيلية الإلتماس الذي قدمته رابطة "مدينة كاملة" الإسرائيلية، وبعد أن خسر أهالي بيت ساحور وأم طوبا الإلتماس الذي قدموه للمطالبة بإلغاء مصادرة أراضيهم. تم الإعلان عن إيداع الخارطة الهيكلية رقم ٥٠٥٣ للمستعمرة الجديدة التي ستقام على الأجزاء المصادرة من أراضي القرى والمدن العربية الجنوبية الشرقية من القدس.

وفي الوقت الذي إحتفلت فيه مدينة بيت لحم مهد المسيح بإزالة الإحتلال، وفي الوقت الذي تمد فيه السلطة الوطنية يدها من أجل السلام، نرى من جهة أخرى صقور الحكومة الإسرائيلية يفرضون الشروط والأمر الواقع، فبعد أن تم تعليق مصادرة مائتي دونم من أراضي بيت صفافا المصادرة في شهر نيسان الماضي، وبعد أن مورس الضغط الشعبي والدولي، خرجت علينا الصحف اليومية بأخبار جديدة عن بناء إستيطاني سواء كان داخل حدود بلدية القدس أو خارج إطار هذه الحدود. كل ذلك يحدث والوزراء الإسرائيليون يتشدقون بعبارات السلام ليل نهار.

---

* خليل التفكجي، مدير دائرة الخرائط في جمعية الدراسات العربية – القدس.
مقال لكتاب القدس.

مستعمرة جبل أبو غنيم (هارحوماه):

في ١٩٩١/٤/٢١ تم الإعلان عن مصادرة ١٨٥٠ دونما للمصلحة العامة من أراضي مدينة بيت ساحور وقريتي صور باهر وأم طوبا. وبعد ان خاض السكان نضالا مستميتا ضد المصادرة، تم الإعلان عن مشروع جبل أبو غنيم لإقامة ٦٥٠٠ وحدة سكنية لإغلاق الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة القدس وجعلها جدارا فاصلا بين مدينة بيت ساحور وأم طوبا، تقدمت بهذا المشروع وزارة البناء والإسكان بتوقيع صاحب الأرض (دائرة أراضي إسرائيل).

تقع هذه المستعمرة بين خطي طول ١٧٢/٢٥٠ - ١٦٩/٥٠٠

وخطي عرض ١٢٧/٥٠٠ - ١٢٤/١٤٠٠

تبلغ مساحة المخطط ٢٠٨٨ دونما ويهدف المخطط الى بناء ٦٥٠٠ وحدة سكنية تتوزع كما يلي:

المنطقة	عدد الوحدات	ملاحظات
أ	٢٥٠٠	بما في ذلك عددالوحدات التي تقام في المنطقة التجارية الخاصة
ب	١٨٥٠	
ج	٢١٥٠	بما في ذلك عدد الوحدات التي تقام في منطقة ج ومؤسسات وفنادق ومساكن
د	----------	المنطقة معدة لمنطقة صناعية
	٦٥٠٠ وحدة	

أنظر الخارطة رقم (١)

الأهداف:

تحديد أهداف إستخدام الأراضي لمستعمرة جبل أبو غنيم

أ. منطقة سكنية.

ب. منطقة صناعات خفيفة.

ج. منطقة تجارية خاصة.

د. مؤسسات وأبنية عامة، منطقة فنادق ومساكن، ومؤسسات، ومناطق مفتوحة عامة.

ومن خلال تحليل النظام المرفق لهذه المستعمرة نجد ما يلي:

١. تبلغ مساحة الأبنية العامة بما فيها المدارس ورياض الأطفال والمدارس الشاملة مساحة ٢٦٦،٥ دونما أي أن هذه المدارس سوف تستوعب أعدادا كبيرة من الطلاب وبالتالي نسبة كبيرة من المستوطنين.

المؤسسات العامة في المنطقة السكنية (أ) التي سوف يبنى فيها ٢٥٠٠ وحدة سكنية

الرقم	الموقع	المساحة بالدونم	الهدف	المجموع
أ	١	١٢،٥	مدرسة إبتدائية، صفوف رياض أطفال	
ب	٢	١٠،٥	مدرسة إبتدائية + ٣ صفوف، رياض أطفال	
أ	----	١،٦	ناد	
أ	----	٢،٢	٢ ناد	
أ	----	٣،٦	٢ (مركز رياض أطفال)	
أ	----	٦	٥ (رياض أطفال)	
أ	----	١،٣	ملعب	
أ	----	٢،٤	كنيس ومطهرة	٤٠،٣

المؤسسات العامة في المنطقة السكنية (ب) التي ستبنى فيها ١٨٥٠ وحدة

الرقم	الموقع	المساحة بالدونم	الهدف
ب	٣	٥،٠٠	مدرسة للتعليم الخاص
ب	٤	٥	منطقة تخطيط مستقبلي
ب	٥	١٠	مدرسة إبتدائية + صفوف أطفال
ب	٦	٣٦	مدرسة شاملة + مدرسة تعليم خاص
ب	٧	٩٠،٧	مركز للحي + ٢ رياض أطفال، مكتبة، مبان جاهزة
ب	٩	٤١،٣	مدرسة شاملة فوق إبتدائية + ٣ صفوف رياض أطفال
ب	----	٤،٢	--------------------------

المؤسسات العامة في المنطقة (ج) التي ستبنى فيها ٢١٥٠ وحدة سكنية

الرقم	الموقع	المساحة بالدونم	الهدف
ج	١٠	١٢٢،٥٦	مدرسة إبتدائية + رياض أطفال
ج	----	٣٣	منطقة مستقبلية
مجموع مساحة المؤسسات العامة	----	٢٦٦،٥	----------------

إستخدام الأراضي في المستعمرة

المنطقة	المساحة
المؤسسات + أبنية عامة	٢٦٦،٥ دونما
الفنادق والسكن	٢٨،٣٠ دونما
المناطق المفتوحة العامة	١٠٢،٦ دونما
المناطق المفتوحة الخاصة	٢٨،٢٠ دونما
المناطق السكنية	٧٧٩،٤٠ دونما
منطقة بانوراما	٣٣٢،٥٠ دونما
منشآت هندسية	١٣،٤٠ دونما
منطقة صناعية خفيفة	٧١،٥ دونما
وهذا يعني توفير فرص عمل للمستوطنين بالقرب من أماكن سكناهم	

وتبلغ مساحة المخطط ٢٠٨٨ دونما إستغل منها ١٦٧٢،٥ دونما وإعتمد الباقي كمناطق توسع مستقبلية. كذلك سوف تستوعب المستعمرة بركة سباحة سعتها ٥٠٠٠م^{3} من الماء، وذلك يعني إقامة مدينة رياضية ضمن المؤسسات العامة في الوقت الذي تعاني فيه قرانا ومدننا من العطش. أما الملعب الرياضي الوحيد لقرية صور باهر فقد تم تحويله الى منطقة صناعات خفيفة، وهكذا بينما يتم إيجاد حلول لمشاكل السكن الإسرائيلية، نرى أن مشكلة السكن بالنسبة للفلسطينيين تتفاقم يوما بعد يوم، وما المخطط الهيكلي لقرية صور باهر الذي يحمل رقم (٢٣٠٢ أ) والذي قلصت مساحة البناء فيه الى ٣٦٠ وحدة بناء الى مرحلة بناء جديدة من مراحل التهويد والضم المنظم للسكان الفلسطينيين.

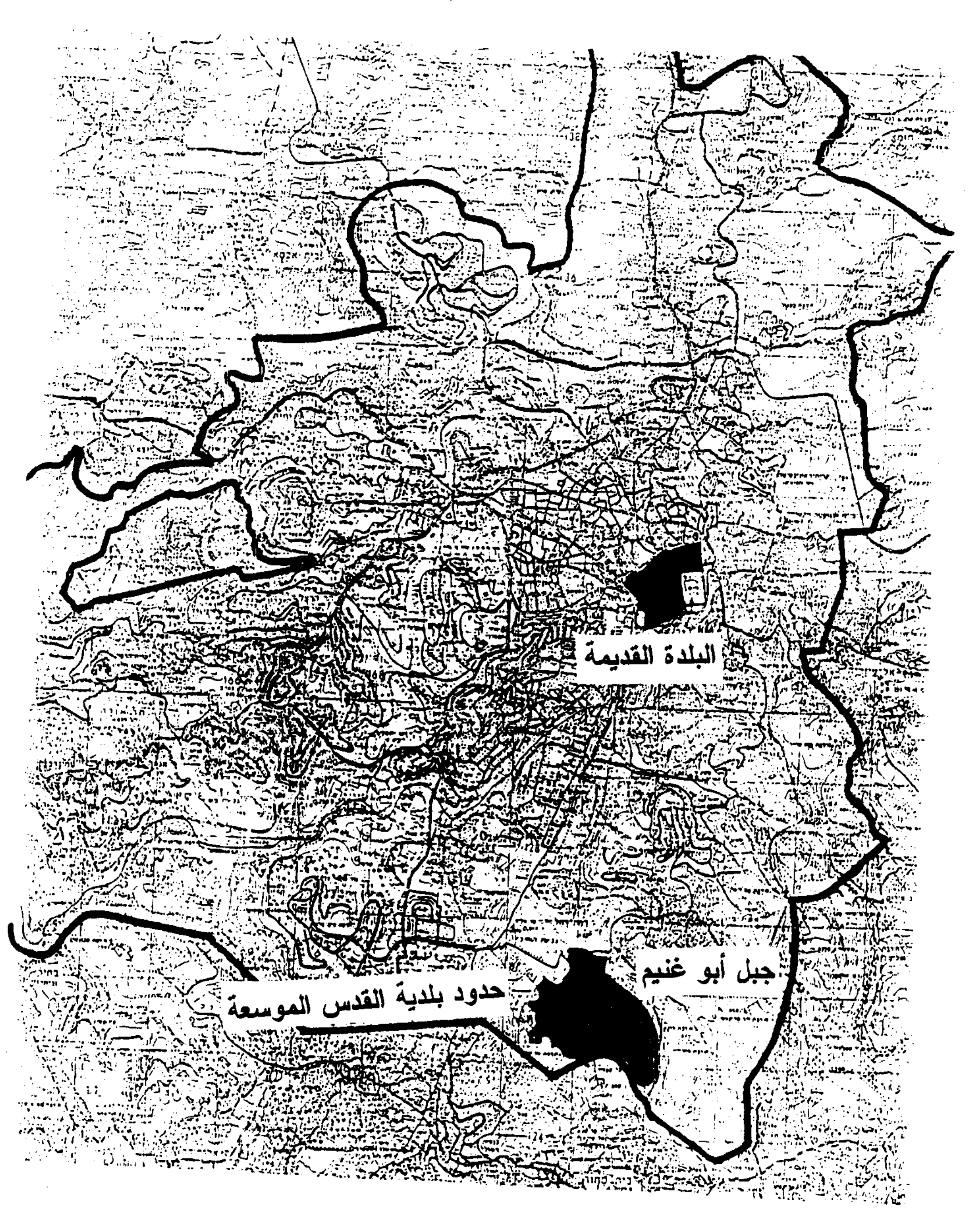
أما على نطاق القدس الكبرى بالمفهوم الإسرائيلي، فهنالك مشاريع عديدة منها توسيع القائم أو بناء أحياء جديدة. فجبعات زئيف ستضاف اليها ١٢٠٠ وحدة سكنية جديدة في الجزء الغربي منها، أما الناحية الشرقية فقد أضيف فيها ٦٣٠ وحدة سكنية جديدة تحت إسم (نفي مناحيم) وستضاف ٤٥٠ وحدة في المنطقة الجنوبية من المستعمرة، و ٢٥٠ وحدة في مستعمرة (جبعون شرق / غرب)، لتتصل في النهاية مع المستعمرة التي تقام بنيتها التحتية الآن غربي قرية النبي صموئيل (٣٠٠ وحدة جديدة في مستعمرة النبي شموئيل). هذا من الناحية الشمالية الغربية من القدس. أما ضمن حدود بلدية القدس فقد تم توسيع مستعمرة راموت (٢٠٠) وحدة سكنية تحت إسم راموت (٠٦). وستقام (١٢٣) وحدة جديدة (راموت د). وذلك يعني أن هنالك تواصلا إستيطانيا لم يتوقف بل يسير بخطى حثيثة باتجاه الشمال، واذا علمنا ان هنالك (٣٣٥) دونما تم تعليق مصادرتها فإننا نرى أن التوسع سيأخذ إتجاها شماليا غربيا نحو مستعمرة (هار آدار) بعد شق الشارع الإلتفافي رقم ٤٢٥ الذي سيتم مصادرة (٨٥٥) دونما لصالحه، لربط هذه المستعمرات ومحاصرة القرى العربية (بيت سوريك، بيت إكسا) وأذا انتقلنا الى المنطقة الشرقية نرى أن (معاليه أدوميم) تتوسع وتكبر وتأخذ إتجاها جنوبيا غربيا لتتصل مع مستعمرة كيدار وبالتالي مع منطقة غوش عتصيون. وبعد أن أقيم الحي الجديد في المستعمرة (تسيمح هسديه) وبناء ٢٠٠٠ وحدة سكنية نلاحظ أن هنالك حيا جديدا سيقام ٣٥٠٠ وحدة سكنية جديدة. فإذا أضفنا ٥٥٠٠ وحدة سكنية ما أنشيء منها وما هو تحت الإنشاء الى الوحدات التي تمت إقامتها خلال العشرين سنة الماضية والبالغة ٤٥٠٠، وحدة فإن القدرة الإستيعابية لهذه المستعمرة سوف تزداد لتستوعب ٥٠ ألف نسمة. وإذا أخذنا بعين الإعتبار المشروع رقم ٢٢٧/٤ الذي قدمته وزارة الإسكان والمنظمة اليهودية للإستيطان على أراضي قرى (عناتا، العيسوية، الطور، الخان الأحمر) والتي تبلغ مساحته ١٣٢٣٥ دونما ويهدف الى إقامة مناطق إستجمام وفنادق يبلغ عدد غرفها ٢٤٠٠ غرفة، ومناطق اسكان ضمن مشروع يطلق عليه إسم (غوش أدوميم)، نرى مدى الخطورة التي ستتشكل في حالة الربط مع (مشروع البوابة الشرقية) الواقع ضمن حدود بلدية القدس على مساحة (٨٢٦) دونما والذي يهدف الى إقامة أحياء استيطانية يهودية، لملء الفراغ بين المستعمرات الشمالية الشرقية

والجنوبية الشرقية لإقامة محطة باصات ومناطق تجارية ضخمة (كانيون)، حيث أن ميل التطور الطبيعي يكمن في محور شرق غرب، الذي يتمتع بأهمية دولية كبرى خاصة في ظل الظروف السلمية (محور عمان / تل أبيب) وتطويق جميع القرى العربية في تلك المناطق (الزعيم، عناتا).

فخلال حفل إفتتاح شارع معاليه أدوميم الجديد قال بنيامين بن اليعازر "ان موقفه الخاص يتلخص في ضرورة إستمرار البناء في المستوطنة وذلك من أجل تحويل معاليه أدوميم، وجفعات زئيف الى جزء لا يتجزأ من دولة إسرائيل". (انظر الخارطة رقم ٢)

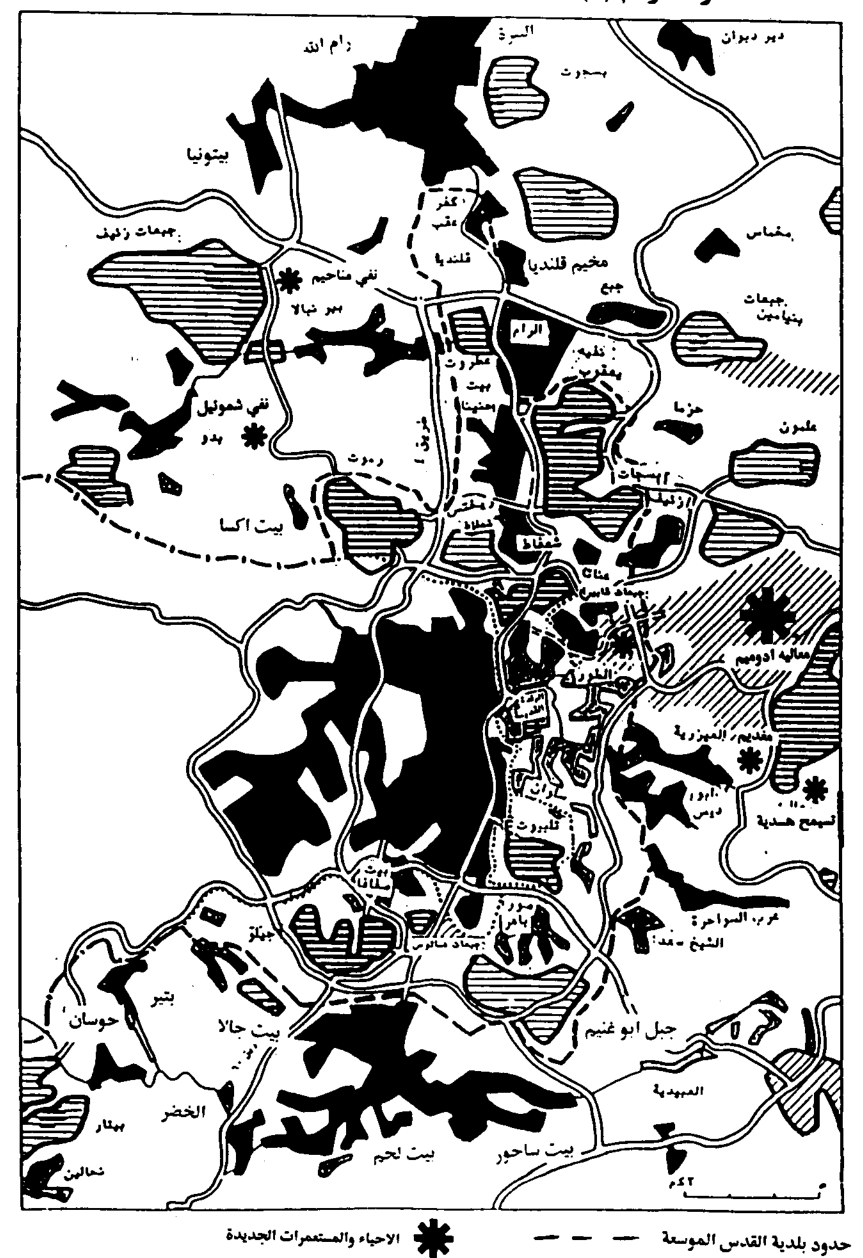
وبعد أن قامت الحكومة الإسرائيلية بحل لجنة كنارتي (الخاصة بالبناء) وتحويلها الى لجنة وزارية، وافقت اللجنة على بناء ٣٩٤٢ وحدة سكنية في الضفة الغربية توزعت كما يلي: ٢٠٠٠ وحدة في معاليه أدوميم، ١١٠٠ وحدة في بيتار، ٥٠٠ وحدة في جبعات زئيف، وفي بداية عام ١٩٩٥ بدىء في بناء ١٣٩٨ وحدة، وهو أكبر عدد من الوحدات السكنية مقارنة بالعام ١٩٩٢، وتم تخطيط وبناء ٦٤٢٠ وحدة سكنية سنويا، وفي عام ١٩٩٥ تم إكمال بناء ٤٣٢٠ وحدة سكنية. واذا انتقلنا الىالمنطقة الجنوبية الغربية نلاحظ ان هنالك خطأ من البناء الإستيطاني المكثف بدءا من منطقة جيلو المدينة الاستيطانية التي تتوسع بإستمرار باتجاه الغرب والشرق، وقد تم الإعلان عن مشروع رقم ٢٩٥٢ على أراضي بيت جالا علىمساحة ٤٧ دونما (خربة جرملة) وتمت إقامة ٣٠٠ وحدة سكنية بكثافة بنائية تبلغ ٧٠٪-٧٥٪ ولم يبق سوى الشارع الواصل الى بيت لحم لغلق المنطقة لتتصل مع المستعمرة المقترحة جبل أبو غنيم. وبعد أن أقيم الشارع الإلتفافي غربي مستعمرة جيلو، نرى أن هنالك شوارع تقام لتتصل بين الشارع رقم (٦٠) عند قرية الخضر، ومستعمرة بيتار تحت إسم الشارع رقم (٣٧٥) الذي صودر لصالحه ٢٩٦ دونما، والمشاريع الإستيطانية لبناء ١٣٠ وحدة سكنية جديدة في مستعمرة بيتار بالإضافة الى ١١٠٠ وحدة سكنية يتم تنفيذها الآن. ستكون هذه المنطقة الملاصقة للخط الأخضر جزءا من منطقة غوش عتصيون التي يتم البناء فيها بشكل متسارع، بهدف التعديلات الحدودية المتوقعة.

خارطة رقم ١



خارطة رقم ٢

خارطة رقم (٢)الاستيطان خارج حدود بلدية القدس.



حدود بلدية القدس الموسعة — — —

الاحياء والمستعمرات الجديدة ✱

الخط الاخضر . . . . . .



مقدمة

يخطر ببالي وأنا أقرأ أو أستمع الى ما يكتبه أو يقوله كثير من الكتاب والسياسيين الفلسطينيين في الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية هذه الأيام قصة تعلمتها في طفولتي عن خلاف بين إمرأتين حول مولود أدعى كل منهما أنه ابنها. وعندما اشتد الخلاف بينهما، ذهبتا الى سليمان الحكيم لعرض الأمر عليه. وبعد ان استمع الى حجة كل منهما والى اصرار كل منهما على امومته، اقترح عليهما سليمان قسمة المولود الى قسمين يأخذ كل منهما واحداً منهما. فأما الأولى فرحّبت باقتسامه مع الأخرى. وأما الثانية فأجهشت بالبكاء وقالت للحكيم : أفضل التنازل عن قسمي مقابل ان يبقى المولود على قيد الحياة ... فما كان من سليمان الا ان حكم لها به بإعتبارها الأم الحقيقية.

حالنا اليوم شبيه بحالة المرأة الأولى. فبعضنا يصف القدس بأنها مدينة الله، وبعضنا يصفها بأنها مدينة الجميع، وآخرون يقترحون إقتسامها مع اليهود وفئة رابعة تقترح تدويلها والمحصلة غياب الموقف الواحد الواعد.

---

* ذياب عيوش، دكتوراه في علم الإجتماع، عضو مجلس أمناء مركز اللقاء، رئيس جامعة القدس المفتوحة، ووكيل وزارة الشؤون الإجتماعية في السلطة الوطنية الفلسطينية.
محاضرة في الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث، ١٩٩٥.

أما اليهود فهي لديهم مدينة داوود وهي عـاصمتهم الأبديـة والتـي لا تقبـل القسـمة او الإنشطار او التدويل. ولعل أهم أحد الأسباب لهذا التمايز في الموقفين هو أن اليهود يتكلمون بلغة توراتية واحدة بينما نحن نتكلم بـأكثر مـن لغـة ونتنـازل طواعيـة عـن حقوقنا حتى لا يقال أننا إرهابيون او متطرفون أو أعداء السلام.

والحقيقة التي تسمو على جميع الحقائق والتـي يجـب أن تشـكل القاسـم المشـترك للرأي العربي والاسلامي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص هـي أن القـدس مدينـة عربية إسلامية بناها العرب اليبوسيون الكنعانيون قبل ظهور اليهودية ولـم تخـل مـن العرب والمسلمين عبر تاريخهـا علـى الرغم مـن خضوعهـا لغـزوات متتاليـة، كـان آخرهـا غـزوة الصـهيونيـة العالميـة عـام ١٩٤٨م، والتي اسـتكملت فـي عـدوان عـام ١٩٦٧ م، وانها عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة والى الأبد.

هناك اذن، خلط بين البناء والوظيفة، او خلط بين الهوية والدور. لماذا لا نقـول ان القدس عربية إسلامية (بناء) ولكنها مفتوحة للعبادة امام أتبـاع الديانـات السـماوية (وظيفة). ان هذا افضل من قولنا انها مدينة الجميع أو انها مدينة الله لأن اليهـود لا يعـترفون بذلـك. نحـن بحاجـة الـى توحيـد لغتنـا ومصطلحاتنـا بقـدر حاجتنـا الـى استراتيجية موحدة تمثل منطلقا للفكر والممارسة، وعندئذ سـيحترمنا العـالم وسـيحترم حقوقنا الخالدة في القدس العربية.

وبالعودة الى موضوع البحث، فإنه يمكـن مناقشـة التغير الديموغرافـي وعلاقتـه بعملية السلام من جانبين:

الأول: هو التغيير الديموغرافي في القدس.

والثاني: هو علاقة هذا التغيير بعملية السلام وتأثيره عليها.

وسأتناول هذين الجانبين كلا على حدة لأغراض التحليل، ثم أعود فأربط بينهما.

التغيير الديموغرافي في القدس:

يقصد بالتغيير الديموغرافي التغيير في عدد السكان وتركيبهم وتوزيعهم سواء كان هذا التغيير بتأثير معدلات المواليد أو الوفيات أو الهجرة. وهذا التغيير يختلف عن التغير الطبيعي للسكان والذي يتم بصورة طبيعية دون تدخل مباشر من الإنسان ونعني به النمو السكاني الناجم عن الفرق بين عدد الولادات وعدد الوفيات سنويا.

وقبل الحديث عن التغيير الديموغرافي في القدس، ينبغي التأكيد على حقيقتين أساسيتين:

الأولى: ان التغيير الديموغرافي الذي تقوم به السلطات الإسرائيلية في القدس بالذات هو وسيلة وليس هدفا في ذاته، وهو متغير تابع لمتغير مستقل هو المتغير السياسي الذي يهدف الى تهويد المدينة.

والثاني: ان هذا التغيير الديموغرافي يتم وفق استراتيجية سكانية إسرائيلية مرسومة بعناية، مع غياب كامل لأية إستراتيجية عربية سابقة بسبب سيطرة الإحتلال الإسرائيلي على المدينة لسنوات عديدة. ولا يخفى على أحد ما يحدثه ذلك من إنعدام التوازن الديموغرافي بين العرب واليهود في القدس. *

والقاعدة الأساسية التي انطلقت منها فكرة التغيير الديموغرافي في القدس والتأثير على الميزان الديموغرافي لصالح اليهود فيها بشكل خاص وفي فلسطين بشكل عام هي إغراق فلسطين بالمهاجرين اليهود وحشد الملايين منهم في فلسطين لتهويدها من جهة، ولجعلها قاعدة انطلاق للغزو الصهيوني للوطن العربي من جهة أخرى.

---

* قدمت أول ورقة حول السياسة السكانية الفلسطينية في أول مؤتمر فلسطيني للسكان وتنظيم الأسرة وذلك في القاهرة ما بين ١-١٩٩٤/٤/٣ تحت عنوان "نحو سياسة سكانية للشعب الفلسطيني" من أعداد الدكتور ذياب عيوش. وهي منشورة على مستوى دولي بوساطة جمعية تنظيم وحماية الأسرة في القدس.

لقد كان واضحا منذ البداية ان هجرة اليهود الى فلسطين هي أساس وجود دولة إسرائيل منذ تأسيسها. فعندما أعلنت إسرائيل عن نفسها دولة مستقلة في ١٤ أيار ١٩٤٨، أعلن ان (دولة إسرائيل ستكون مفتوحة لإستقبال المهاجرين اليهود من جميع أنحاء مناطق الشتات) في العالم، وبموجب قانون العودة، الذي سنّته حكومة إسرائيل في الخامس من تموز عام ١٩٥٠، ووفق على ان (كل يهودي يحق له الهجرة الى إسرائيل). وفي حديث أمام البرلمان الإسرائيلي في ٢٦ نيسان ١٩٤٩، قال ديفد بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل آنذاك: "إنما أسست دولة إسرائيل من أجل هذه الهجرة الجماهيرية الصهيونية، وبفضل هذه الهجرة فقط يمكنها ان تستمر، ذلك ان الهجرة هي دم الحياة لإسرائيل، وضمان أمنها ومستقبلها وجوهر حياتها".

وتمشيا مع هذه السياسة الإستراتيجية، أصدرت إسرائيل ما يسمى بقانون العودة بتاريخ ١٩٩٥٠/٧/٥م، وأهم ما جاء فيه:

١. لكل يهودي الحق في الهجرة الى فلسطين.

٢. لكل يهودي يهبط أرض فلسطين ويبدي رغبة في الإقامة فيها ان يمنح شهادة الهجرة أثناء إقامته فيها.

٣. لكل يهودي هاجر الى فلسطين قبل صدور هذا القانون ان يتمتع بالحقوق التي يتمتع بها اليهودي الذي هاجر في ظل التأثير.

ولما كانت القدس محور الإهتمام الصهيوني في فلسطين، فقد عملت سلطات الإحتلال على تركيز أغلبية يهودية في المدينة العربية، وهدفت الى خلق حقائق تحول دون تقسيم المدينة مجدداً بعد ضم قسميها الشرقي والغربي في اعقاب حرب ١٩٦٧. واضافة الى ذلك، قامت سلطات الإحتلال الإسرائيلي بزراعة أطواق من المستوطنات حول المدينة، وحاصرتها من جميع الجهات، وصادرت مساحات كبيرة مختلفة من منطقة القدس الشرقية وضواحيها، وعمدت الى عدم ضم المخيمات بهدف الحفاظ على أكبر مساحة ممكنة بأقل عدد من السكان العرب.

الإتجاهات الاستيطانية في القدس:

منذ بداية الإحتلال الإسرائيلي لمدينة القدس العربية، شكلت هذه السلطات لجنة حكومية لترسيم حدود بلدية القدس، فبرزت في هذا اللجنة اتجاهات ثلاثة هي:

١. اتجاه توسّعي، يدعو الى ضم أكبر جزء ممكن من الأراضي بإعتبار ذلك فرصة لتوسيع حدود الدولة اليهودية.

٢. اتجاه عرقي، يدعو الى ضم الأجزاء المهمة فقط من الأرض وتجنب المناطق المأهولة بالسكان العرب.

٣. اتجاه عسكري يدعو الى ويُركّز على ضم المناطق ذات القيمة الإستراتيجية.

وليس عجيباً ان نرى السلطات الإسرائيلية تأخذ بهذه الإتجاهات جميعاً، مستفيدة بذلك من مزايا كل اتجاه، فصادرت عشرات آلاف الدونمات في منطقة القدس، وأسكنت فيها حوالي ١٦٥ ألف مستوطن يهودي، وأغلقت القدس أمام العرب والمسلمين، وضيّقت الخناق على المؤسسات الفلسطينية، وحاصرت النمو السكاني الفلسطيني بكل ما أوتيت من قوة ووسائل.

وبإختصار، يمكن وصف التغيير الديموغرافي في القدس بما يلي:

١. تاريخه، بدأ فور إحتلال ١٩٦٧.

٢. أعراضه، (أ) اختلال التوازن في نسبة العرب الى اليهود (ب) ضم مناطق استيطانية جديدة ذات كثافة سكانية منخفضة (جـ) تقييد الإسكان الفلسطيني (د) مصادرة بيوت عربية أو هدمها (هـ) زيادة الضرائب بقصد تهجير العرب منها.

٣. مقداره، الانتقال من نسبة ٧,١٪ الى مجموع السكان في القدس، في القرن التاسع عشر، الى نسبة ٨٠٪ منهم حاليا.

٤. اطاره، مرن ويتسع لما اطلق عليه القدس الكبرى.

٥. علاقته بالتغيير في بقية الوطن: مقدمة لتهويد الوطن الفلسطيني، فإذا هوّد القلب هوّدت الأطراف.

٦. الفكر الذي يقف وراءه، فكر توراتي استيطاني عميق الجذور.

٧. علاقته بالأرض ومساحة حدود البلدية، على النحو التالي:

سنة ١٩٦٦	كانت مساحة أرض البلدية	٢٦ كم^{٢}
١٩٥٢/٣/٣١	كانت مساحة أرض البلدية	٣٣,٥ كم^{٢}
١٩٦٠/٣/٣١	كانت مساحة أرض البلدية	٣٦ كم^{٢}
١٩٦٧/٣/٣١	كانت مساحة أرض البلدية	٣٨,١ كم^{٢}
١٩٦٩/٣/٣١	كانت مساحة أرض البلدية	١٠٨,٥ كم^{٢}
١٩٨٣/٣/٣١	كانت مساحة أرض البلدية	١٠٨,٥ كم^{٢}
١٩٩٤/٣/٣١	كانت مساحة أرض البلدية	١٢٣ كم^{٢}

السياسات السكانية الإسرائيلية في القدس:

منذ استيلاء سلطات الإحتلال الإسرائيلي على القدس، بدأت هذه السلطات تطبّق سياسات سكانية لتهويد المدينة وإلغاء طابعها العربي والإسلامي. وتقوم هذه السياسات على محاور رئيسة ثلاثة:

المحور الأول، ويتعلق بالبلدة القديمة داخل الأسوار وقوامه التخطيط لتهويد البلدة القديمة. بدأ العمل بهذا المحور بعد احتلال المدينة عام ٦٧، فدمّر حي المغاربة المجاور للمسجد الأقصى المبارك من جهة الغرب وذلك لتوسيع ما يسمونه ساحة حائط المبكى وبناء حي يهودي سكني. وقد قام اليهود، لهذا الغرض، باجلاء سكانه العرب بالقوة، وفعلوا مثل ذلك بحي الشرف، وأسسوا شركة لتهجير السكان العرب واحلال اليهود القادمين محلهم.

المحور الثاني، ويتعلق بالقدس الجديدة خارج الأسوار، وقوامه التخطيط لتهويد المدينة خارج الأسوار وتمزيق الوحدة الجغرافية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية للمدينة والمنطقة التابعة لها. بدأ العمل بهذا المحور منذ العام ١٩٦٨م حيث صادرت سلطات الإحتلال ٣٣٦٠ دونماً تم ضمها الى مباني الجامعة العبرية على جبل سكوبس مع حزام عريض يربطها بغرب القدس بغية توفير اتصال مستمر ومباشر ما بين الجيب الإسرائيلي على جبل سكوبس والقدس الغربية. وهناك هدف آخر لا يقل أهمية وهو ايجاد طوق من الفواصل البشرية والسكنية ما بين مركز القدس وشمالها والسيطرة على طريق القدس – رام الله.

أما **المحور الثالث** للسياسة السكانية الإسرائيلية في القدس فيدعى محور مشروع القدس الكبرى، حيث يعمل المخطط المرافق لهذا المشروع على توسيع الإستيطان وضم أرض الى القدس لم تكن يوماً تابعة لها بحيث تضم حدود القدس حوالي ٤٤٦ ألف دونم بحجة الأمن الإسرائيلي.

ما هي نتائج هذه السياسة، اذن، على ديموغرافية القدس؟

ان تتبع الإحصاءات الديموغرافية لنسبة اليهود في القدس الموحّدة يعطي صورة قاتمة للوضع العربي فيها تبعث على التأمل واستخلاص العبر. ويظهر ذلك جلياً في الجدول الآتي الذي يبيّن أيضاً ان نسبتهم في القدس تنسجم مع تزايد نسبتهم المبرمجة في فلسطين بالنسبة ليهود العالم ككل:

السنة	نسبة اليهود في القدس الى مجموع السكان فيها	نسبة اليهود في فلسطين الى يهود العالم
١٩٨٢	٪٧٠١	٪٠,٣
١٩٠٠	٪١٣,٦	٪٠,٥
١٩١٤	٪١٨,٢	٪٠,٦
١٩٢٥	٪٥٤,٣	——
١٩٣١	٥٧,٧	٪١
١٩٤٨	——	٪٦

السنة	نسبة اليهود في القدس الى مجموع السكان فيها	نسبة اليهود في فلسطين الى يهود العالم
١٩٥٥	ــــــ	٪١٣
١٩٧٠	٧٣,٩	٪٢٠
١٩٨٠	٧١,٨	٪٢٥
١٩٨٢	٧١,٤	٪٢٦
١٩٩٠	٧٢,١	٪٢٨
١٩٩٥	٨٠	٪٢٩

ماذا نستنتج من هذه الأرقام؟

ربما يكون الإستنتاج الأهم هو ان **هناك أهدافاً سياسية واضحة وراء تقليص النمو السكاني العربي في القدس**. وقد عبّر عن ذلك بوضوح الكاتب هوتمان في مقالة كتبها عام ٩٣ اشار فيها الى وجود سياسة إسرائيلية بعدم السماح لسكان المدنية العربية العرب بالنمو لأكثر من ٢٥,٨٪. وما تقييد رخص البناء الخاصة بالسكان العرب طوال فترة الإحتلال، وما زيادة جلب اليهود وزيادة نسبتهم في المدينة، والضغط على الأفراد والمؤسسات العربية في القدس، ألاّ وسائل لتطبيق هذه السياسة أو نتائج لها.

السياسات الإسرائيلية الداعمة للسياسة السكانية التهويدية لمدينة القدس:

على الرغم من وضوح أهداف السياسة السكانية الإسرائيلية الرامية الى تغيير البناء الديموغرافي للقدس واضفاء الطابع اليهودي عليها، فان هذه السياسة لا تُدار منفردة، وانما يسير معها ويدعمها سياسات اخرى مخططة رسمياً وتنبثق عن فكر أيديولوجي يقوم على توحيد شطري القدس الشرقي والغربي تحت السيطرة الإسرائيلية واظهار أهمية القدس الدينية للديانة اليهودية وأتباعها، وخاصة منطقة حائط البراق التي يسمونها حائط المبكى. وأهم السياسات الإسرائيلية الداعمة للسياسة السكانية اليهودية للقدس الآتي:

١ ـ سياسة الإغلاق وفرض الحصار على المدينة:

ووفق هذه السياسة، عملت إسرائيل على ضم القدس اولاً الى إسرائيل لتعطي نفسها مبرراً للقيام بإجراءات أخرى ثم بدأت تفرض عليها طوقاً أمنياً وتضع من حولها الحواجز العسكرية عند كل معبر للتحكم بدخول العرب والمسلمين إليها مشترطة حصولهم على تصاريح رسمية. بل ان سلطات الإحتلال كثيراً ما تمنع حتى حاملي التصاريح من الدخول اليها بحجج أمنية فاصبحت القدس شبه معزولة عن بقية اجزاء الضفة الغربية. وقد بلغت حدود الحصار للمدينة منع موظفي التربية والجامعات والمستشفيات وغيرهم ممن يسكنون في بقية أنحاء الضفة الغربية من الوصول الى أماكن عملهم في القدس.

٢ ـ السياسة الإستيطانية :

وتقوم هذه السياسة على تطويق مدينة القدس العربية وخنقها من جميع الجهات وذلك لبناء مستوطنات ومجمعات سكنية حولها بعد انتزاع ملكية الأرض والممتلكات العربية بل وإزالة الأحياء العربية كما هو الحال في حي المغاربة وحي الشرف فيها. بل ان إسرائيل استولت على أراض عربية محيطة بالقدس من جميع الجهات وأقامت عددا من المستوطنات اليهودية عليها. هذا فضلا عن قيام إسرائيل بفرض قوانين وأنظمة كما يحلو لها تعطيها حق هدم الأبنية العربية تحت شعار "هدم البيوت غير المرخصة" مع انها تتعمّد عدم منح تراخيص بناء للعرب. فقد هدمت مئات البيوت العربية في الطور وعناتا والزعيم وفي المناطق المجاورة للقدس مثل بيت لحم والتعامرة وغيرهما.

٣ ـ السياسة الضريبية:

تقوم هذه السياسة على اثقال كاهل المواطن العربي الفلسطيني بالضرائب المفروضة عليهم لدفعه الى الهجرة من القدس في نفس الوقت الذي تبنى فيها المساكن للمستوطنين اليهود القادمين من خارج فلسطين وتسلم لهم مع تسهيلات لا

مثيل لها. ولعل ابرز أنواع الضرائب المفروضة هي ضريبة "الأرنونا" على الممتلكات العينية كالمساكن والأرض وتتراوح هذه الضريبة ما بين ٣ - ١٠ دولارات على المتر المربع الواحد للأبنية السكينة، و ٨٠ دولاراً للمتر المربع الواحد على الأبنية المستخدمة للبنوك. وهناك ضرائب أخرى مثل ضريبة القيمة المضافة التي تبلغ ١٧٪. ومن هنا يمكن تبيّن واحدٍ من أهم أسباب نزوح الفلسطينيين عن المدينة.

٤ . السياسة الإقتصادية :

ووفق هذه السياسة تعمل إسرائيل على خنق الحركة الإقتصادية العربية في القدس. فإضافة الى فرض الحصار السكاني ومنع حتى المصلين المسلمين والمسيحيين من الوصول اليها، فإنها تعمل جاهدة على اضعاف الوجود الإقتصادي العربي والمؤسسات الإقتصادية العربية في المدينة من خلال وسائل متعددة منها على سبيل المثال، عدم إقرار برامج تنموية خاصة بالقدس الشرقية، والعمل على تعطيل عمل المؤسسات العربية فيها، والسيطرة على الصناعة السياحية وتوجيهها.

٥. السياسة الإدارية:

وأهم مؤشرات هذه السياسة ضعف مستوى الخدمات المقدمة في القدس الشرقية، وتضييق عملية البناء السكني والتجاري العربي وغير ذلك. فعلى الرغم من ادعاء إسرائيل بان القدس موحدة منذ العام ١٩٦٨، الا ان من يدخل القدس الشرقية والقدس الغربية ويفحص مدى التباين في مستوى إهتمام البلدية وحكومة إسرائيل بكل منهما يلاحظ الفوارق التمييزية والمتحيّزة وفق أبسط المقاييس.

٦. السياسة الدينية:

اذ تقوم السلطات الإسرائيلية بشكل رسمي ومتعمّد بخنق ممارسة الشعائر الدينية في الأماكن الإسلامية والمسيحية، مع فتح الباب على مصراعيه للممارسات

اليهودية. فإضافة الى منع العرب المسلمين والمسيحيين القادمين في بقية أرجاء فلسطين من ممارسة شعائرهم الدينية والصلاة في القدس في معظم الأحيان، فان السلطات الإسرائيلية كثيرا ما تقوم بالإعتداء على المصلين وعلى أماكن العبادة. وليست مجزرة الأقصى عنا ببعيد. وهذا كله جزء من مخطط شامل لتهويد المدينة كما أوضحنا.

التغيير الديموغرافي وعملية السلام:

إن أهم مؤشر على وجود ارتباط إيجابي أو سلبي بين عملية التغيير الديموغرافي في القدس وعملية السلام المنشود بين السلطة الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة، وبين إسرائيل من جهة أخرى، هو ما إذا كان يرافق هذا الارتباط وجود توازن بين مصالح الطرفين. ونعني بهذا التوازن ان تكون الإجراءات التي تتم على الأرض في مصلحة الطرفين وليست لصالح طرف على حساب الآخر وخاصة إذا كان ذلك الآخر هو المالك الحقيقي للأرض وصاحب الولاية الحقيقية عليها كما هو حالنا.

وبالفحص الموضوعي للإجراءات الإسرائيلية في القدس وما حولها، نستدل على مخطط لا يراعي المصلحة الفلسطينية ولا يحرص على وجود التوازن المنشود، بقدر ما يحرص على فرض حقائق ديموغرافية وسياسية وإقتصادية وإجتماعية جديدة في مدينة القدس والمنطقة ككل. وبهذا المعنى فان الإجراءات الإسرائيلية السابقة والحالية لا تتعارض مع روح اتفاق إعلان المبادىء بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل فحسب، بل تتعارض مع القاعدة الشرعية والمرجعية الأساسية للاتفاق وهي قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، والذي يشكل القاعدة الأساسية للعملية التفاوضية. فوفق القرار ٢٤٢ يجب على إسرائيل الانسحاب من الضفة الغربية بما فيها القدس، مع اعتبار كل إجراء لتغيير معالم القدس الديموغرافية والاجتماعية والسياسية وغيرها إجراء غير قانوني وغير مشروع.

وخلاصة القول، هناك إصرار إسرائيلي على التنكّر للقرار ٢٤٢ وللشرعية الدولية وقراراتها العديدة التي تعتبر فيها القدس أرضا محتلة، كما ان اللجان التي

كلّفها رئيس الحكومة السابق للفصل بين إسرائيل والأراضي المحتلة عام ٦٧ وخاصة القدس تكرس في توصياتها الى حكومة إسرائيل هذا التنكر للحق العربي. ونظرة الى ما كانت نشرته الصحف العبرية والعربية حول توصيات لجنة الأمن ولجنة الشرطة المكلفين بوضع خطة الفصل المذكورة تشير الى تعميق اتجاه تهويد القدس والى الابتعاد عن السلام العادل على ارض المدينة المقدسة وما حولها. ولعل أهم النقاط التي تشكل قاسما مشتركا لتوصيات لجنتي الأمن والشرطة، المقدمتين الى رئيس وزراء إسرائيل فيما يتعلق بالقدس، الآتي:

١. منع أي فصل بين شطري القدس داخل حدود البلدية وتعزيز وجود الشرطة وقوات الأمن الإسرائيلية لتحقيق هذا الهدف.
٢. سد معظم الطرق التي تصل بين القدس وبقية أنحاء الضفة الغربية من الشمال والجنوب والشرق والغرب ووضع الحواجز الطبيعية والعسكرية اللازمة لذلك.
٣. تنظيم معابر على الحدود البلدية للمدينة لتقييد الدخول اليها بواسطة الشرطة الإسرائيلية والإكتفاء بتمكين الفلسطينيين من زيارة الأماكن المقدسة أما بواسطة محاور محدودة أو عن طريق وسائط نقل خاصة ومراقبة.
٤. تشديد القيود على هجرة الفلسطينيين الى القدس والعمل على التخلص من المقيمين فيها بصورة دائمة، في الوقت الذي يفتح فيه الباب على مصراعيه أمام المهاجرين اليهود الى المدينة لتحويل العرب الى أقلية.
٥. فرض القوانين الإسرائيلية التي تستهدف معاقبة كل من يدخل القدس بدون "إذن قانوني".

وهم يمارسون الآن هذا كله أمام العالم أجمع مخالفين بذلك ما نصت عليه إتفاقية إعلان المبادىء، ومخالفين ما تتطلبه عملية السلام. وهكذا فان الإسرائيليين أنفسهم يخلقون للمتطرفين الدوافع لعرقلة السلام، لأن الإنسان اذا ظلم في حقه، واذا اعتدى عليه في أرض، واذا ضيّقت عليه الحياة، فانه لن يكون قادرا على السلوك المتوازن الاعتيادي، وانما يمكن ان يدفعه ذلك الى ارتكاب أعمال قد لا يقوم بها وهو يعيش عيشا كريما على أرضه.

حقائق أساسية:

بعد هذا العرض الموجز لعلاقة التغيير الديموغرافي بعملية السلام، ينبغي التأكيد على الحقائق الآتية:

أولا: لقد وجدت من خلال البحث انه على الرغم من وجود بعض الإختلاف النظري بين توجهات قيادة حزب العمل وقيادة الليكود المعارضة فيما يتعلق بالأطماع التوسعية في الأراضي العربية المحتلة وقلبها القدس، الا ان الحزبين متفقان على عدم جواز العودة الى حدود ١٩٦٧، وعلى عدم جواز الإنسحاب من بعض المناطق المحتلة في أية تسوية سلمية قد تتم مع الفلسطينيين، وعدم جواز تقسيم مدينة القدس مع التشديد على انها العاصمة الأبدية الموحدة لإسرائيل.

ثانيا: على الرغم من التزام إسرائيل نظريا في اتفاقية أوسلو بطرح موضوعات الحدود والمستوطنات واللاجئين والقدس وغير ذلك من القضايا على مائدة المفاوضات في إطار التسوية المرحلية والنهائية، الا ان الممارسات التي تقوم بها السلطات الإسرائيلية تشير الى انها تسعى الى فرض سياسة الأمر الواقع، عن طريق القيام بإجراءات يصعب تغييرها، ومنها نهب الأرض العربية عن طريق إنشاء الطرق الإلتفافية للربط بين المستوطنات على حساب الوحدة الجغرافية والأمنية الفلسطينية.

ثالثا: على الرغم من التفاؤل النسبي، عند بعض الناس، من إعلان خطة الفصل بين الشعبين العربي والإسرائيلي التي قدمها وزير الشرطة موشيه شاحال الى رئيس الحكومة الإسرائيلية اسحق رابين بتاريخ ١٩٩٥/٤/١١، والتي جاءت في أعقاب عمليات انتحارية ضد الجنود الإسرائيليين، وخاصة عملية شارع ديزنغوف في تل أبيب، وعملية مفرق بيت ليد التي حدثت في كانون الثاني للعام ١٩٩٥م، فان تصريحات رابين التي رافقت إعلانه عن رغبته في الفصل تدل دلالة واضحة على سياسة إسرائيل الإستيطانية التي تؤدي الى نسف مسيرة السلام الفلسطينية الإسرائيلية حيث قال:

"اننا لن نعود الى خطوط ١٩٦٧م، ولن ننسحب من القدس، ولن نتزحزح عن غور الأردن".

رابعا: وعلى الرغم من ان المسؤولين في الحكومة الإسرائيلية يصرون على تجنب الخوض في أي نقاش حول التسوية النهائية أو الدائمة قبل انتهاء المرحلة الثانية المتمثلة في التسوية المرحلية، الا ان رئيس الحكومة اسحق رابين يعلن بإستمرار ان التواريخ غير مقدسة. ومع ذلك فقد تجاوب مؤخرا مع النداءات التي وجهتها القيادة الفلسطينية بإستمرار مباحثات إيلات وعدم السماح للعمليات الإنتحارية بتعطيل التفاوض. وليس من شك في أن المحادثات التي تتعلق بالقدس ستكون الأكثر صعوبة والأكثر خطورة من أي محادثات أخرى على الإطلاق.

خامسا: ان توجّه القيادة الفلسطينية والشعب الفلسطيني نحو السلام انما هو توجه صادق على قناعة تامة بان السلام العادل الشامل خير من استمرار الحرب والدمار، ولهذا فان القيادة والشعب معا يصران على متابعة منهج السلام ويعتبران تحرير القدس العربية وخاصة ما احتل منها في العام ١٩٦٧، أحد شروط السلام الرئيسة، ذلك السلام الذي لا يتحقق دون عودة القدس الى أصحابها الشرعيين ودون كونها عاصمة دولة فلسطين المستقلة. نحن شعب لنا حاجاتنا وحقوقنا السياسية والأمنية والمعيشية والحضارية كبقية الشعوب، والسلام العادل الدائم انما يتطلب احترام هذه الحاجات والحقوق.

نتائج وتوصيات:

ان أهم النتائج التي خرج بها الباحث في استعراضه للعلاقة بين التغيير الديموغرافي في القدس وعملية السلام، هي ان هناك اهداف سياسية وراء تقليص معدلات النمو السكاني العربي في القدس، ولا صحة للذرائع الأمنية التي يعطيها الإسرائيليون عند القيام بأي تغيير ديموغرافي، فهذه الذرائع لا تشكل سوى الوظيفة الظاهرة والهدف المعلن وغير الحقيقي. أما الهدف الحقيقي الكامن فهو العمل على تهويد مدينة القدس.

كذلك، ان مسعى إسرائيل الديموغرافي في التغيير المذكور يتناقض تناقضا تاما مع تصريحات المسؤولين الإسرائيليين، وانه لا بد من تضافر الجهود المحلية والدولية لتعديل هذا المسعى وتصويبه لأغراض السلام.

ولعل أهم التوصيات التي نود طرحها الآتي:

١. إعطاء الصراع الديموغرافي حقه من الإهتمام بما يخدم عملية التوازن السكاني ويحفظ الحق العربي والوجود العربي الفاعل والرئيس في المدينة وفي فلسطين ككل. وكما استندت إسرائيل الى الشرعية الدولية في إقامة الدولة وعمل ما عملته وتعمله في فلسطين، لا بد ان ننطلق نحن مع الشرعية الدولية التي ترفض الإحتلال الأجنبي وتعطي الشعب العربي الفلسطيني حقه الكامل في بناء دولته المستقلة على أرضه وعاصمتها القدس الشريف.

٢. تكثيف الوجود البشري في الأماكن الدينية لا من أجل التظاهر بالكثرة ولكن من أجل الحفاظ عليها وحتى لا يطمع فيها الطامعون. وهذا يتطلب العمل بكل الوسائل الحضارية للوصول اليها وممارسة الشعائر الدينية المشروعة لأن هذا حق لا ينازع.

٣. تعزيز الإسكان الفردي والجماعي في القدس وضواحيها وإيجاد الوسائل الكافية. لدعم غير القادرين، مع دعوة حاملي هوية القدس العرب الى العودة اليها والسكن فيها.

٤. محاربة هجرة العرب المقدسيين الى خارجها واعتبار كل فرد يفرّط بهويته خائنا للوطن والعقيدة. القدس ارض الرباط والتواجد فيها فرض ديني ووطني وسياسي.

٥. تطبيق سياسة سكانية وطنية في القدس وتشكيل مجلس أعلى لهذا الغرض يتولى رسم الخطط الموضوعية لترسيخ هوية المدينة والحفاظ على طابعها العربي الأصيل.

٦. أخيرا، وليس أقل أهمية، تعزيز الخدمات الإجتماعية والصحية والتعليمية والثقافية في القدس، وإيجاد خطة للضمان الإجتماعي والتأمينات الإجتماعية العربية فيها للحفاظ على أمن المواطن وصحته ووجوده. وهذا يتطلب تعزيز التعاون مع كل القوى العربية واليهودية التي ترفض مبدأ الإستيطان والقتل والتشريد والإستيلاء على ارض الغير بالقوة، وصولا الى سلام حقيقي يراعي الحقوق العربية ويعزّز السلام على أرض السلام.

المراجع:

١. بيل هوتمان، اهداف سياسية وراء تقليص النمو السكاني العربي في القدس، **صحيفة القدس العربية** (نقلا عن الجيروزالم بوست)، السبت ١٣/٣/١٩٩٣م.
٢. حسين عبد القادر صالح، **سكان فلسطين: ديموغرافيًا وجغرافيًا**، دار الشروق، عمان، ١٩٨٥.
٣. خليل السواحري، **التغيير الديموغرافي في مدينة القدس ١٩٦٧-١٩٩٠**، مجلة صامد الإقتصادي، العدد ٨٥، ١٩٩١.
٤. د. ذياب عيوش، **في علم السكان والمتغيرات السكانية الفلسطينية**، جامعة بيت لحم، ١٩٨٩.
٥. صلاح الصوباني، الأوضاع الديموغرافية في مدينة العدل تحت الإحتلال الإسرائيلي، **مجلة صامد الإقتصادي**، العدد ٨٥، ١٩٩١م.
٦. د. فتحي عاروري، الواقع الديموغرافي في فلسطين المحتلة وآثاره على الإنتفاضة، **مجلة صامد الإقتصادي**، العدد ٧٩، ١٩٩٠م.
٧. **الموسوعة الفلسطينية**، المجلد الثالث، بيروت، ١٩٨٦.
٨. Statistical Abstract of Israel عدة مجلدات.
٩. تقرير خاص غير منشور عن مدينة القدس والمؤسسات الصحية والتعليمية والإجتماعية فيها، ١٩٩٦.
١٠. تقرير خاص غير منشور عن خطة الفصل الأمني بين المناطق التي تسيطر عليها السلطة الوطنية الفلسطينية والخط الأخضر.

هجرة الفلسطينيين المسيحيين من منطقة القدس

برنارد سابيلا*

مدخل تاريخي عن الهجرة

عرف المجتمع الفلسطيني هجرة ابنائه منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. حيث غادر بعض سكان بيت لحم وبيت جالا الى أمريكا الوسطى والجنوبية. ومن العوامل التي ساعدت على الهجرة آنذاك الظروف السياسية والإقتصادية في الإمبراطورية العثمانية، وإن امريكا اللاتينية - وبفعل العنصر الديني - قد جذبت المسيحيين الفلسطينيين من منطقة بيت لحم اعتقادا منهم بسهولة التأقلم هناك. أما الفلسطينيون من الخليل والجنوب فقد نزح بعضهم الى مصر الخاضعة للحكم البريطاني أملا بتحسين فرص عيشهم. وقد فضل سكان رام الله والبيرة وقراهما الهجرة للولايات المتحدة "أرض الفرص" بينما قام سكان نابلس والمنطقة الشمالية في فلسطين بالتنقل والتجارة مع سورية ولبنان.

آثار حرب عام ١٩٤٨

مع فرض الإنتداب البريطاني على فلسطين وتنشيط الحركة الإقتصادية قلت حركة الهجرة وبخاصة في الثلاثينات. ومع وقوع حرب عام ١٩٤٨ فإن ٧١٤,٠٠٠ من الفلسطينيين قد طردوا من بيوتهم

* برنارد سابيلا، دكتوراة في علم الإجتماع، استاذ مشارك في جامعة بيت لحم. كتاب الهجرة، مؤتمر اللاهوت، الدورة الرابعة، ١٩٩٠.

ومن بينهم ٥٠,٠٠٠ من الفلسطينيين المسيحيين أو ٧ بالمئة من كل اللاجئين الفلسطينيين و ٣٥ بالمائة من كل المسيحيين الذين تواجدوا في فلسطين قبل ١٥ ايار ١٩٤٨. (قصيبي، ١٩٨٠ :١٨) وقد وجدت الأغلبية من اللاجئين طريقها في بادىء الأمر الى مدن وقرى الضفة الغربية وفي مخيمات اللاجئين التي أقيمت لاستيعابهم. واما اللاجئون المسيحيون فقد أقاموا في المدن وخاصة في القدس ورام الله وبيت لحم.

وقد ساعدت المؤسسات الكنسية والرهبانية اللاجئين بتوفير السكن لبعضهم في المدن وبفتح مجالات العمل في الأديرة والورش التابعة لها. أما الظروف الإقتصادية في الأردن فقد كانت جدا بائسة في الخمسينيات مما دفع الجماعات اللاجئة خارج مخيمات اللاجئين والمسيحيين في المدن. وكان أكثر المهاجرين من صغار السن ومن أرباب البيوت الذين غادروا للبحث عن عمل. وقد اتجه المسيحيون. بفعل صلاتهم بالامريكيتين، الى الهجرة اليهما واختار بعضهم – مثلما فعل غيرهم من الفلسطينيين – المغادرة الى بلدان الخليج العربي حيث أدى تدفق النفط فيها الى فتح مجالات العمل. وتقدر الإحصائيات ان ٤٠٠,٠٠٠ من الفلسطينيين قد تركوا الضفة الشرقية أولا قبل ان يتركوها الى غيرها من الأماكن. (بنفنستي، ١٩٨٤ :٣).

حرب حزيران ١٩٦٧ وآثارها:

نتيجة لحرب حزيران عام ١٩٦٧ اصبحت الضفة والقطاع مناطق محتلة. وقد تأثرت فرص عمل الشريحة المهنية المتعلمة بهذا الوضع الجديد وأضعف الإحتلال الإسرائيلي العسكري الإستقرار. وقد ترك انعدام الإستقرار السياسي أثره على كافة نواحي الحياة في المجتمع الفلسطيني. ومما يدل على هذا ان أكثر من ١٦٦,٠٠٠ من الفلسطينيين قد تركوا الضفة وأن ١٠٣,٠٠٠ تركوا القطاع في السنوات التسع عشرة الأولى من الإحتلال ووجد أكثر من ربع مليون فلسطيني أنفسهم خارج الضفة والقطاع نتيجة لحرب حزيران ١٩٦٧.

إن الهجرة، سواء أكانت قهرية أم كانت إختيارية، قد أصبحت سمة من سمات المجتمع الفلسطيني. وقد أثرت الهجرة بشكل خاص على الفلسطينيين المسيحيين

والذين لا يتجاوز عددهم الكلي ٥٠,٠٠٠ نسمة في الضفة والقطاع. وتعتبر العوامل التعليمية والمهنية بالاضافة الى وجود روابط عائلية في أرض الغربة من الأمور التي تشجع المسيحيين على الهجرة. (تسيمحوني، ١٩٨٣ :٥٦) وبسبب الأوضاع السياسية الراهنة الناتجة عن الإحتلال الإسرائيلي المستمر وانعدام فرص العمل وغياب المستقبل الآمن والمستقر فإن الكثير من المسيحيين يفكرون بالهجرة. وقد وعى الفلسطينيون حقيقة هجرة المسيحيين والآثار السلبية لهذه الهجرة على المجتمع الفلسطيني ككل. ولكن معطيات وأرقام الهجرة الفلسطينية المسيحية لم تكن متوفرة.

ومن أجل الحصول على معطيات وأرقام دقيقة وعلى مؤشرات الهجرة المسيحية، بادر مركز اللقاء بتبني دراسة ميدانية للهجرة بين العائلات المسيحية في مناطق القدس ورام الله وبيت لحم. وقد قدمت نتائج الدارسة في المؤتمر السنوي للاهوت في الأرض المقدسة في تموز ١٩٩٠ حيث خصص المؤتمر لبحث موضوع الهجرة.

أساليب البحث وخصائص المبحوثين:

بدأ البحث الميداني في أيار ١٩٩٠. وقد سبقته فترة شهرين تم خلالها إعداد الإستمارة واختيار الطواقم الملائمة لجمع المعلومات وتخزينها. وقد تم كذلك اختيار عينات من العائلات المسيحية في كل منطقة بحيث تمثل أكبر عدد ممكن من الطوائف المختلفة. وقد أعطى مراقب البحث الميداني تعليمات ل ١٤ جامعا وجامعة للاستمارة للتركيز على المناطق السكنية التي يتواجد فيها المسيحيون. وقد نصت التعليمات على ان يعرف جامع أو جامعة الاستمارة نفسه/ نفسها حين الدخول الى بيت العائلة وان يشرح غرض الاستمارة ويعرّف بمركز اللقاء وبالباحث الرئيسي للدراسة. ويمكن لأي فرد من العائلة ان يجيب على الإستمارة بغض النظر فيما إذا كان هو رب البيت أو أحد أفراده الآخرين. وقد تمكن جامعو الإستمارات من مقابلة ٥٥٠ فردا أو ٥٥٠ بيتاً وقد تم أثناء الزيارة البيتية ملء استمارة الهجرة والتي تتضمن معلومات عن خلفية المقابل ونيته/ نيتها للهجرة وأفراد العائلة الذين يوجدون حاليا في الخارج وأفراد العائلة الذين عادوا بعد فترة مكوث لا تقل عن عام في

الخارج والظروف التي يعتقد المقابل بأنها ستساهم في إيقاف الهجرة. وإذا ما ذكر المقابل أن هنالك أفرادا من العائلة في الخارج فقد كان يطلب منه/ منها ملء استمارة قصيرة عن المهاجر المتواجد في الخارج. وقد تضمنت هذه الإستمارة اسئلة حول خلفية المهاجر وتاريخ تركه البلد والسبب وكذلك نيته للعودة والظروف في بلد الغربة والروابط العائلية هناك والمساعدة التي تعطيها عائلة المقابل للفرد المهاجر في الخارج.

وحين انتهاء جامع الإستمارة من عدد من المقابلات كان يعطيها لمراقب البحث الميداني حيث كان يدققها بطريقة عشوائية للتأكد من صحة المعلومات. وقد تم اعداد لوائح خاصة لتفريغ المعلومات عن العائلات وأفرادها المهاجرين في الخارج. واستغرقت عملية البحث شهرين منذ بدء جمع المعلومات حتى توفرها بجداول من الحاسوب.

خصائص العائلات المقابلة:

المناطق السكنية

تمت مقابلة ٥٥٠ عائلة تمثل ٥ بالمئة من مجمل العائلات المسيحية في الضفة الغربية والبالغ عددها ١١,٠١٤ عائلة.

وقد توزعت هذه العائلات سكنيا على النحو التالي:-

- ١٥٤ عائلة في البلدة القديمة من القدس أو ١٠,٨٪ من مجموع ١,٤٣٠ عائلة فيها.
- ١٠٧ عائلات في القدس خارج الأسوار أو ٩,٠٪ من مجموع ١,١٩٠ عائلة فيها.
- ٧٤ عائلة في بيت جالا أو ٧,٤٪ من مجموع ١,٠٠٠ عائلة فيها.
- ١٠٥ عائلات في رام الله أو ٣,٥٪ من مجموع ٢,٩٩٠ عائلة في منطقة رام الله.

- ٦١ عائلة في بيت لحم أو ٢,٤٪ من مجموع ٢,٥٠٠ عائلة فيها.
- ٣٠ عائلة في بيت ساحور أو ١,٦٪ من مجموع ١,٩٠٤ عائلات فيها.

الطائفة

توزعت العائلات المقابلة على النحو التالي حسب الطائفة التي تنتمي اليها:

اللاتين:	٢٢٥	أو	٤٠,٩٪
الروم اللارثوذكس:	١٦٥	أو	٣٠,٠٪
الروم الكاثوليك:	٨٩	أو	٦١,٢٪
البروتستانت:	٢١	أو	٣,٨٪
السريان الأرثوذكس:	١٢	أو	٢,٢٪
مسيحيون آخرون:	١٧	أو	٣,١٪
دون جواب:	٢١	أو	٣,٨٪

السن:

كان توزيع المقابلين حسب السن على النحو التالي:-

٦٠ عاماً فما فوق	٨٣	أو	١٥,١٪
٤٠ - ٣٩	٢١٢	أو	٣٨,٥٪
٢٠ - ٣٩	٢١٧	أو	٣٩,٥٪
١٦ - ١٩	١٧	أو	٣,١٪
دون جواب	٢١	أو	٣,٨٪

التعليم:-

كان توزيع المقابلين حسب سنوات التعليم على النحو التالي:-

دون تعليم	٥٥	او	١٠,٠٪
إبتدائي	١٢٢	او	٢٢,٢٪
إعدادي	٧٣	او	١٣,٣٪
ثانوي	١٥٨	او	٢٨،٧٪
كلية معلمين	٣٥	او	٦,٤٪
بكالوريس	٦٨	او	١٢,٤٪
ماجستير	١٧	او	٣,١٪
دكتوراه	٥	او	٠,٩٪
دون جواب	١٧	او	٣,١٪

العمل والوظيفة:-

توزيع المقابلين حسب الوظائف على النحو التالي:-

١٢	او	٢,٢٪	موظف حكومي
٦٥	او	١١,٨٪	موظف قطاع خاص
٤٣	او	٧,٨٪	استاذ ابتدائي-ثانوي
١٢	او	٢,٢٪	استاذ كلية معلمين-جامعة
٨١	او	١٤,٨٪	شغل خاص
٩٦	او	١٧,٥٪	عامل
٣٠	او	٥,٥٪	مهنة حرة
٢١	او	٣,٨٪	باحث عن عمل
١٤٤	او	٢٦,٢	لا يعمل
٢٩	او	٥,٣٪	متقاعد

الحالة الإجتماعية:-

توزيع المقابلين حسب الحالة الزوجية على النحو التالي:

متزوج/ة:	٣٣٢	او	٦٠,٤٪
عازب/ة:	١٥٠	او	٢٧,٣٪
أرمل/ة:	٤٢	او	٧,٦٪
مطلق/ة:	٨	او	١,٥٪

النية للهجرة:-

أجاب ١٢١ مقابلا بنعم عن السؤال حول النية للهجـرة بينمـا أجـاب ٧١ آخـرون بربما عن نفس السؤال. أي أن هناك ١٩٢ مقابل أو ٣٤,٩٪ من كـل المقـابلين ممـن ابدوا النية بشكل أو آخر للهجرة. وتعتبر هذه نسـبة مرتفعـة جـدا وتعكـس حقيقـة ان الهجرة هي خيار مطروح أمام العديد من العائلات المسـيحية للخـروج مـن المشـاكل التي تواجهها في الأرض المقدسة.

المنطقة السكنية والنية للهجرة:-

لا يوجد اختلاف كبير بين منطقة سكنية وأخرى حول النية للهجرة. ففـي القـدس خارج الأسوار أبدت ٤٥ عائلة من مجموع ١٠٧ عائلات نيتها للهجرة أي ٤٢,١٪. بينما كانت النسبة الأقل في بيت ساحور حيث أبدت ٨ عائلات فقط من مجموع ٣٠ عائلة مقابلة نيتها للهجرة أي ٢٦,٦٪. ولكن نسبة بيت ساحور هذه حتـى بالمقارنـة مع النسب الأعلى في المناطق الأخرى تبقى هي نفسها نسبة عالية وتبرهن على أنـه لا توجد منطقة تتمتع بمناعة أكيدة ضد فكرة الهجرة.

وقـد جـاءت بيـت جـالا الثانيـة نسـبة ٤١,٩٪ أو ٣١ مـن ٧٤ عائلـة أبـدت النيـة للهجرة. وكانت رام الله الثالثة بنسبة ٣٧,١٪ أو ٣٩ من ١٠٥ عائلات. بينما كـانت القـدس القديمـة الرابعـة نسـبة ٣٠,٥٪ او ٤٧ مـن ١٥٤ عائلـة ابـدت النيـة للهجـرة. وكانت بيت لحم الخامسة بنسبة ٢٩,٥٪ حيث ابدت ١٨ عائلـة مـن ٦١ عائلـة نيتهـا للهجرة.

الطائفة والنية للهجرة:-

لم تجد الدراسة فروقا كبيرة بين طائفة وطائفة حول نية الهجرة. فقد أبدت ٣٦ عائلة من مجموع ٨٩ عائلة تنتمي لطائفة الروم الكاثوليك نية الهجرة أي بنسبة ٤٠,٥٪. وكانت النسبة الموازية عند اللاتين ٣٧,٤٪ إذ ابدت ٨٥ عائلة من مجموع ٢٢٥ عائلة لاتينية نية الهجرة. أما طائفة الروم الأرثوذكس فقد كانت نسبة العائلات التي أبدت نية الهجرة ٣١,٠٪ أي ٥٢ من ١٦٥ عائلة.

وقد اختلفت النسب مع الطوائف الأقل عددا فقد أبدت ٦ عائلات من السريان الأرثوذكس نية للهجرة بينما لم تبد مثل هذه الرغبة ٦ عائلات أخرى أي ان النسبة كانت ٥٠,٠٪. أما نسبة العائلات البروتستانتية التي أبدت نية للهجرة فقد كانت ١٦,٦٪ أو ٣ من ١٨ عائلة.

ويستطيع المرء ان يخلص الى نتيجتين عامتين من هذه النسب:

أولا: إن نية الهجرة متشابهة من حيث ارتفاع نسبتها في الطوائف الأكثر عددا مما يؤكد ان الهجرة خيار جدي وممكن لدى المسيحيين، بغض النظر عن الطائفة.

ثانيا: ان الوضع في الطوائف الأقل عددا يشير الى اتجاهات متناقضة حول الهجرة. فمن ناحية تشير الأرقام الى ان العائلات التي تنتمي لطائفة السريان الأرثوذكس تميل ميلا واضحا وأكيدا نحو الهجرة أكثر من العائلات في الطوائف الأكبر عددا. وقد يشرح هذا الميل على أنه ناتج عن صغر حجم طائفة السريان الأرثوذكس والذي قد يؤثر على التماسك الإجتماعي في الطائفة ويقلل من ترابطها خاصة وان عائلات عديدة من هذه الطائفة قد غادرت سابقا مما يدفع بالعائلات البروتستانتية تظهر ميلا منخفضا نحو الهجرة ولا يمكن شرح هذا بالرجوع الى صغر حجم الطائفة فقط. أي أنه لا بد من وجود شروحات أخرى لظاهرة ارتفاع وانخفاض نسبة النية للهجرة لدى السريان والأرثوذكس والبروتستانت ومن أجل الوصول الى هذه

الشروحات من المستحسن - إن أمكن - إجراء دراسة متخصصة في الطوائف الأقل عددا ومن بينها الأرمن الأرثوذكس والأرمن الكاثوليك وذلك للتحقق من العلاقة بين صغر حجم الطائفة ونية الهجرة عند عائلاتها.

السن والجنس والحالة الإجتماعية وعلاقتها بالنية للهجرة:-

يتضح بالنسبة للسن والنية للهجرة بأن أعلى تركيز للذين ينوون الهجرة هو فئتي السن ٢٠-٢٤، ٢٥-٢٩ حيث ان ٣٩ من ٨٨ أو ٤٤,٣٪ في هاتين الفئتين أبدوا نيتهم للهجرة. وقد أبدى ٢١ من فئة السن ١٥-١٩، أو ٢٣,٩٪، نيتهم كذلك للهجرة. بينما أبدى ١٢ من فئة السن ٣٠-٤٤ مثل هذه النية أو ١٣,٦٪، وقد أبدى ٧ فقط من فئة السن ٤٥ فما فوق، أو ٨,٠٪، النية للهجرة. وقد أشارت المعلومات المجموعة بأن ٩ من فئة السن ١٤ فما دون، أو ١٠,٢٪ قد بدأوا يفكرون هم أيضا بالنية للهجرة مستقبلا.

ومن الواضح أنَ فئات السن المعرضة أكثر من غيرها لاغراء الهجرة هي فئات العشرينات من العمر وفئات العقد الثاني من العمر. وهذا يؤكد أن الهجرة تجذب الشباب بشكل خاص. وتعكس المعطيات السكانية للمسيحيين في فلسطين هذا الأمر اذ ان متوسط عمر المسيحيين هو ٢٧ عاما مما يعني ان السكان المسيحيين هم فئة متقدمة بالسن بالمقارنة مع الفلسطينيين بشكل عام. والشرح الوافي لهذا الأمر يكمن في أنه كلما ترك صغار السن البلد فإن متوسط عمر الباقين يزداد تلقائيا.

وبالنسبة للجنس فإن أغلبية الذين ينوون الهجرة هم من الذكور إذ تبلغ نسبتهم ٧٥,٣٪ أو ٦٧ من ٨٩ من الذين ينوون نية أكيدة الهجرة. وهذا يؤكد أن الهجرة تجذب الذكور أكثر من الاناث وينعكس هذا الأمر بحقيقة ان هناك اناثا اكثر عددا من الرجال في الجماعة المسيحية الباقية في فلسطين. وتعتبر هذه الحقيقة احدى النتائج السلبية للهجرة ولإنعكاساتها الإجتماعية التي تصيب المجتمع ككل.

أما بالنسبة للحالة الزوجية فإن ٧١ من ١٢٢ أو ٥٨,٢٪ من الذين ينوون الهجرة هم من المتزوجين بينما تبلغ نسبة العزاب ٣٦,١٪ أو ٤٤ حالة ونسبة المطلقين

والارامل ٥,٠٪ أو ٦ حالات. وتشير هذه النسب الى ان نمط الهجرة المسيحية هو نمط عائلي بحيث ان أغلبية الذين يتركون البلد مع عائلاتهم لا ينوون الرجوع اليها. وفي حالة هجرة الشباب غير المتزوجين فإن الأمل يبقى هناك في إمكانية عودتهم أما حين تهاجر عائلات بأكملها فإن هذا الأمل يتلاشى.

التعليم والنية للهجرة:

إن أعلى نسبة من الذين ينوون الهجرة هم من حملة درجة البكالوريس إذ اعرب ١٩ من ٦٨ منهم، او ٢٧,٩٪ عن رغبتهم في الهجرة. وقد جاء حملة الشهادة الثانوية في المرتبة الثانية إذ أبدى ٤٣ من ١٥٩ منهم، او ٢٧,٠٪، نية الهجرة. وقد حل حملة دبلوم كلية المعلمين أو بما يساويه في المكان الثالث إذ بلغ عدد الذين ينوون الهجرة ٩ من ٣٥ او ٢٥,٧٪ بينما كانت النسبة لمن انهوا المرحلة الإعدادية ٢٤,٧٪ او ١٨ من ٧٣ حالة.

وقد كانت أدنى نسبة للنية للهجرة من حملة الدكتوراة إذ أبدى شخص واحد فقط من ثمانية الهجرة الأكيدة او ١٤,٣٪. وقد أشارت نتائج البحث الى نسب منخفضة كذلك للذين انهوا التعليم الإبتدائي وللذين لم يتلقوا التعليم بالمرة إذ بلغت النسبة لكل منهما ١٦,٤٪ فقد أبدى ٢٠ من ١٢٢ من ذوي التعليم الإبتدائي و٩ من ٥٥ من الذين لم يتعلموا بالمرة نية الهجرة. أما حملة شهادة الماجستير فقد بلغ عدد من ينوي الهجرة منهم ٣ من ١٧ أو ١٧,٦٪.

وعليه يستطيع المرء ان يستنتج ان الفئات ذات المستوى التعليمي المرتفع وكذلك الفئات ذات المستوى التعليمي المنخفض هي الفئات الأقل تفكيرا بالهجرة. أما الفئات التي من الأرجح ان تفكر بالهجرة فهي تلك التي تحمل الشهادة الثانوية والبكالوريس ودبلوم كلية المعلمين او ما يوازيه وكذلك الذين أنهوا المرحلة الإعدادية. وتؤكد هذه النتيجة ان المستوى التعليمي او ما يوازيه وكذلك الذين انهوا المرحلة الإعدادية. وتؤكد هذه النتيجة أن المستوى التعليمي الجيد يسهل الميل نحو الهجرة لأن المتعلم يتقن لغة أجنبية واحدة، على الأقل، الى جانب لغته الأم ولأن التعليم يمنحه الثقة

بانه من الممكن ان ينجح في حياة جديدة ببلاد أخرى. اما أولئك الحاصلين على درجة الدكتوراة والماجستير فقد اختاروا العودة على الارجح لتوفر فرص العمل والإستقرار الاقتصادي النسبي ولذا فلا يفكرون بالهجرة. ومن الممكن ان الذين لم يتعلموا بالمرة او حصلوا على قسط بسيط من التعليم لا يملكون الوسائل والمهارات الضرورية للنجاح في بلاد غريبة. وإذا ما أضاف المرء لعامل التعليم حقيقة ان معظم المتعلمين في بلادنا تنقصهم الفرص الحقيقية لعمل ملائم في بلادهم فإن المرء يستطيع ان يتفهم لماذا يختار هؤلاء الهجرة على البقاء في الوطن.

العمل والنية للهجرة:

ان النسبة الأعلى للذين أبدوا نية للهجرة هي لفئة العاطلين عن العمل إذ ابدى ٨ من ٢١ او ٣٨,١٪ نية الهجرة. وكانت الفئة الثانية من حيث نية الهجرة هي فئة المهنيين ذوي المهن الحرة إذ أبدى ٩ من ٣٠ منهم أو ٣٠,٠٪ نية الهجرة. وابدى ١٩ من ٦٥ من الذين يعملون في وظائف القطاع الخاص رغبتهم في الهجرة أو ٢٩,٢٪. أما العمال فقد كانت نسبتهم ٢٧,١٪ او ٢٦ من ٩٦ منهم، وقد أبدى ٣٢ من ١٤٤ من العاطلين عن العمل، او ٢٢,٢٪، رغبتهم كذلك في الهجرة.

ولم يبد موظفو القطاع الحكومي أية نية للهجرة وأبدى استاذ جامعي واحد فقط من مجموع ١٢ رغبته في الهجرة او ٨,٣٪. أما المتقاعدون عن العمل فإن نسبتهم كانت ١٣,٨٪ او ١٥ من ٨١، وبلغت نسبة اساتذة المدارس ١٨,٦٪ او ٨ من ٤٣ من الذين أبدوا رغبتهم بالهجرة.

يستطيع المرء ان يستنتج من هذه النسب ان أولئك الذين يفكرون بالهجرة هم الذين يعانون وضعا عماليا غير مستقر. وبالتالي فنستطيع ان نفهم لماذا يفكر العاطلون عن العمل بالهجرة وكذلك أولئك الذين يعملون في وظائف او أعمال لا توفر لهم الحد الأدنى من المعيشة الطيبة. وللتأكيد على هذه النقطة فإننا نأخذ مثل الموظفين في القطاع الحكومي الذي لم يبدِ أحد منهم النية للهجرة أي ان وجود عمل مستقر ذي فوائد أكيدة يشجع المرء على البقاء في الوطن.

أسباب الهجرة:

إن السبب الرئيس للتفكير في الهجرة هو البحث عن عمل وقد أبدي هذا السبب ٨٧ من ١٨٨ أو ٤٦,٣٪ من الذين ينوون الهجرة. أما السبب الثاني فهو الهجرة الدائمة إذ اعطى ٣٢ من ١٨٨ أو ١٧,٠٪ هذا السبب وجاءت الأسباب العائلية في المكان الثالث بنسبة ١٢,٨٪ او ٢٤ من ١٨٨. واحتلت الدارسة المكان الرابع إذ أبدى ٢٢ من ١٨٨ رغبتهم في مواصلة الدراسة أي بنسبة ١١,٧٪ وقد ذكر ٢٣ من ١٨٨ أو ١٢,٢٪ أسباب أخرى لرغبتهم في ترك البلد.

يمكننا الإستنتاج من هذه الأسباب وتوزيع نسبها ان أغلبية الذين يفكرون بالهجرة يفعلون ذلك من دوافع عملية ومحددة وليس نتيجة شعور عام بعدم الرضى. وهذا الإستنتاج يؤكد بأنه بالرغم من الوضع الإقتصادي والإجتماعي والسياسي السيء فإن أولئك الذين يعملون في وظيفة جيدة سيفكرون مرتين قبل ان يقرروا ترك البلد. إن الناس لا يتركون بلدهم بسبب الإحباط السياسي أو الإجتماعي وانما يتركونها إذ لم تتوفر لهم فرص كسب معيشتهم وإيجاد نوع من الإستقرار للأمد البعيد. قد يكون هذا الإستنتاج أهم استنتاج توفره هذه الدراسة.

الهجرة كنمط عائلي:

إن ١١٧ من ١٩٠ أو ٦١,٦٪ من الذين ينوون الهجرة لهم خطط لأخذ عائلتهم معهم. بينما لم يكن ٢٤ أو ١٢,٦٪ متأكدين من هذا الأمر فيما أكد ٤٩ أو ٢٥,٨٪ على أنهم لن يأخذوا عائلتهم معهم. ويمكن الإستنتاج على ضوء هذه المعطيات بأن الهجرة الفلسطينية المسيحية هي هجرة عائلية خاصة فيما إذا كان البلد المهاجر اليها بعيدة نسبيا مثل الولايات المتحدة واستراليا وكندا.

البلد المهاجر اليها:

ان ٤٧,١٪ من الذين ينوون الهجرة يريدون الذهاب للولايات المتحدة تتبعها استراليا بنسبة ٢٠,١٪ ومن ثم كندا بـ ١٢,٧٪ وأوروبا الغربية بنسبة ٩,٠٪ والدول

العربية بـ ٧,٤٪ وأخيرا امريكا اللاتينية بـ ٣,٧٪ أي ان الولايات المتحدة ما زالت هي مكان الهجرة المفضل ولكن تبوء استراليا للمكان الثاني يشير الى نمط هجرة جديد نحو تلك البلاد. وما زالت كندا تجذب بعض المهاجرين ولكن بلدان أمريكا اللاتينية قد توقفت عمليا عن كونها هدفاً لهجرة الفلسطينيين المسيحيين مثلما كانت في أوائل القرن العشرين وخاصة من منطقة بيت لحم. ولم تعد البلدان العربية تجذب الفلسطينيين كما كانت تفعل في الخمسينات والستينات. أما بلدان أوروبا الغربية فهي تجذب أولئك الشبان الذين يريدون متابعة دراستهم.

وتلعب العائلة بشبكة علاقاتها دورا هاما في اختيار مكان الهجرة كما يتبين من وجود أفراد من العائلة في بلد الهجرة فقد أشار ٩٤ أو ٤٩,٧٪ من الذين ينوون الهجرة بأن لهم اخوة وأخوات أو أبناء وبنات في بلد الهجرة. بينما أشار ٤١ او ٢١,٧٪ بأن لهم عمات وأعمام أو خالات وأخوال في نفس البلد. أي أن ما يزيد على ٧١,٤٪ لديهم أقارب قريبين في بلد الهجرة. فقط ٢٩ من ١٨٩ أو ١٥,٣٪ لم يكن لديهم أي أقارب في بلد الهجرة. ان وجود الأقارب في الخارج يجعل من نية الهجرة احتمالا حقيقيا ويشجع الناس على المخاطرة بالهجرة إذ ان وجود الأقارب في بلد الهجرة يخفف من المشاكل وعمليات التأقلم المرتبطة بالنزوح الى بلد جديد.

أفراد العائلة المتواجدون في الخارج:

وجدت الدراسة بأن ٣٢٣ من ٥٥٠ عائلة أو ٥٨,٧٪ لها أقارب في خارج البلد بينما قالت ٢٢٠ عائلة أو ٤٠٪ بأن لا أقارب لها في الخارج. وتؤكد هذه الأرقام أثر العائلة وشبكتها في عملية الهجرة. كما وتعكس حقيقة وجود أغلبية فلسطينية خارج الأرض المقدسة. وفي الواقع فإن السكان في الضفة الغربية والقطاع والبالغ عددهم ١,٧٠٠,٠٠٠ يمثلون ٤٠٪ فقط من الفلسطينيين في العالم. وعليه فإن أرقام الفلسطينيين المسيحيين تؤكد بأن خصائصهم السكانية وتوزيعهم الجغرافي يتفق مع الخصائص العامة للشعب الفلسطيني من حيث توزعه ما بين ٦٠٪ في الخارج و٤٠٪ في فلسطين ذاتها.

إن أغلبية الموجودين في الخارج هم أخوة ٢٣٨ وأخوات ١٧٨ وأبناء ١١٣ وبنات ٩٦. ويؤلف هؤلاء معا ٩١,٧٪ من مجموع ٦٨١ شخص موجودين في الخارج. ويزيد هذا من تأكيد أهمية العائلة وشبكتها في عامل الهجرة كما ويؤكد نمط هجرة الشباب الصغار في السن أولا ومن ثم التحاق باقي أفراد الأسرة بهم في وقت لاحق.

سنة المغادرة:

ما بين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ غادر ١٣٢ شخص للخارج او بمعدل ٦,٩ شخص لكل عام من بين العائلات التي لها أفراد في الخارج. وما بين ١٩٦٨ و١٩٨٧ ارتفع هذا المعدل الى ١٨ شخص لكل عام أي ان ٣٢٤ شخصا قد غادر في هذه الفترة. وللسنوات ١٩٨٨ و١٩٩٠ فإن عدد الذين تركوا من أعضاء العائلات المشمولة بالبحث كان ١٠٠ شخص او بمعدل ٣٣,٣ شخص لكل عام. ومن الواضح ان حركة الهجرة قد ازدادت بشكل ملحوظ في السنوات ما بين ١٩٦٨ و ١٩٨٧. ويرجع هذا الى ازدياد الوضع الإقتصادي سوءا حيث ان متوسط الدخل القومي للفرد قد انخفض من ١,٥٠٠ دولار في عام ١٩٨٧ الى ١,٢٠٠ دولار للعام ١٩٩٠. وقد انخفضت فرص العمل نتيجة هذا الوضع بالاضافة الى ان الممارسات التي انتهجتها سلطات الإحتلال الإسرائيلية قد ساهمت هي الأخرى في دفع بعض الفلسطينيين الى التفكير بالهجرة. وقد أقلق الناس خاصة اغلاق المدارس والجامعات وأن أبناءهم الشبان والصغار في السن معرضون للملاحقة المستمرة من قوات الإحتلال. وفي مثل هذه الظروف فإن بعض الأهل أرسلوا أبناءهم للخارج للانضمام الى الأقارب هناك وبدأوا يفكرون بجدية أكثر في موضوع الهجرة.

أسباب المغادرة:

ان أسباب ترك البلد لاعضاء العائلة الموجودين في الخارج تؤكد اهمية الشبكة العائلية وانعدام فرص العمل في البلد. فقد غادر ١٨٢ شخصًا او ٢٦,٧٪ سعيا وراء العمل. اما الذين غادروا لأغراض الدراسة فبلغ عددهم ١٢٨ او ١٨,٨٪ بينما ترك

١١٤ او ١٦,٧٪ لهدف الهجرة الدائمة. وكانت النسبة الأعلى لسبب مغادرة البلد للزواج إذ ذكر بان ١٩٥ او ٢٨,٦ من الذين غادروا فعلوا هذا بسبب الزواج والأغلب ان معظم الذين غادروا لهذا السبب هم من الشابات اللواتي تزوجن للخارج.

البلاد التي يتواجد فيها المغادرون:

يتوزع أفراد العائلات الذين غادروا البلد على البلاد التالية:-

البلد	العدد		النسبة
الولايات المتحدة	٢٧٤	او	٤٠,٢٪
أمريكا اللاتينية	٨١	او	١١,٩٪
أوروبا الغربية	٧٩	او	١١,٦٪
كندا	٥٦	او	٨,٢٪
استراليا	٥٤	او	٧,٩٪
البلاد العربية	٥٣	او	٧,٨٪
الأردن	٤٥	او	٦,٦٪

وإذا ما قارنا هذه الأرقام التي جمعناها عن العائلات التي تنوي الهجرة يتبين لنا ان انماطا جديدة آخذة بالظهور بالنسبة لبلاد الهجرة. فامريكا اللاتينية مثلا لم تعد مصدر جذب للمهاجرين بينما احتلت استراليا المكان الثاني من حيث الرغبة في الذهاب اليها. ومن المتوقع ان تزداد اهمية استراليا كبلاد ينجذب اليها عدد متزايد من الفلسطينيين المسيحيين.

الظروف في الخارج:

إن أغلبية الموجودين في الخارج راضون عن أوضاعهم وتصل نسبة الرضى الى ٦٧,٧٪ أو ٤٦١ من ٦٨١ مهاجر. بينما ذكر بأن ١٤١ او ٢٠,٧٪ تواجههم مشاكل في بلاد الهجرة وتتمركز هذه المشاكل في الناحية الإقتصادية ٥٨,٩٪ بينما

يواجه ١٤,٩٪ مشاكل مع طلبات الهجرة بالاضافة الى ١٢,٨٪ يواجهون مشاكل في دراستهم و ١٣,٦٪ يواجهون مشاكل صحية ومشاكل أخرى.

النية للعودة:

أبدى ١٥٣ شخص أو ٢٢,٥٪ النية بالعودة لأرض الوطن بينما أكد ٢٩٠ او ٥٢,٦٪ عن عدم رغبتهم بالعودة، واجاب ٢٠١ او ٢٩,٥٪ بانهم غير متأكدين عما ينوون عمله، وتشير هذه الأرقام بأن أقل من ٥٠٪ لا ينوون العودة وبأن ما يقرب من الثلاثين بالمائة لم يقرروا بعد أي أن الفلسطينيين المسيحيين الذين يذهبون للخارج يسعون وراء الأشياء العملية مثل العمل والزواج والدراسة وانهم لا يرغبون كلهم بالهجرة. ولكن ما ان يجد المغادرين انفسهم في الخارج فإن فرص عودتهم لأرض الوطن تأخذ بالنقصان.

الإتصال بين العائلة وأفرادها في الخارج:

إن المراسلة (٤٤,٩٪) والمهاتفات (٣٤,١٪) هما الوسيلتان الرئيستان للمحافظة على الإتصال مع افراد العائلة في الخارج. وفي ١١,٦٪ من الحالات فإن الزيارات المتبادلة هي حلقة الوصل. أي أنه مع توفر إمكانية الإتصالات والمواصلات، فإن الروابط العائلية تبقى قوية، ولا أدل على هذا من ان ٣٠٪ من الإتصالات بين العائلة وأفرادها قد حدثت في الأسبوع الذي سبق قبل المقابلة. وان ٢٥٪ من هذه الإتصالات قد حدثت في الشهر الذي سبق المقابلة، وقد ذكر ٧٢,٦٪ بأنهم أجروا اتصالا ما مع أفراد العائلة في الخارج خلال الثلاثة أشهر الأخيرة قبل تاريخ المقابلة.

مساعدة العائلة لأفرادها في الخارج:

هناك ٢٥ عائلة فقط أو ٣,٧٪ ممن توفر المساعدة المادية الكاملة لأفرادها في الخارج بينما تقدم ١٩ عائلة او ٢,٨٪ مساعدة جزئية. ولا ترسل اية مساعدة ل ٨٨,٠٪ من الذين يتواجدون في الخارج. أي ان الموجودين في الخارج يقومون

باعالة أنفسهم ولا يعتمدون على مساعدة عـائلاتهم فـي الوطـن. إن الطلبـة هـم الفئـة التي تحتاج للمساعدة الكلية خاصة إذا ما وجدوا في بلدان أوروبا الغربية.

التوزيع الديني للموجودين في الخارج:

ان التوزيع الديني للموجودين في الخارج هو كما يلي:-

٢٢٦	او	٣٩,١٪	لاتين
٢٣١	او	٣٣,٩٪	روم ارثوذكس
١٢٧	او	١٨,٦٪	روم كاثوليك
٢٤	او	٣,٥٪	بروتستانت
١٠	او	١,٥٪	سريان ارثوذكس
١٨	او	٢,٦٪	مسيحيون آخرون

التوزيع الجغرافي للموجودين في الخارج:

إن التوزيع الجغرافي للمتواجدين في الخارج هو كما يلي:-

رام الله	٢٢	او	٣٢,٣٪
بيت جالا	١٣٩	او	٢٠,٤٪
القدس خارج الأسوار	١٢٠	او	١٧,٦٪
القدس البلدة القديمة	١١٨	او	١٧,٣٪
بيت لحم	٦٥	او	٨,٢٪
بيت ساحور	٢٥	او	٣,٧٪

أفراد العائلة الذين عادوا:

يصل عدد الذين عادوا بعد فترة مكوث لسنة واحدة على الأقل في الخارج ٨٢ شخصا موزعين على ٥٥ عائلة او ١٠,٠٪ من كل العائلات المقابلة. ان متوسط عمر الذين عادوا هو ٢١,٣٪ سنة أي انهم صغار في السن نسبيا ربما عادوا بعد انهائهم لدراستهم الجامعية في الخارج. إن ثلثي الذين عادوا هم من الذكور اخوة وابناء بينما كان عدد الاناث اللواتي عدن أقل من الثلث وهن بالأغلب اخوات وبنات. وكان هناك ٨ او ١٠,٠٪ من الذين عادوا من الأهل ٥ آباء و٣ أمهات.

ان معدل سنوات المكوث في الخارج للذين عادوا هو ٤,٧ سنوات وهذا معدل جد مرتفع ويدلل على ان العديدين كانوا في الخارج لأغراض الدراسة. أما الأسباب التي دعتهم للعودة فهي كالتالي:-

١٩	او	٣٢,٢٪	انهاء الدراسة
١٢	او	١٤,٦٪	الفشل في الخارج
٨	او	٩,٨٪	ارادوا البقاء في الخارج ولكنهم لم يستطيعوا.
٦	او	٧,٣٪	ذكروا ان أهلهم أرادوا عودتهم
٣	او	٣,٧٪	عادوا لتعلقهم بالبلاد
٢	او	٢,٤٪	ذكروا سببا آخر.

إن ثلثي العائدين لديهم انطباع جيد عن البلد الذي كانوا فيها، أي أنه لو لم تكن هناك ظروف فرضت عودتهم لبقوا في تلك البلاد. ولكن السبب الرئيسي لعودتهم هو حقيقة وجود عمل لهم إذ يعمل ٤٢ منهم او ٥١,٢٪ وهناك ٦ او ٧,٣٪ بدون عمل وواحد يفتش عن عمل. وللاسف لم تتوفر لنا إجابات عن العمل ل ٣٣ منهم أو ٤٠,٢٪ ولكن إذا كانت الأرقام والنسب التي ذكرناها للذين وجدوا عملا المقياس فالأرجح ان غالبية ال ٣٣ قد وجدت عملا هي الأخرى.

العائدون وتوزيعهم الطائفي والجغرافي:

يتوزع العائدون حسب الطائفة كالتالي:-

٢٦	او	٣١,٧	روم ارثوذكس
٢٥	او	٣٠,٥٪	لاتين
١٩	او	١٣,٢٪	روم كاثوليك
١١	او	١٣,٣٪	بروتستانت سريان
			ارثوذكس وغيرهم.

بينما يتوزعون حسب المنطقة الجغرافية كالتالي:-

٢٦	او	٣١,٧٪	رام الله
١٩	او	٢٣,٢٪	القدس القديمة
١٣	او	١٥,٩	بيت لحم
١١	او	١٣,٤٪	القدس خارج الأسوار
٤	او	٤,٩٪	بيت ساحور

إن هذه الأرقام للعائدين توفر لنا بعض الأمل على ضوء نتائج هذه الدراسة والتي أشارت الى ان نسبة عالية من العائلات المسيحية تفكر بالهجرة. ان العقبات المستمرة امام حياة مستقرة آخذة في الإزدياد يشهد على هذا تدفق المهاجرين اليهود السوفييت وامكانية الحرب والدمار في الخليج. إن للهجرة تأثير خاص في هذه الأيام على العقول ولكن واجبنا كأفراد وكمؤسسات ان نفكر مرتين قبل ان نهاجر او نساعد في عملية الهجرة، وواجبنا يدعونا لايجاد المزيد من الوظائف والأعمال للعاطلين عن العمل. إن اختيار الهجرة هو كمن يترك السفينة وهي في مرحلة الخطر وقد ذكر غبطة البطريرك صباح عدة مرات بأهمية البقاء على أرض الوطن لمساندة وتشجيع أولئك الذين يحتاجون للمساندة والتشجيع وقد أكد غبطته ان الهجرة لا تضعف فقط المسيحيين بل اخوتهم المسلمين كذلك، ولذا فلقد دعا المسيحيين

لدراسة هذا الموضوع والإهتمام بإيقافه وفي نفس الوقت فإن غبطته يرى ضرورة القيام بنشاط إقتصادي وإجتماعي مثل الإسكان وزيادة فرص العمل لأولئك الذين تجذبهم وتغريهم آفة الهجرة.

References:

* Benvenisti, Meron, **THE WEST BANK DATA PROJECT** : A Survey of Israeli's Policies, , American Enterprise Institute for Public Policy Research, Washington and London, 1948.

* Kossaifi, George, **Demographic Characteristics of the Arab Palestinian Population,"** pp. 13-46 in the Sociology of the Palestinians, Edited by Khalil Nakhleh and Elia Zureik, Croom Helm, London, 1980.

* Sabbah, Michel, His Beatitude, **Messages on the Occasion of the Pentecost and on Peace in Jerusalem,** the Latin Patriarchate, Jerusalem, 1990.

* Sabella, Bernard, **"Socio-Economic and Educational Characteristics of the Christian Community and Future Prospects,"** Unpublished Article Commissioned by the Knights of the Holy Sepulchre, November 1989.

* Tsimhoni, Daphne, **Demographic Trends of the Christian Population in Jerusalem and the West Bank, 1948 - 1978,"** pp. 54-64 in the Middle East Journal, Spring 1983.

المشكلات التربوية في مؤسسات القدس التعليمية

سفيان كمال*

مقدمة

للقدس مكانة سامية في قلب كل فلسطيني سواء كان مسلما أو مسيحيا وسواء كان يعيش في الأراضي المحتلة أو خارجها. فكل فلسطيني يعتبرها العاصمة الروحية والسياسية لبلاده، ويؤمن أن من المستحيل أن يتخلى عن حقه الكامل فيها. وللقدس أيضا مكانة خاصة في قلب كل يهودي، مما دفع اليهود منذ اليوم الأول لإحتلالهم القدس العربية عام ١٩٦٧ الى بدء مخطط لتهويد المدينة. ومنذ سبعة وعشرين عاما وسلطات الإحتلال الإسرائيلي تبذل جهودا مكثفة ومتواصلة لخلق أوضاع مادية ونفسية في القدس العربية وحولها تجعل من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، على الفلسطينيين أن يحافظوا على وجهها العربي الإسلامي المسيحي، ولهذا تملّك الفلسطينيين منذ ذلك الحين قلق على مصير مدينتهم وهذا القلق يتزايد يوما بعد يوم نتيجة لتزايد إجراءات التهويد ومحاولات تضييق الخناق على كل ما هو فلسطيني وعربي في هذه المدينة.

وعلى ضوء الأوضاع السائدة عالميا وعربيا في الوقت الحاضر وكذلك على ضوء إشتداد الهجمة الصهيونية على القدس العربية،

* سفيان كمال، يعمل حاليا رئيسا لجامعة القدس المفتوحة وعمل قبل ذلك استاذا في الرياضيات وأساليب تدريسها ورئيسا لقسم الدراسات العليا في كلية العلوم والتكنولوجيا في جامعة أبو ديس.
محاضرة في الدورة الثانية عشر لمؤتمر التراث، ١٩٩٤.

يبدو ان أحد أهم أساليب النضال التي يمكن للفلسطينيين إتباعها حاليا للدفاع عن الهوية العربية للقدس وتحقيق نتائج إيجابية في هذا الصدد هو العمل بكل الوسائل المتاحة لتكوين مجتمع فلسطيني قوي متماسك في القدس يرفض بإصرار أن يذوب أو يطرد أو يغير لونه. فتقوية الوجود العربي الفلسطيني في القدس لا يساعد فقط على حفظ حق الفلسطينيين والعرب التاريخي فيها وإنما يساعد أيضا على تدعيم مطلب الدولة الفلسطينية المرتقبة بإستعادتها وجعلها عاصمة لها. ويمكن إيجاد مثل هذا المجتمع الفلسطيني الإسلامي المسيحي القوي في القدس العربية بالعمل الجاد على عدة أصعدة وفي عدة مجالات أهمها مجال التربية والتعليم.

من هنا وعلى هذه الخلفية يتضح أن لمؤسسات التربية والتعليم في المدينة المقدسة دورا مصيريا عليها أن تؤديه بعزم وتصميم ووعي كامل. وأهم أهداف هذا الدور إعداد أجيال عربية مقدسية تؤمن بتراثها وعروبة قدسها كما تؤمن بحقها في الحياة الحرة الكريمة وبقدرتها على الصمود والإبداع والتغيير. وعلى هذه الخلفية أيضا يأتي إهتمامنا بمشاكل مؤسسات التربية والتعليم في القدس العربية وإهتمامنا بمعالجة هذه المشاكل لتتمكن تلك المؤسسات من إداء دورها بفاعلية وإقتدار.

لمحة تاريخية

بعد إنتصارها في حرب حزيران عام ١٩٦٧ عمدت إسرائيل الى ضم القدس الشرقية (القدس العربية) اليها وأعلنت أن شطري القدس الغربي والشرقي قد أصبحا مدينة موحدة هي عاصمتها الأبدية. كما عمدت الى إلغاء كافة القوانين التي كان معمولا بها في القدس العربية قبل حزيران ١٩٦٧ ومن ضمنها قانون التربية والتعليم الأردني رقم ١٦ لعام ١٩٦٤. ووضعت المدارس الحكومية الإبتدائية والإعدادية تحت سلطة وزارة المعارف الإسرائيلية بينما وضعت المدارس الثانوية الحكومية تحت سلطة بلدية القدس الإسرائيلية. وإضافة لذلك أصدرت قانونا رقمه (٥٦٤) جرت الموافقة عليه في الكنيست بتاريخ ١٩٦٩/٧/٧ أخضعت من خلاله جميع المدارس الخاصة في إسرائيل لإشراف وزارة المعارف الإسرائيلية. وهذا يعني بالطبع أن مدارس القدس العربية الخاصة أصبحت لو نظريا تحت رحمة إسرائيل.

وبعد الضم مباشرة طبقت إسرائيل في المدارس الحكومية في شرقي القدس المناهج التي كانت مطبقة في المدارس العربية داخل إسرائيل (داخل الخط الأخضر). ولكن إزاء إصرار مواطني القدس العربية على رفض المناهج ومطالبتهم المتواصلة والملحة بالإبقاء على المناهج الأردنية إضطرت إسرائيل الى إعادة المناهج الأردنية الى المدارس الثانوية عام ١٩٧٦ والى المدارس الإبتدائية عام ١٩٨١. غير أن إسرائيل أصرت من جانبها على أن تدرس المدارس الحكومية الرسمية اللغة العبرية ومساقا حول المجتمع الإسرائيلي الى جانب المنهاج الأردني.

وقد عبر مواطنو القدس العربية عن رفضهم لسيطرة إسرائيل على عملية تعليم أبنائهم بسحب أعداد كبيرة منهم من المدارس الحكومية وإدخالهم الى المدارس الخاصة (التابعة إما لأشخاص أو لجمعيات خيرية أو للوقف الإسلامي أو لأديرة مسيحية) التي بقيت تطبق المناهج الأردنية وقد أدى هذا الإجراء من جانب سكان القدس العربية الى تضخم أعداد طلبة المدارس الخاصة. فمثلا في عام ١٩٨٠/٧٩ كان ٤٥٪ من طلبة القدس العربية في المدارس الخاصة وذلك مقابل ٢٤٪ قبل الإحتلال مباشرة. وفي عام ١٩٩١/٩٠ أصبحت هذه النسبة ٥٥٪ ولكن المؤسف أن هذا التضخم في أعداد الطلبة في المدارس الخاصة لم يرافقه توسع كمي ونوعي مناسب في هذه المدارس وبخاصة في المدارس التابعة للوقف الإسلامي وللجمعيات الخيرية.

ومنذ حوالي ثلاثة أعوام بدأت هجرة معاكسة لأعداد كبيرة من المدارس الخاصة الى المدارس الحكومية وذلك بسبب ضعف الإمكانيات المادية لكثير من المدارس الخاصة وما ترتب على ذلك من إضطرابات متكررة للعاملين فيها ولتردي أوضاع أبنيتها وتجهيزاتها. ومع أنه لا تتوفر إحصائيات دقيقة عن مجموع أعداد الطلبة الذي إنتقلوا حتى عام ٩٤/٩٣ الى المدارس التي تسيطر عليها إسرائيل إلا أن تقلص عدد الطلبة في مدارس الوقف الإسلامي من حوالي ١٣ ألف طالب عام ٩٠/٨٩ الى ٨ آلاف عام ٩٤/٩٣ يعتبر مؤشرا كافيا على ما جرى ويجري.

مدارس القدس العربية

يصعب في الوقت الحاضر تحديد ما تشمله مدينة القدس العربية من حيث المساحة وعدد السكان ويصعب تبعا لذلك تحديد جميع المدارس التي يمكن إعتبارها واقعة ضمن هذه المدينة. فقد أدى التكاثر السكاني والتوسع العمراني لسكان القدس العربية وضواحيها على مدى السبعة والعشرين عاما الماضية الى إتصال بعض القرى الواقعة في محيط القدس بجسم المدينة الرئيس (مثل الرام والعيزرية وأبو ديس)، كما أدى الى ظهور بعض الضواحي التي لم تكن موجودة قبل عام ١٩٦٧ (مثل ضاحية الزعيم). ولا بد من أن تقوم جهة فلسطينية بتحديد مفهوم حدود "القدس العربية". غير أنه من البديهي أن حدودها الدنيا لا بد أن تكون الحدود التي كانت تابعة لبلدية القدس العربية قبل حزيران ١٩٦٧.

والقدس الشرقية بوضعها الرسمي الإسرائيلي وفق ما حددته بلدية القدس لا يتطابق مع المفهوم الفلسطيني الضبابي للقدس العربية لأن بلدية القدس الإسرائيلية أخرجت من حدود المدينة بعض المناطق العربية ذات الكثافة السكانية الفلسطينية الكبيرة مثل ضاحية البريد العليا وأجزاء من الرام (أنظر الخريطة رقم (١). ويقدر البرغوثي ودعيبس (١٩٩٣) عدد سكان القدس الشرقية وضواحيها التابعة لبلدية القدس الإسرائيلية بحوالي ١٦٥ ألفا. ولا أريد هنا للقارىء أو للسامع أن يضيع في متاهات تحديد الوضع الجغرافي والديمغرافي للقدس العربية، وأكتفي بالقول أن المدارس التي أتحدث عن مشكلاتها هنا هي المدارس التي تقع ضمن التعريف الإسرائيلي للقدس مضافا اليها المدارس التي تقع عمليا وواقعيا ضمن مدارس القدس الشرقية حسب المفهوم الفلسطيني غير المحدد لهذه المدينة (مثل مدارس ضاحية البريد العليا).

وتتناول المناقشة في هذه الورقة المدارس الأساسية والثانوية فقط وتستثني رياض الأطفال المحتوية على صفوف البستان والتمهيدي فقط كما تستثني كليات المجتمع والجامعات.

السلطات المشرفة على مدارس القدس العربية

يوجد في القدس العربية ٩٣ مدرسة كانت في العام ٩٤/٩٣ تضم حوالي ٤٤ ألف طالب وطالبة وحوالي ٢١١٣ معلما ومعلمة وتشرف على التعليم في مدارس القدس العربية سلطات متعددة أهمها:

١. وزارة المعارف وبلدية القدس الإسرائيليتان وتشرفان على ٣٠ مدرسة.
٢. الأوقاف الإسلامية وتشرف على ١٧ مدرسة.
٣. أديرة / كنائس مسيحية متنوعة وتشرف على ١٥ مدرسة وهي لا تعمل كمجموعة بل كل كنيسة تشرف على عدد من المدارس التي تتبع طائفتها.
٤. جمعيات خيرية.
٥. أفراد يشرفون على مدارس قاموا هم أو عائلاتهم بتأسيسها.
٦. وكالة غوث اللاجئين الدولية (الأنروا) وتشرف على ٨ مدارس.

ويطلق عادة على المدارس التي تدار من قبل السلطات المذكورة في البنود (٢-٥) مصطلح المدارس الخاصة.

ويتنوع طلبة القدس العربية ومعلموها حسب السلطة المشرفة ووفق إحصائيات ٩٤/٩٣ كما في الجدول رقم (١).

جدول رقم (١)

السلطة المشرفة	عدد المدارس	عدد الطلبة	عدد المعلمين	عدد الشعب	طالب / شعبة
وزارة المعارف وبلدية القدس الإسرائيليتان	٣٠	١٩٦٤٨	٩٢٨	٦١٨	٣٢
المدارس الخاصة	٥٦	٢٢٩٨٠	١٠٩٦	٧٠٣	٣٣
وكالة الغوث	٠٨	٢٧١٣	٠٧٧	٠٨٢	٣٣
	٩٤	٤٥٣٤١	٢١٠١	١٤٠٣	٩٨

ويستفاد من هذا الجدول أن المدارس التابعة لإسرائيل في القدس العربية تضم حوال ٤٣،٣٪ من الطلبة وأن المدارس الخاصة تضم حوال ٥٠،٦٪ من الطلبة.

مشكلات مدارس القدس العربية

تعاني مدارس القدس العربية من مشكلات خطيرة تهدد مستقبل التربية والتعليم في هذه المدينة كما تهدد بالتالي مصير الوجود العربي الفلسطيني فيها. ويمكن تصنيف هذه المشكلات الى صنفين أولهما يشمل المشاكل التي تفتك بالمدارس من الداخل وتؤثر بشكل مباشر ويومي على سير العمل والإنتاج فيها. وثانيهما يشمل مشاكل ذات طابع كلي إستراتيجي. وسأسمي الصنف الأول "المشاكل الداخلية الإنتاجية" وسأسمي الصنف الثاني "المشاكل الكلية الإستراتيجية". ويجب التأكيد هنا على أن هذين الصنفين من المشاكل متداخلان ويتفاعلان بإستمرار وأبرزهما يهدف فقط الى تعميق النظرة الى مشاكل التربية والتعليم في القدس والدعوة الى العمل الجاد على أكثر من صعيد لوضع مسيرة التربية والتعليم في القدس على الطريق الذي يمكنها من خدمة المصالح الوطنية للشعب الفلسطيني.

المشاكل الداخلية الإنتاجية

أظهر التحليل الأولي لنتائج دراسة موسعة يجريها الدكتور سفيان كمال والدكتور سليم الزغبي بالتعاون مع مكتب التخطيط التابع لجميعة الدراسات العربية بالقدس على مدارس القدس العربية الخاصة أن هذه المدارس تعاني من مشكلات كثيرة ومتنوعة. ويبين الجدول رقم (٢) أهم هذه المشاكل.

جـــدول رقـــم (٢) أهم المشكلات التي تواجه المدارس الخاصة في القدس		
المشكلـــــــة	المدارس التي تعاني منها ٪	المدارس التي اعتبرت المشكلة خطيرة ٪
١. نقص في غرف الدراسة و/أو قاعات النشاطات والمختبرات.	٪٨٠	٪٨١
٢. عدم توفر ساحات وملاعب.	٪٦٢	٪٩٢
٣. قدم وتصدع بناء المدرسة / الحاجة للصيانة	٪٢٣	٪٤٣
٤. قلة توافر الأجهزة والماكنات الحديثة اللازمة للتعليم	٪٣٧	٪٣٥
٥. نظام الفترتين: صباحية ومسائية	٪١٩	٪٧٠
٦. تأخر / إمتناع أولياء الأمور عن دفع الأقساط المدرسية	٪٢٢	٪٤٢
٧. ضعف ميزانية المدرسة	٪٢٢	٪٥٠
٨. ضعف القدرات المهنية للمعلمين	٪٢٠	٪٤٥
٩. عدم دفع مرتبات المعلمين في أوقاتها	٪٣١	٪٧١
١٠.إهمال الطلبة لواجباتهم الدراسية	٪٤٦	٪٧٣
١١.قلة تعاون أولياء أمور الطلبة مع الإدارة والهيئة التدريسية	٪٤١	٪٤٥
١. قلة إنتظام الدوام المدرسي بسبب الإضرابات والحواجز الأمنية	٪٤٨	٪٥٠
٢. عدم إحترام النظام المدرسي من قبل الطلبة	٪٢٢	٪٢٧
٣. ظاهرة إستخدام العنف بين الطلبة	٪١٧	٪٣٣
٤. تخريب ممتلكات المدرسة من قبل الطلاب و/أو من أشخاص خارجيين	٪١٩	٪٥٠
٥. قلة النشاطات اللامنهجية في المدارس	٪٢٥	٪٤٨
٦. الساحات غير معبدة ولا يوجد مظلات	٪١٧	٪٤٣

ويستفاد من هذا الجدول أن أكثر المشاكل إنتشارا في هذه المدارس هي مشكلة النقص في غرف الدراسة والقاعات التي تستعمل للنشاطات المختلفة مثل الإجتماعات والمحاضرات والحفلات والمختبرات على إختلاف أنواعها. ويظهر الجدول أيضا أن معظم المدارس تدرك خطورة هذه المشكلة إذ أن ٨١٪ من هذه المدارس أعتبرت أن لهذا النقص نتائج وخيمة على العملية التربوية. ونفس الشيء يمكن أن يقال عن النقص في الملاعب والساحات التابعة للمدارس. ويرتبط بهاتين المشكلتين مشكلة الخاجة الماسة الى صيانة موسعة لحوالي ربع المدارس وهذه المشاكل الثلاث معا تعني أن عنصر الأبنية المدرسية يلعب دورا معيقاً وسلبياً بالنسبة للنتاجات التربوية التي نريدها لمدينة تصارع للمحافظة على هويتها وتراثها.

كما يستفاد من الجدول رقم (٢) أن أكثر من ثلث المدارس الخاصة في القدس تشكو من نقص الأجهزة والآلات الحديثة والوسائل التي تسهل وتساعد عملية التعليم والتعلم من نقص التجهيزات المخبرية. وأن حوالي نصف هذه المدارس أقر بخطورة ذلك بالنسبة لتحصيل الطلبة. ويلاحظ أن حوالي ربع المدارس أعترف بضعف القدرات العلمية والمهنية لمعلميه ومعلماته وأن حوالي نصف مديري ومديرات هذه المدارس مدركون لخطورة الأمر.

وربما كان من أشد المشاكل إيلاما للنفس وأبعدها أثرا على تحضيل التلاميذ عدم دفع مرتبات ٣١٪ من معلمي المدارس الخاصة في أوقاتها علما بأن هذه المرتبات قليلة ولا تشعر المعلمين بالرضى حتى لو دفعت في أوقاتها. إن الأزمة المالية مستفحلة منذ سنوات وبخاصة في المدارس التابعة للأوقاف الإسلامية ولا يتمثل أثرها بعدم دفع مرتبات المعلمين في أوقاتها، بل تمتد الى ضرب خطط التطوير والقيام بالنشاطات التربوية المختلفة في هذه المدارس. فقد شكا ٢٢٪ من المدارس الخاصة من ضعف الميزانيات المتوافرة لها والتي تستعمل عادة في شراء ما يلزم لبعض النشاطات المدرسية والقرطاسية ولأعمال الصيانة الخفيفة وللإنفاق على الحالات الطارئة ذات العلاقة بالتدريس.

ومن المشاكل الملفتة للنظر في مدارس القدس الخاصة إهمال الطلبة وأولياء أمورهم للعلم والتعلم. فالجدول رقم (٢) يشير الى ان حوالي نصف هذه المدارس قد

شكا من شيوع ظاهرة إهمال الطلبة لواجباتهم المدرسية وقلة تعاون أولياء الأمور مع المدرسة في العناية بأبنائهم وبناتهم. وهاتان الظاهرتان تكتسبان أبعاداً خطيرة في مدينة كالقدس العربية مفتوحة تماماً على مدينة إسرائيلية وتتعرض على مدار الساعة لمحاولات إبتلاع مادي وحضاري من قبلها.

وقد يلاحظ المدقق في الجدول رقم (٢) أن الكثير من المشاكل المذكورة فيه موجودة أيضاً في الكثير من مدارس الأراضي المحتلة ولا يقتصر على مدارس القدس الخاصة. ورغم عدم وجود دراسات تمكننا من إجراء مقارنات إلا أنه يمكن القبول بمثل هذه الملاحظة. ولكن تظل للقدس خصوصيتها ووجود مشاكل بالكثرة والحجم الذي يظهره الجدول رقم (٢) يحد كثيراً من قدرة المجتمع العربي فيها على الصمود والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية المسيحية لهذه المدينة.

المشاكل الكلية الإستراتيجية

١. *تعدد جهات الإشراف على مدارس القدس العربية*

كما ذكرنا سابقاً تشرف على مدارس القدس العربية ثلاثة أنواع من السلطات مما يهيء الظروف لتقطيع جسم المجتمع الفلسطيني العربي في القدس أو أضعاف تماسكه على الأقل. فثلث مدارس القدس العربية تقريباً تخضع للسيطرة الإسرائيلية التي تتبنى فلسفة تربوية تختلف كثيراً عن الفلسفة التي نتمناها لأجيالنا الفلسطينية ولا تسمح بأن توجد في مدارسها أجواء ونشاطات تخالف غاياتها ومقاصدها. وهذه المدارس عديمة الصلة تقريباً بغيرها من مدارس القدس العربية رغم أنها تطبق مناهج مماثلة، فكأنها تعمل في واد وغيرها من المدارس تعمل في واد آخر. وحتى بين المدراس الخاصة التي لا تخضع للسيطرة المباشرة للإسرائيليين يوجد مدارس تركز على البعد الطائفي سواء المسيحي أو الإسلامي مما يساعد على إيجاد المزيد من عناصر التفسخ في جسم مجتمع بيت المقدس. وخلاصة القول أن تعدد وجهات الإشراف على مدارس القدس العربية يعمل حالياً على تخريج أجيال غير متجانسة فكرياً ووطنياً وقد يصعب أن تتكاتف من أجل المصلحة الوطنية العليا للفلسطينيين.

٢. عدم وجود قيادة تربوية عليا للمدارس الخاصة في القدس

توجد في القدس العربية ٥٥ مدرسة خاصة تضم حوالي ٥٠،٦٪ من طلبة المدينة. ومع أنها خارج السيطرة الإسرائيلية المباشرة إلا أن ذلك لا يعني أنها جميعاً تحت السيطرة الفلسطينية الوطنية بشكل مباشر أو غير مباشر. أنه لمن المؤسف أن نجد أن التعاون والتنسيق بين هذه المدارس في مختلف المجالات كان ولا يزال دون الحد الأدنى المطلوب بكثير. وهذه المدارس تسير في الغالب على هواها أو هوى فئاتها وطوائفها ولا توجد قيادة تربوية عليا تحثها وتساعدها على التنسيق والتعاون علمياً وتربوياً ووطنياً وتخلق منها مؤسسات مجتمعية تعمل لتحقيق الرؤية التربوية الفلسطينية.

٣. ضعف الإهتمام الفلسطيني والعربي بوضع مدارس القدس

إنه لمن المؤسف أن الإهتمام الفلسطيني والعربي بالقدس لم يكن حتى الآن على مستوى المشاكل والصعوبات التي تواجهها هذه المدينة النادرة. ولم يكن على المستوى الذي يمكنه من الحد من شدة حملات التهويد المتتالية والمكثفة التي تتعرض لها. إن مستوى الإهتمام من الجانب الفلسطيني والعربي بالمدارس بالذات كان ولا يزال مبعث حزن وأسف عميقين. وعند الحديث عن الجانب الفلسطيني، لا أقصد الرسمي فقط وإنما الجانب الشعبي أيضا. فسكان القدس الشرقية وسكان الضفة الغربية وقطاع غزة لم يفعلوا شيئا يذكر من أجل مساعدة مدارس القدس على حل مشاكلها العديدة. لقد وقف هؤلاء جميعا متفرجين على معلمين ومعلمات مدارس الأوقاف وهم معتصمون ومضربون للحصول على لقمة العيش لأطفالهم. إن بين الفلسطينيين الكثير من القادرين على البذل والعطاء ويجب عليهم أن يفعلوا ذلك من منطلق الواجب وليس من منطلق الشفقة والمنة.

وعلى الدول العربية وبالذات الأردن والسعودية واجب تجاه مدارس القدس عليها القيام به دون إنتظار وفود الإستجداء. فالدعم المادي السخي لهذه المدارس واجب وطني وقومي وإنساني والأوضاع التي تعيشها المدينة المقدسة لا تحتمل مزيدا من التأخير.

٤. إنفتاح شطري مدينة القدس على بعضهما بشكل يومي مباشر

إن شرقي القدس هي المدينة الفلسطينية الوحيدة التي أُحتلت عام ١٩٦٧ ويوجد بها إحتكاك يومي مباشر مع مدينة إسرائيلية. فبعد أن ضم الإسرائيليون المدينة الى القسم الغربي أصبحت معظم مناحي الحياة منفتحة على بعضها البعض. وأصبح سكان القدس يتعرضون ليل نهار الىغزو فكري وثقافي خطر كما يتعرضون الى أنماط من العادات والسلوكات والقيم التي لا بد أن تحدث أثرا سلبيا على الأهداف الثقافية والتربوية والقيمية التي نريدها لأجيالنا الحاضرة والمستقبلية. وربما كان من أهم أدواتنا لمواجهة آثار ذلك الغزو ومؤسساتنا التعليمية والثقافية التي يترتب عليها أن تعرف كيف تخطط للمواجهة. وأن تنفذ فعلا عملية مجابهة مستمرة لحماية شبابنا من مخاطر هذا الإنفتاح.

٥. إغلاق شرقي القدس أمام الفلسطينيين في سائر الأراضي المحتلة

وضعت إسرائيل منذ حوالي عام ونصف قيودا شديدة علىدخول الفلسطينيين الذين لا يحملون هوية القدس الى هذه المدينة. وكان هدفها الرئيسي هدف سياسي يتمثل في تأكيد فصل القدس عن جسم الضفة الغربية وتقليل التواجد العربي اليومي في شوارع القدس ومؤسساتها. وقد أثر ذلك الإجراء الإسرائيلي على جميع مناحي الحياة في القدس ومنها التربية والتعليم. فقد أدى الطوق الأمني على القدس (الإغلاق) الى منع عدد كبير من الطلبة والمعلمين من الوصول الى مدارسهم وجامعاتهم في القدس، كما أدى الى إعاقة كثيرين منهم وتأخير وصولهم الى مؤسساتهم. وقد أضر ذلك كله بالبرامج التربوية ضررا كبيرا. وحيث أنه لا يبدو أن إسرائيل تنوي في المستقبل المنظور إزالة حالة الإغلاق هذه فان الأثر السلبي لهذا الإجراء قد يستمر طويلا.

معالم إستراتيجية شاملة للتربية والتعليم في القدس العربية

لكي تسهم مؤسسات التربية والتعليم في القدس العربية في المحافظة على وجود قوي للفلسطينيين فيها وعلى الحفاظ على وجهها العربي الإسلامي المسيحي لا بد

من وضع إستراتيجية خاصة للتعليم في هذه المدينة المقدسة ومن أهم معالم وملامح هذه الإستراتيجية ما يلي:

١. توفير الدعم المالي المناسب والمستمر للمؤسسات التعليمية لتتمكن من أداء واجباتها بفاعلية وإقتدار وإنشاء مؤسسات تعليمية جديدة حسب ما تقتضيه حاجات القدس على مدى السنوات العشر القادمة.

٢. إيجاد جهاز تربية وتعليم فلسطيني قوي خاص بالقدس ويتخذ منها مقرا له تعزيزا لتواجد الفلسطينيين فيها ليشرف على سير العملية التربوية عن قرب ويقيم مسيرتها بشكل مستمر ويسهر على تطويرها نوعياً. وليس من الضروري أن يكون هذا الجهاز مرتبطاً رسمياً تحت الظروف الحالية بالسلطة الوطنية الفلسطينية. ويمكن تسميته مثلاً بالمجلس الأعلى للتربية والتعليم في القدس. ولا بد أن يكون لجهاز التعليم هذا ميزانية خاصة كافية حتى يتمكن من القيام بالأعباء الملقاة على عاتقه.

٣. التركيز على أن تطبق في مدارس القدس العربية نفس المناهج التي تطبق في الضفة الغربية وأن يتم أي تطوير أو تجديد للتعليم وخططه بشكل متوازٍ في القدس وسائر أنحاء الأراضي المحتلة وذلك تجنباً للصعوبات المستقبلية التي قد تحدث عندما تصبح جزءا من الدولة الفلسطينية أو من الأراضي التابعة للسلطة الوطنية.

٤. العمل على أن يتولى سكان القدس العربية إدارة مدارسهم جميعاً بما فيها تلك التي تديرها بلدية القدس والمعارف الإسرائيلية والضغط من أجل ذلك على إسرائيل داخلياً ومن خلال اليونسكو واليونيسف وغيرهما من المؤسسات الدولية إنطلاقاً من مبدأ أن التعليم أمر مجتمعي ولا يجوز أن يتولاه أناس خارجون عن ذلك المجتمع. ويمكن توفير الأموال اللازمة لإدارة المدارس من خلال تحويل قسم من أموال الضرائب التي تجبى من سكان شرقي القدس. ولما كان مصير القدس النهائي قابلا للتفاوض بعد عامين (أي عام ١٩٩٦) قد يكون من المناسب أن نبدأ من الآن بالمطالبة بتسلم السلطة بشكل مبكر بالنسبة للتعليم.

٥. تطعيم المناهج المدرسية والجامعية في فلسطين بمواضيع تتعلق بالقدس وتبرز أهميتها التاريخية والدينية والثقافية والحضارية بالنسبة للمسلمين والمسيحيين.

٦. العمل على تنشئة أجيال فلسطينية في كل مكان تحب القدس وتعشقها تكون قادرة على الدفاع السياسي عنها. ومن سبل تحقيق ذلك، الإهتمام بالنشاطات اللامنهجية التي تتعلق بالقدس في مدارس المدينة وفي سائر مدارس فلسطين وبخاصة القيام برحلات لزيارة معالم القدس الدينية والتاريخية الإسلامية والمسيحية ويقع ضمن هذه النشاطات إجراء مباريات ومسابقات وندوات حول مواضيع متعلقة بالقدس.

٧. توعية المجتمع المقدسي نحو أهمية التعايش السليم والآمن بين المسلمين والمسيحيين وتبيان تاريخ هذا التعايش والتعاون والإمكانيات القوية لإستمراريته في المستقبل.

٨. إنشاء مؤسسات ثقافية ومراكز للفنون والرياضة في القدس العربية لتوجيه الأجيال الناشئة واستثمار أوقات فراغها وتوفير أجواء تربوية مناسبة يلتقي فيها الشباب من مختلف الطوائف والإتجاهات فتتوحد قلوبهم ويتماسك مجتمعهم.

٩. العمل على إيجاد قاعدة عريضة من نقاط الإتفاق بين مدارس القدس متعددة الديانات والفلسفات والمناهج والعمل على إستغلال تلك القاعدة لبناء علاقات وثيقة وتعاون مثمر بين هذه المدارس وذلك بهدف زيادة تلاحم وتماسك المجتمع الفلسطيني في القدس.

١٠.تكوين لجنة وطنية دائمة من سكان القدس مكونة من مختلف الطوائف والتخصصات لمساندة جهاز التربية والتعليم الذي في البند رقم (٢) أعلاه مهمتها الأساسية جمع التبرعات من الداخل والخارج لدعم وتطوير مؤسسات التعليم في القدس وإستنهاض همم سكان القدس العربية لدعم وتأييد المؤسسات التربوية العربية، وتكون بمثابة (جمعية أصدقاء) لمؤسسات التعليم في المدينة وتشبه الى حد ما جمعية أصدقاء جامعة النجاح أو جامعة بيرزيت مثلاً.

١١.إن عنصري السرعة والجدية هامان وحيويان في التعامل مع المشكلات التربوية للقدس العربية لأن التحدي الذي يواجهه الفلسطينيون من جانب اليهود بالنسبة لهذه المدينة هائل بحجمه وبأساليبه ويجب أن يدفعهم الى السباق مع الزمن.

مار كيرلس المقدسي الواعظ والمربي

الأب رفيق خوري*

بمناسبة الذكرى المئوية السادسة عشرة لوفاته

المقدمة

عندما أسس "مركز مار كيرلس" للثقافة الدينية والتأهيل التربوي الديني في القدس عام ١٩٨١ تساءل الكثيرون عن المقصود بهذه التسمية: من هو مار كيرلس؟ ومتى عاش؟ وماذا عمل؟ وما علاقته بالتراث المسيحي في بلادنا بشكل عام، وبالتربية الدينية بشكل خاص؟ ... في هذا المقال نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة.

عندما نزور كنيسة القيامة ونتجول في أرجائها المتعددة يتبادر الى اذهاننا ما تذكره لنا الكتب السياحية: بنيت هذه الكنيسة سنة كذا وأضاف اليها فلان كذا وهدمها آخر ورممها غيره ... وما شابه ذلك من المعلومات الأثرية التي تهتم بالحجر أكثر مما تهتم بالبشر. ما لا تذكره الكتب السياحية هو أن هذه الكنيسة كانت، في القرن الرابع، القلب النابض للجماعة المسيحية في المدينة المقدسة وضواحيها.

---

* الأب رفيق خوري، دكتوراه في اللاهوت، السكرتير العام للسينودس، مدير تحرير مجلة اللقاء باللغة العربية، وعضو مجلس أمناء مركز اللقاء.
مقال في مجلة اللقاء، السنة الثانية، العدد ٣، ١٩٨٧.

ويصعب علينا اليوم، نحن مسيحيي الأراضي المقدسة، أن نتصور هذا الواقع التاريخي وأن نتفاعل معه، لاننا نلاحظ – مع الأسف البالغ – ان سوء فهم عميق يخيم على علاقة الجماعة المسيحية اليوم في بلادنا بالأماكن المقدسة، وبشكل خاص كنيسة القيامة. فإذا كانت هذه الكنيسة مكانا مقدسا نؤمه لزيارة عابرة، فإنها لم تعد مركزا لتجمعات المؤمنين الطقسية والدينية كما كانت عليه الحال في الأزمنة الغابرة.

في أواخر القرن الرابع زارت الأراضي المقدسة سيدة إسبانية تقية إسمها اتيريا (أو أيجيريا). وكتبت مشاهداتها في كتاب يعرف باسم 'يوميات سفر'[1]، وفيه تحدثنا بشكل خاص عن الحياة الطقسية في المدينة المقدسة في تلك الفترة. ما يلفت النظر في هذه اليوميات ما تذكره هذه السيدة عن اشتراك الشعب المؤمن في الإحتفالات الطقسية اشتراكا كثيفا وحيا وفرحا حتى في ساعات الصباح الباكر. ففي سياق حديثها ترد دائما كلمة 'الشعب'، "الجماهير" "المؤمنين"، ولدى ذكرها ليوم الأحد فإنها تخبرنا ان المؤمنين كانوا يجتمعون قبل صياح الديك عند باب كنيسة القيامة ويجلسون هناك ريثما تفتح الأبواب. وكان الكهنة والشمامسة يختلطون بهم وينشدون معهم المزامير والترانيم الدينية. وعندما يصل بها المطاف الى وصف إحتفالات الأسبوع المقدس فإنها ترينا جماهير المؤمنين تتحرك من مكان الى آخر في المدينة المقدسة في فرح وتقوى وحماس وحيوية. إن هذا الكتاب يرسم لنا صورة جميلة للكنيسة المحلية: الأسقف ومن حوله لفيف الكهنة والشمامسة وجموع المؤمنين في وحدة متراصة[2].

هذا هو المناخ الديني والكنسي الذي عاش فيه مار كيرلس ومارس فيه رسالته.

ولد مار كيرلس في القدس أو في ضواحيها سنة ٣١٣/٣١٤، سيم كاهنا سنة ٣٤٤/٣٤٥، أنتخب أسقفا للمدينة المقدسة سنة ٣٤٨ وبقي على كرسي القدس حتى وفاته سنة ٣٨٧ (ما يقارب الأربعين عاما). لم تكن حياته سهلة، فقد حارب البدعة الأريوسية بكل قواه مما جعله هدفا لمكايد أصحاب هذه البدعة ومؤيدهم. فأبعد عن كرسيه الأسقفي ونفي مرة أولى سنة ٣٥٧ لمدة سنتين، ومرة ثانية سنة ٣٦٠ لمدة سنتين أخريين، ومرة ثالثة سنة ٣٦٧ حيث بقي في المنفى أحد عشر عاما. اشترك

في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وكان أحد رؤسائه. بعد هذه الحياة الراعوية، المضطربة والخصبة في آن واحد، وافته المنية سنة ٣٨٧.

بعد هذا العرض الخاطف لمراحل حياته يجب القول أن العظات التي وصلتنا منه هي التي خلّدت اسمه في التاريخ الكنسي. تبقى هذه العظات، التي القاها في كنيسة القيامة على طالبي العماد في بداية حياته الأسقفية، هي الأثر الذي تتمركز فيه أهمية مار كيرلس وإهتمامنا به اليوم[٣].

نتوقف في الصفحات التالية عند هذه العظات لذكر الإطار الذي القيت فيه قبل ان نعرض محتواها وأسلوبها.

القسم الأول: إطار العظات

ان دراسة الإطار التاريخي والجغرافي والكنسي لعظات مار كيرلس لتساعد على وضعها في بيئتها الحقيقية وعلى فهمها وتقييمها التقييم الصحيح.

١. الإطار التاريخي: السلام القسطنطيني

يشكل القرن الرابع منعطفا مصيريا في تاريخ الكنيسة. فمن المعروف ان الكنيسة عاشت القرون الأولى من تاريخها في الدياميس والإضطهادات. فقد عمدت الإمبراطورية الرومانية عبثا الى قتل الإيمان المسيحي في المهد عن طريق سلسلة من الإضطهادات الدامية. يقول ترتليانوس (كاتب مسيحي من القرن الثاني): "دم الشهداء هو بذور المسيحية". وبالفعل انتشرت الديانة المسيحية في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية. وفي بداية القرن الرابع إعتلى العرش الإمبراطوري الملك قسطنطين الذي وضع حدا لهذه الإضطهادات بمرسومه المعروف بمرسوم ميلانو (سنة ٣١٣) الذي أوقف الإضطهادات وأعطى الكنيسة حريتها[٤]. وفيما بعد أصبح قسطنطين ذاته مسيحياً ليكون الإسم الأول من سلسلة الأباطرة المسيحيين في الشرق والغرب. تعرف هذه الفترة من تاريخ الكنيسة بإسم "السلام القسطنطيني" الذي

استفادت منه الكنيسة كي تنظم شؤونها في جميع الميادين وتعطي دفعة جديدة لرسالتها التبشيرية.

انعكس السلام القسطنطيني على وضع المسيحية في الأراضي المقدسة ويمكن اعتباره بداية تاريخ فلسطين المسيحية.

استفادت الكنيسة من هذا السلام وراحت تنمو وتترعرع وتنظم حياتها. وإذا أردنا أن نعطي فكرة عن هذا النمو فيكفي أن نذكر زيادة عدد الابرشيات في هذه الحقبة الزمنية. فقبل مجمع نيقيا (٣٢٥) كان عدد الأساقفة ١٩. أما في القرن الخامس (في مجمع خلقدونية سنة ٤٥١ وفي عهد جوفينال، اسقف القدس) أصبحت المدينة المقدسة كرسياً بطريركياً تمتد سلطته على ما يقارب الخمسين أبرشية. وقد عرفت هذه الكنيسة حركة نسكية من الطراز الأول مع مار افتيميوس وسابا وتيودوسيوس وغيرهم ممن لعبوا دوراً مهماً في حياة الكنيسة.

هذا هو الإطار التاريخي الذي عاش فيه مار كيرلس ومارس فيه رسالته وألقى مواعظه. فقد ولد عام ٣١٣/٣١٤ أي في السنة عينها (أو في السنة التي تلتها) التي أعلن فيها مرسوم ميلانو. وانتخب اسقفا سنة ٣٤٨ أي ما يقارب الثلاثين عاماً بعد المرسوم المذكور. فنحن، إذاً، في مرحلة البدايات حيث كانت الكنيسة المقدسية بحاجة الى الإتجاه الصحيح، خاصة في تلك الفترة التي كانت فيها الكنيسة عرضة للبدع والهرطقات، وأهمها الأريوسية. ويمكن القول أن مار كيرلس ترك بصمته على هذه الكنيسة كما لعبت عظاته دورا أساسيا في المحافظة على الإيمان القويم أيام المد الأريوسي.

٢. الإطار الجغرافي: الأماكن المقدسة

ان تاريخ الخلاص لا ينفصل عن جغرافيته (الأماكن التي تم فيها هذا الخلاص). عندما نتذكر ان بلادنا شهدت الأحداث الخلاصية الأساسية يمكن ان نتصور أهمية هذا الإطار الجغرافي لمن يعيشون فيه. تظل الأماكن المقدسة عظة قائمة بذاتها وتكتسب الكرازة فيها طعماً خاصاً ولوناً مميزاً.

شهدت الفترة التاريخية التي نحن بصددها بناء العديد من الكنائس التي نراها قائمة حتى اليوم أو التي نشاهد آثارها. يخبرنا ايزيبوس، المؤرخ المسيحي الكبير (٢٦٥ - ٣٤٠)، ان الكنيسة عرفت، بعد السلام القسطنطيني، حمّى بناء الكنائس الكبرى أو ترميمها في شتى أنحاء المعمورة.

"حينئذ كانت الكنائس المرممة تخرج من الأرض بنعمة الله القدير. كانت المعابد تقوم من جديد من خرابها... وفي كل المدن كان المرء يشاهد أعياد التدشين وتكريس الكنائس التي بنيت حديثاً، وإجتماعات الأساقفة في تلك المناسبات، واشتراك المؤمنين الذين كانوا يأتون من بعيد ومن كل مكان"[٥].

أما بلادنا فقد وصلتها هذه الحمى بسرعة - ولا غرابة في ذلك بسبب مكانتها المميزة في العالم المسيحي - على يد القديسة هيلانة، أم الإمبراطور، التي شيدت كنائس فخمة تخليدا لذكرى أحداث الخلاص، ومنها كنيسة القيامة، وكنيسة جبل الزيتون، وكنيسة المهد، وصهيون، والجسمانية، وبيت عنيا، وغيرها.

وهنا لا بد من التوقف عند المجمع الذي بناه قسطنطين في مكان موت المسيح وقيامته ما بين سنة ٣٢٠ و ٣٣٥. كان المجمّع يقسم الى قسمين: الجلجلة (ويدعى أيضا المارتيريوم) والقيامة (اناستاسيس). أما الجلجلة فكانت تمتد شرقا فوق المغارة التي عثر فيها على صليب المسيح حتى سوق خان الزيت حاليا حيث كانت بوابتها الرئيسة. يشكل هذا القسم الكاثدرائية، أي الكنيسة التي كان اسقف المدينة المقدسة يقيم فيها الإحتفالات الدينية. وكانت، في الوقت عينه، الكنيسة الراعوية التي كان مؤمنو المدينة يؤمونها للإشتراك في الطقوس المقدسة. ومن الوصف الذي تركه لنا ايزيبيوس لهذه الكنيسة يتضح لنا أنها كانت فخمة، ومرصعة بالذهب، وتشع بالف ضوء أثناء الإحتفالات المقدسة. أما القسم الثاني فهو كنيسة القيامة التي بنيت على شكل دائري وكانت تضم قبر المسيح بالإضافة الى جرن عماد. ومن النصوص التي تركها لنا مار كيرلس يبدو جليا ان عظاته العمادية القيت في كنيسة الجلجلة وعظاته المتعلقة بالأسرار في كنيسة القيامة.

لم ينس ماركيرلس هذا الإطار المثالي في عظاته. فهو يشير الى الأماكن المقدسة ما استطاع الى ذلك سبيلا، منبهاً سامعيه الى هذا الإمتياز الفريد الذي يجعلهم، لا ان يسمعوا فحسب، بل ان يروا أيضا ويلمسوا[٦].

وعندما يتحدث ماركيرلس عن الأماكن المقدسة فهو يصفها بـ "الشاهد" على الجوانب المتعددة لأسرار المسيح. فهي، مع الأب والروح القدس، شاهدة لتجسد المسيح، وصلبه، وفدائه، وصعوده الى السماء:

"أحبائي كثيرة هي الشهادات الحقيقية لصالح المسيح: فمن السماء شهد الأب لابنه (متى ١٧/٣)، وشهد الروح القدس ... وشهد موضع المذود المقدس (لوقا ٧/٢) ... وشهد له، بين الأنهار، نهر الأردن، وبين البحار، بحيرة طبريا ... وخشبة الصليب الكريمة التي ترى عندنا حتى يومنا هذا، وتملأ الأرض بما اقتطع منها بايمان من ذخائر ... وبستان الجسمانية ... وهذه الجلجلة المقدسة التي تشرف على المدينة، والقبر المقدس، والحجر الذي دحرج"[٧].

وفي مكان آخر يقول:

"لقد كان موته اذن حقيقيا. لقد صلب حقا، ونحن لا نخجل من ذلك. نحن لا ننكر أنه صلب. وانا بالحرى افتخر ان أقول ذلك، وحتى إن أنكرت هذا الحدث الآن، فإني أجد ما يقنعني على هذه الجلجلة حيث نحن الآن مجتمعون، وتقنعني أيضا خشبة الصليب التي وزعت قطعا صغيرة في جميع أنحاء العالم"[٨].

الإطار الكنسي: الموعوظية

"الموعوظية" هي فترة التحضير التي كانت كنيسة القرون الأولى تفرضها على المرتدين الجدد الذين كانوا يطلبون العماد. وبما أن عظات ماركيرلس ترتبط إرتباطاً وثيقاً بهذه المؤسسة فلا بد من إلقاء نظرة سريعة وجامعة على بنيتها وتنظيمها.

لم تمنح الكنيسة العماد للمهتدين الى المسيحية الا بعد فترة طويلة من الإعداد. ولقد نشأت، منذ القرون الأولى، مؤسسة لهذا الغرض إسمها "الموعوظية" (نسبة الى الوعظ المخصص لهم). ولا بد من الملاحظة أنها زادت أهمية وضرورة بعد السلام القسطنطيني لأن عددا من المهتدين اتجهوا الى الكنيسة لا لأسباب دينية في كل الأحوال إنما لأسباب نفعية، علما بأن المسيحية صار لها الإعتبار والنفوذ في الإمبراطورية بعد إهتداء قسطنطين. وهذا ما حدا بالكنيسة الى الإهتمام باعدادهم وتعليمهم قبل منحهم سر العماد وذلك تأمينا لجدية هذه الخطوة التي كانوا يقومون بها. وينوه ماركيرلس، في عظاته، الى النوايا الملوثة التي يمكن أن تدفع المهتدي الى طلب العماد ويدعو مستمعيه الى تنقية هذه النوايا وتصفيتها شيئا فشيئا كلما اقتربوا من العماد:

> "من المحتمل ان تكون قد جئت بدافع حجة غريبة، كما أنه من المحتمل ان يأتي رجل للتودد الى إمرأة وأن تأتي إمرأة للغرض نفسه، أو أن يود خادم أن يحظى بإعجاب سيده، وصديق أن يقترب من صديقه. أنني أعض على طعم الصنارة، وأقبلك بالرغم من قصدك السيء، أملا مني في إنقاذك، لعلك لم تر الى أين أنت قادم، ولا أية شبكة التقطتك. لقد وقعت في شباك الكنيسة، وأخذت حيا، فلا تهرب. اصطادك يسوع بالصنارة (متى ١٣/٤٧) لا ليسلمك الى الموت، بل ليميتك ثم يعود فيحييك ... يجب عليك أن تموت أولا ثم تنهض ... عش إبتداء من اليوم"[٩].

كانت الموعوظية تمتد على ثلاث مراحل تشمل كل منها التعليم الديني، والتنشئة على الحياة المسيحية، والإحتفالات الطقسية الخاصة. وتنتهي هذه المراحل بقبول سر العماد المقدس ليلة عيد الفصح.

أ) المرحلة الأولى: المستمعون

عندما كان أحدهم يهتدي الى الديانة المسيحية كان عليه أولا أن يسجل اسمه ويخضع لإمتحان رسمي من قبل أشخاص تفوضهم الكنيسة لهذا الغرض. وعندئذ كان ينخرط في عداد الموعوظين. وكانت ترافق هذه البداية طقوس خاصة (رسم

إشارة الصليب، وضع الأيدي وما شابه). بعد ذلك تبدأ بالنسبة لهم فترة تحضير أولي يمكن أن تمتد الى ثلاث سنوات، كما كانت عليه الحال في روما مثلا، يعطى فيها المهتدي عرضا شاملا للإيمان المسيحي على يد واعظين منتدبين من قبل الكنيسة، ومن بينهم علمانيون وشمامسة، يطلق عليهم اسم "معلم المستمعين". هذه الفئة من طالبي العماد يدعون في الغرب "مستمعون" و "موعوظون" في الشرق.

ب) المرحلة الثانية: المستنيرون

بعد هذا الإعداد الإجمالي الطويل تبدأ المرحلة الثانية من الإستعداد للعماد مع أول أحد من الزمن الأربعيني وتمتد الى ليلة الفصح. وكانوا يدعون في هذه المرحلة طالبين - مستنيرين - مختارين - بحسب المناطق. كانوا يجتمعون كل يوم تقريبا من أيام الصيام الأربعيني كي يسيروا معا خطوة خطوة نحو العماد. وكانت هذه الإجتماعات عبارة عن تعليم ديني يُلقى في إطار من الطقوس الدينية الخاصة (تسليم قانون الإيمان، إعادة قانون الإيمان، تسليم الصلاة الربانية ...)، والصلاة، والتوبة، والصوم. أما التعليم الديني الذي كان يوجه لهم فهو عرض تفصيلي وكامل للإيمان المسيحي، إنطلاقا من قانون الإيمان بشكل خاص. إن العظات العمادية التي وصلتنا من ماركيرلس هي تلك التي ألقيت لهذه الفئة من المرشحين للعماد، علما بأن الأسقف ذاته هو الذي كان يتولى أمر المهتدين في هذه المرحلة المتقدمة من مسيرتهم نحو العماد.

ج) المرحلة الثالثة: المتجددون

كانت المراحل السابقة كلها تصب في ليلة الفصح حيث كان الموعوظون يقبلون أسرار الإندماج في الحياة المسيحية (العماد، الميرون، الافخارستيا) وسط فرح المؤمنين وإبتهاجهم. لم يكن الأمر يتوقف عند هذا الحد. في الأسبوع الذي يلي العماد كان المعمدون الجدد (يُدعون في هذه الفترة "متجددون") يجتمعون كل يوم من أيام الأسبوع ليستمعوا الى مزيد من العظات يشرح فيها الأسقف معنى الأسرار التي قبلها المعمدون الجدد ويتركز هذا التعليم بشكل خاص على الطقوس ورمزها

ومعانيها. ولهذا فإنها تدعى "العظات السرية" (نسبة الى الأسرار المقدسة). ولقد احتفظ لنا التاريخ بالعظات التي ألقاها ماركيرلس على المعمدين الجدد وهي العظات التي نحن بصددها. وفي يوم الأحد الذي يلي الفصح يخلع المعمدون الثوب الأبيض ويندمجون في حياة الجماعة المؤمنة. لقد أصبحوا "مؤمنين" يغذون حياتهم المسيحية من الآن وصاعدا من إيمان الجماعة ومن الإشتراك في الحياة الطقسية.

لقد حفظ لنا التقليد المسيحي من تلك الفترة مجموعة من الوثائق الكرازية المرتبطة بهذه المسيرة العمادية. وتبرز من بينها آثار ماركيرلس على أنها اثمنها وأقدمها وأكملها. ألقيت هذه العظات في الزمن الأربعيني (العظات العمادية) وثمانية الفصح (العظات السرية) سنة ٣٤٨، الأولى في كنيسة الجلجلة والأخرى في كنيسة القيامة.

القسم الثاني: محتوى العظات

لقد استرسلنا في وصف الإطار، الذي ألقى فيه ماركيرلس عظاته، من جوانبه المتعددة لأنه من شأن ذلك أن يلقي ضوءاً كاشفاً على هذه العظات ويساعدنا على فهمها. ولقد حان الوقت كي نتوقف عند العظات عينها ونبين طبيعتها ومحتوياتها.

١ - مجموعة العظات

لقد سبقت الإشارة الى أن مجموعة العظات التي وصلتنا من ماركيرلس تقسم الى قسمين بحسب الجمهور الذي كانت هذه العظات تخاطبه، وبحسب المرحلة التي وصل إليها من تقدمه نحو قبول سر العماد المقدس.

أ) *العظات العمادية*

وهي العظات التي ألقيت على طالبي العماد في المرحلة الثانية من مسيرتهم نحو العماد أثناء الزمن الأربعيني بغية إعدادهم أعدادا مباشراً لقبول هذا السر المقدس. وهذه العظات هي عبارة عن عرض شامل للإيمان المسيحي يقع في **ثماني عشرة**

عظة تسبقها **عظة تمهيدية** يسدي فيها ماركيرلس مختلف النصائح للموعوظين في مسيرتهم الحثيثة نحو العماد (سلامة النية، الجهد، المثابرة، السهر، الصلاة...):

"لقد دخلت حلبة السباق، فجاهد لأنك قد لا تجد فرصة أخرى كهذه. لو كنت أنت تعد العدة لزفافك، أما كنت تتخلى عن كل شيء للإهتمام بإعداد الوليمة؟ فكم بالحري وأنت تكرس نفسك للعرس السماوي! ألا يجدر بك أن تطرح كل إهتمام دنيوي للإنصراف الى ما هو روحي"[١٠]

بعد هذه العظة التمهيدية تبدأ العظات الثماني عشرة: أما الأولى فإنها تتحدث عن الإستعدادات التي يجب أن ترافق الموعوظين وهم يتقدمون نحو العماد: الفرح، خلع الإنسان العتيق، نقاء القلب، المسامحة، المثابرة على التعلّم، لأن المسيح لا يمنح النعمة إلا لمن يستحقها. **والثانية** تتناول التوبة ومغفرة الخطايا:

> "الله يحب البشر، والى حد ليس بالقليل. لا تقل إذاً: أني إرتكبت الدعارة والزنى، وإقترفت آثاماً كبيرة بدل المرة مرات عديدة، فهل يغفر لي وينسى ذنوبي؟ اسمع ما يقوله صاحب المزامير: ما أعظم جودتك التي إدخرتها للمتقين لك (مز ٣٠/٢٠). ان عدد خطاياك المتراكمة لا يمكن ان تطغى على رحمة الله. وجراحك لا يمكن ان تعلو خبرة الطبيب الأعلى"[١١].

وفي **الثالثة** يشرح معنى العماد على أنه تطهير وبعث ورسالة. بعد هذه العظات الثلاث يشرع واعظنا بتفسير قانون الإيمان. ففي العظة **الرابعة** يعطينا فكرة شاملة عن قانون الإيمان والعقائد المسيحية على أن يعود بالتفصيل الى كل عقيدة من هذه العقائد اللاحقة. في **الخامسة** يلقي نظرة عل الإيمان بصفته فضيلة ووديعة. بعد ذلك **(من السادسة الى الثامنة عشرة)** يتناول مار كيرلس العقائد المسيحية تباعا، إبتداء بوحدانية الله وانتهاء بالحياة الأبدية.

ب) *العظات السرية*

تتناول العظات السرية موضوع الأسرار التي قبلها المهتدون (العماد، الميرون، الافخارستيا أو القربان الأقدس) لتفسر معنى طقوسها ورموزها وحركاتها

وصلواتها. من المعروف، في إطار الموضوعية، ان مثل هذا التعليم لم يكن يُعطى الا بعد ان يقبل المعنيون هذه الأسرار. وفي بداية هذه العظات يشرح ماركيرلس سبب ذلك:

"كان بودي، منذ زمن بعيد، يا أبناء الكنيسة الحقيقيين الأعزاء، ان أعلمكم هذه الأسرار الروحية السماوية. ولكن بما أني كنت أعرف أن البصر في التعليم أكثر فائدة من السمع، فقد انتظرت حتى الآن، وقد أصبحتم أسهل انقياداً من جراء ما اكتسبتموه من خبرة، لكي أقودكم بيدكم في المرج الأكثر ضياء، وعطراً من هذا الفردوس. لقد تبين أنكم أهلٌ للإشتراك في أسرار أكثر قداسة، بعد أن استحققتم قبول العماد الإلهي المحيي. فيجب أن أعد لكم مائدة تعليم أكمل. فدعوني أعلمكم بكل دقة لكي تعلموا ما حصل فيكم في مساء عمادكم"[١٢].

العظات السرية **خمس**: في **الأولى والثانية** يتناول العماد، وفي **الثالثة** يتوسع في معنى مسحة الميرون، بينما تتوقف **الرابعة والخامسة** عند سر القربان الأقدس ليعرض الإيمان المسيحي بشأنها وما يرافق ذبيحة القداس من طقوس وصلوات.

٢. محتوى العظات

المؤمن بنيان متكامل لا نستطيع أن نهمل جانبا منه على حساب آخر من غير أن يهتز البنيان. ومن يقرأ عظات ماركيرلس يلمس فيه الرغبة في بناء المؤمن بناء وافيا لا نقص فيه ولا بتر.ويمكن أن نجمل هذا التعليم في أبواب ثلاثة: المحتوى العقائدي، المحتوى الحياتي، المحتوى الليترجي أو السري.

أ) *المحتوى العقائدي*

ينقل ماركيرلس الى مستمعيه إيمان الكنيسة، هذا الإيمان الذي تسلمه من الرسل والذي يعيشه في شركة مع الكنيسة جمعاء. ومع ذلك فلا يمكننا إعتباره مُعيداً ببغائياً لهذا الإيمان، إذ يدمغه بطابعه الشخصي ويضفي عليه لمسات شخصيته بحسب

حاجات المؤمنين ومتطلباتهم. وفي خدمة هذا الإيمان يضع ماركيرلس كل ما حباه الله من مواهب المؤمن والواعظ والمربي.

هذا الإيمان هو إيمان ثالوثي: فالله واحد (**العظة السادسة**) وأب (**السابعة**)، وخالق (**الثامنة والتاسعة**). أما الإبن فهو رب ومسيح (**التاسعة والعاشرة**)، ابن الله المساوي للأب (**الحادية عشرة**)، والمتجسد (**الثانية عشرة**)، والذي صلب وقبر (**الثالثة عشرة**)، وقام من بين الأموات وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب (**الرابعة عشرة**)، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات والذي لا فناء لملكه (**الخامسة عشرة**)، أما الروح القدس فهو المعزّي والناطق بالأنبياء (**السادسة عشرة والسابعة عشرة**).

في سياق حديثه عن الصلب، يرد هذا النص عن اللصين اللذين صلبا معه، ونورد هذا النص لما فيه من حس روحي عميق:

"وفيما يتعلق باللصين اللذين صلبا معه، كتب: "وقد أُحصي مع الأثمة" (أشعيا ١٢/٥٣). كان كلاهما آثما قبلا، ولكن أحدهما لم يعد كذلك. والذي ظل آثماً رفض الخلاص الى النهاية. ولما كانت يداه موثقتين، كان يضرب بلسانه مجدفا ... ولكن الآخر كان ينهره. كانت هذه نهاية حياته وبداية توبته، فأسلم روحه وتلقى الخلاص. إذ أنه بعد أن وبخ رفيقه قال : "أذكرني، يا رب، لأني إليك أصرخ، اترك هذا لأن عيني عن فهمه مغلقتان، ولكن اذكرني. أنا لا أقول اذكر أعمالي، لأنها تخيفني. كل إنسان على إستعداد طيب نحو رفيق سفره. وأنا لا أقول اذكرني الآن، ولكن عندما تأتي في ملكوتك" (لوقا ٢٣/ ٤٠-٤٢)"[١٣].

أما عن التجسد فيقول أن "الكلمة صار بشرا" (يو ١٤/١) كي يصير واحدا منا فنستطيع أن نراه وان نتمتع به:

"أما نحن فنؤمن بيسوع المسيح الذي تجسد وصار إنسانا، وان كنا لا نستطيع معرفة الكيفية التي تم بها. وبما أنه لم يكن في استطاعتنا ان نراه كما هو

لولا أن نتمتع به، فقد صار واحدا منا لكي نتمكن هكذا أن نتمتع به. لأننا ان كنا لا نستطيع أن نتطلع الى الشمس التي خلقت في اليوم الرابع، فكيف يمكننا أن نرى خالقها؟"[١٤].

وهذا الإيمان هو إيمان **كنائسي** أي أن الكنيسة تدخل كجزء لا ينفصل عن الإيمان المسيحي. فالكنيسة هي واحدة مقدسة جامعة **(العظة الثامنة عشرة)**. وينبه ماركيرلس سامعيه الى أنه يقتصر في هذا الموضوع على ما قل ودل لأنه "لو كنت أريد أن أقول عنها كل شيء لاحتجت لساعات كثيرة"[١٥]. ولا يسع ماركيرلس إلا أن يحذر سامعيه من تجنب الجماعات، التي تنتحل إسم الكنيسة، للتمسك بالكنيسة "الواحدة الجامعة":

"ان قانون الإيمان يعلمك ما يجب أن تؤمن به. بتأكيد: "وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة"، لكي تتجنب إجتماعاتهم المرذولة (أي إجتماعات الهراطقة)، وتبقى دائما في الكنيسة المقدسة الجامعة التي ولدت فيها من جديد. وإذا سافرت يوما الى مدن أخرى فلا تسأل فقط: أين بيت الرب؟ (لأن بدع الملحدين الأخرى تسمي كهوفها "بيت الرب")، ولا أين "الكنيسة" فقط، بل أين "الكنيسة الجامعة"، لأن هذا هو اسم هذه الجماعة المقدسة التي هي أمنا جميعا..."[١٦].

وهذا الإيمان هو إيمان **أخروي** (نسبة الى الآخرة) إذ نترجى قيامة الموتى والحياة الأبدية **(العظة الثامنة عشرة)**. أما الحياة الأبدية، كما يعلم ماركيرلس، فهي الحياة مع الله الآب والإبن والروح القدس. ويعلق على كلمة بولس الرسول: "فنكون مع الرب دائما أبدا" (١ تسا ٤/ ١٧) بقوله أن عبارة "مع الرب دائما" معناها الحياة الأبدية"[١٧].

ب) *المحتوى الحياتي*

الإيمان عقيدة وحياة. فالإيمان يظل عملية ذهنية عاقراً ان لم يصب في الحياة ليجددها ويغذيها ويغيرها.وهنا لا بد من الملاحظة أن ماركيرلس لا يخصص جزءا منفصلا من عظاته للحياة المسيحية ومتطلباتها. إن مثل هذا التعليم جزء لا ينفصل عن تعليمه العقائدي وامتداد له. فالعقيدة والحياة وجهان لعملة واحدة:

"تقوم العبادة الإلهية على أساسين: العقائد المقدسة وأعمال البر. فالعقائد بدون أعمال البر لا يمكن أن ترضي الله، والله لا يمكنه ان يتقبل أعمال البر بدون عقائد. إذ ما الفائدة أن تعرف صحة العقائد الخاصة بالله، ان كنت تعيش في الدعارة؟ وما الفائدة ان تكون معتدلا نبيل الطبع إن كنت مجدفا جاحدا؟"[18].

الحياة المسيحية، في تعليم ماركيرلس، هي حياة جديدة تتأصل في معرفتنا لله وعلاقتنا به:

"إن كان هناك بينكم عبد للخطيئة، فليستعد بالإيمان للميلاد الثاني الحر في التبني، وهو بعد تحرره من أسوأ العبوديات، وهي عبودية الخطيئة، وحصوله على عبودية الرب الطوباوية، يصبح اهلا لميراث ملكوت السماوات. "فاخلعوا إذن الإنسان العتيق الفاسد بشهوات الغرور، وإلبسوا الإنسان الجديد الذي يتجدد للمعرفة عل صورة خالقه" (افسس ٤/٢٢-٢٤ كولس ٣/١٠)"[19].

من هذه الكلمات يتبين لنا أن الحياة المسيحية، في تعليم ماركيرلس، وفي تعليم بولس الرسول من قبله، لها وجهان: ارتداد **عن** ... وارتداد **الى** ... ارتداد **عن** الخطيئة التي يدعوها واعظنا بـ "المرض العضال" الذي "يبتلي النفس فيشل طاقاتها"، وهي "جرثومة تنبت فيك". وارتداد الى الإنسان الجديد: "من خاطئ أصبحت بارا،ومن الأدناس انتقلت الى الطهارة" لتصبح شريكا "في الكرمة المقدسة (يو ١/١٥، ٤، ٥) لتؤتي ثمارا وافرة"[20]. وبين الإنتقال **من** والإنتقال **الى** يقع فعل التوبة الذي به يلتقي المؤمن برحمة الله الواسعة.

ج) *المحتوى السري*

يتناول ماركيرلس الأسرار في عظاته السرية الخمس، كما سبق وقلنا. ويتوقف فقط، كما هي العادة في تعليم الموعوظين، عند الأسرار التي قبلها المعنيون: العماد، الميرون، القربان الأقدس.

ولهذا التعليم وجهان: الوجه العقائدي وفيه يفسر معنى الأسرار ضمن الإيمان المسيحي، والوجه الليترجي ("معنى المراسيم التي تجرى فيه" كما يقول ماركيرلس في العظة الأولى في الأسرار، رقم ١١، ص ٣٨٧) وفيه يشرح العلامات الليترجية بما فيها من طقوس ورموز وحركات وصلوت (المسحة، التغطيس، المجاهرة بالإيمان وغير ذلك من طقوس العماد والميرون، قبلة السلام، المقدمة، صلاة المؤمنين، الصلاة الربية وغيرها من طقوس ذبيحة القداس).

هكذا يفسر المسحة بالزيت:

"ولما خلعتم ثيابكم مسحتم من قمة رؤوسكم حتى أقدامكم بالزيت المعزم... كما أن نفخات القديسين وإستدعاء اسم الله تحرق الشياطين كاللهب المضطرمة وتطردهم، كذلك هذا الزيت المعزم يتلقى، بإستدعاء اسم الله والصلاة، قوة التطهير بحرق آثار، لا الخطيئة فحسب، بل يطرد جميع قوات الشر غير المنظورة"[٢١]

ويقول في قبلة السلام:

"ثم يعلن الشماس: صافحوا بعضكم بعضا، ولنتبادل قبلة السلام. لا تتصور أن هذه القبلة هي كتلك التي يتبادلها الأصدقاء العاديون في الساحات. إنها ليست من هذا النوع. هذه القبلة توحد النفوس بعضها مع بعض وتفترض نسيان جميع الإهانات. هذه القبلة معناها ان الأنفس تتحد وتقصي كل حقد"[٢٢]

ويدعو المؤمنين الى تناول جسد الرب في الإيمان والفرح قائلا:

"والآن وقد تعلمت واقتنعت أن ما يبدو خبزا ليس خبزا، وان يكن له طعم الخبز، ولكن جسد الرب، وان ما تبدو خمرا ليست خمرا، وان يكن طعمها كذلك، ولكن دم المسيح... ثبت إذاً قلبك بتناولك هذا الخبز من أنه خبز روحاني، وأبهج وجه نفسك"[٢٣].

يمكن القول أن وحدة متجانسة تخترق تعليم ماركيرلس. لقد ميزنا بين تعليمه العقائدي والحياتي والسري وذلك من باب التوضيح. في الواقع كل هذه التعاليم متداخلة وتهدف كلها الى تكوين المسيح في قلب المؤمن.

القسم الثالث: الأسلوب

من الضروري أن نحدد طبيعة عظات ماركيرلس كي نقيم أسلوبه التقييم الصحيح. ليست هذه العظات بحثا لاهوتيا، علميا ومنهجيا، وقد يخيب أملنا إذا نحن تناولناها من هذه الزاوية[٢٤]. ان مجموعة ماركيرلس هي مجموعة من الكرازة الشفوية التي تهدف الى تعميق الإيمان وتثبيته في قلوب المستمعين باسلوب يجعله في متناول عقولهم وقلوبهم. فالواعظ يختلف عن اللاهوتي. ولعله من المناسب ان نلقي نظرة على نوعية المستمعين الذين يخاطبهم ماركيرلس. أنه جمهور متنوع ولا يمتلك ثقافة متساوية. ونلمس في ماركيرلس الرغبة في أن ينزل الى مستوى جمهوره، خاصة الذين يفتقرون منهم الى القدر الكافي من التعليم. وفي بعض الأحيان نجده يطلب من المتعلمين منهم ان يتحلو بالصبر الجميل لأنه يود أن يأخذ في الحسبان من هم أقل علما منهم. أما المثقفون فيحثهم على أن يتوسعوا في الموضوع ببحثهم الشخصي، خاصة في الكتب المقدسة. ان هذا الجمهور يتحكم في أسلوب الواعظ وطريقة عرضه وشرحه.

بقي أن نقول أن ماركيرلس واعظ بارع ماهر ومرب قدير حاذق. ويعتمد أسلوبه على ركيزتين أساسيتين: الأولى إعتماده الدائم على الكتاب المقدس حتى ان عظاته، في بعض الأحيان، ما هي إلا سلسلة من النصوص المتلاحقة من الكتاب المقدس. والثانية هي اعتماده المستمر على الأمثلة المستقاة من الحياة اليومية. لنسمعه يقنع جمهوره بأهمية الإهتمام بهذه الحلقات المتسلسلة من العظات:

"أما العظات التي تتناول غسل الميلاد الثاني، فتلقى في حلقات متسلسلة. فإذا نحن أهملناها اليوم، فمتى يمكننا تعويض هذا الإهمال؟ فكر ان الوقت الآن وقت غرس الأشجار. وإذا نحن لم نحفر بعمق، فمتى يمكننا أن نحسن زرع

ما أسأنا زرعه؟ اعتبر التعليم كالبناء. إذا نحن لم نحفر ولم نلق الأسس، ولم نحكم ربط أجزاء المبنى كما يجب، فإن بنياننا قد لا يخلو من ضعف وقد يهدد بالإنهيار. وحتى عملنا السابق لا ينفع شيئا. ولكن يجب أن نضع الحجر فوق الحجر بكل انتظام، وأن نصل بين زاوية وأخرى بإزالة الزائد، وهكذا يرتفع البناء ويصبح جميلا"[٢٥].

إننا نشعر ونحن نقرأ هذه العظات أن نارا داخلية تسندها وتحييها. فالواعظ لا يقف موقف الحياد بل يزج بكل كيانه فيما يقول. ونحس أنه في منتهى السرور والسعادة عندما يلقي كلام الله على المؤمنين. وفي بعض الأحيان يخترق هذه العظات نفس شعري جميل، كما هي الحال في مطلع عظته التمهيدية:

"هل هي رائحة السعادة تغمركم، يا من تتقبلون النور. وها أنتم تقطفون الأزهار الروحية، لتضفروا منها أكاليل سماوية. شذا الروح القدس يهزكم (نشيد الأناشيد ١٢/٢)، وأنتم على اعتاب الديار الملكية، فيا ليتكم تمثلون أمام الملك. لقد ازدهرت الآن الأشجار، فيا ليت الثمر يكون كاملا"[٢٦].

عندما يقف ماركيرلس أمام شعبه فهو ينسى ذاته ويتوجه بكل كيانه هذا الى الشعب: يدعوه الى الإنتباه، يشجعه، يحثه على الصبر والجهد، ويذكره باللقاءات القادمة، ويناشده أن يقوم بعمل شخصي. وفي كل الأحوال يشع حنان الراعي تجاه رعيته.

أما أسلوبه فسهل، أليف، أخوي، مباشر، لا كلفة فيه. ولغته حية يتخلله التعجب، والتساؤل، والتشخيص، والصور المختلفة التي تلائم المستمعين:

"ورب ومعترض يقول: إذا كانت الطبيعة الإلهية لا يمكن إدراكها، فلماذا تتحدث عنها؟ فهل لأني لا أستطيع أن أشرب النهر كله، ألا يمكنني أن آخذ منه حاجتي؟ وهل لأنه ليس في سعة العيون كلها إستيعاب الشمس كلها، ألا أستطيع أن أنظر إليها ما فيه الكفاية لفائدتي الخاصة؟ وإذا دخلت حديقة عظيمة ولم أقدر أن آكل من كل ثمارها، فهل تريد أن أخرج منها جائعا؟"[٢٧].

وراء كل ذلك نكتشف روحانية الواعظ: فهو فرح، غيور، مرب، حنون، رحيم تجاه شعبه في غير تساهل، متواضع. كما يمكن أن نلمس خلال عظاته إيماننا حيا وحياة داخلية عميقة وأصلية. فهو ينبض بالحياة والحيوية ويؤمن بما يقول.

قد نجد في عظاته بعض العيوب: إعادات، إسترسالا في الحديث، تفسيراً شعبياً للكتاب المقدس في بعض الأحيان ... وهي عيوب من يتكلمون من فيض القلب. المهم أن القارئ المعاصر يمكن أن يستفيد من مطالعة عظاته لتغذية إيمانه وتقواه.

خلاصة: مار كيرلس وكنيستنا المقدسية

ليست دراسة ماركيرلس سياحة في ماض اثرى. إنها إستجواب للماضي بغية الإستنارة في الحاضر. يمثل ماركيرلس صفحة مشرقة من تاريخ كنيستنا المقدسية ويمكن اليوم أن نتعلم منه الشيء الكثير. اكتفي بالتنويه الى أنه إذا كان هنالك جانب مهم من حياتنا الراعوية يذكرنا به ماركيرلس وستحثنا الى الإهتمام به فهو الثقافة الدينية المتقدمة للكبار والبالغين. وعندما أسس "مركز مار كيرلس للثقافة الدينية والتأهيل التربوي الديني" كان هذا أحد أهدافه. اننا نشعر أكثر من أي وقت مضى بأهمية هذه الأولوية الراعوية التي يجب ان نوليها كل إهتمامنا ورعايتنا.من الصعب أن يكتمل الإيمان المسيحي عند البالغين ويأخذ كل أبعاده في حياتهم ما لم تسنده ثقافة دينية أكثر عمقا وإتساعا. فإذا أردنا ان تكون لهذه الذكرى المئوية السادسة عشرة فائدة فيا حبذا أن تكون إلتزاما أكبر من قبل الكنيسة في هذا المجال، الذي يمكن أن يعلمنا ماركيرلس بشأنه الكثير الكثير. ولعل وعسى!

الحواشي

١. ETHERIE, **Journal de voyage**, tesxte latin, introduction et traduction de H. PETRE, Paris 1948

٢. راجع الكتاب المذكور أعلاه، رقم ٢٤-٤٩، ص١٨٩-٢٦٧.

٣. قام بتعريب هذه العظات الأب جورج نصور: كيرلس الأورشليمي، العظات، الكسليك (لبنان)، ٤١٣ صفحة.

٤. يبدأ مرسوم ميلانو بهذه الكلمات: "اننا، إذ رأينا أنه لا يجب أن يحرم فرد حرية الدين بل ينبغي أن يترك له أمر التعامل بالأمور الإلهية كما شاء، انطلاقا مما يمليه عقله وإرادته، فقد أصدرنا أمرنا منذ زمن طويل الى المسيحيين أيضا بأن يحافظوا على تيمان بدعتهم ودينهم ... ولما طاب لنا الإجتماع في ميلانو، نحن قسطنطين اغسطس ونحن ليشينيوس اغسطس، وتباحثنا في كل ما يمت الى المصلحة والى الأمن العام، فقد رأينا، من بين الأمور التي تفيد العدد الأكبر، من واجبنا أن نضع في المرتبة الأولى ما يختص بعبادة الإله، فنمنح المسيحيين وجميع رعايانا الحرية التامة لإتباع الدين الذي يريدون، حتى نكسب لنا ولكل من انضوى تحت سلطتنا عطف كل اله قام في عالم السماء. لذا فقد صممنا، بدافع العقل السليم المستنير، الا نحرم احدا حريته، سواء كان متمسكا بممارسات الدين المسيحي او أي دين أخر يناسبه، لعل الإله الأسمى، الذي نحن له بحرية عابدون يجود علينا بكامل فضله ورضاه..." راجع:

M. VERICEI, **Vyrille de Jerusalem,** Paris 1957, p. 9

٥. Cite par A. PAULIN, **Saint Cyrille de Jerusalem catechete,**Paris 1959, p. 10

٦. راجع العظة ١٣، رقم ٢٢، ص٢٢٨.

٧. العظة ١٠، رقم ١٩، ص١٩ -٢٠.

٨. العظة ١٣، رقم ٤، ص٢١٢.

٩. العظة التمهيدية، رقم ٥، ص٤.

١٠. العظة التمهيدية، رقم ٦، ص٦.

١١. العظة ٢، رقم ٦، ص٢٧.

١٢. العظة الأولى في الأسرار، رقم ١، ص٣٨١-٣٨٢.

١٣. العظة ١٣، رقم ٣٠، ص٢٣٤.

١٤. العظة ١٢، رقم ١٣، ص١٩١.

١٥. العظة ١٨، رقم ٢٧، ص٣٧٢.

١٦. العظة ١٨، رقم ٢٦، ص٣٧٠-٣٧١.

١٧. العظة ١٨، رقم ٢٩، ص٣٧٢-٣٧٣.

١٨.العظة ٤، رقم ٢، ص٥٣.
١٩.العظة ١، رقم ٢، ص١٨.
٢٠.راجع العظة ١، رقم ٤، ص ٢٠ والعظة ٢، ص٢٣ و ٢٤.
٢١.العظة الثانية في الأسرار، رقم ٣، ص٣٨٩-٣٩٠.
٢٢.العظة الخامسة في الأسرار، رقم ٣، ص٤٠٤.
٢٣.العظة الرابعة في الأسرار، رقم ٢٩، ص٤٠٢.
٢٤.ومع ذلك فلا أريد أن يفهمني القارئ على غير ما أذهب إليه. هذا لا يعني ان هذ العظات تخلو من الفكر اللاهوتي والعمق الفكري. بالعكس. نحن أمام لاهوتي يعرف ما يقول ومتبحر في الفكر المسيحي. غير أن هدفه ليس التنشئة اللاهوتية، بل التعليم والكرازة. وهذا ما يتحكم بأسلوبه ومقاله.
٢٥.العظة التمهيدية، رقم ١١، ص٨.
٢٦.العظة التمهيدية، رقم ١، ص١.
٢٧.العظة ٦، رقم ٥، ص٩١.

القدس في الشعر الفلسطيني المعاصر

عبد الرحمن عباد*

القدس واسطة عقد المدائن، ومرعى أحلام الاباطرة، ومهوى أفئدة العاشقين المؤمنين: مسلمين ومسيحيين ويهود، إليها توجهت أنظار المسلمين الأوائل فكانت لهم قبلة، وبها تعلق قلب نبيهم، فأسرى الله به إليها حيث قال: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، انه هو السميع البصير"[1]. ومنها كانت أول رحلة خارج هذا الكون الأرضي، الى السماوات، حيث عرج الرسول ورأى من آيات ربه الكبرى ما رأى...

وفي القدس مرت خطوات عيسى عليه السلام، متحملا العذاب الجسدي في درب الآلام، ومنها قيامته ... في كل شبر من تراثها أنفاس نبي، وزفرات شهيد، ونفحات ولي، ورفات قديس، فهي من اطهر بقاع الأرض، تحمل من القداسة اسماها، ولهذا كرمتها الأديان الثلاثة، يقول العهد القديم في أحد نصوصه: "لتنسني يميني ان نسيتك يا أورشليم، ليلتصق لساني بحلقي إن لم أذكرك، ان لم افضل أورشليم على اعظم فرحي"[2].

فإذا تركنا العقائد والأديان جانبا، ويممنا شطر الشعر وجوهنا، وجدنا شعراء فلسطين المعاصرين مولعين بجغرافيا هذا الوطن ولوعا

---

* عبد الرحمن عباد، دكتوراه في اللغة العربية، محاضر في كلية العلوم التربوية – وكالة الغوث.

مقال في مجلة اللقاء، السنة الخامسة، العدد الثاني، ١٩٩٠.

شديدا، فهي تتشكل على الورق (ألبوما) متكاملا، وتحضر في الخاطر موشاة بألوان جديدة دائما، فالجبال والسهول والوديان والقرى، والمدن والشطآن ... كلها مرسومة بدقة ... سواء في الشعر أو النثر، فهما في أحضان الجغرافية الفلسطينية.

ولكن القدس اكثر ظهورا من غيرها، لما تتميز به من حضور تاريخي، وعقدي، فهي الأشهر بين مدن فلسطين جميعا، وهي عاصمتها الأبدية، تاريخيا، وجغرافيا، وعقديا وتراثيا: فيها المسجد الأقصى المبارك، القبلة الأولى للمسلمين، وثالث الحرمين الشريفين، وقبة الصخرة المشرفة، ومئات العمائر الإسلامية، وفيها كنيسة القيامة المقدسة، وعشرات الكنائس المسيحية والمدارس والبنايات والساحات، والمقابر التي تشهد على ما لهذه المدينة من عراقة.

من هنا كانت مثل الضمير الوطني في الشعر الفلسطيني، فبقاؤها بقاء الوطن، وزوالها أو احتلالها معناه الضياع، لهذا أطلق عبد الرحيم محمود صرخته المبحوحة أمام الأمير سعود بن عبد العزيز خلال استقباله في الطريق الى بيت المقدس بتاريخ ١٩٣٥/٨/١٤ حيث قال:

يـا ذا الأميـر أمـام عينك شاعـرٌ
ضُمَّت على الشكوى المريرة أضلُعُه

المسجـد الأقصـى اجئـت تـزوره
أم جئـت مـن قبـل الضيـاع تودعـه

حَـرَمٌ يبـاح لكـل أوكـع آبـقٍ
ولكـل أفـاقٍ شريـد أربُعُـه

***

سل سادني الأقصى أيُعهد لامـريء
عهـد أمـام اللـه ثـم يضيعـه

سـل سادني الأقصى: أقوم مجمعٌ
فـي الحـرب أم متنافر لا تجمعه [٣]

فالخوف على ضياع الوطن يتمثل في ضياع عاصمته ... القدس، وما القدس الإسلامية سوى المقدسات التي بارك الله من حولها، فهو يستنهض الهمة العربية المتمثلة في الأمير السعودي الزائر: فهل هذه زيارة تحية ... ام زيارة الوداع ... وداع الأقصى قبل سقوطه؟

ويتأكد هذا المعنى، بمزيد من الإلحاح على وجدان الشاعر، وكأن إرهاصات الاحتلال تؤرق أذنيه وضميره، فهو خائف من هذا المصير، أن تصير فلسطين اندلس جديدة، يحن الناس لزيارة مساجدها كما حنوا من قبل:

قد خرجنا أمس من اندلسٍ	ودخلنا بعد في نيران حسرة
وإذ نحن خرجنا من غد	هل يحن الناس للأقصى بزورة
لا يخاف الناس الا قادرا	فاقدروا كونوا ذوي بأس وجسرة
ليس يحمي الحق الا فتكةٌ	ويعيد الحق فينا غير قُسرة (٤)

فهو يرى ان المصير حتمي، الا اذا قدر العرب واعدوا العدة، من رجال وعتاد، ان أرادوا تجنب هذا المصير المحزن والمآل الكئيب.

وإذا كان عبد الرحيم محمود يرى هذا المصير المؤسي، ان بقيت حال العرب على ما هي عليه الان، فان إبراهيم طوقان يرى ان التطاحن الحزبي المتفشي في عاصمة فلسطين (القدس) سيجلب الدمار على البلاد، ويطلب الى زعماء هذه الأحزاب وقف هذه المهازل، لأنها تضيع القضية الفلسطينية كلها:

دار الزعامة والأحزاب كان لنا	قضيةٌ فيك ضيعنا أمانيها
هل تذكرين وقد جاءتك ناشئة	غنية دونها الأرواح تفديها
تود لو وجدت يوما أخا ثقة	لديك يوسعها برًا ويحميها
وكان كفؤا عفيف النفس كافلها	ولا ابيا حميٌ الانف راعيها
ولا أفادت سوى الأحقاد تضرمها	فوق البلاد (زعامات) وتذكيها
ولم تبال بما تلقي لها حطبا	ولا بأي كرام الناس تربيها
قضية نبذوها بعدما قتلت	ما ضرّ لو فتحوا قبرا يواريها (٥)

أما محمود درويش فان القدس عنده قضية اكبر من المكان الذي يحتويها، واوسع من الجغرافيا التي تحدها، فهي تحضر في ذهنه بشكل أسطوري، وثني، وتاريخي، وشعري، ووطني، وسياسي مكثف. وتلحّ على ضميره بحيث تتحول الى هم يؤرقه:

* **لماذا القدس الآن!**

لان الذين يبحثون عن الطفل الليلة لن يجدوه في المغارة قرب بيت لحم.

ولان المغارة محاصرة بالبنادق

وهو في القدس أوضح

وهي فيه تُذبح

ولكن جارتها أعطت لرائحة البخور لونا، لأنها بيت الروح.

* **هل كتبت القصيدة**

لا... لاني لم أجد القدس

* **ما هي القدس...**

رمز

* **ما هو الرمز..؟**

جرحي في أول الليل

* **ما هو الليل**

ان انكسر

* **ما هو الانكسار**

ان تذهب الى القدس في أول الاحتلال.

* **هل ذهبت بعد ذلك**

لن اذهب، لاني خائف.

* **مم..؟**

من ضياع المعاني، فالناس بشر لا أساطير، والقدس في القدس مدينة لا خرافة.

* **والصخور..؟**

صخور

* **والريح..؟**

وتهب من القلب فتفكك الحجر

* **هل كتبت القصيدة..؟**

أيتها القدس

كم أنت بعيدة عن القدس.. كم أنت عبادة [٦].

فمحمود درويش في هذه القصيدة المونولج والديالوج معا يحطم رتابة النظم، ويحيل الكلمات الى جسور تلغي ما بين النثر والشعر من همزات قطع، فقد عجزت القصيدة عنده ان تستوعب همه الثقيل وحمله الذي يؤرقه. فجاءت القصيدة حوارا بين الشاعر والشاعر، بين القدس والقدس بين الرفض والرفض. بين الواقع المرئي الموجود، والأماني المتخيلة المرجوة.

على ان للقدس ظهورا آخر في الشعر الفلسطيني، يتسع لكل الهموم الوطنية والسياسية والقومية، فهذا جمال سلسع يوبخ الأثرياء الذين يضيعون أموالهم وأوقاتهم في الشرق والغرب بينما القدس سبية:

أي دنيا أنت يا عرب

تبيع القدس والأقصى

وتلهو في ملاهي الشرق والغرب

ويطلب إليهم نبذ الكلمات الذليلة التي يتحدثون بها عن السلام، لان لغة هذا العصر لا يمكن ان تُفهم الا إذا كانت وراء الكلمة قوة البندقية:

لا تقولي

هي أحلام سخيفة

هذه الدنيا تعرّت من حياء

خلعت ثوب سلام

ورمته

فوق رمح وقذيفة

كيف بالله سأهدي

دمعه القدس الحزينة

قبلة الإسراء من غير رماح

وجراح ودماء

تشتري الأرض الثمينة

تنقذ الأرض السجينة (٧)

ويشارك جمال سلسع، زميله الشاعر جمال قعوار في تمثل القدس رمزا كاملا للوطن. ولكن يربطها ويربط عودتها بفعل بطولي يصل في ذراه الى الاستشهاد:

ورجال نذروا أرواحهم ووفوا بالعهد لما نذورا

عقدوا العزم على ان يستشهدوا في سبيل القدس أو ينتصروا

فهم يستشهدون في سبيل القدس.. لان القدس لها من الشمولية بحيث تحمل معنى الوطن الكامل.

وفي معرض حديثه عن الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود يذكر حادثة القصيدة التي تحدث بها عبد الرحيم قدام الأمير سعود، ويرى أن تلك الصرخة لم تتعد اذني الأمير، ولم تتمكن من الوصول الى قلبه، لان القدس قد ضاعت بعدها:

وحذّر القوم لم يترك مناسبة ... الا تحدَّث في جهد وفي علن

ألقى باذن سعود صرخة عصفت ... في مسجد القدس لم تبعد عن الاذن

اجئت قبل ضياع كي تودعه ... يا بائع القدس والأقصى بلا ثمن [٨]

ويتأسى الشاعر بان التاريخ لا يبقي على قوي، ويرى ان الجراح ستلتئم وسوف يعود الحق لاصحابه، ولهذا يطلب الى الأشبال ان ينتفضوا حتى يعجلوا في زوال الاحتلال.. كما يؤرخ للمجازر التي ارتكبها الجنود في ساحات الأقصى ضد الشيوخ والأطفال ممن كانوا يتبتلون أو يقرأون بقصة آي الذكر الحكيم.

كانت القدس عناوين الجريدة

كل بيت..

كل سوق...

كل حارة...

ترفع الحق منارة

تكشف الأستار عن أنظمة الجور الجديدة

صاغها المحتل لم تخدع وليداً

اوليدة

فانتفض يا حدَثُ

ويا شبل الأسود

كان في المسجد شيخ

يذكر الله

وفي الأثناء يدعو

لعنة الله على المحتل كي يرحلَ

عن مسرى الرسولْ

ورصاص الجند في الأقصى يجولْ

كره المحتل آيات الصلاة

ورأى في قتل أطفال.وأشياخ

بطولات مجيدة (٩)

كن الشعر يرفض لهذه القدس ان تركع. فهي تظل شامخة بما فيها من معالم:

يــا ربى الأقصى وفــي عزتها شمخــت قدسيــة بيـن الربى (١٠)

مــا لجــرح القــدس الا عــودة للمنى رغم متاهات الدروب (١١)

وهي مقبرة الطغاة، وارض الثبات والاصرار

يا فلسطين وارض القدس، والقتلى

على أرواحهم خير صلاة

فهنا قبر الطغاة

حفرته بسمة الاصرار

على ثغر الحياة (١٢)

وشعراء فلسطين، لا يكتفون بالرموز الدينية في هذه المدينة، بل يتخطونها أحيانا فيذكرون بعض المعالم الأثريـة الباقيـة التـي تتحـدى عـوادي الدهـر.. كالسـور الـذي يُزنِّر مقدساتها، وبيوتها القديمة:

شمخ السور على رغم الجراحات العميقة

وهو يحكي

قصة الأطفال رووا بدم الطهر الميادين العريقة

كل شيخ

كل طفل

كل طفلة

عزّل، لا يملكون الدفع الا بالصدور

وبها استغنوا عن الغافين

في عالي القصور

هذه كل الحقيقة (١٣)

ومن الواضح ان هذه القصيدة قد ارتبطت بأطفال الانتفاضة، ولهذا نجـد الشـاعر يذكر هذا صراحة بعد ذلك:

ردد يا بشر بن عوانه

آيات المجد وعنوانه

لحم المنتفض الثائر مرٌّ لا يهضم

فالتمسوا غير الصخرة، غير الأقصى، غير القدس

فسور القدس منيع لا يهدمْ

ويؤكد الشاعر ان هذه الانتفاضة ستقود الى الفرج، وسوف تبتسم حجارة القدس:

ولونت أضلع الأيام فابتسمت

حجارة القدس

بالأحلام تمتزج

***

يا اخوة الصدق

لا زالت عزائمهم

عزم الحديد

فبعد الشدة الفرج (١٥)

وفي القدس تنتفض الروابي، وليس الأحياء فقط، فالطبيعة تشارك الناس رفضهم للاحتلال والمحتلين، وتقذفهم بالأطفال الذين يرجمونهم بالحجارة

يا فلسطين أدلي وافخري

أنت في الهول سنان مُشهرُ

أنت سيف وعلى شفرته

كل أسياف العدى تتكسرُ

فروابي القدس لما انتفضت

وثب الطفل وهبَّ الحجرَ

ولدى كل شهيد خالد

رجّعوا أو هللوا أو اكبروا (١٦)

ولذا كان جمال قعوار يرى أن روابي القدس قد تمخضت بالأطفال، فان علي الخليلي يرى ان أسوار القدس قد انبثقت هي الأخرى من حجارة الأطفال، وما كان هذا المعنى المولد يكتسي هذه الملابس لولا الإنتفاضة:

يا ولدي

خذ قلبي

خذ كبدي

ينهض من حجرك

الاف الثوار

وتدفق من كفك خارطة فلسطين

ومن حجرك أسوار القدس

ومن عينيك قنديل العالم [١٧]

وقد انفرد الشاعر مصطفى مراد، بذكر القدس مقرونة بما فيها من رجال شرطة يطاردون الشبان والأحلام

دائما تهرب أو تذوبْ

أسرارنا حين نذوبْ

في حضرة الشرطي في نابلس أو القدس

أو في حلم رهيبْ

والقصيدة تشي بما تحمله من معاني القهر والاستلاب، والتي تمارس ضد السجناء، حتى ينتزع الشرطي منهم ما يخفون من أسرار.

لكن الشاعر الفلسطيني، يرى ان القدس ستظل الأبية العصية التي لن يفلح المحتل معها، مهما تجبر وبطش، واعتسف:

قمر على القدس

ترتخي الأسوار

يسندها المغني

لحظة

وينام بين زجاجتين

للروح واحدة

وواحدة لإشعال الحريق

هل أدرك المحتل أنني

لست بحرا لعصاه

وان القدس لن تمشي

مثلما شاعت يداه [١٩]

والقدس بوابة البشرى، منها يطل نجم الخلاص، ولهـذا كـانت الاحلـى والأغلـى، والأكمل والأجمل بين مدائن الأرض:

تسألني غن شهقة الموت

عن النجم الذي

يأتي من القدس

اذْ لفظت أنفاسها رايتها

تكتب فوق الرمل

لا أحلى من القدس ولا

اجمل من بدر على

بوابة البلد [٢٠]

وهي رمز التجدد والبعث وانطلاق النداء، فيها يحقق الفقراء أحلامهم ويشـهرون سيوفهم في وجه الظلام، حتى ينتشر الضوء، ويغمر وجه الأرض ضياء:

يا قلب الراحل

من الق النور

الى الق الموتِ

تجدْ فوق ظلال القدس نداء

يحمل احداق صباياناا

يحمل في يده المشتعلة

أفراسا تنطلق الى حيث يشاء

يا حنظلة الواقف

عند القلب

يغض الطرف

ويشهر سيفاً

ينثر في أفق القدس

تباشير ضياء [٢١]

وتقترن القدس بغيرها من المدن الفلسطينية، أحيانا، بجامع السور كما هي الحال بينها وبين عكا، ولان المصير المشترك يوحد بين هذه المدن. فمن ذكر عكا مقترنة بالقدس، وبالشمس والورد قول الشاعر:

طفلتي لا بد يوماً ان تعود

نجمة تسري مع الفجر القريب

وردة تزهر في الليل العصيب

خنجرا يطعن أنفاس الكروب

يزرع الصحراء ورداً

والسهول الخضر مجداً

وعلى أسوار قدسي

وعلى شاطيء عكا [٢٢]

وهذه النظرة الحلمية المتفائلة تظل هاجس الشعراء الفلسطينيين، تجدها في غالبية أشعارهم، لانهم يؤمنون ان الظلم لابد زائل، وان الليل لابد منقشع، وان الفجر لاشك منبثق:

ومن اقتران القدس بنابلس (جبل النار) قول الشاعر

وترى جبال النـار تلفظ حممهـا والقدس لونها الدم المهراق

وسمعت أجراس القيامـة رددت رجـع الآذان فمـا بهـا بـواق [٢٣]

ولعل فـي هـذه القصيـدة مـا يشـير وضاحـة الـى وحـدة الشـعور بيـن المسـلمين والمسيحيين. بحيث تردد أجراس كنيسـة القيامـة، رجـع الآذان، وآذان الجـامع، دون بواق، وهذا المعنى الجديد ليس مطروقا في غير هذه البلاد، لأن عرب هـذه الديـار، كانوا وما زالوا صنفا واحدا في دفع الهجمات العدوانية ضـد المقدسـات... مقدسـات الجميع.

الا ان المتتبع لدوران القدس على ألسن الشعراء يفاجأ أحياناً باسـتعمالات جديـدة لهذه المدينة... فراشد حسين يرى في عيني حبيبته ما يذكره بحبه:

لـــون عينيـــك نخيـــل لـــون عينيـــك دوالـــي

لون عينيـك كحبـي للقـدس غـــال... ألـــف غالـــي

فكيف يكون لون الحب...؟ وكيف كان لون عينيها...؟

والقدس ميقاتٌ تؤرخ للحدث. وتنمّيه، وتدفع به حتى ينضـج وينتصـر.. ينتصـر على الضعف والتخاذل والانهزامية وروح الانكسار

كانت الساعة في القدس قتيلا

وجريحا

ودقيقة

كانت الساعة طفلا

سرق النابلم رجليه

ولما ظل يمشي

سرقوا حتى طريقه

كانت الساعة صفرا عربيا

كانت الساعة ميلاد الحقيقة (٢٥)

وتنمو الساعة المقدسية.. وتتحرك عقاربها صانعة أسبابا جديدة

كانت الساعة ... أن تنبت

للأشجار

والأحجار

والأزهار

والماء

أظافر

صارت الساعة في القدس ... عذارى

في ثوان حبلت

في ثوان ولدت

في ثوان صارت الساعة في القدس

نضالا ودقيقة

فالساعة المقدسية لا تتبع نظام الساعات المألوفة، ولهذا تختصر الأزمنة والمسافات، وتحيل المستحيل عرفا وعادة وعقلا ... ممكنا، حيث تلد العذارى في ثوان ... ولكن أي ميلاد ...! وأي بعث ...؟

دقت الساعة ... دقت

بكت الساعة ... حبا وعذابا، وتمنت

وإذا الطفل الذي دون رجلين

على كفيه يمشي

وعلى عينيه يمشي

حاملا حلما وخبزا وسلاما لمقاوم

حاملا ابسط ما صلاّه طفل

اقتلوا رجلي ... واغتالوا طريقي

ولهذا ...

لم يعد لي غير أن أبقى هنا

حتى ولو قبرًا ... يقاوم

وهذه هي القفزة الثانية في القصيدة. فالعذارى يلدن في ثوان، ولكن الولادة ليست ولادة بيولوجية، إنما هي ولادة نضال، والأطفال المسحوقة أرجلهم يمشون على كفهم ... وتقاتل في القدس المقابر ...؟! عند هذه النقطة ... يتلاشى الزمن ... ولا تعود للقدس حاجة الى الوقت.

دقت الساعة دقات أخيرة

ثم ماتت

لم تعد بالقدس للساعات حاجة

حطمت ساعاتهم بنت صغيرة

عمرها مائة مليون معذب ...!!

امة رغما عن

التخدير

والأفيون

يوما سوف تغضب

وهنا كما في المقاطع السابقة تتداخل الكلمات، والألوان، والأوقات، والأعمار ويصبح فهم القصيدة محتاجا الى لغة شفافة، تستبطن المعاني، فكم عمر هذه البنت الصغيرة التي قدر بمائة مليون معذب..؟

الزمن هنا لا تقيسه الساعة.. لان هؤلاء الملايين يضمهم زمان واحد، ووطن عربي واحد، وهمّ عربي واحد، ... ومن هنا تجيء المقاطع التالية شرحا لهذا كله:

ولهذا ...

كلما مرت بمحتلي عيون

القدس طفلة

طفلة ... بنت صغيرة

فتشت أعينهم، الاتهم

في صدرها

في رحمها

في عقلها ... عن قنبلة

واذا لم يجدوا شيئا أصروا:

"هذه البنت الصغيرة

ولدت في القدس

والمولود في القدس

سيضحي قنبلة [٢٦]

هذه هي القدس، المدينة المستحيلة التي تلد العجائب، ولهذا كان المتوكل طه داعية النهوض والالق أحد المطالبين برفع ضياء القدس ولو من زهر الدماء، رافضا اسماءها الجديدة الموقتة والمزورة:

وكيف نقول: أنا عند باب القدس

والعربان قد هربت

وخلتها لتصبح أورشليم الهيكل المزعوم

لا تأمن لهم وهمُ سبايا العصر

حصن خندق الأزهار

وافتح ثوبك العربي للأطفال والشعراء

أطلق سرّ أعشاب اليدين

وخذ زهور دمائنا

وارفع نجوم القدس (٢٧)

أما موسى حداد، فانه يراها مسبية ضائعة، ويرى نفسه مترنحاً، وحيداً في طرقاتها، وعندما يسقط على ترابها، يسجد مقبلا هذا التراب

وأنا وحدي ...

اترنح في طرقات القدس المسبية

اسقط، اسجد

احتضن الأرض اقبلها

ما اقدس تربة تلك الارض (٢٨)

وهذا ما تفعله نجلاء عند عودتها الى بلدها، جسدها، فلا أحلى من الموت على ثرى هذه المدينة،

أتٍ يا قدس ... الى بلدي

أتٍ يا قدس ... الى جسدي

أتٍ يا قدس ... اليك أنا آتٍ

لملمت جميع قناديلي

للصخرة نور من كبدي

ما أوسع صدرك يا قدس

ما أحلى موتي في بلدي

فالقدس عندها الجسد. بينهما الوحدة عضوية، فهي بعض من هذا الجسد ولهذا تستعذب الفناء في الجسد الكبير، لانه بعث وحياة. أما عطالله قطوش، فيرى في القدس كثيرا، مما يعجز البشر عن رؤيته، فالأقصى عنده هو أقرب مكان الى الله، والأقصى بشريا وفلسطينيا هو المهجة والسماء:

الأقصى ... مهجتك ... سماؤك

جل فدائك

ولهذا يخاطب ابن القدس أن يحمل مشاعل الحرية ويقاتل الأنصاب والأزلام

يا ابن القدس الشهم ... الشهم ... الشهم

قاتل كي تسقط أصنام

قاتل كي تسقط ازلام

قاتل كي تسقط حاخام

هم ... يا سعد

هم ... يا رعد

هم ...

يا ساكن بين السكينة واللحم [٣١]

ويهيب بالقدس أن تقول قصيدتها في حمحمة الخيول الصاهلة والراعدة، والقادمة الى التحرير ...

وتقول القدس قصيدتها

في اليرق

وحمحمة الأبجر (٣٢)

والمنادي هنا لا يمكن ان يكون القدس المكان، ولكنهم البشر، العرب، المسلمون المحيطون بهذا المكان، ولهذا ينفجر غضب الشاعر عندما لا يجد لندائه سامعا:

لم يجد الأقصى ... ثوبا ... يفضح عربي العرب ... بحانوكا

قم ...

قم يا قمر الحرف العاصف ... قم

ويوجه نظره تلقاء عمر بن الخطاب ويسأله:

من يا عمر تضج مفاتيح الأقصى في عينيه

مشيرا الى الفتح الإسلامي لهذه المدينة، وللعهدة العمرية التي حفظت للمسيحيين كنائسهم وأماكن عبادتهم، وأرواحهم ومساكنهم.

لكن الشاعر يظل مسكونا بهمّ هذه المدينة، يحملها فوق الكتفين، ويرى أن بقاءها بقاء الوطن، وزوالها، إيذان باندلس جديدة، وحمراء جديدة

احمل فوق الكتف القدس

وغزة ... أو مئذنة الطور

أطالع في نفسي الحمراء (٣٣)

لكن الشاعر احمد عمر يظل الأكثر احتفالا بالقدس. من حيث تكراره لاسمها ومعالمها، وبخاصة المسجد الأقصى، وهو يؤرخ لبعض الحوادث في المدينة فحين يحرق الأقصى يقول:

حرقوا الأقصى

وقالوا للعالم، روهانّ

مجنون قد فقد الإحساس

فإذا قتلوا طفلا في القدس

فان الفاعل مجنون (٣٤)

وحين يقتحم الجنود ساحات الأقصى ويردون اثنين من المصلين يقول:

ويجوس الجاني في الأقصى

ويحاط بجند تحميه

ويواجه أفرادا بالنار

ويرديهم في ساحاته

وازدانت ساحات الأقصى

بدماء شهيدين اثنين

يتلوهم أعداد جرحى (٣٥)

وحين يزوره الرئيس السادات. يجأر بشعره عاليا: بان التحرير لا يكون من ملوك الطوائف، وإنما من أمثال عمر وخالد وصلاح الدين:

لن تدخلوا المسجد الأقصى

وانتم توصفون بأنكم عرب

ملوك للطوائف

المسجد الأقصى يحرره

رجال آمنوا بالله

بالقرآن واعتصموا به

فله رجال مثل خالد

وله عمر

وله صلاح الدين (٣٦)

أما العرب الحاليون، فان أقصى أمنياتهم ان يحصلوا على قرار إدانة من هيئة الأمم:

وإذا تجرأ حاقد

ليسيء للأقصى ويوري النار في محرابه

فالرد بالشكوى

وشق الجيب أو لطم الخدود

وإذا أدانت هيئة اللمم الجريمة

فالعروبة حققت أبهى انتصار (٣٧)

هذه ملامح من هم الشعر الفلسطيني تجاه هذه المدينة الخالدة، القدس العربية، تشكل إشارات سريعة لمن أراد الاستزادة، ففيها من العناوين ما يفصح عن الأغراض الكبرى، فهي تومئ، ولكنها لا تتوغل، ولا تتوسع تمشيا مع طبيعة المقالة الأدبية، التي تبتغي التعريف، والتأشير، ولعل الظروف القادمة تسمح، لتكون هذه الإشارة السريعة، غير المتسرعة، محل اهتمام باحث متأن، فيجد فيها مادة لموضوع كبير، فالقدس أم المدائن. في حضنها تربى أفاضل العلماء وجلة الشعراء ... وستبقى أمّاً ملهمة، تُرضع الدفء والحنان، والمحبة، كما كانت وكما سوف تكون.

المراجع

١. القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية رقم ١.
٢. العهد القديم، المزمور ١٣٧، ٥،٦.
٣. انظر ديوان عبد الرحيم محمود. روحي على راحتي، مطبعة الحكيم - الناصرة ١٩٨٥، ص ٨٠-٨٢.
٤. المصدر السابق ص ١٤٧.
٥. إبراهيم عبد الفتاح طوقان، الديوان، دار الأسوار عكا - ص ٨٣.
٦. محمود درويش: هكذا كتب السجين قصيدته الأولى عن القدس: في وصف حالنا (دار الأسوار - عكا) ١٩٨٥- ص ١٠٩-١٦.
٧. مجلة الفجر الأدبي، القدس، العدد ٤٣، نيسان ١٩٨٤.
٨. ديوان زينب، مجلة المواكب، والصوت - الناصرة: ١٩٨٩، ص ١١٩-١٥١.
٩. المصدر السابق ص ٦٣-٦٤.
١٠. المصدر نفسه ص ١٩.
١١. المصدر نفسه ص ٤٢.
١٢. المصدر نفسه ص ١٠٧.
١٣. المصدر نفسه ص ٦٥.
١٤. المصدر نفسه ص ٦٩.
١٥. المصدر نفسه ص ١٥.
١٦. المصدر نفسه ص ١٦.
١٧. قصيدة خذ قلبي حجرا: مجلة الأسوار عكا - عددا، صيف ١٩٨٨، ص ١٦٨.
١٨. مصطفى مراد: قصائد مكسرة، الناصرة: ١٩٨٨، ص ٩٢.
١٩. علي الصح: مجلة الأسوار، عكا، ربيع ١٩٨٨، ص ١٩٥.
٢٠. هايل عساقله: مجلة الأسوار، عكا عدد ٣، خريف ١٩٨٩ ص ١٨٩.
٢١. وسيم الكردي: وازدان بحرك بالحناء، القدس ١٩٨٩، ص ٩٨-٩٩.
٢٢. عيسى حسن رومي: مجلة الفجر الأدبي - القدس، عدد ٩٢-٩٤، ت٢ - ك١ - ١٩٨٨.
٢٣. عمر الزعبي: مجلة الأسوار عكا - عدد الصيف ١٩٨٨.
٢٤. راشد حسين: ديوان أنا الأرض لا تحرميني المطر، منشورات البيادر القدس ١٩٧٧، ص ٢٥.
٢٥. المصدر نفسه ص ٤٧.
٢٦. المصدر نفسه ص ٤٧-٥٢.
٢٧. المتوكل طه: فضاء الأغنيات، القدس ١٩٨٩، ص ٣١-٣٢.

٢٨. ديوان ترانيم للزنابق الفلسطينية، القدس ١٩٨٢، ص ٥٣.
٢٩. نجلاء محمد شهوان، همسات ربيع العشرين، القدس، ١٩٨٠، ص ٦٨-٦٩.
٣٠. عطالله قطوش، شمس الليل، اتحاد الأدباء القدس ١٩٨٨، ص ٦٤.
٣١. المصدر نفسه، ص ٦٥.
٣٢. المصدر السابق، ص ٧٤.
٣٣. المصدر نفسه ص ١٣٦.
٣٤. احمد عمر: جمرات تحت الرماد، الخليل، د.ت. ص ٧٠-٧١.
٣٥. المصدر نفسه ص ٧٤-٧٥.
٣٦. المصدر نفسه ص ٢٦-٢٧.
٣٧. المصدر السابق ص ٣٩-٤٠.



تحتل صورة مدينة معينة في أدب أمة من الأمم أهمية كبرى على صعيد الدراسات الأدبية، إذ تغدو هذه الصورة بغض النظر عما فيها من صحة أو مبالغة، لصيقة بالوعي القومي في هذا الأدب، كما يغدو تطورها وتغييرها واختلاف جزئياتها ذا دلالة مهمة على صعيد تفاعل الذات مع الآخر تأثرا وتأثيرا.

ومن بين مدن الدنيا كلها تتمتع القدس بعلاقات متميزة مع مختلف مناطق العالم، وتحتل مكانة مرموقة في الأدب العالمي، ولها مكانة هامة في كتب المؤلفين العرب الذي وضعوا المصنفات عنها، خاصة بعد أن استرجعها صلاح الدين الأيوبي من أيدي الفرنجة، فكتب ابن الجوزي كتابه 'فضائل القدس' وكتب ابن عساكر 'فضل المدن المقدسة الثلاث: مكة والمدينة وبيت المقدس'. وهناك أيضا كتاب 'الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل' للقاضي مجير الدين الحنبلي (١٤٩٤م) وكتاب 'الأنس في فضائل القدس' للقاضي أمين الدين الشافعي من أهل القرن السابع للهجرة، وكتاب "باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس" للشيخ برهان الدين الشافعي الفزاري، "والحضرة الأنسية في الرحلة

* قسطندي الشوملي، دكتوراه في اللغويات، أستاذ مشارك في جامعة بيت لحم.
مقال في مجلة اللقاء، السنة العاشرة، العدد الرابع، ١٩٩٥.

القدسية" للشيخ عبد الغني النابلسي ١٧٣٠م، "وسوانح الأنس برحلتي لوادي القدس" لمصطفى اسعد الدمياطي ١٧٦٤م، و"فضائل بيت المقدس والشام" لأبي المعالي المقدسي ١٩٣٢م، ووردت أخبار القدس في العديد من المصادر والمؤلفات القديمة، نذكر منها "تاريخ الرسل والملوك" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، "والكامل في التاريخ"، "والفتح القسي في الفتح القدسي" لعماد الدين الكاتب الاصفهاني، ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب' لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل. والفت العديد من الكتب والدراسات في العصر الحديث حول مدينة القدس نخص بالذكر منها كتابات عارف العارف ابن هذه المدينة ورئيس بلديتها والذي قضى عشرين عاما في تأليف كتابه "المفصل في تاريخ القدس". وكتاب "تاريخ أورشليم" لخليل بن خطار سركيس ١٨٧٤م، "وتاريخ القدس" لخليل طوطح وبولس شحادة. وما يهمنا في هذه المقالة هو صورة هذه المدينة في الأدب الفلسطيني الحديث كما تجلت في أعمال أدباء فلسطين في الفترة الممتدة من بداية هذا القرن حتى اليوم.

تعد القدس ظاهرة حضارية فذة تنفرد فيها دون سواها من مدن العالم، 'أنها مدينة مقدسة واسمها هذا القدس ... معناه في اللغة الطهر والبركة والقداسة ... وقداستها هذه وان كانت قد رفعت قدرها وشرفت اسمها وأذاعت في الخافقين صيتها، إلا أنها، في الوقت نفسه، كانت السبب في معظم البلايا والمحن التي أصابتها'. (عارف العارف – المقدمة). ويحار من الباحثين كل من يحاول التعرف إلى الخصائص الفريدة التي تتمتع بها في كل أدب. ولا بد أن يكون لمثل هذه الظاهرة الحضارية الفذة أسباب ومبررات، هي سر ولع الشعراء والأدباء والمفكرين بها، رغم كل ما حل بها من نكبات وحروب، أدت إلى هدم المدينة وإعادة بنائها ثماني عشرة مرة في التاريخ. ومن الغريب أنها ما زالت حتى اليوم تحتل مكانة عظيمة في وجدان الشعراء والأدباء والكتاب، وتنمو هذه الصورة وتزدهر وتزداد رسوخا وأصالة كلما عظم مصابها وتفاقمت محنها. ولعل ذلك دليل على عمق المعنى الذي تحمله وشموليته. فهي ملتقى الحضارات العالمية وهمزة الوصل بين قارات العالم الكبيرة، ولا عجب ان كانت الخرائط الكنسية في العصور الوسطى تضع القدس في وسط العالم، حيث تتقابل آسيا وأفريقيا وأوروبا. ووصف البابا يوحنا بولس الثاني المكانة

والإنسان، بين ما هو أزلي والتاريخ، إنها رمز للكنيسة ولها معنى روحي ولاهوتي ...' (النهار، بيروت ١٩ أيلول ١٩٨٠). ويقول الشيخ الإمام ابن الجوزي في كتابه فضائل القدس: 'اليوم في بيت المقدس كألف يوم، والشهر كألف شهر، والسنة فيه كألف سنة. ومن مات فيه فكأنما مات في سماء الدنيا ومن مات حوله فكأنما مات فيه ...' وقال 'أهل بيت المقدس جيران الله، وحق على الله أن لا يعذب جيرانه، ومن دفن في بيت المقدس نجا من فتنة القبر وضيقه' (ص ١٢٩-١٣٠) ولقد ورد في تفسير الطبري: 'وصلى نبي الله صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة مهاجرا نحو بيت المقدس سبعة عشرا شهرا، ثم وجهه الله بعد ذلك إلى الكعبة البيت الحرام'. وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي حديث عن فضائل بيت المقدس نورد قسما منه:

قال تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، هو بيت المقدس، وقوله تعالى: في بيوت أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، البيت المقدس، وفي الخبر: من صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في السماء، ورفع الله عيسى بن مريم إلى السماء من بيت المقدس وفيه مهبطه إذا هبط، وتزف الكعبة بجميع حجاجها إلى البيت المقدس يقال لها مرحبا بالزائر والمزور، وتزف جميع مساجد الأرض إلى البيت المقدس، أول شيء حسر عنه بعد الطوفان صخرة بيت المقدس، وفيه ينفخ في الصور يوم القيامة، وعلى صخرته ينادي المنادي يوم القيامة،... وعن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام ومسجد بيت المقدس، وأن الصلاة في بيت المقدس خير من ألف صلاة في غيره، وأقرب بقعة في الأرض من السماء البيت المقدس، ويمنع الدجال من دخولها ويهلك يأجوج ومأجوج دونها، أوصى آدم عليه السلام أن يدفن بها وكذلك اسحق وإبراهيم'. ولهذا تعد القدس ظاهرة حضارية مميزة تسطع على صفحة الحضارة العالمية ولا نظير لها في المعمورة.

ويتطلب تحديد صورة القدس في الأدب الفلسطيني الحديث، دراسة النصوص الأدبية المختلفة التي ورد فيها ذكر القدس وكتبها فلسطينيون، من اجل التعرف على خصائصها العامة والظروف الفكرية والحضارية التي أنتجتها. وصورة القدس لها جوانبها المتعددة وهي مجال فسيح وممتد للدراسات النقدية، لتعدد الذين ذكروها

واختلاف صورهم. ولا بد من التحديد في هذا المجال الضيق للمقالة، فسيقتصر الحديث على صورة القدس في الشعر وحده. ومثل هذه الدراسة تتسع لتشمل النظرة التزامنية والتطورية معا. ذلك أن دراسة صورة القدس تحتاج إلى دراسة تزامنية لمراحل تطورها المختلفة. والمنهج التاريخي وحده لا يكفي بطبيعة الحال، لهذا اعتمدت على منهج تحليلي بنائي، يحاول عبر استيعابه لجزئيات هذه الأعمال الأدبية أن يدرس صورة القدس كما ظهرت لدى هؤلاء الأدباء.

ولقد تبلورت مجموعة من المظاهر التي جعلت القدس مهمة على الصعيد الثقافي والحضاري والإبداعي والديني في الأدب الفلسطيني. وهذه المظاهر ذات مستويات متباينة: فهناك العلاقات التي تعود إلى العهد العثماني، والعلاقات المتصلة بالحياة أثناء عهد الانتداب، والعلاقة الخاصة بالقدس المحتلة، وما تبع ذلك من إجراءات لتغيير معالم المدينة وعزلها. ولا بد أن نلقي نظرة شاملة جامعة أولا على عدد من القصائد التي أشارت إلى القدس منذ بداية هذا القرن، لنكشف الفعل المحرك لصورتها في بناء يرتبط ما قبله وما بعده، وذلك في محاولة لإظهار العالم الذي قدمت فيه، فلقد واكب الشعراء صورة القدس بكل أبعادها ومناحيها، وعايشوا الأحداث التي مرت فيها.

ويمكن تقسيم علاقة الشعراء بهذه المدينة إلى مراحل أربع:

١. **الغاية والحلم:** فلقد جسدت هذه المدينة عند الكثيرين من المفكرين والأدباء منارة دينية وحضارية وتاريخية فهي مركز العالم، ومدينة الله والانتماء إليها روحي.

٢. **القدس التراث والهوية:** البداية الصعبة ومرحلة الانتداب وحكومة فلسطين والصراع بين العرب واليهود.

٣. **القدس المجزأة والمحتلة** مدينة العذاب والذل والمهانة، تجرع آلام الغضب والاضطهاد.

٤. **القدس مدينة المشروع الحضاري المضاد:** تهويد القدس.

القدس مدينة الله وتحقيق الذات

لقد كان الطابع الأساسي الذي يميز صورة القدس في العصر العثماني هو ارتباطها بمكانتها الدينية التي تتمتع بها وتكاد تكون هذه الصورة هي الغالبة لدى العديد من الشعراء. فهي تعتبر من أقدس مدن الأرض وأقربها مكانة إلى قلوب المؤمنين بالله من أهل الديانات السماوية جميعا، ولقد ذكرت في جميع الكتب السماوية ونطقت بها ألسنة الأنبياء، وهوت أفئدة الناس إليها من جميع أنحاء العالم. وتنفرد عن بقية مدن العالم بمكانتها الروحية والتاريخية والحضارية، لما تجمعه من آثار وتراث وذكريات الديانات السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والاسلام، وما بعثته ونشرته في العالم من القيم الخيرة والمثل الرفيعة. وتستمر قداسة المدينة من عهد إبراهيم إلى موسى وداود وسليمان إلى السيد المسيح الذي تذكر المصادر أنه دخل المدينة أربع مرات. وتحدثنا نصوص العهد الجديد بأن السيد المسيح حين أدرك أن بعثته في الأرض قد اقتربت قرر أن يتوجه إلى القدس حيث ينتهي من رسالته هناك. ولقد أسرى الله إليها برسوله الكريم محمد حسب ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: 'سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير' (١٠ سورة الإسراء) . وكانت القدس أيضا مركز إشعاع للعلم الإسلامي يسطع على بلدان المسلمين، فيها ولد وعاش المئات من علماء الإسلام، واستقبلت المدينة المئات بل الآلاف من علماء المسلمين الذين قدموا من بلدان عديدة من المشرق والمغرب، وعلموا وتعلموا في المسجد الأقصى ومدارس بيت المقدس.

ورغم ما حملته من إعجاب وانبهار بلغ حد التقديس لدى العديد من أدباء الغرب ومفكريه، نظرا لمكانتها الدينية لدى الديانات السماوية الثلاث، فان الفترة العثمانية جعلت مدينة القدس في بداية هذا القرن تبدو بالتدريج مدينة عادية، وجعلت الذهاب إليها والخروج منها لا يحتاج إلى طقوس، ولا نعثر في قصائد شعراء هذه الفترة على قصائد متميزة لمدينة القدس، ومر ذكرها بصورة عابرة في قصائد المديح والفخر أو القصائد الوطنية التي كانت تلقى في المناسبات. وكان الشعر في هذه الفترة يصدر عن فراغ فكري ونفسي وكان مقصورا على الاخوانيات والمديح المفتعل والمناسبات الاجتماعية الخاصة، تتكرر فيه المعاني المتوارثة، والتشبيهات

والاستعارات المستهلكة، وتنعدم فيها إلى حد ما الهموم الإنسانية. ويقول عارف العارف وخليل السكاكيني واسحق موسى الحسيني وغيرهم من كتاب فلسطين في بداية هذا القرن: إن الحكومة التركية قد نصبت حكاما مستبدين أهملوا مصلحة السكان من الناحية التعليمية والثقافية، بل حتى أن المدارس التي أقامتها كانت لغة التعليم فيها هي اللغة التركية. وكانت نتيجة هذه السياسة المجحفة أن أجاد تلامذة المدارس اللغة التركية أكثر من إجادتهم للغة العربية، في حين اضمحل شأن اللغة العربية بين سواد الشعب. وإزاء هذه القيود التي فرضتها الحكومة فان الحركة الأدبية ضعفت واضمحلت وكان مستوى الأدب العربي سيئا من ناحية الكم والكيف. ورغم ذلك برز في الديار المقدسة في تلك الفترة أدباء فلسطينيون نذكر منهم روحي ياسين الخالدي (١٨٦٤-١٩١٣) الذي ارتبط اسمه ببيت المقدس فلقب بالمقدسي، ومنهم أيضا الشيخ سعيد الكرمي ورفيق التميمي ويوسف النبهاني وبندلي صليبا الجوزي وعلي الريماوي وأبو الإقبال اليعقوبي وإسعاف النشاشيبي الذي كتب عن القدس في عام ١٩١١ يقول:

'القدس بلد شقي بأهله. ولم يسعد بلد ظلمه أهله ولم يرحموه، بلد أذله أهله ولم يعزوه، بلد أهانه أهله ولم يكرموه، بل أضاعه أهله ولم يضنوا به. بلد بائس بلد كئيب، بلد حزين، بلد مرآه يقطع القلوب ويمزق الأكباد، ويجري من العيون العيون. بلد يستغيث فلا يغاث، ويستنجد فلا ينجد، ويستصرخ فلا يصرخ. بلد جار عليه زمانه وخذلته أعوانه، وأعنقت إليه المصائب من كل جانب. وظاهرت عليه الخطوب الخطوب. بلد لم تحفظ له حرمة ولم يرع ميثاق، ولم يعرف بعهد. بلد مظلوم. بلد أساء إليه جهل قطينه ولؤمه وطمعه وغادته، بلد مجفو، بلد أصبح لغير أهله، بلد بائس، بلد كئيب بلد حزين بلد مسكين (الكرمل ٧ شباط، ١٩١١).

إن القدس لم تكن موضع اهتمام أهلها ولا اهتمام الأدباء والشعراء كما يشير كلام النشاشيبي، وقليلا ما كان يرد اسمها في قصائد شعرهم. ورغم ذلك فان القدس لم تكن يوما مجرد مدينة مكانية من حجر وطين، وتجارة وسياسة، لقد كانت دوما مدينة الحلم والتوق، وتطلع النفس البشرية إلى الله.

مدينة الهوية والتراث والحياة:

وشهدت المرحلة التالية وهي مرحلة الانتداب البريطاني مجموعة من العوامل التي جعلت للقدس أهمية سياسية وطنية، فقد عمق هذا الصراع بين العرب واليهود البعد الوجداني في القدس، وجعل الاهتمام بها حارا، باعتباره المكان الذي يمثل الشخصية الوطنية الفلسطينية. كما ارتبطت صورتها بطبيعة الحياة فيها. ومن خلال استعراض ما ينوف عن ألف قصيدة نشرت في جريدة فلسطين في عهد الانتداب البريطاني لا نعثر إلا على قصيدتين تحملان اسم القدس للشاعر اسكندر الخوري، الأولى بعنوان 'غانيات القدس'، والثانية بعنوان 'مساء السبت في القدس'، في حين نعثر على عشرات القصائد التي تناولت مدينة حيفا ويافا مركزا الحياة الثقافية آنذاك. وفيما يلي أبيات من هذه القصائد التي نشرت في جريدة فلسطين في عام ١٩٢٠:

بارزات النهود حمر الخدود ... عاريات الصدور ضمر القدود
يتخطرن في الشوارع تيها ... بحلى من أساور وعقود
وبرود شفافة من حرير ... شف عما اختفى وراء البرود
عابثات بالركبتين قصار ... عرت الساعدين حتى الزنود
من بنات اليهود جئن إلينا ... من أوربا بكل زي جديد
وبنات قلدنهن من الأعراب ... حتى غلبن غيد اليهود
مشهد من مشاهد القدس هذا ... في غنى عن دلائل وشهود
كل يوم نراه بالعين عصرا ... بين باب الخليل والعامود

وفي قصيدة أخرى بعنوان 'مساء السبت في القدس' يقول:

ما بين أبيض وأحمر ... وأصفر ثم أخضر
وناعم من حرير ... ما بين أسمر أشقر
في كل سبت مساء ... هذي الملابس تنظر

علـــى متــــون الغانـــــي مــزوجـــــات وبكـــــــر

فـــي القـــدس باريـــس باتـــت علـــى طريـــــق شنلـــــر

فـــي كــــل سبـــت مســـاء طريــــق يافــــا كمطهـــــر

فالقدس في هذه الأبيات هـي عـالم الحيـاة ومنبـع الحـب كمـا تظهـر فيهـا مظـاهر الحضـارة الغربيـة والهجـرة الصهيونيـة إلـى فلسـطين. فـالقدس مدينـة تتخـالط فيهـا الثقافـات تخالطـا عجيبـا، فتغنـي بتيارهـا السـيل الحضـاري العربـي الكبـير. تعـايش المذاهب والألسنة والعادات في ظل الحضارة العربية، ويقول سعيد العيسى ارتجـالا فـي الحفلـة التـي أقامهـا مديـر المطبوعـات العـام فـي داره بـالقدس تكريمـا لضيـوف فلسطين من رجال الفكر والأدب والفن الذين دعتهم الاذاعة الفلسطينية للمشاركة فـي برامجها خلال شهر رمضان:

حنت القدس إلى الأعلام في الشام ومصرا

يــا إمــام الفن انــا لكمان الفن اسرى

نغمات الحب سالت عنــد أوتــارك سحــرا

حركت منا قلوبا خلفتها وهي سكرى

والصـورة التـي تتركهـا لنـا هـذه القصـائد تعكـس لنـا مدينـة مليئـة بالحيـاة والفـن والثقافة. فلقد اتسعت فيها حركة التداول الأدبي بواسطة الجمعيات والمنتديـات التـي تكاثرت فيها. وكانت هذه الجمعيات تنشط للاحتفاء بكل شـاعر كبير يـزور البـلاد. ورغم الأحداث السياسية والقوميـة الهامـة والتـي كـان لهـا أثرهـا العميـق فـي تطـور الحركـة الأدبيـة والفكريـة وفـي الشـعر الوطنـي والغنـائي والوجدانـي والاجتمـاعي بصورة خاصة، إلا أن صورة القدس لم تنعكس بالدرجة الكافيـة فـي قصـائد شـعراء هـذه الفـترة، وبقيـت القـدس بصورتهـا القديمـة رمـزا روحيـا إلهيـا دينيـا، واسـتخدم الشعراء موضوعاتهم في مقاومة الانتداب وخطط الاستيطان في بلادهـم. إن مدينـة القدس ليست مجرد مكان، إنها زمان أيضا. فهي لا يمكن أن تـرى بوضـوح ضمـن نطاقها الجغرافي المحدود وحسب، لأنهـا حينئـذ لـن تفهـم. إنهـا يجـب أن تـرى فـي منظورها التاريخي، وترى كأن التاريخ اجتمع لحظة واحدة، هي اللحظة التـي يراهـا المرء فيها.

القدس الحزينة:

ولقد تركت النكبة بصماتها واضحة في الشعر الذي كتب بعدها، وكان الأدب حزينا غاضبا لوقوع المأساة، فعكس الشعراء المرارة والحزن، وعاطفة اليأس والحنين. ودفعت الكارثة الشعر فيها إلى استدرار عطف العالم، فهذا الشاعر برهان الدين العبوشي يكتب في عام ١٩٤٩ بعنوان قصيدة "لهفي على القدس الشريف" يقول فيها:

لهفي على القدس الشريف	قد عاد كالشيخ المخيف
الصخرة الغراء تندب	والقيامة كالخريف
دار الزمان عليهما	وعدا على العز المنيف
قد أصبح الإنجيل نسيا	والمصاحف في الرفوف
أنّى نظرت فلا ترى	غير الكآبة والكسوف

ففي القدس انتشرت المباني والقباب والمآذن، هي أروع وأغزر النماذج القائمة لمدينة عربية على طابعها الهندسي القديم. مدينة مركز للديانات السماوية. وفي عام ١٩٦٢ كتب أنطون ألبينا نائب مدينة القدس بعنوان "القدس أمي " يقول:

إياكم أن تمسوا القدس بأذى	إنها أمي وأنا ابنها
عشت في ظلها وربيت في حضنها	وليس أحد أكثر مني يحبها

فالقدس بالنسبة له هي موطن الطفولة وعالم الحياة القديم.

ويقول خالد نصرة في عام ١٩٥٥ في قصيدة إلى الشباب الصاعد أمل الجيل المعاصر، الذي ألقت على كاهله نكبة فلسطين أضخم تركة من الشدائد والأهوال، لاختبار مدى طاقته على احتمال نوائب الأيام والتغلب عليها:

ها هي القدس فاحذرن أن تسلني:	كيف نامت على رؤوس الحراب!
قد غفت عليها .. ويكفي!	كم سؤال غدا عديم الجواب...

الليــــل، هـــي تسبـــح فيـــه ..	شبـــح لا يــــروم غيــــر الخراب!
وبدا ضخــم سورهـــا كوســـام	أبيض اللون.. في جناح غـــراب..
القفــــــر رهبـــــة وسكونـــــا	أترانـــــا بهـــا قطيـــع ذئـــاب

وتكتب ليلى كرنك قصيدة بعنوان "هللي يا قدس" في عام ١٩٦٥ تقول:

هللي يا قدس .. ذا صوتي

عاد يدوي ... عاد يعلو من جديد

في كل ما أروي ... بشعري ... بالنشيد

صيحتي من جوف كهفي والخيام

من عروقي الثائرة من دمائي الفائرة

سوف لن أبقى شريدا ولن أرضى قيودا

وتقول فدوى طوقان في حديثها عن القدس في قصيدة بعنوان "إلى السيد المسـيح فـي عيده":

يا سيد ..يا مجد الأكوان

في عيدك تصلب هذا العام

أفراح القدس

صمتت في عيدك يا سيد كل الأجراس

من ألفي عام لم تصمت

في عيدك إلا هذا العام

فقباب الأجراس حداد

وسواد ملتف بسواد

القدس على درب الآلام

تجلد تحت صليب المحنة

تنزف تحت يد الجلاد

والعالم قلب منغلق

دون المأساة

هذا اللامكترث الجامد يا سيد

انطفأت فيه عين الشمس فضل.... وتاه

والقدس في هذه القصائد هي مدينة معذبة وهي كالشيخ المخيف والخريف دار الزمان عليها، ومنسية ومليئة بالكآبة والكسوف، وتتكرر فيها كلمات مثل: النسيان، غفت، نامت، شبح، غراب، قفر، رهبة، وسكون، كهف، وخيام صمت وملتفة بالسواد، وتنزف، وجلاد، وقلب منغلق ولا مكترث، على عكس الكلمات الواردة في القصائد السابقة مثل:

يتخطرن، بحلي وعقود، برود شفافة، زي جديد، غيد، غنى، الإعلام، الفن، الكمان، نحات، الحب، السحر، سكرى، باريس، باب العامود، شارع يافا، وشنلر وغير ذلك.

وكان الشاعر السوري نزار قباني، خير من عبر عن حالة القدس الحزينة في قصيدته عن القدس والتي يقول فيها:

يا قدس. يا منارة الشرائع

يا طفلة جميلة محروقة الأصابع

حزينة عيناك، يا مدينة البتول

يا واحة ظليلة مر بها الرسول

حزينة حجارة الشوارع

حزينة مآذن الجوامع

يا قدس، يا جميلة، تلتف بالسواد

من يقرع الأجراس في كنيسة القيامة؟

صبيحة الآحاد ..

من يحمل الألعاب للأولاد؟

في ليلة الميلاد...

يا قدس. يا مدينة الأحزان

يا دمعة كبيرة تجول في الأجفان

من يوقف العدوان؟

عليك، يا لؤلؤة الأديان

من يغسل الدماء عن حجارة الجدران؟

من ينقذ الانجيل؟

من ينقذ القرآن؟

من ينقذ المسيح ممن قتلوا المسيح؟

من ينقذ الإنسان؟

ويقول جبرا إبراهيم جبرا ابن هذه المدينة: ما من أمة في العالم إلا وتريد أن يكون لها رقعة مهما صغرت في هذه المدينة، قد تكون الرقعة إحدى التكايا الملحقة بالحرم، أو قد تكون ديار أو كنيسة تتفاوت مساحة وضخامة، وفي كل مسجد وفي كل دير وراء الجدران السامقة، عالم خاص، له أجواؤه ولغاته وأزياؤه وموسيقاه. فالقدس مهما جارت عليها الأزمان مدينة أعياد متلاحقة، وشعائر دينية وضعت في خدمتها عبقرية الإنسان. إنها على صلة بالعالم دائمة وهي في الوقت نفسه تتأمل ذاتها وعيش مأساتها كل يوم. وهذا بعض السبب في أن التاريخ حي هنا في كل زاوية. ينطق به كل حجر. والحجر- أبو الحضارات- بارز الكيان في هندسة

المباني والأسواق، بكل أشكاله وأحجامه، يلاصق فيه ما يعود إلى ألف سنة خلت ذاك الذي أقيم اليوم أو البارحة. (ص ١٣١)

مدينة المشروع المضاد

وتميزت فترة الاحتلال بتعميق الشعور الوجداني بالقدس فلقد برزت في الشعر كظاهرة مميزة وانجذبت إليها مشاعر الكثيرين من الشعراء الذين يمثلون جيلا لهم مفاهيمهم وأساليبهم، فاستطاعوا أن يعبروا عن صورة القدس في وعيهم. فقد تناولها في قصائدهم شعراء المقاومة وبصورة خاصة راشد حسين ومحمود درويش وسميح القاسم. ومن شعراء المقاومة الذين كتبوا عن القدس في قصائدهم الشاعر راشد حسين، الذي نظم ثلاث قصائد: "القدس والساعة" و"القدس في العينين" و"الى أورشليم". يقول في قصيدته إلى أورشليم في ديوانه "مع الفجر وصواريخ":

أمدينة الزيتون! زيتون الهوى أثمر

لما بسطت على فؤادي زندك الأخضر

وعصبته بلظى محبة فارس أسمر

وزرعت في قلبي عينين للحب

من قسوة الرومان في لحظيهما آثار

ومن الربيع عليهما ستران من أنوار

يا ربة الزيتون

زيتون حبي يوم جئت إليك قد أثمر

ويقول في قصيدة "القدس في عينين":

لون عينيك نخيل.... لون عينيك دوالي

لون عينيك كحبي القدس...غال...ألف غالي

وجريح لون عينيك ..كشعري

وجميل مثل حبي وطويل.... كاعتقالي

وفي قصيدة "القدس والساعة" يصور راشد حسين مشهدا في حركة متتابعة من الأحداث. والمرجع المكاني للقصيدة هو القدس وتتوالى فيها الأحداث وفق علاقة سببية تعزز الطابع القصصي لها. وتتألف القصيدة من أربعة مقاطع متباينة تمثل مجموعة من المضامين التي تلخص فلسفة الشاعر في قضية وطنه وشعبه بصورة واضحة وهي: معاناة وخيانة ومقاومة وثورة، فهو يقول:

كانت الساعة في القدس: قتيلا وجريحا ودقيقة

كانت الساعة: طفلا سرق النابالم رجليه

ولما ظل يمشي سرقوا حتى طريقه

كانت الساعة صفرا عربيا .... كانت الساعة ميلاد الحقيقة

صارت الساعة في القدس...عذارى

في ثوان حبلت .. في ثوان ولدت

في ثوان .. صارت الساعة في القدس ... نضالا وحقيقة

دقت الساعة ... دقت

بكت الساعة حبا ... وعذابا وتمنت

وإذا الطفل الذي من دون رجلين

على كفيه يمشي .. وعلى عينيه يمشي

حاملا حلما وخبزا وسلاما .. لمقاوم

هامسا أبسط ما صلاة طفل: قتلوا رجلي واغتالوا طريقي

ولهذا... لم يعد لي غير أن أبقى هنا حتى ولو قبرا ... يقاوم

لم تعد بالقدس للساعات حاجة

حطمت ساعاتهم بنت صغيرة

عمرها مائة مليون معذب

أمة رغما عن التخدير والأفيون يوما ... سوف تغضب

ولهذا ... كلما مرت بمحتلي عيون القدس .. طفلة

طفلة بنت صغيرة

فتشت أعينهم آلاتهم ... في صدرها

في رحمها ... في عقلها ... عن قنبلة

وإذا لم يجدوا شيئا أصروا: هذه البنت الصغيرة

ولدت في القدس ... والمولود في القدس ... سيضحي قنبلة

صدقوا ... المولود في ظل القنابل .... سوف يضحي قنبلة

استطاع الشاعر في هذه القصيدة أن يوفر وجودا خاصا وبناء قويا متكاملا مستعملا صورا منتزعة من القدس، وقراءة هذه القصيدة مثل جداول من المفردات تتيح تجميع حقول دلالية تمثل المعنى العميق الذي تمثله والذي يعكس الصراع الذي يدور في نفس الشاعر وهو القدس والاحتلال والمعاناة والعودة.

ويقول محمود درويش: في قصيدة بعنوان "الخروج من ساحل المتوسط" في ديوانه المحاولة رقم ٧:

قلتم: نحن ننتظر الجنازة بالأكاليل الكبيرة والطبول

ونلتقي في القدس

ليت القدس أبعد من توابيتي لأتهم الشهود

وما عليك: ذهبت للموت الجميل

ومدينة البترول تحجز مقعدا في جنة الرحمن - قلتم لي

وطوبى للممول والمؤذن ... والشهيد

فالقدس مكان لقاء موقعها مركزي في وجدان الشاعر. وتحتل القدس لدى سميح القاسم مكانة مركزية هامة فهو يقول في قصيدة بعنوان 'إذا نسيت القدس" في ديوانه "قرآن الموت والياسمين":

لتنسني يميني

إذا نسيت القدس

ولتخلد على جبيني

وصمة عصر الموت والجنون

ولتنس وجهي الشمس

ولينعب البوم على صورتي وأطفالي وزيزفوني

إذا نسيت القدس

إن رسم الصورة العامة في هذه القصائد لم يعد صعبا، فالموضوع المسيطر عليها جميعها هو الصراع بين صورة القدس الإلهية المقدسة وصورة القدس الفلسطينية، ويأخذ الصراع أشكالا مختلفة بين مرحلة وأخرى من حياة المدينة: فهي موطن طفولة وعالم الحياة للقديم ومنبع الحب الصافي. وعلى هذا الأساس يصبح مفهوم الشعراء لصورة القدس نوعا من العلاقة الجدلية بين الحياة والموت واللاحياة واللاموت. وكانت هذه الجدلية في بداية القرن تعكس لنا صورة القدس الإلهية وفي المرحلة التالية أصبحت تعكس صورة الحياة ثم أصبحت تعكس صورة الحزن والمعاناة وأخيرا صورة مركزية للمعاناة والمقاومة والبعث من جديد. وتشير هذه الحركة في قصائد الشعراء على أن القانون الناظم لهذه الصورة والذي يظهر مصادر الوعي لدى الشعراء يسير في اتجاه:

القدس لله ← القدس للحياة ← القدس تموت ← القدس ستبعث من جديد

هذه الرؤية البنيوية يصبح فهم العلاقات التي تقوم بين الصور المختلفة للقدس في الشعر الفلسطيني الحديث وعيا للعلاقات التي تقوم بين المكونات النفسية والسياسية

والاجتماعية للمجتمع الفلسطيني. هذه هي المدينة المعجزة التي قدسها البشر، وبقدر ما قدسوها أعملوا فيها يد التخريب والدمار ولكنها تجرح ولا تموت تتحطم ثم تنتعش من جديد.

- ويعبر نزار عن عودة الحياة للقدس بقوله:

غدا غدا .. سيزهر الليمون

وتفرح السنابل الخضراء والزيتون

وتضحك العيون

وترجع الحمائم المهاجرة

إلى السقوف الطاهرة

ويرجع الأطفال يلعبون

ويلتقي الآباء والبنون

على رباك الزاهرة

يا بلدي

يا بلد السلام والزيتون

- وفي قصيد زهرة المدائن التي تغنيها فيروز تقول:

لن يقفل باب مدينتنا فأنا ذاهبة لأصلي

سأدق على الأبواب

وسأفتح الأبواب

وستغسل يا نهر الأردن وجهي بمياه قدسية

وستمحو يا نهر الأردن آثار القدم الهمجية

الغضب الساطع آت

بجياد الرهبة آت

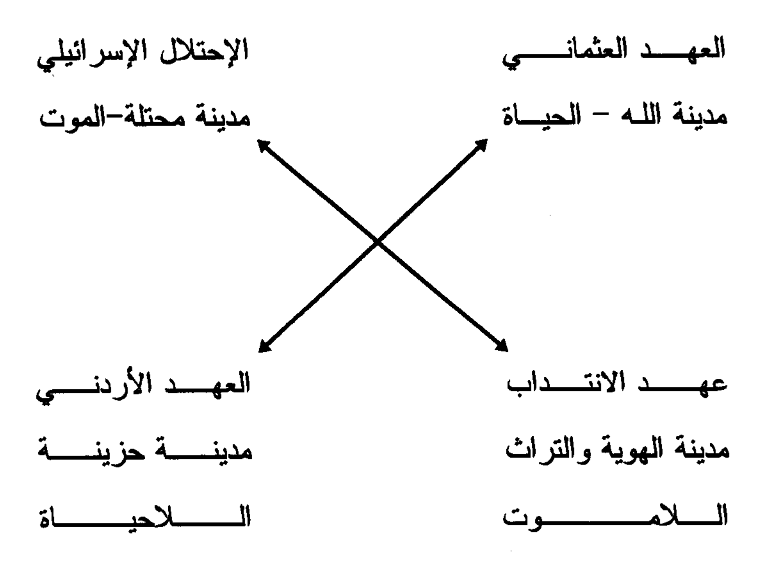
وسنهزم وجه القوة

البيت لنا والقدس لنا

وبأيدينا سنعيد بهاء القدس

بأيدينا للقدس سلام

إن رسم البنية العامة لصورة القدس في القصائد السابقة لم يعد صعبا، فالموضوع المسيطر على مستوى هذه القصائد جميعا هو موضوع الصراع بين الحياة والموت. ويأخذ هذا الصراع أشكالا متعددة في كل مرحلة من مراحل حياة هذه المدينة. ولإظهار البنية العامة لصورة القدس في هذه المراحل، فإننا نعرض الشكل البنائي الذي يستوعب جميع هذه القصائد والتحولات المتفرعة منها، وهي تجمع شبكة العلاقات التي تقوم بين صور القدس ويمكن تمثيلها بالرسم البياني التالي:



وعلى هذا الأساس تصبح صورة القدس نوعا من العلاقة الجدلية بين الحياة والموت واللاحياة واللاموت. وكانت هذه العلاقة تعكس في العهد العثماني صورة مدينة إلهية روحية ثم أصبحت في عهد الانتداب تعكس صورة مدينة التراث والهوية، ثم أصبحت تعكس صورة المعاناة والحزن، ثم أظهرت أخيرا في عهد الاحتلال صورة المدينة الثائرة التي تبحث عن الخلاص.

القدس ليست مجرد مكان فحسب، إنها الزمان أيضا. إنها تجسيد قائم لتجربة الإنسان الهائلة تاريخ حضارته، منذ أن بدأ التاريخ يتضح على يديه، بإنجازاته وفواجعه.

المراجع

١. ابن الجوزي. **فضائل القدس**، تحقيق جبرائيل جبور. بيروت: دار الآفاق، ١٩٧٩

٢. جريدة الكرمل ٢-٧-١٩١١

٣. جريدة فلسطين ١٩١١-١٩٦٧

٤. جبرا إبراهيم جبرا. **الرحلة الثامنة**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩

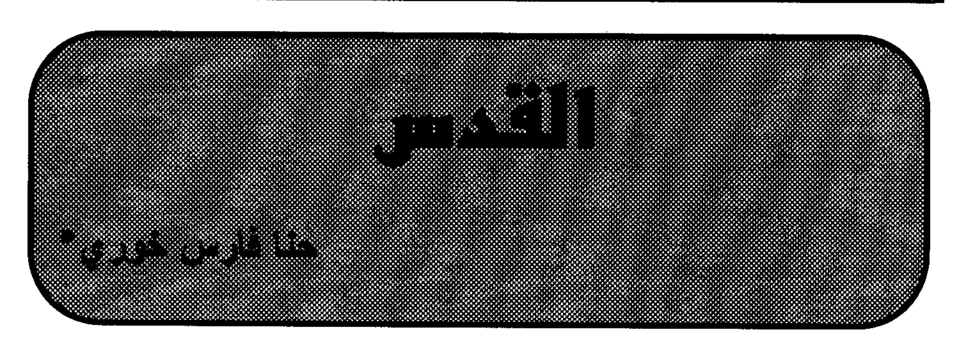
٥. درويش محمود. **محاولة رقم ٧**، عكا: مكتب الأسوار، ١٩٧٧

٦. القاسم سميح. **قرآن الموت والياسمين**. القدس: مكتبة المحتسب.

٧. عمرو يونس. **القدس مدينة الله**. منشورات مركز اللقاء، ١٩٨٦

٨. عارف العارف. **المفصل في تاريخ القدس**. القدس: مكتبة الأندلس، ١٩٨٦

٩. مجلة دراسات عربية، المعهد البابوي للدراسات العربية، العدد ٧٤، ١٩٨٨.



شمسٌ على الكون أمْ أنوارها النجمُ
يـــا كـــونُ هلّلْ لقدسٍ إنهـــا نغـــم

تجري القداسة في أعراقها شغفــا
منهـا انتشتْ قمـــمٌ سمتْ بهـــا الأممُ

يا نجمةَ الصبحِ بانَ الصبح مؤتلقا
فالطير ثملى وثغــر الكون مبتســم

وحيُ الطهارةِ من أنفاسها إنطلقت
مجدٌ من الله مــا المعطــاءُ ما الحِكَمُ

حَبَاكِ أيـــلُ بآيـــاتٍ مقدســـة
ســـرّ المحبـــة فـــي بالي كما الديّم

طابتْ رسائلُ خِلْتُ الحبَّ مندفقا
بالطيـــب يـــأرجُ فانزاحتْ لها الظلّمُ

مدينةُ الله لـــم تبخـــل لطالبهـــا
ومـــن حماهـــا يفيضُ الجـود والكرم

يا قدس عونا لكل الشعب قاطبـة
فالحـب مـــن بيتـك الولهان مضطرم

يا قدسُ شعبُكِ لـــم يَفزعْ بمكرهة
فالحـــــبُ ملتهـب والحـــقُ مُعتَلَـمُ

---

* حنا فارس خوري، أستاذ ومركز اللغة العربية في مدرسة فسوطة.
ألقى هذه القصيدة في مؤتمر اللاهوت ١٩٩٤.

المرءُ في الأرض يَروي عن بطولتهم
والكونُ يغـــوى بهـــم حبّــا وينسجـم

يا قلعةَ العربِ فــي أذهاننــا صـــورٌ
شوهاءَ، لا العُرْبُ ترضاها ولا العجم

كلّ تجاوز حدّ الحــقِ عـــن وَهَـــنِ
يقضي ويأمرُ أيـن الحــق والحَكَــمُ؟

جحافلُ الـــروم ولّـــتْ رغـم قوتهــا
وغيرُها، لـــم تنلْ مـــن أرضها قدم

كـلّ المدائـــن قــــد تفنــى برمتهـــا
فــي جنـــة اللــــه يبقـى المجدُ يتسم

أهلُ الصمـودِ شعـــاعُ الوعــي سنّتهـم
فالنصـــرُ رايتهـم والقـــولُ مُعتَصـمُ

واليـوم مـــا بين ماضينـــا وحاضرنـــا
تَهْـوي القــلاع وأنّ الراسيـــاتِ هُــمُ

ويـــا نجومٌ علـــى قــــدس مشعشعـة
أنتــــم وفـــاءٌ علـــى أبنائهـــا اليُتـُم

توهّجتْ في صميـــمِ القلـــب شعلَتُهـــا
وجُـــلّ رفعتِهـــا غنّـــتْ بــهِ الأممُ





"وتعانق العدل والسلام"

(مز ٨٤:١١)

"طوبى لصانعي السلام"

(متى ٥:٩)

مقدمة :

تؤكد الوثيقة الأساسية "اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة"، التي تبناها مؤتمر "اللاهوت والكنيسة المحلية" (٢-٤ تموز ١٩٨٨) أن الكنيسة المحلية "لا تعيش خارج نطاق الزمان والمكان" لأنها "كنيسة متجسدة على غرار المسيح المتجسد". وعليه فإنها "تتفاعل مع كل الظروف الحقيقية التي تشكل جزءا من كيانها المتجسد".

على أساس المبدأ اللاهوتي العام تدخل الوثيقة في تفاصيل الخصوصيات التي تضفي على كنيستنا المقدسية وجهها المميز وملامحها الخاصة بها. وإحدى هذه الميزات أنها تعيش "ضمن شعب" (الشعب الفلسطيني) "له ميزة خاصة وخبرات تاريخية متنوعة، قديمة وحديثة، بكل ما فيها من آلام وآمال".

* راجع "الوثيقة الأساسية": اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة"، إصدار "مركز اللقاء للدراسات الدينية في الأرض المقدسة"، ١٩٨٨، ص ٧،٨،١١.

إن الأمل الكبير الذي يتوق إليه ضمير هذا الشعب، والذي امتزجت به الآلام ومعاناة التشرد والدماء، هو أمله في السلام العادل، الذي يحقق استقلاله وتطلعاته النبيلة ولذي يعتبر هبة إلهية وحقا طبيعيا له ولجميع شعوب الأرض. ومن أجل هذا الأمل عانى الكثير ودفع الثمن غاليا ومعه عانت جميع شعوب هذا المنطقة. ولقد حان الوقت أن يقف العالم وقفة جادة وملتزمة وشجاعة كي يساند شعبنا في سعيه لوضع حد لآلامه ونيل حقوقه، فيستتب السلام القائم على العدل، تمجيدا لله وخيرا لشعوب المنطقة وللبشرية جمعاء.

من أجل كل هذا، أرادت أسرة "مركز اللقاء" في هذه الوثيقة أن تشرك الجميع في هذا التأمل الذي يمليه علينا إيماننا، ومعاناتنا اليومية مع شعبنا في هذه الظروف الصعبة والمصيرية، وحرصنا على مستقبل أفضل لجميع شعوب المنطقة والعالم.

ليست هذه الوثيقة وثيقة سياسية، بل هي تأملات ولدت في قلب المعاناة اليومية التي أخصبها إيماننا بنوره وهديه. وإننا نطرحها للتفكير والتأمل والحوار كي تكون إسهاما مهما كان متواضعا، للسلام والعدل في أرضنا الحبيبة.

١- التوجه نحو السلام

تسكن الرغبة في السلام كل إنسان على هذه الأرض. وتسكن بشكل خاص أبناء هذه البقعة من العالم التي خصتها السماء ببركاتها والتي غالبا ما جعل البشر منها مسرحا للصراعات والحروب مع كل ما تجره من الويلات والمآسي ... وهي الأرض التي تشهد اليوم نزاعا دمويا مزمنا يهم الجميع ويتطلب منهم جميعا، ومن أبناء هذه الأرض في المقام الأول، أن يسهموا قدر ما يستطيعون، في عملية البحث عن حله حلا عادلا ودائما.

متغيرات ومواقف

لقد عاش العالم، في أعقاب الحرب العالمية الثانية، سنوات طويلة في ظل الحرب الباردة بين القوى العظمى، انعكست سلبيا على مصائر الشعوب والأمم، خاصة الصغيرة منها والفقيرة والضعيفة، ويبدو أن هذه الفترة قد انتهت إثر

التغيرات الجذرية التي حصلت في دول الكتلة الشرقية. ومع نهايتها يشهد العالم ميلاد ما يطلق عليه اسم "النظام العالمي الجديد". ومما لا شك فيه أن التعامل الحقيقي مع القضية الفلسطينية يشكل محكاً أساسيا لجدية هذا التوجه الجديد ومصداقيته.

إن الشعب الفلسطيني يواكب هذه التغيرات التي تحصل حوله والتي تؤثر في مسيرته ومصيره ويتفاعل معها بإيجابية خلاقة حرصا منه على إعطاء هذا التوجه العام فرصة لإثبات جدارته ومقدرته على حل مشاكل العالم، وأهمها القضية الفلسطينية، إستنادا على الشرعية الدولية وحقوق الشعوب التي أقرتها الأسرة الدولية. وعليه فإن الشعب الفلسطيني ومن وسط معاناة الإنتفاضة وشراسة ظروفها القمعية، يمد غصن الزيتون بجرأة تاريخية وشجاعة أدبية داعيا الجميع إلى الدخول معا في حوار بناء يؤدي إلى سلام حقيقي.

من أجل هذا فإن الشعب الفلسطيني يتعاون تعاونا جادا وإيجابيا مع الجهود الحالية الرامية إلى تحقيق سلام عادل وشامل ودائم (بالرغم من الشكوك الحقيقية في هذه الجهود)، مستندا بذلك إلى تحليل عقلاني للمواقف الراهنة من خلال مداولات ديمقراطية عبر مؤسساته الشرعية تتسم بالمرونة والدينامية والمسؤولية تجاه الشعب الفلسطيني والعالم، والتي تستوعب مختلف المعطيات والمتغيرات وتتفاعل معها مع الإحتفاظ بالثوابت الفلسطينية التي لا يحق لأحد، على المدى الطويل، أن يفرط بها، لأنها تشكل الحد الأدنى الذي لا يستطيع الشعب الفلسطيني أن يتعداه دون أن يتنكر لنفسه ودون أن يترك بذور الصراع قائمة في ظل حلول مبتورة ومجحفة.

إن هذا التوجه يفتح الأبواب واسعة لفترة تاريخية جديدة تنتقل فيها شعوب المنطقة من الصراع الدموي إلى بناء حضارة حقيقية تحييها القيم السامية المستمدة من التراث الإنساني والروحي لهذا الشرق الذي أهدى البشرية أحسن ما عندها.

إن المؤمنين في الأرض المقدسة، الذين يرفضون الظلم بكل أشكاله، يرون في هذا التوجه نحو السلام العادل عن طريق الحوار والتداول تجاوبا مع مشيئة الذي يريد أن يجمع أبناء البشر، على إختلاف جنسياتهم ودياناتهم، في السلام والعدل والتآلف والمحبة، لأنه "اله واحد أب لجميع الخلق وفوقهم جميعا، يعمل فيهم جميعا وهو فيهم جميعا" (أفسس ٤:٦) ونحن المسيحيين، نؤمن إيمانا ثابتا بأن السلام

الحقيقي هو من قيم الملكوت التي تجسدت في يسوع المسيح الذي هتفت الملائكة عند ميلاده: "المجد لله في العلى، والسلام في الأرض للناس أهل رضاه" (لوقا ١٤:٢). وهو السلام الذي وهبه لتلاميذه: "السلام استودعكم وسلامي أعطيكم" (يوحنا ٢٧:١٤). وهو السلام (بين البشر وخالقهم، وبين البشر أنفسهم الذي صلب المسيح من أجله وعزز الأمل بتحقيقه بقيامته من بين الأموات): إنه سلامنا. فقد جعل الجماعتين جماعة واحدة وهدم في جسده الحاجز الذي يفصل بينهما، أي العداوة ..." (أفسس ١٤:٢).

إن هذا السلام الذي يهبه الله للبشر والذي يعمل البشر، بقدر ما يتجاوبون مع هذه الهبة السماوية، على إرساء قواعده وتحقيقه هو الكفيل بخدمة الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله وخدمة البشرية المدعوة دوما إلى الوحدة والتآخي والسلام. ولهذا فإن المؤمنين بالله لا يسعهم إلا أن يقبلوا بفرح هذه الهبة الإلهية، ويحولون قبولهم إلى إلتزام في خدمته وإسهاما في تحقيقه، مجدا لله، ولخير الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض، ولخير البشرية كلها التي تنظر إلى الأرض المقدسة كمصدر الهام لعالم أفضل.

متطلبات السلام

لقد طوب السيد المسيح الساعين إلى السلام ودعاهم أبناء الله: "طوبى للساعين إلى السلام، لأنهم أبناء الله يدعون" (متى ٩:٥). وإذا كان سعاة السلام الحقيقيين هبة للبشرية في كل زمان ومكان، فإن الحاجة إليهم أمس ما تكون في أيامنا الحاضرة وفي بلادنا بالذات. فالسلام هو واحدة من تطلعات البشر الأساسية في عالم اليوم. ولا يسعنا إلا أن نضرع دوما إلى الله كي يرسل سعاة صادقين لسلام ثابت يستلهم الله ويبتغي خير الإنسان، كل إنسان، بتجرد وسخاء.

إن السعي إلى السلام لا يعتمد أساسا على الحذلقة البشرية والدهاء السياسي بل على نقاوة القلب، قبل كل شيء، من كل المعوقات التي تحول دون الرؤية الحقيقية لجميع عناصر الصراع. في قلوب البشر تبدأ الحروب ومن قلوبهم تنبعث نوايا السلام التي تحول عناصر الصراع إلى عناصر حل له. "من أين تأتي الحروب والمخاصمات بينكم؟ أما تأتي من أهوائكم التي تعترك في أعضائكم؟... أما الحكمة

التي تنزل من عل، فهي طاهرة أولا، ثم مسالمة حليمة سمحة، تفيض رحمة وتثمر ثمارا صالحة، لا محاباة فيها ولا رياء. ثمرة البر تزرع في السلام، للذين يعملون السلام" (يعقوب ١:٤ و ٣:١٧-١٨).

إن الرغبة في السلام تقتضي، قبل كل شيء، أن ننظر الواحد إلى الآخر، فردا أو جماعة، كما ينظر الله إليه، لا كما تصوره الأهواء والأنانيات والمصالح الضيقة والقصيرة النظر. إن اعتبار الآخر اعتبار المرء لنفسه، بكامل تطلعاته وحقوقه، هو شرط أساسي للتوجه نحو هذا الآخر كند حقيقي نسير معه، لا ضده أو بغض النظر عنه، نحو هبة السلام. وهذا ما يفرض الإعتراف المتبادل بوجود الآخر، وأصالة شخصيته، واستقلال إرادته، وحرية خياراته، للدخول معه في الأجواء يمكن أن يطرح كل طرف متطلباته على مائدة الحوار ليبحث الجميع، بصبر وصدق وروية، عن سبيل التوفيق بين هذه المتطلبات المتباينة في صيغة تكفل للطرفين التنعم بهبة السلام من غير أن يكون أي منهما تهديدا للآخر.

إن الذاكرة التاريخية للشعبين الفلسطيني والإسرائيلي، في ماضيها القريب والبعيد، حافلة بالرواسب المرة والأليمة والدامية. ولا يمكن للسلام أن يتحقق ما لم تكن ذاكرة طرف سبيلا الى فهم ذاكرة الآخر ووضعها في الحسبان. ان الصور المزيفة والأفكار المسبقة والتصنيفات المصطنعة التي تساور مخيلة كل طرف فيما يتعلق بالطرف الآخر تشل حركة السلام وتعطل مسيرته. ان الزيف يكبل والحق يحرر: "تعرفون الحق والحق يحرركم" (يوحنا ٨:٣١). وهذا ما يساعد الطرفين على استيعاب متبادل لا يؤدي الى إرساء قواعد السلام فحسب، بل يفتح آفاقا رحبة أمام مستقبل يجمع الطرفين في مشروع حضاري لخدمة الإنسان في هذه المنطقة من العالم التي ذاقت الأمرين من الحروب والصراعات. ولقد حان الوقت ان تتحول بلادنا من منطقة استراتيجية تستقطب المطامع الى نقطة إرتكاز روحية لعالم اليوم والى مرجع أمل لكل الذين يسعون الى السلام والعدل في الأرض كلها.

إن الخوف والتخوف من الآخر وتحجيمه وفق ما تقتضيه مصالحنا الأنانية الضيقة تحول دون سماع الصوت الحقيقي الأصيل الذي يختلج في قلب الأفراد والشعوب، وتؤدي الى رفضها وتجاهل تطلعاتها وحقوقها الأساسية المشروعة باسم مواقف مطلقة أحادية، يتبرأ منها الله مهما قيلت بإسمه، وتشكل عقبات في طريق

السلام. لا سلام بغير ارتداد القلب، ولا ارتداد بغير إصغاء الى صوت الله فينا، الذي ينقينا ويغيرنا. وهذا هو الإرتداد الذي يقودنا الى الآخر بعيدا عن العقد، النفسية والتاريخية، وعن المخاوف التي تشوه الآخر وترمي الجميع في خضم آلية جهنمية، آلية الموت والدمار.

وعلاوة على ذلك فإن التوجهات المبنية على حسابات آنية ضيقة الأفق، كالتفوق العسكري، أو القوة المالية أو وسائل الضغط المختلفة، أو تموجات الرأي العام الذي تتلاعب به الدعايات المغرضة، أو استغلال ظروف دولية معينة، التي تهدف كلها الى فرض سياسة أمر واقع لا يمكن قبوله ... كل هذا لا يمكن ان يكون سبيلا سويا لسلام حقيقي ولا يمكن ان يبنى على مثل هذه الحسابات التي ما تعتم ان تتهاوى أمام أول هبّة ريح كبيت بني على الرمل، بل على صخرة النوايا الحسنة التي تتخطى كل منطق ضيق لترتفع الى الرؤية الرحبة الكفيلة ببناء ما هو دائم وثابت.

في هذه الفترة التاريخية الحافلة بالتفاعلات المصيرية لمستقبل العالم لا يجوز لأحد ان يتعنت أو يتصلب مرددا مقولات بالية تعود بالدمار عليه أولا وعلى جميع شعوب المنطقة معه، وعلى العالم بأسره. ان السلام يعتمد على قلب يقبل السلام ويحبه ويصبو إليه ويخضع لمتطلباته ويرجوه لنفسه ولغيره : "قلبا نقيا أخلق في يا الله وروحا مستقيما جدد في أحشائي" (مزمور ٥٠:١٢).

والحق يقال ان الشعب الفلسطيني يتعامل بجدية مع هذا الظرف التاريخي، ويمد يدا صادقة لسلام الشجعان الذي لا يسد أي باب يمكن ان يؤدي الى حل عادل ودائم وشامل ومشرف للجميع. ومما لا شك فيه ان قطاعات لا يستهان بها من المجتمع الإسرائيلي تسير في نفس الإتجاه. وكل ما نرجوه هو ان يتعمم هذا الإتجاه لدى الجميع فنجد أرضية سليمة لحوار بناء وحقيقي وفاعل.

٢- القدس دعوة الى العدل والسلام

إن القدس هي في قلب الصراع القائم. لا أحد يستطيع ان يتجاهل هذا الواقع الذي يدعونا الى التوقف متأملين في موقع القدس من مسيرة السلام.

ثلاثة أسماء ومدينة واحدة

القدس، بيت المقدس، يروشلايم ... ثلاثة أسماء لمدينة واحدة : من هنا نبدأ. ومن هنا يجب ان يبدأ كل تأمل في حقيقة القدس ودعوتها ورسالتها. ومن هنا يجب ان يبدأ كل مشروع سياسي يعالج مشكلة القدس ومستقبل وضعها. ان طمس أي إسم من أسماء القدس إنما هو إغتيال لرسالة القدس الأبدية وتعدٍ على روحها الخالدة.

بالنسبة للديانات الثلاث القدس هي، قبل كل شيء، المدينة التي أرادها الله ليحاور الإنسان فيصالحه مع خالقه، ومع نفسه، ومع أخيه الإنسان. تبقى القدس تلك العلامة المشرقة في وسط عالمنا لهذا الحوار السرمدي بين الله والإنسان الذي يتفتح حوارا بين الإنسان وأخيه الإنسان. هذه هي القدس: مدينة الله ومدينة الإنسان. هذا هو سرها وهذا هو سحرها. إنها مدينة الحوار واللقاء والتبادل ومعرفة الآخر والتعرف عليه والاعتراف به. ومن يسلك طريقا مغايرا إنما يتطاول على أغنى الرموز الإنسانية والروحية في تاريخ البشرية.

للمسلمين القدس قلب. وللمسيحيين القدس قلب. ولليهود القدس قلب. وكلهم يلتقون في الله. ومن يحتكرها لنفسه دون سواه، يمزق قلبها ويسلبها جزءا من كيانها الداخلي والصميم الذي لا يمكن أن يتجزأ. عندما يفهم الجميع هذه الحقيقة الأساسية تبدأ القدس تلعب دورها السلامي الذي خصها الله به. فنحن لا نحل مشكلة القدس بل هي التي تحل مشكلتنا.

سلام القدس

يسود الإعتقاد ان الحلول السياسية للقضية الفلسطينية يجب ان تترك القدس لآخر المطاف لتعقيدها وصعوبتها. وهذا خطأ رهيب، لأن القدس هي ليست مشكلة بل هي الحل. ما القدس كمشكلة الا بسبب العمى الروحي الذي يحشر البعض أنفسهم فيه. فإنهم يرفضون، والقدس لا ترفض أحدا، ويستثنون، والقدس لا تستثني أحدا، ويحتكرون، والقدس دعوة الى المشاركة. ان القدس نعمة، ولا يحق لأي طرف ان يحرم أي طرف آخر من هذه النعمة. ان القيم التي تمثلها هذه المدينة الفريدة، البهية

بين جميع مدن الأرض، هي الكفيلة بتوجيه الجميع نحو طريق السلام الحقيقي. سلام فلسطين هو سلام القدس. في أسوارها العتيقة تكمن كلمة السر التي بدونها لا يمكن ان يكون ما يدعوه البعض سلاما أو تعايشا سوى تلفيقات آنية ومصطنعة لا يمكن ان تعمر طويلا.

إن القدس هي التحدي الأكبر. إنها تتحدانا وتستفزنا كي نرتفع على مستواها بدل ان نحطمها على مستوى خطايانا وأوهامنا. ولقد حان الوقت ان يقبل الجميع هذا التحدي كي تعود القدس أخيرا الى حقيقة ذاتها، علامة سلام ومصالحة وتفاهم وتلاق وتعاون وحوار. والا امتنا القدس وأمتنا معها وعندما تموت القدس تغشى الظلمة العالم بأسره.

يتجسد الأمل في العدل والسلام في مدينة القدس، التي تعتبرها الديانات السماوية المكان الذي اختاره الله كي يقيم حوارا مع الإنسان ليرفعه الى مستوى الحوار مع أخيه الإنسان.

ويستمد العدل والسلام من واقع القدس، المادي والروحي، دوافعه وقواعده الثابتة. ان القدس هي مدينة الله التي يستظل تحت جناحيها ابناء الله الكثيرون. وعليه فلا يمكن ان يتم السلام لفئة على حساب فئة اخرى، كما لا يمكن ان ينعم شعب بسلام القدس عندما يحرم غيره من هذه النعمة. ان الإستثنائية والإنفرادية اللتين تحرمان فئة من خلائق الله من نعمة القدس لهما تعدٍ على طبيعة القدس ودعوتها ورسالتها وواقعها التاريخي والديني والسياسي. وهذا يتطلب رؤية سياسية رحبة تترجم هذا الواقع الى حقيقة سياسية تستوعب معطيات القدس ومركزيتها لجميع أبنائها وللعالم بأسره. وعلى هذا الأساس تصبح القدس نقطة لقاء بدل ان تكون نقطة تنافر، داعية الجميع الى ان يكونوا قادرين على قبول بعضهم البعض بكل واقعهم الإنساني والسياسي والإجتماعي والديني والثقافي.

ان حل القضية الفلسطينية، والصراع العربي الإسرائيلي، يجب ان يبدأ بإيجاد صيغة سياسية أصيلة ومبتكرة لمدينة القدس، صيغة تعكس ما ذكرناه من خواص تنفرد بها هذه المدينة المقدسة.

إن إيجاد صيغة تبقي المدينة على وحدتها وفي الوقت عينه تحترم جميع أسمائها ممكن، لا بل ضروري وحيوي وحاسم لمستقبل السلام. ان السلام المنشود للأرض المقدسة الذي يستمد من حل مسألة القدس نموذجا يمكن أن يكون عليه السلام في المنطقة كلها. وان الإخفاق في هذا الحل يعني إبقاء المنطقة على بركان دفين يمكن ان يتفجر في أية لحظة. ان هذه المدينة المقدسة تستحق كل ما يمكن ان يبذل من جهود تجند لها أفضل طاقات المخيلة الإنسانية الخلاقة لإيجاد الحل الذي يشعر فيه كل من ينتمي الى هذه المدينة المقدسة، انتماء قوميا أو روحيا، انه في بيته، حيث لا ظالم ولا مظلوم، لا غالب ولا مغلوب، لا مستعبد ولا مُستعبد، لا مواطن من الدرجة الأولى وغريب من الدرجة الثانية. ان مدينة القدس هي ملهمة السلام ومحكه.

مدينة المستقبل

من أجل كل هذا فإن القدس هي مدينة المستقبل، مدينة الأمل، المستقبل الذي نرجوه لأنفسنا، ولغيرنا، وللعالم بأسره، والأمل الذي ننتظره لأنفسنا، ولغيرنا، وللعالم بأسره. فما علينا إذن إلا ان ننتظر، لا انتظارا متخاذلا مستسلما، بل انتظارا نشطا عاملا. ان العيش في الإنتظار النشط معناه الإستعداد والإعداد لساعة القدس المدعوة الى ان تكون علامة أمل ورجاء للبشرية جمعاء. الحرب تبدأ في القدس. وفي القدس يبدأ السلام.

لم تعط القدس بعد أحسن ما عندها لأنها أسيرة من يدّعون حبها. من يأسر القدس لا يحبها. إننا نأمل ان يأتي اليوم الذي فيه يتحقق قول الحديث الشريف: "من أراد ان ينظر الى بقعة من بقاع الجنة فلينظر الى بيت المقدس". وتتم نبوءة اشعيا العائلة: "فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي، ويكون العجل والشبل المعلوف معا وصبي صغير يسوقها" (أشعيا ١١:٦)، ويتحقق ما أراده السيد المسيح دائما، أي ان يجمع جميع أبناء المدينة المقدسة كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها (متى ٢٣:٣٧-٣٨).

إن القدس هي مدينة المستقبل التي تخبيء لنا جميعا أحسن ما عندها، شريطة ان يتخطى الجميع حدود ذواتهم الضيقة فيتيحوا للقدس ان تمارس دورها ورسالتها

الأرضية والسماوية. ان ساعة القدس، التي ننتظرها ونسعى لها، هي ساعة الله، وساعة الإنسان، وساعتنا جميعا. وعلى هذا الأساس رأى المسيحيون في القدس على مدى الأجيال صورة تلك المدينة السماوية التي نسير إليها في الأمل، والرجاء، والتي سيكون الله فيها والبشر أجمعين كلّ للكل.

من سلام القدس الى سلام العالم

ان بذور الحروب والنزاعات والخصومات موجودة في كل مكان من كرتنا الأرضية لسبب أو لآخر. وكثيرا ما تعمل آلية الشر في قلوب البشر لتحول هذه البذور الى مواجهات دموية قد يعرف المرء كيف تبدأ ولكنه لا يعرف كيف تنتهي. وفي كل الأحوال تخلف وراءها دموع الحسرة والاسى، خاصة لدى الفقراء والضعفاء والذين لا حول لهم ولا قوة.

بينما نتأمل في سلام القدس لا يسعنا الا ان نرفع أنظارنا لتشمل البشرية بأسرها المدعوة الى كسر آلية الشر والعدوان والحروب ليحل مكانها منطق الحوار والتفاهم. فالنعمة التي نسعى إليها لقدسنا وأهلها جميعا هي النعمة عينها التي نتوق إليها لكل بلاد العالم وشعوبه. ان العالم اليوم، بفضل وسائل الإتصال المتعددة، أصبح قرية صغيرة لا يبقى أحد فيها لا مباليا لما يجري لغيره، لا من باب التعاطف الإنساني فحسب، بل لأن كل صراع ونزاع يكتسب اليوم بعدا كونيا يؤثر على كافة الأسرة البشرية. وعلى عتبة الالف الثالث من تاريخنا الميلادي نشارك البشرية بأسرها في البحث عن السبل لأعمق ما تطمح إليه وهي السبل الكفيلة بجعل جميع الناس يعيشون معا في التكامل والتساوي والإحترام المتبادل. ليس التاريخ حتمية عمياء، بل هو ملك للبشرية ويخضع لإرادة الإنسان الحرة، هذا الإنسان الذي جعله الله قيما على خليقته يديرها بحكمة وروية وبصبر وبروح البناء لجميع أبناء الأسرة البشرية.

في القدس يتجلى عطش البشرية بأسرها الى السلام والعدل وسعيها إليهما، لأن هذه المدينة المقدسة، على غرار الكنيسة، هي علامة منصوبة بين الأمم تذكرها بدعوتها الأساسية الا وهي السعي الدائم الى مزيد من الإنسجام والتناغم في عالم الإنسان. ان مصير القدس يتعدى حدود أهلها ومحبيها، لأنه صورة ونموذج لمصير العالم كله. وما يحدث فيها من حروب وخصومات لا يمكن ان يترك العالم لا مباليا

ومحايدا، لأنه يعرف ان مصيره يتقرر فيها وان اماله في العدل والسلام تتحرك في رحابها المقدسة. تمثل القدس الثقل الروحي في عالم اليوم. فإذا أخفق هذا الثقل الروحي في خلق آلية خير ورفاه وطمأنينة وسلام بين أسوارها القديمة المقدسة، فمعنى ذلك ان املا من أمال البشرية - ولعله الأمل الوحيد - قد تداعى تاركا البشرية جمعاء فريسة قيم الغاب. ان القيم التي تمثلها المدينة المقدسة هي وحدها القادرة على لم شمل البشرية ومداواة جراحها.

وعليه فإن سعي أهل القدس الى العدل والسلام لهو سعي بإسم البشرية جمعاء ومن أجلها، خاصة المقهورين منها والمظلومين والمسحوقين والمذلولين. إن دعاة السلام في أرضنا المقدسة لا يمثلون أنفسهم فحسب، بل يمثلون عطش الناس أجمعين الذين تهددهم شتى أنواع المظالم والمخاوف. إن صرختنا من أجل سلام القدس وعدلها لهي صرخة مدوية من أجل سلام العالم وعدله، لا على أساس أوهام التوازن العسكري والمصالح الأنانية، بل على أساس القيم الإلهية والإنسانية التي تميز حضارة الإنسان والتي جعل الله لها في القدس مسكنا ومستقرا. "ليحل السلام باسوارك والرخاء داخل قصورك. واني حبا باخوتي وخلاني سأحييك تحية السلام" (مزمور ١٢١:٧-٨).

خاتمة

إن الشعب الفلسطيني، انطلاقا من آلامه وآماله في ارساء سلام عادل، يود أن يكون حاملا، مع كل محبي القدس وأبنائها في الجسد والروح، شعلة العدل والسلام، ويوجه النداء الى العالم بأسره كي لا يدع الشعلة تنطفئ. ان السلام والعدل ممكنان اذا اردنا. بهذا الأمل نعيش ومن أجله نسعى.

ونحن المؤمنين بالمسيح، اسوة بإخوتنا وبجميع ذوي النوايا الحسنة، نود أن نظل دائما دعاة وسعاة لهذا الأمل الكبير مهما كان الثمن وإننا على الله متكلون.

(اللجنة التحضيرية لمؤتمر اللاهوت والكنيسة المحلية في الأرض المقدسة)
(١٣ - ١٥ تموز ١٩٨٩)



المقدمة

١ في الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٩٤، عقد رؤساء الكنائس المسيحية في القدس إجتماعا دينياً ورسمياً، للنظر في وضع المدينة المقدسة وفي أوضاع المسيحيين فيها. وفي نهاية الإجتماع أصدروا البيان التالي:

القدس مدينة مقدسة

٢ القدس هي مدينة مقدسة في نظر أبناء الديانات الموحدة الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام. وأن طبيعتها القدسية الفردية تدعوها الى القيام بدور خاص وهو الدعوة الى المصالحة والتآلف بين الناس، سواء كانوا مواطنين أم حجاجا أم زوارا. وبسبب رمزيتها والمشاعر التي توحي بها، أصبحت المكان الذي تنادى فيه ونشأ العديد من الحركات القومية والأصولية المختلفة، في المنطقة وفي غيرها من الأماكن. ولقد أصبحت المدينة مع الأسف، مصدر صراع وتنافر. فهي في قلب الصراع الإسرائيلي الفلسطيني والإسرائيلي العربي. وبينما ينجذب المؤمنون الىالروحانية المنبعثة من المدينة، فان وضعها الحالي مؤلم وسبب لعثرة للكثيرين.

مسيرة السلام

٣ إن مسيرة السلام بين العرب وإسرائيل تتجه نحو حل الصراع في الشرق الأوسط ولقد اتخذت إجراءات جديدة وظهرت بعض الدلائل على ذلك في أرض الواقع. وأما القدس فقد ظلت على هامش هذه المسيرة، لأن وضعها ولا سيما السيادة عليها هما من أصعب القضايا التي تنتظر الحل في المفاوضات المقبلة. ومع ذلك، فلا بد من الشروع في التفكير في هذه القضايا، ولا بد من بذل كل الجهود، حتى نتمكن من مواجهتها في أفضل الظروف عندما يحين الوقت.

المواقف الراهنة

٤ عندما تتحدث الآن الأطراف المعنية المختلفة عن مدينة القدس، فانها غالبا ما تتخذ مواقف انفرادية. وهي مواقف متباعدة جدا بل متصارعة. فالموقف الإسرائيلي هو أن القدس يجب أن تبقى العاصمة الموحدة والأبدية لدولة إسرائيل وتحت السيادة المطلقة لإسرائيل وحدها. والفلسطينيون من الناحية الأخرى يصرون على أن القدس يجب ان تصبح عاصمة الدولة الفلسطينية المقبلة، مع أنهم لا يطالبون بكامل المدينة، بل بالقسم الشرقي والعربي منها.

عبر التاريخ

٥ للقدس تاريخ طويل زاخر بالأحداث. فلقد شهدت فتوحات وحروبا عدة ودمرت المرة تلو المرة، لتولد من جديد وتنهض من بين خرائبها مثل طائر العنقاء في الأساطير. وكان الباعث الديني على الدوام جنبا الى جنب مع التطلعات السياسية والثقافية. ولعب في غالب الأحيان دورا رئيسا. ولقد أدى هذا الدور غالبا الى الاستئثار بالمدينة أو على الأقل الى هيمنة شعب على غيره. مع أن كل استئثار بالقدس وكل سيطرة بشرية عليها تتناقض مع طابعها النبوي. إن دورها العالمي وما تصبو اليه هو أن تكون مدينة السلام والتآلف بين جميع القاطنين فيها.

شهدت القدس والأرض المقدسة بكاملها، عبر تاريخهـا، تعـاقب شـعوب كثـيرة، قدمت اليها من الصحراء ومن البحر ومـن الشـمال والشرق. وفـي أغلـب الأحيـان كان هؤلاء القادمون الجـدد يندمجـون بـالتدريج مـع السكان المحليين. وكـانت تلـك ظاهرة ثابتة. وعندما كان القادمون الجدد يدعـون الإستئثار وحدهم بملكيـة المدينـة والأرض، أو كانوا يرفضون الإندماج، فقد كانوا يقابلون حينئـذ بـالرفض والنبـذ مـن قبل الآخرين.

حتى تكون مدينة القدس مدينة السلام، وحتى لا يطمع فيهـا بعـد الآن طـامع مـن الخارج، وحتى لا تبقى سببا للصراع بيـن أطـراف متحاربـة، يعلمنـا التـاريخ أنـه لا يمكن لهذه المدينة أن تكون ملكا لشعب أو لدين واحد فقط، بل يجب أن تكون القـدس مفتوحة للجميع، وأن يشارك الجميع فيها. من واجب الذين يحكمون هذه المدينـة أن يجعلوا منها "عاصمة الإنسانية". وقد تساعد هذه الرؤية الشمولية للقدس هؤلاء الذين يتولون السلطة فيها لكي يفتحوها أمام الآخرين ويقبلوا إشراكهم فيها، لأنهم هم أيضـا يحبونها وينظرون بشوق اليها.

الرؤيا المسيحية للقدس

٦ من خلال القراءة الورعة للتوراة، يدرك المسيحيون بإيمانهم أن التـاريخ الطويـل لشعب الله، والذي كان مركزه مدينة القدس، هو تاريخ الخلاص وهي خطة الله التي تحققت في يسوع المسيح الناصري وبواسطته.

لقد إختار الله القدس لتكون المكان والمستقر لإسمه القـدوس وحـده، وفـي وسـط شعبه، والمكان الذي يقدم له فيه شعبه العبادة المرضية. لقد تطلع الأنبياء الى القدس خاصة بعد محنة الجلاء: سوف تدعى القدس "مدينة العدالة والمدينة الأمينة" (أشـعيا ١/٢٦-٢٧) ويقيم الله فيها في القداسة كما في طور سيناء (راجع مزمور ١٨:٦٨). وسيضع الله المدينة وسط الأمم (حزقيال ٥:٥)، ويصبح الهيكـل الثـاني بيـت صـلاة لجميـع الشـعوب (أشـعيا ٢:٢ و ٥٦:٦-٧). والقـدس المتألقـة بحضـرة اللـه (أشـعيا ١:٦٠)، ينبغي أن تكون مدينة مفتوحة أبوابها أبدا (أشعيا ١١:٦٠)، يحكمهـا السـلام ويسودها العدل (أشعيا ١٧:٦٠).

يعتقد المسيحيون في رؤية إيمانهم أن القدس التي تكلم عليها الأنبياء في مكان الخلاص الذي تنبأوا به، والذي تحقق في يسوع المسيح وبواسطته. وفي الأناجيل المقدسة، فان القدس ترفض المرسل اليها ليخلصها، وهو يبكي عليها لأن مدينة الأنبياء هذه ومدينة أحداث الخلاص الأساسية، أعني موت يسوع وقيامته، قد عميت عن رؤية طريق السلام (لوقا ١٩:٤٢).

وفي أعمال الرسل فان القدس هي المكان الذي حل فيها الروح القدس، ومكان ميلاد الكنيسة فصل (٣)، وجماعة تلاميذ يسوع الذين سيكونون شهودا له ليس فقط فيها بل وفي أرجاء المعمورة (١:٨)، وفي القدس أيضا جسدت الجماعة المسيحية الأولى المثال الكنسي الذي ظل مرجعا دائما للجميع.

وأما سفر الرؤيا فانه ينبيء بأورشليم الجديدة السماوية (راجع ٣:١٢ و ٢:١٢ وقارن مع غلاطية ٤:٢٦ وعبرانيين ١٢:٢٢). وهذه المدينة المقدسة هي صورة للخلق الجديد ولتطلعات الشعوب كلها، حين "يكفكف الله كل دمعة تسيل من عيونهم، ولا يبقى للموت وجود ولا للبكاء ولا للصراخ والألم، لأن العالم القديم قد زال" (٢١:٤).

٧ وأورشليم الأرضية هي في التقليد المسيحي صورة لأورشليم السماوية و"لرؤية السلام". وقد اتخذت الكنيسة لنفسها في الطقوس الدينية إسم أورشليم، وأخذت تعيش جميع آلام المدينة وأفراحها وآمالها. وقد أصبحت الطقوس الدينية التي تكونت في المدينة المقدسة أساسا لجميع الطقوس الدينية في كل مكان وزمان. ولهذا تركت هذه الطقوس أثرا عميقا فيما بعد في الطقوس الدينية المختلفة، وذلك عن طريق الحجاج الكثيرين، وبسبب الأهمية الرمزية التي كانت تتمتع بها المدينة المقدسة.

٨ وكثر الحج ونما معه شيئا فشيئا الإحساس بضرورة الجمع بين تقديس المكان، عن طريق الإحتفالات في الأماكن المقدسة، وتقديس الزمن، عن طريق التقويم الزمني للإحتفال بالأحداث الخلاصية المقدسة (راجع إيجاريا والقديس كيرلس الأورشليمي). واحتلت القدس بسرعة مكانا فريدا في قلب العالم المسيحي في كل

مكان. وظهر لاهوت الحج ومعه روحانية خاصة به. فهو زمن زهد وإحياء للكتاب المقدس عن طريق العودة الى الينابيع، وزمن اختبار كان المسيحيون يذكرون فيه أنهم غرباء وحجاج علىالأرض (عبرانيين ١١:٣)، وان دعوتهم، أفرادا وجماعات، في كل مكان وزمان، تقوم بحمل صليب يسوع والسير خلفه.

الحضور المسيحي المستمر

٩ بالنسبة الى الديانه المسيحية، فإن القدس هي مكان الجذور الحية أبدا والمحببة. فيها ولد كل مسيحي. وكل مسيحي يشعر في القدس أنه "في بيته".

منذ ما يقارب ألفي سنة، ظلت الكنيسة المحلية مع جميع مؤمنيها حاضرة في القدس حضورا فعالا، عبر الصعوبات العديدة ومع تعاقب الحكومات الكثيرة عليها. وظلت الكنيسة المحلية تشهد، عبر العصور وفي الأماكن نفسها، لحياة السيد المسيح وبشارته وموته وقيامته. وكان المؤمنون يستقبلون إخوانهم وأخواتهم في الإيمان، حجاجا مقيمين أو عابري سبيل، ويدعونهم الى الإنتعاش في هذه الينابيع الكنسية المتجددة الحيوية مدى الأجيال. وهذا الحضور المستمر لجماعة مسيحية حية لا يمكن فصله عن الأمكنة التاريخية، لأنه من خلال 'الحجارة الحية' تستمد الأماكن الأثرية المقدسة حياتها.

القدس مدينة مقدسة ومدينة كسائر المدن

١٠ للقدس في المفهوم المسيحي بعدان أساسيان لا يمكن الفصل بينهما وهما:

أولا: القدس مدينة مقدسة، وفيها أماكن مقدسة عزيزة جدا على المسيحيين، بسبب إرتباطها بتاريخ الخلاص الذي تحقق في يسوع المسيح وبواسطته.

ثانيا: هي مدينة فيها جماعة من المسيحيين عاشوا فيها بصورة مستمرة منذ نشأتهم.

وهكذا فان القدس بالنسبة الى المسيحيين المحليين، كما هو الحال أيضا بالنسبة الى المسلمين واليهود المحليين، ليست مدينة مقدسة فحسب، بل هي المدينة التي ولدوا فيها وفيها يعيشون. ومن ثم حقهم على متابعة العيش فيها، مع كل الحقوق التي تنجم عن ذلك.

المطالب الشرعية للمسيحيين في القدس

١١ القدس هي في جوهرها مدينة مقدسة، ولهذا يجب أن تتمتع، فوق أي إعتبار، بحرية الوصول الى أماكنها المقدسة وبحرية العبادة. ثم إن الحقوق من حيث الملكية والرعاية والعبادة التي اكتسبتها الكنائس المختلفة عبر العصور يجب أن تبقى كما هي بيد الكنائس نفسها. وهذه الحقوق التي يحميها اليوم نظام "الستاتو كو" للأماكن المقدسة وفقا 'للفرامانات' التاريخية وغيرها من الوثائق، يجب الإستمرار في الإعتراف بها وإحترامها.

إن المسيحيين في العالم كله، سواء من الغرب أم من الشرق، يجب أن يكون لهم حق القدوم الى القدس لأداء الحج. وينبغي أن يجدوا فيها كل ما هو ضروري لأداء الحج وفقا لروح تعاليمهم الدينية الأصلية، فتكون لهم حرية الزيارة والتنقل وأداء الصلاة في الأماكن المقدسة، وتوفير الرعاية الروحية وإحترامهم في أثناء أداء شعائر إيمانه، وإمكانية إقامة مطولة، وما يلزم من الخدمات للضيافة والإقامة اللائقة.

١٢ يجب أن تتمتع الجماعات المسيحية المحلية بكل الحقوق التي تمكنها من متابعة حضورها الفعّال بحرية، ومن الإضطلاع بمسوؤلياتها تجاه أعضائها المحليين أنفسهم وتجاه الحجاج المسيحيين من العالم أجمع.

يجب أن يتمتع المسيحيون المحليون، ليس فقط لأنهم مسيحيون، بل مثل جميع المواطنين، المتدينين وغيرهم، بكافة الحقوق الأساسية، الإجتماعية والثقافية والسياسية والقومية.

ومن بين هذه الحقوق

حق كل إنسان في حرية العبادة والضمير، أفرادا وجماعات دينية. الحقوق المدنية والتاريخية التي تمكنهم من الإضطلاع بواجباتهم الدينية والتربوية والصحية وسائر أعمال المحبة.

الحق في أن تكون لهم مؤسساتهم الخاصة مثل بيوت إيواء الحجاج، والمعاهد لدراسة الكتاب المقدس والتقاليد المسيحية، ومراكز اللقاء مع المؤمنين من أصحاب الديانات الأخرى، والأديرة والكنائس والمقابر وهلم جرا، والحق في أن يكون لهم جهاز من الموظفين خاص بهم، وفي إدارة هذه المؤسسات.

١٣ وفيما يطالب المسيحيون لأنفسهم بهذه الحقوق، فانهم يعترفون بالحقوق المماثلة أو الموازية لغيرهم من المؤمنين والجماعات من اليهود والمسلمين ويحترمونها. ويعلن المسيحيون أنهم على إستعداد للبحث مع اليهود والمسلمين عن خير السبل لتطبيق هذه الحقوق في ظل الإحترام المتبادل، وللتوصل الى عيش مشترك منسجم، وذلك بحسب مفهوم الرسالة الروحية والشمولية لمدينة القدس.

وضع خاص لمدينة القدس

١٤ كل هذا يفترض مقدما وضعا خاصا قانونيا وسياسيا لمدينة القدس يعكس الأهمية العالمية للمدينة ويبين معناها.

١. من أجل تلبية الطموحات الوطنية لجميع سكانها، ومن أجل أن يشعر كل واحد من اليهود والمسيحيين والمسلمين في القدس أنه في بيته، وحتى يكونوا جميعا في سلام مع بعضهم البعض، لا بد من إشراك ممثلين من الديانات الموحدة الثلاث، بالإضافة الى القوى السياسية المحلية، في تحديد هذا الوضع الخاص وتطبيقه.

٢. وبسبب البعد العالمي لمدينة القدس، فلا بد من أن يلتزم المجتمع الدولي في تثبيت وديمومة هذا الوضع. إن القدس أعز وأثمن من أن تكون منوطة.

٣. بسلطات بلدية أو سياسية أو قومية فقط، أيا كانت. والخبرة تبين أن الضمانات الدولية أمر ضروري.

إن الخبرة تبين أن مثل هذه السلطات المحلية قد تجد نفسها أحيانا مضطرة، لأسباب سياسية أو مقتضيات أمنية. لنقض حق حرية الوصول الى الأماكن المقدسة. ولذا فإنه من الضروري أن يكون للقدس وضع خاص، يحول دون جعل القدس ضحية قوانين تفرض عليها بسبب حالات عداء أو حروب. بل تكون مدينة مفتوحة تسمو فوق النزاعات المحلية والإقليمية والسياسية العالمية. ويشترك في تحديد هذا الوضع السلطات الدينية والسياسية المحلية، ثم يجب أن يدعم بضمانات من قبل الأسرة الدولية.

خاتمة

١٥ القدس رمز وهي وعد بحضور الله وبالأخوة والسلام للبشرية، ولا سيما لأبناء إبراهيم من اليهود والمسيحيين والمسلمين.

إننا ندعو كافة الأطراف المعنية الى تفهم وقبول طبيعة القدس ومعناها العميق، فهي مدنية الله. إننا ندعو جميع الأطراف الى تجاوز التصورات والممارسات الإنفرادية، والى إحترام التطلعات الدينية والقومية للآخرين دون أي تمييز، حتى يعود الى القدس طابعها الشمولي الحقيقي، وحتى تتحول المدينة الى مكان مقدس للمصالحة بين جميع أبناء البشر.

البطريرك الأورشليمي للروم الأرثوذكس	البطريرك الأورشليمي للاتين
البطريرك الأورشليمي للأرمن	حارس الأراضي المقدسة
مطران الأقباط الأرثوذكس للقدس	مطران السريان الأرثوذكس للقدس
مطران الأحباش الأرثوكس للقدس	المطران المترئس للكنيسة الإنجيلية في القدس
النائب البطريركي العام للروم الكاثوليك في القدس	مطران الكنيسة اللوثرية في القدس
النائب البطريركي العام للموارنة في القدس	النائب البطريركي العام للسريان الكاثوليك في القدس

البيان الختامي

مؤتمر التراث العربي
للمسيحيين والمسلمين
في الأرض المقدسة

الدورة العاشرة
١٠-١٢ أيلول ١٩٩٢

احتفل مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية في الأرض المقدسة، بمرور عشر سنوات على انعقاد الدورة الأولى لمؤتمر التراث العربي للمسيحيين والمسلمين في الأرض المقدسة وعقد دورته العاشرة من ١٠-١٢ أيلول ١٩٩٢ تحت عنوان: "القدس مدينة السلام".

ففي ظل مفاوضات السلام الدائرة الآن، من أجل الوصول الى حل سلمي عادل ودائم وشامل، وبما تشكله القدس من أهمية لأبناء الشعب العربي الفلسطيني، وايمانا منا أن أي حل يتجاوز أو يتغاضى أو يؤجل قضية القدس لن يكون الحل الذي سعينا اليه طويلا والذي بذلنا في سبيله كل غال. فالقدس هي واسطة العقد وهي التي نسكنها منذ آلاف السنين وتسكننا الى ما شاء الله.

ولهذا فقد تم تخصيص الدورة العاشرة للقدس مدينة السلام، وقد اشترك في الندوات والمحاضرات عدد من الباحثين والأكاديميين من رجال ونساء فلسطين الذين تناولوا مكانة القدس من مختلف الجوانب التاريخية والدينية والديموغرافية والسياسية. ولما كانت أفئدة المؤمنين تهفو الى القدس من مختلف أنحاء الدنيا، فقد شارك أيضا في هذا الدورة بعض الضيوف من أصدقاء مركز اللقاء وداعمي مسيرته من ألمانيا والسويد، يمثلون مؤسسات دأبت على نصرة الشعب العربي الفلسطيني.

ولقد تميزت هذه الدورة بحضور عدد كبير من الفلسطينيين الذين مثلوا مختلف المدن والقرى والمخيمات من الجليل شمالا وحتى غزة جنوبا.

وقد اختتم المؤتمر أعماله بالتوصيات التالية:

١. أعرب جميع المشاركين عن تقديرهم العميق لمركز اللقاء ولدوره في خدمة أبناء الشعب العربي الواحد، وأهابوا بالمركز ان يستمر في عقد مثل هذا المؤتمرات أن يوسع دائرة المشاركين فيها لتضم مختلف قطاعات شعبنا الفلسطيني.

٢. تشكيل لجنة مشتركة من المسلمين والمسيحيين لمساعدة الهيئات الدينية في حل بعض القضايا والمشاكل الطارئة.

٣. التأكيد على أهمية التربية المنزلية والمدرسية في تقوية العلاقة الأخوية بين أبناء الشعب الواحد، ونبذ كل أنواع التفرقة والتعصب.

٤. إعادة صياغة المناهج التربوية وبالخصوص مناهج التاريخ والتربية الدينية والأدب العربي بحيث تتضمن المناهج الجديدة الإسهامات التي قدمها العرب جميعا دون إغفال دور أيّ منهم.

٥. النهج الديمقراطي هو الذي يجب ان يظلل كل علاقاتنا، والحوار هو وسيلة ديمقراطية للتعامل بين مختلف الاتجاهات الفكرية أو الدينية أو السياسية ولهذا فإن المؤتمرين يؤكدون على ضرورة الحوار الديمقراطي بين أبناء الشعب الواحد، وليكن شعارنا: "لا فضل لفلسطيني على فلسطيني آخر، الا بمقدار ما يقدمه للوطن".

٦. وحدتنا الوطنية هي الصخرة التي تتكسر عليها كل مؤامرات أعدائنا أينما كانوا، لهذا فإن المؤتمرين يؤكدون على ضرورة ترجمة هذه الوحدة الوطنية بالأقوال والأفعال، وان عنوان هذه الوحدة الوطنية هو الإلتفاف حول منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا العربي الفلسطيني.

٧. يتوجه المؤتمر الى جميع الأطراف المعنية، والى منظمة التحرير الفلسطينية والى جميع قوى السلام في العالم للعمل من أجل الحفاظ على مدينة القدس العربية بطابعها الديني المقدس وأهميتها التاريخية والحضارية وعدم طمس معالمها المسيحية والإسلامية من خلال الإستيطان وعمليات التهويد المستمرة لضمان ان تكون القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية المقبلة.

٨. ينظر المؤتمرون وهم يجتمعون في رحاب القدس الشريف، مدينة السلام، بأسى عظيم الى ما يقاسيه أهلنا أطفال ونساء ورجال العراق من ظلم احاق بهم. والمؤتمرون يرفعون صوتهم عاليا لإدانة الحصار الظالم ومحاولة تقسيم الأرض والشعب في القطر العراقي الشقيق، وفي نفس الوقت، فإن المؤتمرين يطالبون الأنظمة العربية بأن تفيق من سباتها وتدرك مغزى المثل القائل: "اكلت يوم اكل الثور الأبيض".

٩. يناشد المؤتمرون المؤسسات الدولية والإنسانية العمل على رفع المعاناة التي يتعرض لها شعب البوسنة والهرسك، ويدينون الإبادة العرقية التي يمارسها الصربيون ضد الأخوة المسلمين.

١٠. يناشد المؤتمرون الهيئات الدينية والمسؤولين فيها بعدم التفريط بأراضي وممتلكات الأوقاف تحت أي ظرف من الظروف، وبالوقوف في وجه كل من يحاول الإعتداء عليها ذلك لأن هذه الممتلكات والأوقاف جزء لا يتجزأ من أرض الوطن.

١١. يشكر المؤتمرون أصدقاء اللقاء من الضيوف الأجانب والذين يمثلون مؤسسات دأبت على التعاطف مع شعبنا، وفي الوقت نفسه، يناشدونهم بإستمرار دعم نشاطات وبرامج مركز اللقاء حتى يتسنى له القيام بدوره على أكمل وجه.

وفي الختام فإن المؤتمرين يؤكدون التفافهم حول منظمة التحرير الفلسطينية، ويبعثون بتحياتهم الى الرئيس ياسر عرفات، والى جميع المناضلين الفلسطينيين اينما وجدوا، ويعلنون إصرارهم على التمسك بالثوابت الفلسطينية ودعم النضال الفلسطيني حتى التحرير وإقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

البيان الختامي

مؤتمر التراث العربي للمسيحيين والمسلمين في الأرض المقدسة

الدورة الثالثة عشرة
٣١ آب - ٢ أيلول ١٩٩٥

لم تكن القدس بعيدة عن اهتمامات مركز اللقاء منذ نشأته، فقد تطرق إليها في مؤتمره عام ١٩٨٣ ثم لم تخل دورة من دورات المؤتمر إلا وكانت القدس على جدول أعمالها الى أن عقدت الدورة العاشرة تحت عنوان "القدس مدينة السلام". ونتيجة للظروف التي تتعرض لها القدس والهجمة الشرسة على مؤسساتها فإن مركز اللقاء يؤمن بأنه إذا لم يتحقق السلام العادل للقدس فان سلام العالم سيظل في مهب الريح.

صحيح أن كثيرا من المؤتمرات واللقاءات والمحاضرات تعقد حول القدس ولكن الصحيح أيضا أن القدس بحاجة الى العمل الدؤوب المخلص فهو وحده الذي يحافظ على عروبة القدس فتظل الراية العربية الفلسطينية ترفرف عليها.

وهكذا عقدت الدورة الثالثة عشرة لمؤتمر التراث العربي للمسيحيين والمسلمين في الأرض المقدسة في مركز النوتردام بالقدس في الفترة الواقعة بين ٣١ آب - ٢ أيلول ١٩٩٥ تحت شعار "سلام العالم من سلام القدس" وقد حضرها عدد كبير من المفكرين الفلسطينيين والشخصيات الوطنية والدينية. وتضمن المؤتمر عددا من المحاضرات والندوات العلمية والموضوعية.

وفي نهاية المؤتمر صدرت التوصيات التالية:

١. إسقاط كل الحواجز السياسية والعسكرية التي تحاصر وتطوق القدس الشرقية وفتح أبوابها أمام بقية المجتمع الفلسطيني لممارسة الحق الطبيعي والإنساني في الحياة والتطور والعمل والتعلم والمرور والتعبد وحماية الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية وتراثها الحضاري.

٢. دعم وتأييد الإجماع الوطني المقدسي بضرورة تشكيل "جسم" يضم "الجميع" بهدف الحفاظ على عروبة القدس كإجراء عملي للتصدي لمشاكلها وقضاياها.

٣. يناشد المؤتمرون الهيئات المسيحية والإسلامية العليا في المدينة المقدسة ليعملوا معا وبسرعة على إصدار وثيقة مشتركة حول القدس وذلك لتبيان وحدة الموقف والأهمية الدينية والحضارية والتاريخية والإنسانية والسياسية للمدينة المقدسة وأيضا من اجل مجابهة الدعاية الواسعة التي سيقوم بها اليهود بمناسبة احتفالاتهم المزعومة والمسماة "يوبيل الألف الثالث للقدس كعاصمة لمملكة داوود" وتكليف مركز اللقاء بإنجاز هذه التوصية.

٤. التأكيد على أن سياسة القوة التي تستند إليها إسرائيل في فرض الأمر الواقع على المدينة هي سياسة فاشلة وغير مثمرة ولا تعطي لصاحبها حقا طالما أن الرفض الفلسطيني قائم ومستمر.

٥. على الإسرائيليين أن يتنبهوا الى أن سياسة القوة وفرض الأمر الواقع تهدد العملية السلمية وتعيد المنطقة الى وضع اكثر عنفا مما كان عليه مما يهدد الجميع بعدم الاستقرار والعيش بهناء.

٦. يؤكد المؤتمرون على أن سياسة إسرائيل في الاستمرار بمصادرة الأراضي العربية وبناء المستوطنات عليها ومحاولتها لتغيير معالم القدس التاريخية والديموغرافية هو امتهان صارخ لقدسية القدس وللقرارات الدولية، خاصة قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالقدس وخرق لاتفاقيات أوسلو. ومن هنا، وبسبب هذا الامتهان وعدم احترام إسرائيل للاتفاقيات الدولية والمحلية نناشد

سلطتنا الفلسطينية وشعبنا الفلسطيني على اختلاف انتماءاته السياسية والدينية أن يقفوا في وجه الاحتلال والمحتلين وان لا يرضخوا لأية ضغوطات دولية وإسرائيلية دون توضيح مستقبل القدس خاصة في هذا الزمن الصعب الذي نمر به وتمر به مؤسسات القدس كافة والمهددة بالإغلاق وبشلّ حركتها وعطائها من قبل السلطة الإسرائيلية.

٧. دعوة الرأي العام العالمي ممثلا بمؤسساته الدولية بالوقوف عند مسؤولياتها للضغط على الحكومة الإسرائيلية للالتزام بالقوانين والقرارات الدولية الصادرة بهذا الشأن والتي تعتبر أن القدس جزء لا يتجزأ من الأراضي العربية المحتلة لعام ١٩٦٧ وما يسري عليها يسري على القدس. وكذلك نناشد الدول العربية والإسلامية الى تعزيز الموقف الفلسطيني من القدس بشكل عملي وفاعل.

٨. كف إسرائيل عن ممارساتها التعسفية إزاء مواطني القدس لإجبارهم على ترك المدينة من خلال سحب الهويات وحق الإقامة تحت حجج وذرائع واهية لا تستند الى القانون والعرف الدولي.

٩. العمل على رفع وتعزيز مستوى التنسيق الفاعل بين المؤسسات الفلسطينية في القدس لمواجهة المخططات الإسرائيلية في تخطي أزماتها كي تتمكن من مواصلة عطائها ومسيرتها الوطنية.

١٠. يناشد المؤتمرون أبناء مدينة القدس بالتجذر في مدينتهم وأرضهم وعدم تركها تحت أي ظرف كان، كما ونطالب المجلس الفلسطيني للإسكان دعم المقدسيين في مشاريعهم العمرانية.

١١. يؤكد المؤتمرون على أن سلام العالم هو من سلام القدس وانه لا يمكن أن يتحقق سلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين دون الاتفاق على مستقبل القدس التي ينبغي أن تكون عاصمة للدولة الفلسطينية.

وختاما، إن المؤتمرين يتمنون أن تعقد الدورة التالية وقد تمت إعادة الانتشار في الضفة الغربية وأجريت الانتخابات حتى نبدأ في تطبيق النهج الديمقراطي ومواصلة النضال حتى يرفرف العلم العربي الفلسطيني على عاصمة دولتنا المستقلة القدس الشريف، وذلك بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية.



دعاء للقدس

ادعوا بالسلام لأورشليم

(وقولوا): "ليسعد من بك يهيم".

ليحل السلام بأسوارك

والرخاء داخل قصورك

واني (حبا) بإخواني وخلاني

سأحييك تحية السلام

وحبا ببيت الرب الهنا

سأدعو لك بالإنعام

(مزمور ١٢١)

إنذار لأورشليم

أورشليم أورشليم،

يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها!

كم مرة أردت أن أجمع أبناءك

كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها!

فلم تريدوا.

هو ذا بيتكم يترك لكم.

ها هوذا بيتكم يترك لكم.

واني أقول لكم:

لا ترونني حتى يأتي يوم تقولون فيه:

"تبارك الآتي باسم الرب!".

(لوقا ١٣: ٣٤ - ٣٥)

يسوع يبكي على أورشليم

ولما اقترب فرأى المدينة بكى عليها وقال:

"ليتك عرفت أنت أيضا في هذا اليوم طريق السلام!

ولكنه حجب عن عينيك

فسوف تأتيك أيام يلفك أعداؤك بالمتاريس،

ويحاصرونك ويضيقون عليك الخناق من كل جهة،

ويدمرونك وأبناؤك فيك،

ولا يتركون فيك حجرا على حجر،

لانك لم تعرفي وقت افتقاد الله لك".

(لوقا ١٩: ٤١ - ٤٤)

أورشليم السماوية

ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة،

لان السماء الأولى والأرض الأولى قد زالتا،

ولم يبق للبحر وجود.

ورأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة

نازلة من السماء من عند الله،

وقد تزينت كما تتزين العروس لبعلها.

وسمعت صوتا يهتف من العرش:

"هوذا بيت الله والناس:

يسكن معهم ويكونون له شعبا.

الله معهم ويكون لهم الها،

يكفكف كل دمعة تسيل من عيونهم.

لم يبق للموت وجود،

ولا للبكاء ولا للصراخ ولا للألم،

لان العالم القديم قد زال".

(سفر الرؤيا ٢١: ١ - ٤)

"سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير".

(قرآن كريم الإسراء - ١)

"لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى".

(حديث شريف)

لا تزال طائفة من امتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين - لا يضرهم من جابهم ولا ما أصابهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك: قالوا يا رسول الله وأين هم.؟

قال: ببيت المقدس وأكفاف بيت المقدس.

(مختصر سنن ابي دواد ج٦ ص١٣٧)



أحبائي، كثيرة هي الشهادات الحقيقية لصالح المسيح: فمن السماء شهد الاب لابنه (متى ١٧/٣). وشهد الروح القدس بحلوله في صورة جسمية كأنه حمامة (لوقا ٢٢/٣)... وشهد له بين الأنهار، نهر الأردن، وبين البحار، بحيرة طبريا. وخشبة الصليب الكريمة التي ترى عندنا حتى يومنا هذا، وتملأ الأرض بما اقتطع منها بإيمان من ذخائر، ونخيل الوادي الذي زود بسعفه الأطفال الذين هتفوا عندئذ للمسيح. وبستان جتسماني الذي لا يزال يرشد الذين يفهمون الى يهوذا. وهذه الجلجلة المقدسة التي تشرف على المدينة. والقبر المقدس، والحجر الذي دحرج.

(العظة العاشرة، ١٩)

ولقد كان موته اذن حقيقيا، لقد صلب حقا، ونحن لا نخجل من ذلك. نحن لا ننكر انه صلب، وأنا بالحري أفتخر أن أقول ذلك، وحتى إن أنكرت هذا الحدث الآن، فاني أجد ما يقنعني على هذه الجلجلة حيث نحن الآن مجتمعون. وتقنعني أيضا خشبة الصليب التي وزعت قطعا صغيرة في جميع أنحاء العالم.

(العظة الثالثة عشرة،٤)

أما نحن فلنعد الى الشرح الذي بدأنا مستندين الى أقوال الأنبياء. صلب الرب، وقد حصلت على الدلائل. أنت ترى مكان الجلجلة (هتافات مختلفة من الجمهور) وتهتف بالتسابيح معرباً عن

بالتسابيح معرباً عن موافقتك، فـاحذر مـن ان تجحـد إيمـانك فـي يـوم الاضطهـاد. لا تفرح بالصليب في زمن السلم فقط، بل فليكن لك نفس الإيمان في زمن الاضطهاد.

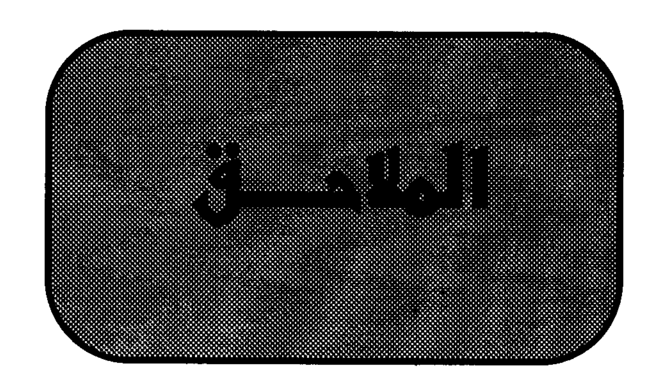
(العظة الثالثة عشر، ٢٣)

كثيرون هم شهود قيامة المخلص: الليل وضوء القمر التام (لأنها كـانت ليلـة ١٦ نيسان)، صخرة القبر الذي حواه، والحجر الذي ختم أمـام اليهـود، لانـه رأى الـرب، الحجر الذي دحرج عندئد (متى ٢/٢٨) يشهد بالقيامة، وهو لا يزال قائمـا هنـا حتـى الان... والمكـان نفسـه الـذي يـرى الـى الان. وهـذه الكنيسـة المقدسـة التـي بناهـا الإمبراطور قسطنطين على القبر المقدس. وزينت على هذا الشكل.

(العظة الرابعة عشر، ٢٢).

يقف جبل الزيتون الى اليوم، كأنما هو يريد أن يظهر لأعين المؤمنين حتى اليوم هذا الذي صعد على السحابة، وباب الصعود السماوي. لانه نزل من السماء في بيت لحم، وصعد الى السماء من جبل الزيتون. هنا بدأ جهاده في سبيل البشر، وهنا أيضا نال إكليل الجهاد. فلديك إذن شهود كثيرون: مكان القيامة ومكان الصعود في الشـرق والملائكة الذين شهدوا، والسحابة التي صعد عليها، والتلاميذ الذين نزلوا من هناك.

(العظة الرابعة عشرة،٢٣)



- ملحق: طلبات السكن في أحياء شمالي القدس
- ملحق: التوزيع السكني لأحياء القدس
- ملحق: مساحات المخططات الهيكلية للمستعمرات الإسرائيلية وأرقامها
- ملحق: مساحات المخططات الهيكلية للأحياء العربية وأرقامها
- ملحق: عدد الوحدات السكنية اليهودية بالقدس الشرقية
- ملحق: المساحات المصادرة في القدس
- ملحق: الخرائط

ملحق: طلبات السكن في أحياء شمالي القدس

الرقم	المنطقة	وحدات قائمة	وحدات قيد التخطيط	مجموع الطلبات	مساحة صافية للسكن بالدونم	ملاحظات
	مجموع شمالي المدينة	١٢،٩٥٠	١٩،٣٢٦	٣٣،٣٥٧	٢،٣٢٧	
	مجموع اليهود	٦،٨٠٠	١٠،٣١٦	١٨،٥٥٧	٢،٣٢٧	
١	٢٢٨١ منطقة ٣-١	-----	١،١٠٠	١،١٠٠	١٦٠	يشمل استخدامات مشتركة
٢	٣٣٤٠ بسجات زئيف شمال	-----	٧٧٥	٧٧٥	٧٠	قيد البناء
٣	٣٠٥٨ بسجات زئيف	٢،٦٨٠	٦١٤	٣،٨١٥	٥١٢	ابن بيتك
٤	٣٣٤٦ بسجات زئيف	-----	١٠٠	١٠٠	٥٢	ابن بيتك – موقع ٤٦
٥	٣٣٩٨ أ+ب بسجات زئيف	١٢٠	٧٨٠	٩٠٠	٦٨	قيد البناء
٦	٣٦٠١ بسجات زئيف شرق	٨٠	١،٣٢٠	١،٦٠٠	١٣٨	ينتهي بناء ٥٠٠ وحدة سكنية في نهاية السنة
٧	٣٦٠٢ بسجات زئيف شرق	-----	٥٣٧	٦٠٦	٥٢	قيد البناء
٨	٣٦٠٢ بسجات زئيق شرق (ديني)	-----	١،٥٨٠	١،٥٨٠	١٥٢	تجري في الموقع حفريات
٩	٣٦٠٣ بسجات زئيف شرق	-----	١،٢٠٢	١،٣٢٧	٢٠٠	قيد البناء
١٠	١٩٧٣ (أ) تلة شعفاط	-----	٢،٢٠٠	٢،٢٠٠	٣٠٩	قيد البناء
١١	١٥٤٢ نفي يعقوب	٣،٨٥٠	-----	٣٨٥٠	٤٢٠	الحي قائم
١٢	٢٨٢٢ نفي يعقوب	٧٠	٢٩٠	٧٠٤	٨٩	نفي يعقوب شرق (تحت البناء)
١٣	٣٨٥٦ نفي يعقوب	-----	-----	-----	١٠٥	ابن بيتك – يلغى
	المجموع	٥،٧٩٠	٩،٠١٠	١٤،٨٠٠	٢٣٢٧	
١٤	٣٠٠٠ شمال القدس	٤،٥٠٠	٧،٥٠٠	١٢،٠٠٠	-----	
١٥	٢٧١٦ العيسوية	٧٠٠	٨٠٠	١٥،٠٠	-----	
١٦	كفر عقب	٥٩٠	٧١٠	١،٣٠٠	-----	قيد التخطيط

التاريخ: ١٩٩٥/١١/٢٥

رقم الملف: ٢٩/د.خ

رقم المخطط	اسم القرية	الخرائط الهيكلية	الوضع الحالي	عدد الاحتياجات المستقبلية
التوزيع السكني لأحياء القدس				
٢٥٢١ أ	كفر عقب	ايداع	١٣٠٠	٧١٠
٣٠٠٠ ب	بيت حنينا	صودق	١٢،٠٠٠	٧،٥٠٠
٢٣١٦	العيسوية	صودق	١٥٠٠	٨٠٠
٢٥٩١	الشيخ جراح/باب الساهرة	صودق	١٩٠٠	٨٠٠
٢٦٩٦	شارع نابلس	ايداع	٢٠٠	....
٢٦٣٩	وادي الجوز	صودق	٩٠٠	....
٢٧٣٣ أ	الطور	مصادقة	١٢٣٠	....
٣٠٩٢	الصوانة	مصادقة	١٢٣٠	
٣٠٨٥	الشياح	مصادقة	١١٧٠	٣٥٠
٢٧٨٣ أ	سلوان	مصادقة	١٢٠٠	
٢٦٦٨	راس العامود	ايداع	١٨٠٠	٥٦٠
١٨٦٤ أ	الثوري وجبل المكبر	صودق	١٧٥٠	٣٥٠
٢٦٨٣ أ	السواحرة	ايداع	١٩٠٠	٧٨٠
٢٣٠٣	صور باهر/ام طوبا	ايداع	٢٣٥٠	١٣٦٠
٢٣١٧	بيت صفافا	مصادقة	٢٧٠٠	١٩٠٠
ع.م/٩	البلدة القديمة	مصادقة	٤٣٧٠	....
ع.م/٩	وادي حلوة	مصادقة	٥٠٠	١٠٠
....	مخيم شعفاط	لم يخطط	١٣٠٠	....

الوضع القائم ٢٢٨٦٠ وحدة

الوحدات الحالية ٣٨,٠٧٠ وحدة

الاحتياجات ١٥٢١٠ وحدة

* المصدر : قسم تخطيط المدينة

الرقم	اسم المستعمرة	رقم المخطط	مساحة المخطط بالدنم
مساحات المخططات الهيكلية للمستعمرات الإسرائيلية وأرقامها			
٠١	نفي يعقوب	١٥٤٢	٨٦٢
٠٢	راموت	١٨٦١	٢٨٧٥
٠٣	جيلو	١٩٠٥	٢٩٩٥
٠٤	تلبيوت الشرقية	١٨٤٨	١٠٧١
٠٥	معلوت دفنا	١٤٣٩ أ	٣٠٦ دونم و ٩٠٥ م٢
٠٦	الحي اليهودي	٢١٨٥	١٣٠
٠٧	الجامعة العبرية	٣٢٠٣	٧٤٠
٠٨	ريخس شعفاط	١٩٧٣	١١٩٨
٠٩	رامات اشكول	١٤٤٢	٣٩٧
٠١٠	التلة الفرنسية	١٥٤١	٩٦١
٠١١	عطروت	١٦٨٩	١٣٦٠
٠١٢	بسجات زئيف الشمالية	٣٦٠١	١٠٥٠
٠١٣	بسجات زئيف الجنوبية	٣١٤٤	١٧٠٠
٠١٤	جبعات همتوس		١٧٠ - ٩٨٠
٠١٥	جبل ابو غنيم (هارحوماة)	٥٠٥٣	٢٠٥٦
٠١٦	جبعات همفتار	١٤٢٤	١٥٦

المصدر / بلدية القدس

مساحات المخططات الهيكلية للأحياء العربية وأرقامها

اسم القرية (الحي)	مساحة المخطط بالدونم	رقم المخطط
كفر عقب	٢٠٠٠	
بيت حنينا وشعفاط	٧٢٥٠	٣٠٠[وهناك من مخططات تفصيلية أرقامها [٣٤٨٨أ، ٣٤٥٧،][وشعفاط ٣٤٥٧ أ]
العيسوية	٦٦٦	٢١٦٦
الشيخ جراح	٣١٠	٢٥٩١
واد الجوز	٥١٠	٢٦٣٩
الصوانة	٥١٠	٣٠٩٢
الطور	٢٥٠	٢٧٣٣
الشياح وشرق الطور	١٠٢٠	٣٠٨٥
راس العامود	١٦٠٠	٢٦٦٨
سلوان	٣٧٠	٢٧٨٣ أ
الثوري	٦٦٥	١٨٦٤ أ
جبل المكبر (شمال)	٥٦٠	٢٦٩١
عرب السواحرة	٤٠٠٠	٢٦٨٣ أ
صور باهر (أم طوبا)	٣٦٠٠	٢٣٠٢ أ
بيت صفافا	٢٢٨٥	٢٣١٧
جبل الزيتون	١٠٠٠	٤٦٩٣
منطقة المركز	٨٢٧	٤٥٠٦
مخيم شعفاط	٢١٥	
وادي حلوة		
	٢٧٦٣٨ دونما (بدون وادي حلوة)	

المصدر : بلدية القدس

عددُ الوحدات السكنية اليهودية بالقدس الشرقية
حسب ما ورد في المخططات الهيكلية لكل مستعمرة

الرقم	اسم المستعمرة	عدد الوحدلت
٠١	الحي اليهودي	٢١٢٢
٠٢	نفي يعقوب	٣٨٠٠
٠٣	راموت	٨٠٠٠
٠٤	جيلو	٧٤٨٤
٠٥	تلبيوت الشرقية	٤٤٠٠
٠٦	معلوت دفنا	١١٨٤
٠٧	ريخس شعفاط	٢١٦٥
٠٨	رامات اشكول + جفعات همفتار	٢٢٠٠
٠٩	بسجات زئيف + بسجات عومر	١٢٠٠٠
٠١٠	جبعات هماتوس	٢٥٦ (كرافان) (٣٦٠٠) مقترح
٠١١	هارحوماة	٦٥٠٠ (مقترح)
٠١٢	التلة الفرنسية	٥٠٠٠

عدد الوحدات السكنية المقامة (٤٨,٤٥٥)

عدد الكرافانات (٢٥٦) (جبعات هماتوس)

عدد الوحدات السكنية المقترحة (١٢,٠٠) الف وحدة سكنية

وهي :- (هارحوماة، جبعات هماتوس)

المساحات المصادرة في القدس

المصادرة	الموقع	الوحدة المأهولة	الوحدات المخططة	عدد السكان
٦٨/١/٨ - النشرة الرسمية ١٤٣٥ صفحة ٦٨٨				
٣٣٤٥ دونم	التلة الفرنسية	----------	----------	------
	جبل المشارف	٢٠٢٤	٤٦٨	٨٣٠٠ نسمة
	راموت اشكول	٢٣٠٢	----------	٦٣٠٠ نسمة
٤٨٥ دونم	معلوت دفنا	١٠٠٠	----------	٤٦٠٠ نسمة
٦٨/٤/١٤ - النشرة الرسمية ١٤٤٢ صفحة ١٢٣٨				
٧٦٥ دونم	النبي يعقوب	٤٢٠٢	١٢٠	١٩٣٠٠
١١٦ دونم	حارة اليهود	٣٤٥	----------	٢١٠٠ نسمة
٧٠/٨/٢٠ - النشرة الرسمية ١٦٥٦ صفحة ٢٨٠٨				
٤٧٠ دونم	النبي يعقوب	----------	----------	----------
٤٨٤٠ دونم	راموت	٥٨٧٠	٥٦١	٣٨٠٠٠ نسمة
	سلسلة شعفاط	----------	٢١٦٥	قيد البناء
٢٢٤٠ دونم	شرقي تلبيوت	٣٨٩٦	٦٧٠	١٥٠٠٠ نسمة
٢٧٠٠ دونم	جيلو	٦٥٤٤	١٠٢٠	٣٥٠٠٠ نسمة
١٢٠٠ دونم	عطروت	صناعة	----------	----------
١٣٠ دونم	وادي الربابة	منطقة عامة	----------	----------
١٠٠ دونم	الشماعة	منطقة عامة	----------	----------
٦٠٠ دونم	رامات راحيل	----------	----------	----------
النشرة الرسمية ٢٦١٤ صفحة ١٣٠٥				
٤٤٠٠ دونم	بسجات زئيف	٧١٥٧	----------	----------
٨٢/٧/١ - النشرة الرسمية ٢٨٣١ صفحة				
١٣٧ دونم	عطروت	صناعة	----------	----------
٩٢/٤/٢١ - النشرة الرسمية ٢٨٧٧ صفحة				
١٨٥٠ دونم	هارحوماة/ جبل ابو غنيم	٦٥٠٠	----------	----------
أوامر نشرها وزير المالية في شهر نيسان ١٩٩٥				
٣٣٥ دونم	راموت	----------	٩٠٠	قيد التخطيط
٢٠٠ دونم	بيت صفافا	----------	٩٠٠	قيد التخطيط
مساحة الأراضي المصادرة ٢٤,٠٩٣ كم٢ - مساحة القدس : ٧٠,٥ كم				
فيكون المجموع المصادرة الى مساحة الأراضي المضمونة ٣٤,٢٪ مساحة القدس				

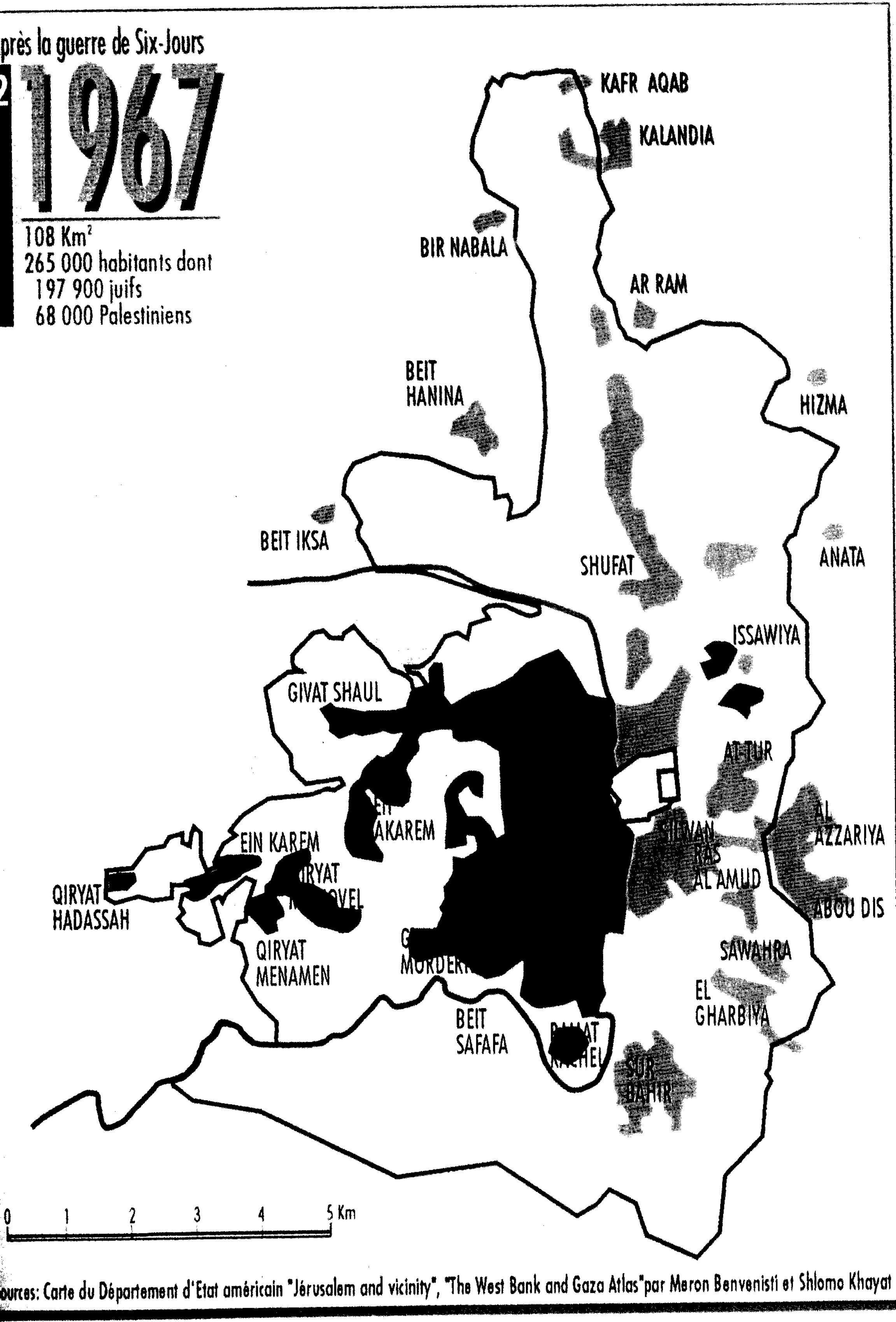
JÉRUSALEM

1 1947

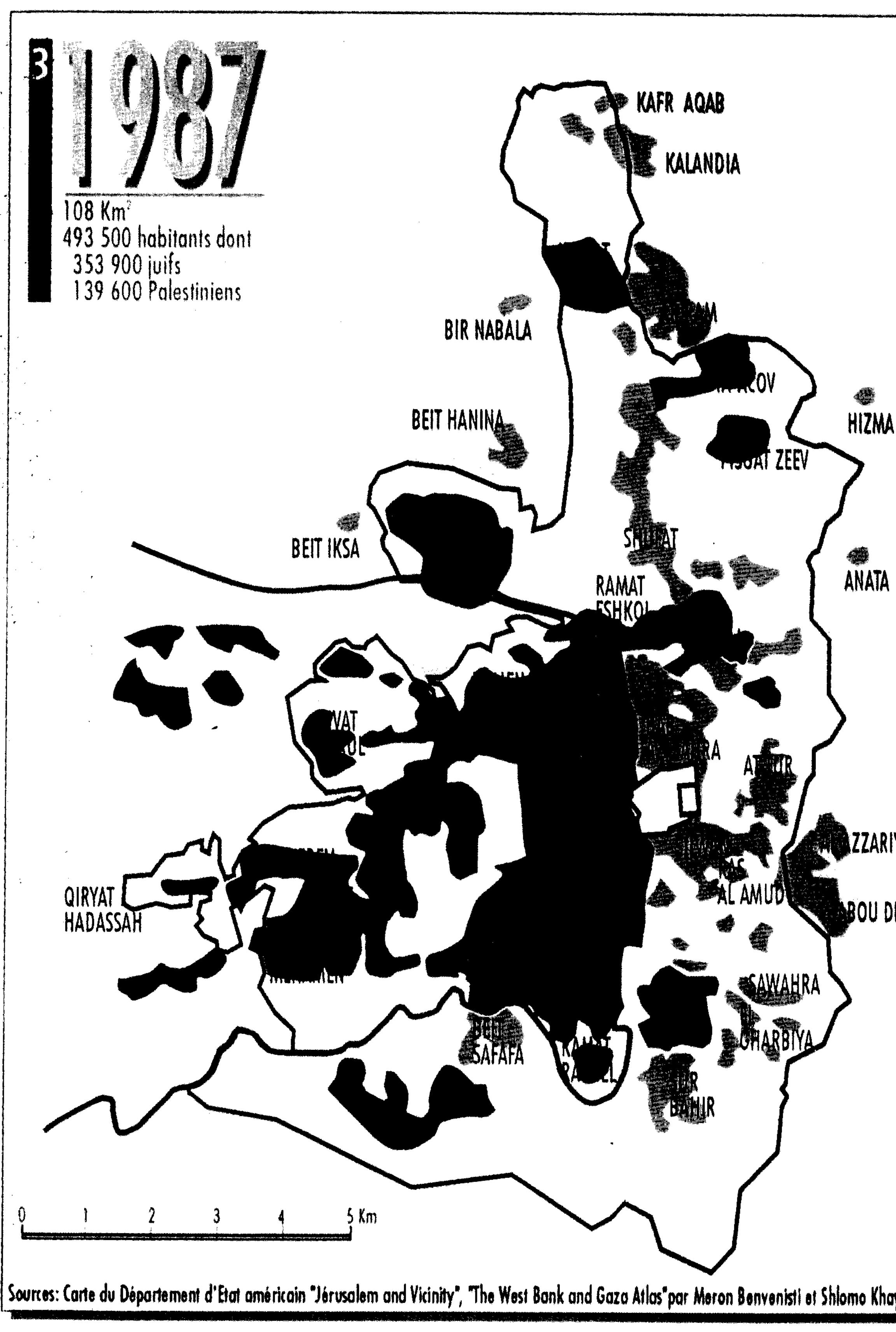
21 Km²
205 000 habitants dont
99 000 juifs
105 000 Palestiniens
(musulmans ou chrétiens)



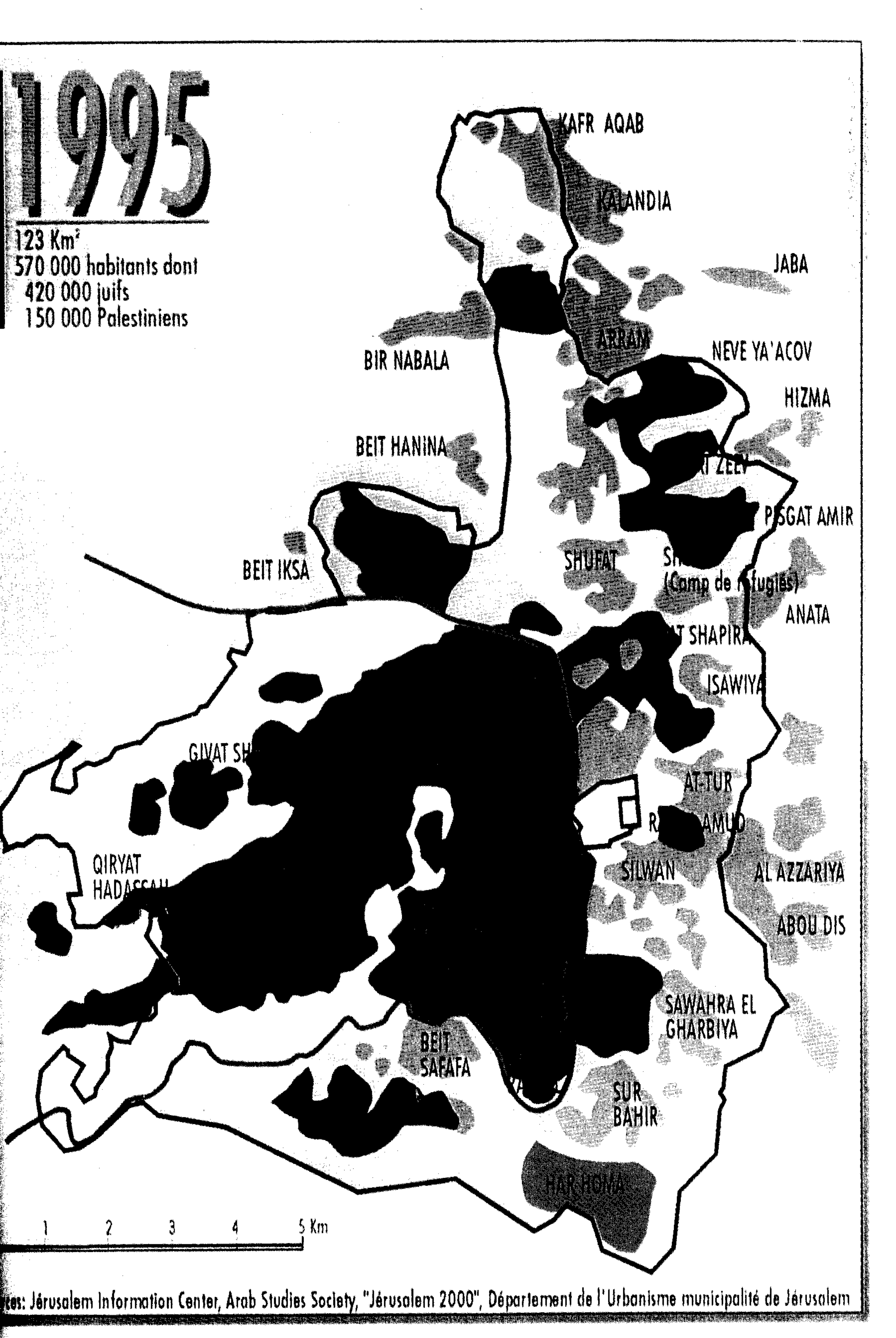
Sources: Palestine Arab Refugee Office, Palestine Survey Maps and Taxation Records.



ources: Carte du Département d'Etat américain "Jérusalem and vicinity", "The West Bank and Gaza Atlas" par Meron Benvenisti et Shlomo Khayat



Sources: Carte du Département d'Etat américain "Jérusalem and Vicinity", "The West Bank and Gaza Atlas" par Meron Benvenisti et Shlomo Kha



Sources: Jérusalem Information Center, Arab Studies Society, "Jérusalem 2000", Département de l'Urbanisme municipalité de Jérusalem



- الأعلام
- المواقع
- العهد القديم
- العهد الجديد
- آيات قرآنية وأحاديث نبوية

الأعـــلام

ابراهيم	١٩، ١٠٥، ٤٨١،٤٨٣
ابري	١٠٧
ابن آثال	٩٦
ابن أبي سفيان، زيد	١٩٠
ابن أبي سفيان، معاوية	٢٤، ٩٣، ٩٥
ابن أحمد، سيف الدين علي	١٧٨
ابن أحمد، عيسى	١٢٤
ابن أوس، شداد	١٩
ابن ارتق، ارتق ارسلان ابن ايل غازي	١٤٨
ابن اسحق، حنين	٩٧
ابن الجراح، أبو عبيدة عامر	١٩٠، ١٩١، ٢٦٥
ابن الجوزي	٤٧٩، ٤٨١
ابن الجوزي، سبت	١٤٧
ابن الخطاب، عمر	١٤، ١٥، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٥٣، ٩٢،٩٤، ١٢٤، ١٩١، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦
ابن العاص، عمرو	٢٤، ٩٣، ١٩٠
ابن المجاور، نجم الدين الحسين	٩٩
ابن المنصور، سرجيوس	٤٧،
ابن الوليد، خالد	٢٤، ٩٣، ١٩٠، ٤٧٥، ٤٧٦
ابن اونيا الثاني، سمعان	١٢٢
ابن بايزيد، سليمان بن سليم	١٧٧
ابن جبل، معاذ	١٩
ابن حارثة، زيد	١٩٠
ابن حزقيا، منسي	١٢١، ١٢٨
ابن حسنة، شرحبيل	١٩٠
ابن حصين، عمران	١٨
ابن رستة	٩٣
ابن سرجون، منصور	٩٦
ابن سعد، عمير	٩٤

الاسم	الصفحات
ابن سعيد، الظاهر محمد	١٤٧
ابن سمعان، يوحنا هرقانس	١٢٢
ابن سيراخ	٦٥، ١٢٢
ابن طلال، الأمير حسن	٣٣٤
ابن ظافر حميد	١٧٣
ابن عبد الحق، عبدالله مراد خان الثالث بن السلطان سليم	١٤٩
ابن عبد الرحمن، سليمان	١٩
ابن عبد الرحمن، هانيء	١٩
ابن عبد العزيز، سعود	٤٥٦، ٤٦١
ابن عبد العزيز، عمر	٩٦
ابن عبد الملك، الوليد	١٩٤
ابن عوف، عبد الرحمن	٢٤، ٩٣
ابن غنم، عبد الرحمن	١٩
ابن قلاون، محمد	١٦٩، ١٧٩، ١٨٠
ابن ماسوية، يوحنا	٩٦
ابن مروان، عبد الملك	١٢٤، ١٨٦، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٦
ابن مصطفى، بايرام داويش	١٣٥
ابن معالي، سليمان	١٧٣
ابن معاوية، يزيد	٩٥
ابن منظور	١٦٠، ١٦١
ابن مينا، أبو اليمن قزمان	٩٧
ابن نون، يشوع	١٨٧
ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم	٤٨٠
ابن يشوع، يهوذا	١٩٢
ابن يعقوب، عز الدين بن عمر	١٨٠
ابو الحاج، أمل	١٥٥
ابو زياد، زياد	٢٢٣
ابي بكر، سيف الدين	٩٨
ابي عبلة	١٩
ابيفانيوس الرابع، أنطيوخس	١٢٢،١٣٢

اثناسيوس (القديس)	٥٠،
اثيريا	٧٢، ٤٣٦
احاز	١٢١
اخناتون، الفرعون	٦٥
ادم	٤٨١
اركولف	١٩١
ارمياء، النبي	٨٥
ارونسون، جفري	٣٠٥
اريا، سارة	١٣٤
ازات الملك	١٣٣
اسامة	١٩٠
اسحق	٤٨١
الاسد، د. ناصر الدين	٩٠
اسرافيل	١٤٨
اسطفانس	٦٩، ٧٣
الاسكندر	١٢٣
اسماعيل	٩٥
الاسيزي، فرنسيس	٧٣، ٧٥
الاصفهاني، العماد	٣٤٠
الاصفهاني، عماد الدين	٤٨٠
اغا، حسن	١٨٣
اغريبا	٦٩
اغريبا الأول، هيرودس	١٣٣، ١٣٤
اغريباس الأول	١٢٣
اغوسطينوس (القديس)	٥٠،
افتخار الدولة	٩٧
افتيميوس الكبير	٥٣
افتيميوس، مار سابا	٤٣٨
افيكاد	١٢٧، ١٢٩
الامام المأمون	١٦٨
امصيا	١٢٠

الامير محمد بك	١٧٧
انستاسيوس الإمبراطور	٣٩
انطونيوس الشهيد	١٢٤
انور باشا	١٤٩
اورجنوس	٥٠،
اوريستوس البطريرك	٩٧
اوسابيوس القيصري	٥٠، ٥٣،
اولمرت، ايهود	٢٢٦، ٣٠٠، ٣٠١
ايبان، أبا	٢٧٥، ٢٨٨
ايجاريا	٥١٦
ايرونيمس، (القديس)	٧٤، ٧٥
ايزيبوس	٤٣٩، ٤٣٩
ايوب، الصالح نجم الدين	١٧٨
الايوبي، الأخطل صلاح الدين	٢٥، ٨٩، ٩٨،٩٩، ١٠٤، ١٢٤، ١٢٥، ١٤٥، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٨، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥، ٤٧٥،٤٧٦،٤٧٩
البابا اربان الثاني	٩٨
باخت، الياهولوتر	٢٧٦
باركوكبا	١٢٣
الباز، شلومو	٣٣٨
باولا، (القديسة)	٧٥
بايرام باشا	١٨١
بايزيد بن السلطان سليمان	١٤٩
براك، اهرون	٣١٠، ٣٢٠
براندس	١٠٨
برسباي، الأشرف سيف الدين	١٤٩، ١٧٠، ١٨٠، ١٨١
برشم، فان	١٦١
البرغوثي، عبد اللطيف	٨٧، ٤٢٤
برقان، سعيد	٢٩٠، ٢٩١
برقوق، الظاهر سيف الدين	١٠١، ١٥٢، ١٦٩
برنادوت، الكونت	٢٧١

بروشي	١٣٠، ١٣٤
بروفنسال، ليفي	١٦٢
بروكلمان	١٠٢
البصيري، علاء الدين	١٨١
بطرس	٧٣، ٧٦، ١٥١
البلاذري	٩٤
بلفور	١٠٧، ١٠٩
بلوم، يهودا	٢٧٦، ٣٥٥
بليس وديكي	١٢٨، ١٢٩
بن اليعزر، بنيامين	٣٠٧، ٣٨١
بن سليم خان، سليمان	١٧١، ١٨٢، ١٨٣، ١٧٩
بن غوريون، دافيد	٢٩١، ٢٩٢،٣٨٨
بنت بحدل، ميسون	٩٥
بنت شرحبيل	١٩
البنطي، بيلاطس	١٢٣، ١٣٢
بنكلر، روفائيل	٣٢٨
بنوا	١٣٤
بنيامين	١٨٧
بهات، ران	١٣٤
بولس الرسول	٣٩، ٦٩، ٤٤٧، ٤٤٨
بومبي	١٢٣
بيبرس الثاني	١٢٥
بيرس، شمعون	٣١٢، ٣٢٣
بيرنزون، تسفي	٢٨٩
البيساني، كيرللس	٥٤، ٥٥
بيغن، مناحيم	٣١٠
بيل (لجنة)	٣٢٦، ٣٦١
البينا، أنطون	٤٨٧
بيوس العاشر	٧٢
ترتليانوس	٤٣٧
تسوكر، تيدي	٣١٤

تشارلس	١٣٠
التفكجي، خليل	٢٩٣، ٢٩٧، ٣٥٩، ٣٧٥
التميمي، رفيق	٤٨٤
تومس، خريستو	١٠١
تيبكون، القديس سابا	٥٨
الثعلبي، الأخطل	٩٦
ثيودروس الثاني الامبراطور	١٢٤
ثيودوسيوس	٥٣، ٤٣٨
جادالله، محمد	٢٣٥
جبرا، ابراهيم جبرا	٤٩٠
جبرائيل	١٤٨
جبسون	٨٨
جري، ادوارد	٣٢٥
الجعبري، محمد نجيب	٢٧
الجلباني، أركارس	١٧٠
الجوباني، الأشرف العلائي الطنبغا	١٢٥
جوته	١٢٧
جودفري	٩٨
الجوزي، بندلي صليبا	٤٨٤
جوفينال	٤٣٨
جونز	١٢٩
جيروم	١٩١
الحاج سليمان باشا	١٧٦
حاييم، ارلزروف	٣٢٥
حتي، فيليب	٩٨، ٩٩
حداد، موسى	٤٧٢
حزبون، لويس	١١٩، ١٤٥
حزقيا	١٢١، ١٢٨، ١٣٠
الحسن الثاني	٣١٢
الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب	١٤٨
حسن، حسن ابراهيم	٩٨

حسين، راشد	٤٦٨، ٤٩١
الحسين، عبد الرحمن	١٧٢
الحسيني، د. اسحق موسى	٩٠، ٤٨٤
الحسيني، فيصل	٢٠٣، ٣١٣
الحسيني، موسى كاظم	١٠٩
الحكيم، سليمان	٣٨٥
الحلبي، ابن ظافر	١٧٣
الحلبي، فضايل وأبو الحسن أبناء يحيي	١٧٤
الحموي، ياقوت	٤٨١
حمير	١٦٠
حنا، عطاالله	٢٠٩
الحنبلي، مجير الدين	٩٣، ٤٧٩
حيشن، أمير	٣٠٠
خاريطون	٥٣
الخالدي، روحي ياسين	٤٨٤
الخالدي، وليد	٣٢٦
الخزيبي، جاورجيوس	٥٣
الخطيب، روحي	٢٨٧، ٢٨٨
الخليفة الظاهر	١٧٢
الخليفة المنتصر بالله	١٧٢
الخليفة عبد الملك	٤٧،
خليل، محمد	٣٠٦
الخليلي، أحمد	١٥٠
الخليلي، شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين	١٧٩
الخليلي، علي	٤٦٤
الخوارزمي، بن جفان	١٨٠
الخوري، اسكندر	٤٨٥
خوري، جريس سعد	٣٧، ٢٥٧
خوري، حنا فارس	٤٩٩
خوري، رفيق	٤٢، ٢٤٥، ٤٣٥

د. روبين	١٠٧
داجليس، ريموند	٩٧
دافيد، جان	١٦٢
دان، ماتي	٣٠١
داود (النبي)	٤٧، ١٢٠، ١٢٧، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٢، ٢٣٤، ٢٦٤، ٤٨٣، ٥٢٦
درافيو، لوران	١٣٧
درويش، محمود	٤٥٨، ٤٥٩، ٤٩١، ٤٩٣
دريير	٩٦، ٣٣٣
دعيبس	٤٢٤
دفيدسون، مئير	٣٠١
الدمشقي، القديس يوحنا	٣٨، ٤٧، ٥٤، ٦٠، ٩٦
الدمياطي، مصطفى أسعد	٤٨٠
دنشتاين، يورام	٢٧٦، ٣٢١
ده ليولا، اغناطيوس	٧٥
دوفنال	٥٣،
الدويك، موسى	٣٥١
دي بويون، غودفري	١٢٤
دي فردوم، ايد	١٤٩
دي فورت، جرارد	١٤٩
ديان، موشيه	٢٢٥، ٢٧٤
الديلمي، عبدالله	١٩
ذيودوروس الأول كيريوس كيريوس	٢١١
الراباي جمليئل	٤٣
رابين، اسحق	٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٧، ٣٦٧، ٣٩٧، ٣٩٨
رافع، علي مصطفى	١١، ٢٨٥
الراهب، متري	٧٩
رسلان، عبد المنعم	١٦٣
الرشيد، هارون	٩٦
رنيان، ارنست	٧٥
روبس، دانيال	٦٨

روبلف	٣٦
روبنسون	١٣٤
روبنشتاين، داني	٣٠٢، ٣٠٤
روجرز، وليام	٣٢٧
رودنسون، مكسيم	٩٠
روكام، جليت حزان	٣٣٧
روكسلانة	١٥١
الروم	٢٣، ٢٨،
رومانوس (المرنم)	٦٠
روهان	١٩٥
ريغن، رونالد	٣٣٤
الريماوي، علي	٤٨٤
زئيفي، رحبعام	٣١٣، ٣٦٣
زربابل	١٢٢
الزغبي، سليم	٤٢٦
زكريا	٦٧
الزنجيلي، عثمان بن علي بن عبد الله	١٧٧
زنكي، منير نور الدين	١٩١
زيمش، يوحنا	١٢٤
السائح، عبد الحميد	٢١٤، ٢١٥
سابا المتقدس	٥٣
سابا، جورج	٦٥
سابيلا، برنارد	٣٣٧، ٤٠١
السادات، أنور	١١٠، ٤٧٥
الساعاتي، رئيف ميخائيل	٩٥
ستون، جوليوس	٢٧٦
سركيس، خليل بن خطار	٤٨٠
السرياني، أفرام	٦٠
السكاكيني، خليل	١٠٩، ٤٨٤
سكريما، الراهب اندرة	٦٣
سلسع، جمال	٤٦٠

سلوس	٥٠،
السلوقي، انطوخوس سيديتس	١٢٢
سليم الأول	١٢٥
سليمان الأول	١٢٥
سليمان الملك	١٢٠، ١٢٧،١٢٨، ١٩٢، ٤٨٣
سمعان الشيخ	٥٨
سمور ، لورنس	٧
سمونس	١٣٤
سميث	١٣٠
سنحاريب	١٢١، ١٢٨
سنيورة، حنا	٣٣٧
سورا، آن	١٤٦
سوكنيك	١٣٤
سوندرس، هرولد	٣٣٧
سيغن، غونين	٣٧٦
سيلع، ميخال	٢٩١
شاؤول	١٨٧
شاحال، موشيه	٣٠٧، ٣٩٧
شارون، اريئيل	٢٩٩، ٣١٤، ٣١٥
الشافعي، أمين الدين	٤٧٩
شاكر، محمد	١٧٧
شامير، اسحق	٣١٣، ٣٢٣
شبيرا، يعقوب شمعون	٢٨٦
شحادة، بولس	٤٨٠
شراب، ناجي صادق	٣١١
شعبان، ابراهيم محمد	٢٦٣.
شعث، نبيل	٣٣٨
شكيد، روني	٢٩٩، ٣٠٠
شليفر، سليمان عبد الله	١٠٠
شماس، يوسف	٩٥
شموئيل، مئير	٣٠٠، ٣٠١

الاسم	الصفحات
الشهابي، مصطفى	١٣
شهوان، نجلاء	٤٧٢
شولتز	١٣١
الشوملي، قسطندي	٤٧٩
شيك	١٣١
شيمبون، أساهي	٢٩١
صباح، ميشيل	٣١، ٤٢، ٢٥٢، ٤١٩
صبري، عكرمة	١٣
صدقيا ابن يوشيا	١٢١
صدقيا، (الملك)	١٢٩
الصديق، أبو بكر	٢٣، ٩٢، ١٩٠
صفرونيوس	٥٣، ٨٢، ٩٣، ٩٤، ١٩١، ٢٣١
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير	٢٧، ٩٣، ٤٨٠،٤٨١
طه، المتوكل	٤٧١
طهبوب، حسن	١٩٩
طوطح، خليل	٤٨٠
طوقان، ابراهيم	٤٥٧
طوقان، فدوى	٤٨٨
طيطس	١٢٣، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٩٢
الظاهر، أبو الحسن علي	١٥٢
الظاهري، عز الدين أبو الهيجا بن حسين	١٥٢
الظاهري، محمد بن السيفي البهادري	١٦٩
العارف، عارف	١٠٠، ١٠١،١٩٦، ٣٤٠
العامري	٨٩
عباد، عبد الرحمن	٤٥٥
عباس، محمود	٣١٣
عبد الشافي، حيدر	٣٠٥
عبد الناصر، جمال	٣٢٤
عبد الهادي، مهدي	٢١٣
العبوشي، برهان الدين	٤٨٧
العذراء مريم	٥٨، ٦٢، ٦٩، ١٠٣، ١٠٥

عرفات، ياسر	٢٢٣، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٥، ٣٣٩، ٥١٦
عزرائيل	١٤٨
العزيز	٩٧
عزيز، يعقوب	٦٠
عزيّا	١٢١
العسقلان، محمد بن حسن بن قتيبة	١٩، ٢٠، ١٠٢
العكر، ممدوح	٣٣٧
عماوس	٧٥
عمر، أحمد	٤٧٤
عمرو، يونس	١٧، ١٥٩، ١٦١
عميراف، موشيه	٣٠٥، ٣٣٧
عوض، مبارك	٣١٩، ٣٢٠
عيساوي، رحاب	٣٣٧
عيسى عليه السلام	١٠٣، ١٠٥، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٣، ٤٨١
العيسى، سعيد	٤٨٦
العيسى، عيسى	١٠٧
عيشويابة	٩٢
عيوش، ذياب	٣٨٥، ٣٨٧
غريغوريوس (المنور)	٦٠
غريغوريوس النيصصي	،٥٠
الغزي، ايلاريون	٥٣
الغزي، بروكوبيوس	٥٣
الغزي، سليمان	٨٣
غور، مردخاي	٢٧٤
غور، وليم أورمبسي	١٠٧
الغوري، قانصو	١٧٤
غوشة، عبد الله	٢١٥
غوشون، أ.م	٦٣
فابري، فيلكس	١٠١

فاروق الأول	١٧٦
الفاطمي، الحاكم بأمر الله	٩٢، ٩٧
فالنيانس الامبراطور	١٢٤
فايس، شيفح	٣١٧
فرح، كمال	١٨٥
فريدريك الثاني	١٢٥
فريزر، السير جيمس	٨٨
الفزاري، برهان الدين	٤٧٩
فسسيان	١٢٣
فلافيوس، يوسيفوس	١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٩٢
فلنر، ميئر	٢٩٣
فلوردس، جسيوس	١٢٣
فلوري	١٦٢
فم الذهب، يوحنا	٥٨،
فن، ي.أ	٨٩
فنسا	١٣١
فهد، الملك	٣٣٢، ٣٣٤
فورمن، غيورا	٣٣٧
فولبرايت	٣٣٠
فيروز	٤٩٥
فيلبس	٣٩
فييت، جاستون	١٦٢
قاسم باشا	١٨٢
القاسم، سميح	٤٩١، ٤٩٤
القانوني، سليمان	١٣٥، ١٣٧، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٧٠، ١٨٢، ١٨٣، ٣٦٠
قايتباي، الأشرف سيف الدين	١٥١، ١٥٢، ١٧٤، ١٩٦، ١٩٣
قباني، نزار	٤٨٩، ٤٩٥
قبجا، الحسامي	١٨١
قبعين، نجيب	٢١٥

القرطجي	١٦٠
قزما	٥٤، ٦٠
قسطنطين، الإمبراطور	٤٠، ٥٣، ٧٣، ٨٢، ١٠٥، ١٢٤، ٢٣٠، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤١، ٥٣٤
القسي، خالد بن عبد الله	٩٦
قطلوبغا	١٧٩
قطوش، عطاالله	٤٧٣
قعوار، جمال	٤٦٠، ٤٦٤
قلاون، شعبان بن حسن بن محمد	١٧٩
قلاوون، سيف الدين	١٥٢، ١٧٤
قلب الأسد، ريكاردو	٩٩
قيصر، يوليوس	١٢٣
كابستين، أرشندرت أنطونين	١٣١
كارتر، جيمي	١١٠
كامبون، بول	٣٢٥
كامنكر، سارة	٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٨
كاهان، يتسحاق	٢٨٩،٢٩٠
كاهيلا، افراهام	٣٠٩
كتن، هنري	٣٣٢
كرادون، اللورد	٣٣٠
الكرمي، الشيخ سعيد	٤٨٤
كرنك، ليلي	٤٨٨
كساسة، أنطونيو	٣٣٥
كسرى الثاني	١٠٥
كلايتون	١٠٧، ١٠٨، ١٠٩
كمال، سفيان	٤٢١، ٤٢٦
كنج-جرين	١٠٩
كهانا	٣٠٦
كوفمان	١٩٢
كوليك، تيدي	١١٢، ٣٠٠، ٣٠٧، ٣٠٩
كوهين، حاييم	٢٨٩،٢٩٠

كيرلس الأورشليمي	٥٣، ٧٢، ٨٣، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٥١٦
كيسنجر، هنري	٣٣٧
كينيون كاثلين	١٢٦، ١٣٤
لاجين، المنصور حسام الدين	١٧٩
لانداو، عوزي	٣١٤
لتل، نورتوبو دونالد	١٥٥
لحام، لطفي	٤٤، ٤٧، ٦٣
لحام، مارون	٢٥١
اللقيمي الدمياطي، مصطفى أسعد	١٣٧
لوكس.	١٣١
ليفي، يسرائيل	١١٢
المأمون	٩٦، ٩٧
مارسيه	١٦٢
مازار	١٢٧
ماليسون، سالي	٣٣٥
ماليسون، طوماس	٣٣٥
ماير	١٣٤
المجالي، عبد السلام	٢٣٨
مجيدو، عوديد	٣٣٧
مجير الدين	١٤٦
محمد (النبي)	١٨، ٢٠، ١٠٣، ١٠٥، ١٩٣
محمد الثالث	١٧١
محمد باشا	١٨١
محمد قدس	١٥١
محمود الأول	١٨٢
محمود الثاني، (السلطان)	١٤٧، ١٧٢، ١٧٦
محمود، شفيق جاسر أحمد	٨٧، ٩٥
محمود، عبد الرحيم	٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦١

مخائيل	١٤٨
مراد، مصطفي	٤٦٥
مركاد، مبارك السلطان	١٥١
المسعودي	٩٣
مصطفي علي أفندي	١٧٦
المعتذر بالله	١٥٢
المقدسي، أبو المعالي	٤٨٠
المكابي، يهوذا	١٢٢
مكسيموس الثاني	٥٣،
مودسلي	١٢٨
موسى	٤٨٣
موسى (النبي)	٦٥، ١٩١
موسى، عمرو	٣١٢
الموصلي ، محمد بن عروة بن سيار	١٨١
مونت جانو، كلير	١٣١
موند، مكسيموس	٩٧
ميريل، سلاح	١٣١، ١٣٢
ميكونيس، شموئيل	٢٨٧، ٢٩٣
نائم الليل، عبد	١٤٩
النابلسي	١٣٦
النابلسي، الشيخ عبدالغني	٤٨٠
نافون، إسحق	٣١٠
النبهاني، يوسف	٤٨٤
نبوخذ، نصر	١٢٢، ١٩٢
النبي يوناثان	١٨٧
نتسر، اهود	١٣٤
نجم، رائف	١٨٩
نحميا	١٢٢، ١٢٩
نسيم، موشيه	٣٢٤
النشاشيبي، اسعاف	٤٨٤، ٤٨٥
نصار، نجيب	١٠٦

نصرة، خالد	٤٨٨
النعمان، محمد	١٩
نفسكي، الكسندر	١٣١
النوباني كندي، علاء الدين	١٥٢
نيكسون، ريتشارد	٣٣٠
نيوتن، فرانسيس	٨٨
هادريانس الإمبراطور	١٢٣، ١٣٢
هارون	١٨٦
الهدباني، شرف الدين موسىبن حسن	١٨٠
هدريان الامبراطور	١٠٥، ١٩٢
هرتسوغ، حاييم	٣٢٤
هرقانوس الثاني	١٢٣
هرقانون، يوحنا	١٢٣
الهروي	١٥٠
هليفي، بنيامين	٢٨٩
همريك	١٣٤
هنسي	١٣٤
هوتمان	٣٩٢
هولست، جوهان	٣١٤
هيبا، عيدي	٦٥
هيرودوس الكبير	٦٦، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٦
هيلانة	٤٠، ٥٣، ٨٢، ٨٩، ٤٣٩
هيلم، سارة	٣٠٥، ٣٠٨
وارن	١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠،
وايزمن، عازر	١٠٨، ٣١٧
الوقف، عمر	١٤٩
ولكسون، جون	١٥٤
الون، يغئال	٣٣٠
ويلسون، الرئيس	٣٥٥
يأجوج و مأجوج	٤٨١

اليبوسي، سالم	٢٦٤
اليبوسيون	١٧، ٨٨، ٩١، ١٠٠، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٩٠
يسوع المسيح	٨، ٣٢، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٥، ٤٩، ٥١، ٥٨، ٦٢، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٤،٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٠ ، ٨٣، ٨٥، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٣١، ١٣٢، ٢٣٠، ٢٣١، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٥٠، ٤٨٣، ٤٨٨، ٤٩٠، ٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥٣٣
اليسون، طوبا	٣١٩
يعقوب	٥٨، ٧٢
يعقوب (أخ يوحنا)	٦٩
يعقوب باشا	١٥٠
اليعقوبي، أبو الإقبال	٤٨٤
اليعقوبي، البطريرك	٩٥
يكوتيلي	٣٠١
يني، اسكندر	١٢٢
يوحنا	٦٩
يوحنا بولس الثاني، البابا	٦٢، ٧٤، ٧٦، ٢٥١، ٤٨٠
يوخاريوس	١٢٤
يودوكسيا الامبراطورة	١٢٤، ١٣٥
يوستيوس النابلسي	٥٣،
يوسف، حمد أحمد عبدالله	١٣
يونا، آفي	١٣٤
يوناثان	١٢٢

المواقع

ابراج هيرودس	١٢٣، ١٣١
ابو ديس	٥١، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٥، ٣٢٦، ٣٦١، ٤٨٤
اتفاق بوغاتا	٣٥٥
اتفاقية أوسلو	٥١٨
اتفاقية جنيف	٢٨٠، ٢٨٧، ٣٥٥
اتفاقية لاهاي	٢٨٠، ٢٨٧، ٣٥٦
ارئيل	٥١
الاراض المحتلة	٢٢٠، ٢٥٤، ٥١١
ارام	١٢١
الاردن	٢١٩، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٦٨، ٣٢١، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٤٠٢، ٤١٥، ٤٣٠
ارض البياض	٢٩٤
ارض السمار	٢٩٤، ٣٦٢
الارض المقدسة	٤٥، ٤١٣، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٧
ارض كنعان	١٨٦
اريحا	٥٤، ١٩٢، ٢٣٩، ٣٠٥، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩
اسبانيا	٧٢، ١٠٢
استراليا	٤١٢، ٤١٣، ٤١٥
اسرائيل	٤٢، ٤٤، ١١١، ١٢١، ١٩٧، ٢٠٤، ٢١٧، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٥، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٣، ٣٨١، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٩، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٣١، ٥٠٦، ٥١٨

اسرائيل الكبرى	١١٠
اسيا	٩٦، ٤٨٠
اشور	٢٦٨
اعلان بيونس ايريس	٣٥٥
اعلان ليما	٣٥٥
افرائم	١٣١، ١٣٢
افرات	٣٦٤
افريقيا	٤٨٠
افسس	٦٩
الاليونا	٧٣
ام طوبا	٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٧، ٣٧٥، ٣٧٦
الامبراطورية الرومانية	٤٣٧
امريكا	١٩٧، ٢٠٤
امريكا اللاتينية	٤٠١، ٤١٣، ٤١٥
امريكا الوسطى والجنوبية	٤٠١
الامم المتحدة	٢٣٢، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٩٢، ٣٢٦، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦١
انجلترا	٩٩، ١٠٢، ٣٣٤
الاندلس	٢٤، ٩٧، ٤٧٤
انطاكيا	٧٢، ٩٨
اورجواي	٢٧٢
اورسالم	١٨٦
اورشليم القدس	٣٨، ٤٩، ٥١، ٦٥، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٩٨، ١٢١، ١٢٣، ١٨٧، ١٨٨، ٢٥٣، ٢٦٤، ٤٧٢، ٤٩١، ٥١٦، ٥٢٩، ٥٣٠
اوروبا	٤١٢،٤١٣، ٤١٥، ٤٨٠، ٤٨٥
اوسلو	٢٠٥، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٤٠، ٢٩١، ٢٩٨، ٣٠٩، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢٢، ٣٩٧
ايالة صيدا	١٧٥
ايطاليا	١٩٤، ٢٧٠، ٣٣٥
ايلات	٣٩٨

ايلة	٩٦
ايلون موريه	٣٥٦
ايليا كابتولينا	١٢٣
ايلياء	٢٣، ٢٨، ٩٣، ٩٤، ٢٦٥
ايلياء كابتولينا	١٣٥
باب الأسباط	١٣٥، ٢٧٤
باب الأسينيين	١٢٦
باب الجديد	٢٧٤
باب الجنّات	١٣٠، ١٣١
باب الخليل	١٢٦، ٢٩٥، ٤٨٥
الباب الذهبي	١٢٧
باب الزاوية	١٢١
باب الزّبل	١٢٩
باب الساهرة	٣٦٠
باب السلسلة	٢٧٤
باب السمك	١٢١
باب العامود	٥٤، ١٣٠، ٤٨٥، ٤٨٩
باب العين	١٢٩
باب الغوانمة	٢٧٤
باب القضاء	١٣١
باب القطانين	٢٧٤
باب المتوضأ	٢٧٤
باب المجلس	٢٧٤
باب المغاربة	٢٧٤
باب الوادي	١٢١
باب حطة	٢٧٤
باب فيصل	٢٧٤
باريس	٢٤٦، ٢٧٠، ٤٨٦، ٤٨٩
البانيا	٢٧٠
البحر الأحمر	٧٢
البحر الميت	٥٤

بحيرة طبريا	٥٧، ٢٧١، ٤٤٠، ٥٣٣
برج 'أنطونيا'	١٣٠، ١٣١
برج التنانير 'أو الافران'	١٢٨
برج الكبريت	١٢٨
برج بسفينوس	١٣٣
برج فضائيل في قلعة داود	١٢٦
برج هيبكوس	١٣٣
بركة الحمرا	١٢٩، ١٨٥
البركة الغنمية	٥١
بركة بيت ذاتا	٧٣
بركة سلوام	١٢٤، ١٦٢، ١٢٨
بركة سلوان	٥١، ١٢٦، ١٨٥
برلين	٢٤٩، ٢٧٠
بروسيا	١٠٢، ٢٦٩
بريطانيا	٢٧١، ٣٢٥
بستان الجسمانية	٤٤٠، ٥٣٣
بستان الملك	١٢١
بسجات زئيف	٢٩٦
بسجات عومر	٢٩٦
بغداد	٢٤، ٩٦
البقعة	٣٦١
بلاد الشام	٨٨، ٢٦٥
البلدة القديمة	٢٧٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٤١٧
البلقاء	١٩٠
بني براك	٣٠٤
بوابة مندلبوم	٥٤
البوسنة	٢٦٠، ٥١٥
بولندا	٢٦٩
بيت إكسا	٣٠٦، ٣٨٠
البيت الحرام	٤٨١
بيت الشرق	٢٠٣، ٢٠٦، ٢٢٠، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٣

البيت العتيق	٢١، ٢٢
بيت المقدس	١٩، ٢١، ٢٤، ٢٩، ٥١، ١٩٤، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣١٢، ٤٢٩، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٣، ٤٨٤
بيت جالا	١٤٥، ٢٧١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٩، ٣٦٨، ٣٨١، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٧
بيت حنينا	٢٧٣، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩
بيت ساحور	٥٧، ٢٧١، ٢٩٥، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤٠٥، ٤٠٧، ٤١٧، ٤١٩
بيت سوريك	٣٨٠
بيت صفافا	٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٢١، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٥
بيت عنيا (العيزرية)	٥١، ٥٧، ٨١، ٢١٠، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٥، ٣٥٣، ٤٢٤، ٤٣٩
بيت عور الفوقة	١٨٧
بيت فجان	٣٦٠
بيت لحم	٥٠، ٥٤، ٥٧، ٥٧، ٦٨، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٨٠، ٢١٠، ٢١٤، ٢١٧، ٢٧١، ٢٩٥، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٦١، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٨١، ٣٩٣، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٩، ٤٥٨، ٥٢٦
بيت نيفورتا	١٧
بيت هاكيرم	٣٦٠
بيتسار	٣٨١
بيتسو	١٢٦، ١٢٨
بير أيوب	١٨٥
البيرة	٤٠١
تبوك	١٩٠
تريستا	٢٧٠
تسميح هسديه	٣٨٠
تشاد	٢٢٤
تصريح بيونس ايريس	٢٧٧
تصريح ليما	٢٧٧

تصريح نورمبوغ	٢٧٧
التعامرة	٣٩٣
تل أبيب	٢٠٦، ٢٧٢، ٣٠٤
تل العمارنة	٦٥، ١٨٦
تلبيوت	٢٨٧، ٢٨٨، ٣٠٢، ٣٢٥
التلة الفرنسية	٢٨٧، ٢٨٨
تونس	٢٢٣، ٢٢٤
تيروبيون	١٢٦، ١٢٧، ١٢٩
الثوري	٢٧٣
جاكرتا	٢٦٠
جبعات شاؤول	٣٦٠
جبعون	٣٨٠
جبل ابو غنيم	٢٩٧، ٣٠٧، ٣٨١
جبل الزيتون	٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٧٣، ٧٤، ٨١، ٢١٧، ٢٩٩، ٣٦٢، ٥٣٤
جبل المشارف (سكوبس)	٢٩٤، ٣٣١، ٣٦٢، ٣٩١
جبل المكبر	٢٩٩
جبل الموريا	١٨٦
جبل الهيكل	١٢٧
جبل بزيتا	٣٦٠
جبل صهيون	١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٥
جبل نيو	٧٢
الجزائر	٣٣٨
الجسمانية	٥١، ٧٧، ٤٣٩
جفعات زئيف	٢٨٧، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣٦٤، ٣٨٠، ٣٨١
جفعات هأربعاه	٢٩٥
جفعات همتوس	٢٩٥، ٣٦٨، ٣٦٩
جفعات همفتار	٢٩٤
الجلجلة	٤١، ٥٢، ٥٧، ٦٩، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ١٣١، ٣١٢، ٤٣٩، ٤٤٠، ٥٣٤
الجليل	٢٥٩، ٥٢٢

الجمعية العامة للأمم المتحدة	٢٧١، ٢٧٧، ٢٨٧، ٢٩٣، ٣١٢، ٣٣٣
جمعية عطيرت كوهنيم	٣٠١
جنوبي فرنسا	٧٢
جنيف	٣٣٥
جواتيمالا	٢٧٢
جورة العناب	٣٦٠
الجولان	١٠٦، ١١٠، ٢٨٦
الجيب (قرية)	١٨٧
جيحون	١٢١
جيلو	٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٨١
حائط البراق	١٩٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٠، ٣١٣، ٣٣١، ٣٩٢
حائط المبكي	١٢٣، ١٢٦، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٨٠، ٣٠٧، ٣٩٠، ٣٩٢
حارة 'الدوابة'	١٢٦
حارة الأرمن	٥٥
حارة الشرف	٢٩٤، ٣٩٠، ٣٩٣
حارة المغاربة	٢٧٥
حبرون	٦٣
الحبشة	٤٧
الحجاز	٢١
حجرة العتبة	١٣١
الحرم الإبراهيمي	١٤٧، ١٧٨
الحرم القدسي الشريف	١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٥، ٢٨٠، ٣٢٨
الحرمين الشريفين	١٧٩
حستوس	١٢٦
حطين	٩٨، ١٩١
حلب	٩٩
حمراء	٤٧٤
حوكة	١٥١
حولون	٣٠٤
حي الربابة	٢٩٥
حي الشماعنة	٢٩٥

حي المغاربة	٢٧٥، ٢٩٠، ٢٩٤، ٣٩٠، ٣٩٣
حي اليامنيين	٣٠١
حي مئة شعاريم	٣٦٠
حيفا	١٠٩، ٢٨٥، ٣٢٥، ٤٨٥
الخان الأحمر	٣٨٠
خان الزيت	٥٢
خربة (طبالية)	٢٩٥
خربة جرملة	٢٩٥، ٣٦٨، ٣٨١
الخضر	٣٨١
خلقدونيا	٤٣٨
الخليج	٤١٩
الخليل	٦٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٢، ١٨٧، ١٩٢، ٢٨٩، ٣٠٥، ٤٠١، ٤٧٩
الخندق	١٣١
دائرة الرخام البيضاء	٣٧
الدار البيضاء	٣١٢
دار الحكمة	٩٧
دار المجلس	١٢٦
دانزنخ البولندي	٢٧٠
داود (قرية)	٢٩٥
درب الآلام	٨٠، ٤٨٩
درب الصليب	٥٢، ٥٧
دمشق	٢٤، ٩٦
الدومينكان	٢٧٢
دير القديس مار سابا	٤٧، ٥٤
دير مار يوحنا	٨
دير واد القلط	٢٧، ٥٣
دير ياسين	٢٧١، ٣٣٩، ٣٦٠، ٣٦٣
راس العامود	٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٦٢
الرام	٢٧٣، ٢٩٣، ٤٢٤
رام الله	٢١٠، ٢٤١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٦٣، ٣٩١، ٤٠١،

	٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٧، ٤١٩
راموت	٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٤، ٣٨٠،
رمات أشكول	٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٤
رمات راحيل	٢٧١، ٢٩٥
رمات غان	٣٠٤
الرملة	٣٦١
روسيا	١٠٢ ، ٢٦٩
رومة	٧٤، ٧٥، ٤٤٣
ريخس شعفاط	٢٩٧، ٢٩٨
الزاوية الشيخوخية	١٩٧
الزاوية الطواشية	١٩٧
الزاوية المحمدية	١٩٧
الزاوية اليونسية	١٩٧
الزعيم (قرية)	٢٩٥، ٣٨١، ٣٩٣
ساحل المتوسط	٤٩٣
السعودية	٢٣٧، ٢٤١، ٣٣٢، ٤٣٠
سلفيت	٢٣٩
سلوام	٧٣
سلوان	٧٩، ١٢٧، ٢٧١، ٢٧٣، ٣٠١، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢
سليم	٥١
السواحرة الغربية	٢٧٣
سوريا	٤٧، ١٦١، ٣٣٢، ٤٠١
سوق الباشورة	٣٠٦
سوق الخواجات	٣٠٦
سوق العطارين	٥٢، ٣٠٦
سوق اللحامين	٣٠٦
سوق باب خان الزيت	٣٠٦، ٤٣٩
السويد	٥٢١
سيناء	٧٢، ١٠٥، ١١٠، ٢٨٦، ٢٩٢
شارع اليعقوبية	١٣٠

الموقع	الصفحات
شارع فريدريك غيوم	١٣١، ١٣٢
الشام	١٩، ١٧٦، ٤٨٦
شرفات	٢٧١، ٢٩٥، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩
شرق الأردن	٨٢
الشرق الأوسط	٨، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٢٣، ٣٠٤، ٣٣٨، ٥٠٦
شعفاط	٢١٤، ٢١٧، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٢٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢
الشيخ بدر	٣٦١
الشيخ جراح	٢٧٣، ٢٩٤، ٣٦٠، ٣٦٢
صحراء سيناء	١٩١
صربيا	٢٦٠
صندوق كترينج	٣٣٧
صهيون	٣٧، ٤٧، ٥١، ٥٧، ٧٠، ٤٣٩
الصوانة	٣٦٢
صور	٩٨
صور باهر	٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٧، ٣٠١، ٣٧٦، ٣٧٩
ضاحية البريد	٢٧٣
ضاحية البريد العليا	٤٢٤
ضاحية الزعيم	٤٢٤
الضفة الشرقية	٤٠٢
الضفة الغربية	١١، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٧، ٢٨٦، ٢٩٢، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣١٨، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٨١، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٣، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٥٢٠
الضفة والقطاع	٤٠٢، ٤٠٣
الطالبية	٣٦١
طبريا	١٠٦، ٣٢٦
طرابلس	٩٨
طريق الوادي	٥٢
طريق باب ’السلسة‘	١٢٦
طريق شنلر	٤٨٦، ٤٨٩
طريق يافا	٤٨٦، ٤٨٩

الطور	٢٧١، ٣٦٠، ٣٨٠، ٣٩٣
طور سيناء	٥١٥
العراق	٩٤، ٩٦، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٦٠، ٣٢٥، ٣٣٢، ٥٢٣
العريش	١٩
عصبة الأمم	٢٧٠، ٣٢٥
عطروت	٢٩٨
عكا	٩٩، ٤٦٧
علية صهيون	٥٢، ٥٨، ٦٩، ٧٣، ٧٧
عناتا	٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٣
عنبتا	٢٩٣
عوفل	١٢١، ١٢٦، ١٢٨
عير غنايم	٣٦٣
العيسوية	٢٧١، ٢٧٣، ٢٩٦، ٣٦٠، ٣٨٠
عين أم الدرد	١٨٥
عين اللوزة	١٨٥
عين كارم	٢١٤، ٢١٧، ٢٧١، ٣٢٦، ٣٣٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣
غابة رموت	٢٩٧
غلاطية	٦٨
غور الأردن	٣٩٨
غوش أدوميم	٣٨٠
غوش ايمونيم	٢٩١ ، ٣٠١
غوش عتصيون	٣٦٤، ٣٨٠، ٣٨١
الغوطة	٩٦
غيلوكتلة عتسيون	٣٠٦
الفاتيكان	٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤١، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٣٠
فاس	٣٣٤
الفرات	١٩
فرنسا	١٠٢، ١٥٠
فلسطين	٩، ١٧، ٤٧، ٥٠، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥،

	٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١٤٥، ١٦١، ١٨٥، ١٩١، ١٩٣، ٢١٠، ٢٤٢، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٨٦، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٩، ٤١٣، ٤٣٣، ٤٣٨، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٨، ٥٢١
فلورنسا	٣٣٥
فينا	٢٦٩
قالونيا	٣٦١
القاهرة	٢٤، ٢٩٣، ٣١٦، ٣٨٧
قبر العذراء مريم	٧٣
القبر المقدس	٤١، ٨٣، ١٠٢، ٢٤٦، ٤٤٠، ٥٣٤
قبرص	٩٦
القدس	٧، ٨، ٩، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٤، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٢، ٤٣، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٤، ٥٦، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٩، ١٨٥ ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧.، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٧، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤،

	٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢،٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩
القدس الشرقية	٢٠٥، ٢١٥، ٢٩٣، ٥٢٦
القدس الغربية	٢٠٦، ٢١٥
القسطنطينية	٩٥، ٤٣٧
قطاع غزة	٢١٩، ٢٢٥، ٢٨٦، ٣١٤، ٣٢٥، ٣١٦، ٣١٨، ٢٣٩، ٢٥٤، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٤١٣، ٤٣٠، ٥٢٢
القطمون	٣٦١
قلعة جلعود	١٣٦

قلعة داود	٥١، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠
قوس ويلسون	١٢٦
قيصرية	٣٩، ٧٣
كافيناطا	١٢٢
كانيون	٣٨١
كراكاو	٢٦٩
كرم اللوز	٢٩٤
كرم المفتي	٢٩٩
كريات مناحيم	٣٦٣
كريات يوفيل	٣٦٣
الكعبة	١٩٠، ٤٨١
كفر عقب	٢٩٣
كلية العلوم التربوية وكالة الغوث	٤٥٥
كندا	٢٩٧، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٥.
كنيسة 'يسوع الملك'	١٣٠
كنيسة الأعمدة	٧٠
الكنيسة الألمانية	١٩٧
الكنيسة الإنجليكانية	١٨٥
كنيسة الجلجلة	٤٤٣
الكنيسة الراعوية	٤٣٩
كنيسة الروم الأرثوذكس	١٣١، ١٣٢
كنيسة الصعود	٨٩
الكنيسة العربية	٢١٧
كنيسة الفادي	١٣١
كنيسة القديس توما	٩٦
كنيسة القديس يوحنا	٩٦
كنيسة القيامة	٤٠، ٥٧، ٥٧، ٦٠، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٢، ١٠٦، ١٣١، ١٣٢، ١٣٢، ٢٠٠، ٢١٧، ٢٥٣، ٢٥٧، ٣١٢، ٣١٨، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٥٦، ٤٨٧، ٤٩٠
كنيسة اللاتين – بيت جالا	١١٩

كنيسة اللاتين – الطيبة	١٤٥
كنيسة المهد	٤٠، ٣١٨، ٤٣٩
كنيسة الميلاد اللوثرية	٧٩، ٨٩
كنيسة جبل الزيتون	٤٣٩
كنيسة مار يعقوب	١٥١
كنيسة هيلانة	١٣٢
الكنيست	٢٨٦، ٤٢٢
الكوفة	٩٦
الكونجو	٢٧٠
الكويت	٣٢٤
كيدار	٣٨٠
لبنان	٤٠١
اللد	٣٦١
لفتا	٢٧١، ٣٤٠، ٣٦٣
لندن	٢٤٦
لندن	٢٧٠
ليبيا	٢٢٤
ليفي دانيئيل	٣٠١
مأدبا	٨٣
مأمن الله	٣٦١
مؤتة	١٩٠
مؤتمر برلين	٢٧٠
مؤتمر مدريد	٣١٨
ما بين النهرين	٤٧، ٧٢
المالحة	٢٧١، ٢٩٥، ٣٤٠، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٧٠
المانيا	٥٢١
مبنى فولون	١٣٣
متحف الآثار	١٤٥
المتحف الإسلامي	١٤٥
متحف الفن الإسلامي	١٤٥
متحف عكا	١٤٥، ٣٢٥
مجلس الأمن الدولي	٢٨٧، ٣٣٣، ٣٣٤
محراب زكريا	١٥٠، ١٦٧، ١٩٥

محكمة العدل العليا	٢٨٩، ٣١٠
محور عمان / تل أبيب	٣٨١
مدرسة أبي عقبة	١٩٧
مدرسة الأسقف جوبات	١٢٨، ١٢٩
المدرسة الأشرفية	١٩٣، ١٩٦
المدرسة الأفضلية	١٩٧
المدرسة الأمجدية	١٩٧
المدرسة البارودية	١٩٧
المدرسة التنكزية	٢٧٤
المدرسة الجهاركسية	١٩٧
المدرسة الحسينية	١٩٧
مدرسة الدركاه	١٩٧
المدرسة الطولونية	١٩٧
المدرسة العمرية	٥٢، ١٣٠، ١٣١
المدرسة الفيزيائية	١٩٧
المدرسة القرقشندية	١٩٧
المدرسة الموصلية	١٩٧
المدرسة النصرية	١٩٧
المدرسة الوجيهية	١٩٧
مدينة العدل	٥١
المدينة المقدسة	٤٨
المدينة المنورة	١٨، ٢٤، ٢٥، ٤٧٩، ٤٨١
مدينة داوود	١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٦، ٣٨٦
مرتفع موريا	٣٦٠
مرسوم ميلانو	٤٣٧، ٤٣٨
مركز الدراسات العربية	٢٩٣
مركز اللقاء	٩، ٣١، ٤٥، ٨٧، ١٥٩، ٢٢٩، ٢٤٥، ٢٥٧، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١، ٣٨٥، ٤٠٣، ٥٠١، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٢٦
مركز مار كيرلس	٤٣٥، ٤٥٢
مستعمرة النبي شموئيل	٣٨٠
المسجد الأقصى	١٣، ١٤، ١٦، ٢١، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٧٩، ٩٩، ١١١، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤،

الموقع	الصفحات
	١٧٥، ١٧٧، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ٢٠٠، ٢٥٧، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣١٩، ٣٩٠، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨٣
مسجد سعد و سعيد	٣٦٠
مسجد عمر	١٤، ١٥، ١٩٥
مسجد قبة الصخرة	١٤، ٢٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٩٢، ١٩٧، ٢٥٣، ٢٧٤، ٣٦٠، ٤٦٣، ٤٨٧
مشروع جبل أبو غنيم	٣٧٦
مصر	٤٧، ٦٥، ٧٢، ١١٠، ١٦١، ١٧٦، ١٨١، ١٩١، ٢٤١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٩٢، ٣٣٢، ٣٤٠، ٤٠١، ٤٨٦
المصرارة	٥٤، ٢٧٣، ٣٦٠
مطار قلنديا	٢٧٣، ٣٦٣
معالي أدوميم	٢٢٧، ٢٩٥، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٦٤، ٣٨٠، ٣٨١
معبد 'هيكل' سليمان	١٣، ١٥، ١٦، ٣٨، ٤٣، ٥١، ٩٦، ١٢٦، ١٦٣
معهد الدراسات الدولية	٣٣٥
مغارة سليمان	١٩٢
المغرب	٢٤، ٢٤١، ٢٧٠
مفسيرت تسيون	٣٠٥
مكة المكرمة	١٨، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٢، ٢٥، ١٩٠، ٣٢٥، ٤٧٩
منبع سلوان	١١٩، ٣٦٠
المنطقة الحرام	٢٩٤
منورتا	١٨٥
موتسا	٣٦١
ميثاق الأمم المتحدة	٢٧٦
ميثاق باريس	٢٧٦
نابلس	٤٩، ٤٠١، ٤٦٥، ٤٦٨
الناصرة	٥٧، ٨٠، ٨٤، ٢٧١، ٣٢٦
النبي صموئيل	٣٨٠
نجران	٩٦
نزل القديس يوحنا	٧٩
نفي مناحيم	٣٨٠

نفي يعقوب	٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٤
نقطة عبور ايرز	٢٣٩
النمسا	١٠٢، ٢٦٩
نهر الأردن	٥٧، ٤٤٠، ٤٩٦، ٥٣٣
هارحوماة	٢٩٧، ٣٠٧، ٣٧٦،
هرتسليا	٣٠٤
الهرسك	٥٢٣
هيئة الأمم المتحدة	٣١٨، ٤٧٤
هيبكوس	١٢٦
هيكل جبل موريا	١٨٧
وادي 'هنوم' (الربابة)	١٢١، ١٢٦
وادي الجوز	٢٧٣، ٣٦٠، ٣٦١
وادي تيروبيون	١٢٨
وادي عيسى	٢٨٨
وادي قدرون	٥١، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٣، ١٣٤، ١٨٥
واشنطن	٢٣٥، ٢٤٦، ٢٦٠، ٣٠٥
الوعرية	٣٦١
الولايات المتحدة الأمريكية	١٠٢، ٤٠١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٥.
الولجة	٢٩٥
يافا	١٠٨، ٣٦١، ٤٨٥
يبوس	٥١، ١١٩، ١٨٥
اليرموك	١٩٠
اليمن	٢٢٤
يمين موشيه	٣٦٠
يهودا والسامرة	٤٩، ٦٨، ٣١٧، ٣٥٦
اليونان	١٠٢

العهد القديم

أخبار (١) ٤،١١ - ٩	١٨٧
أخبار (١) ٨،١١	١٢٠
أخبار (١) ٥،٣١	١٢١
أخبار (٢) ٢٣،٢٥	١٢١
أخبار (٢) ١٥،٢٦	١٢١
أخبار (٢) ٣،٢٧	١٢١
أخبار (٢) ٣،٢٧ و ١٤،٣٣	١٨٧
أخبار (٢) ٥،٣١	١٢١
أخبار (٢) ١٤،٣٣	١٢١
أخبار (٢) ٩،٩٦	١٢١
أخبار ٩،٢٦	١٢٨
أخبار ٥،٣٢	١٣٠
أخبار ملوك (٢) ٥،١٦	١٢١
أرميا ٤،٣٩	١٢٩
أرميا ٧،٥٢	١٢٩
أرمياء	٨٥
أرمياء ٢،١٩	١٢١
أشعيا ١،٢٦-٢٨	٥١٥
أشعيا ٢،٢	٥١٥
أشعيا ١٢،٥٣	٤٤٦
أشعيا ٦،٥٦-٧	٥١٥
أشعيا ١،٦٠	٥١٥
أشعيا ١١،٦٠	٥١٥
أشعيا ١٧،٦٠	٥١٥
أشعياء ٦،١١	٤٥، ٥٠٩
أشعياء ١،٢٦	٥١
أشعياء ١،٢٩	٥١
أشعياء ١٦،٤٩	٦٦
أشعياء ٦٠	٦٠

تكوين ١٤،١٨	٥١
تكوين ١٤،١٨ - ٣٠	١٨٦
حبقوق ٢،١٢	٢٨٥
حجاي ٢،٣	١٢٢
حزقيال ٥،٥	٥١٥
زكريا ٣،٢	٣٧
صمو. (٢) ٥،٥ - ٩	١٨٧
صموئيل (٢) ٥،٦-١٠	١٢٠
صموئيل (٢) ٥،٩	١٢٠
صموئيل (٢) ٥،٩	١٢٠
طوبيا ١٢،١٢،	١٥٤
قضاة ١٩،١٠-١١	٥١
مزمور	١٢١
مزمور ١١،٤	١٨٦
مزمور ١٢١	٥٢١
مزمور ١٢١	٦٦، ٥٢٩
مزمور ١٣١،١٣	٥٩
مزمور ١٣٦،٥-٦	٥٩
مزمور ١٣٧،٥-٦	٤٥٥
مزمور ١٨،٦٨	٥١٥
مزمور ٢١٢، ٧-٨	٥١١
مزمور ٣٠،٢٠	٤٤٤
مزمور ٣٢،١٣	٣٧
مزمور ٣٦	٢٥٢
مزمور ٥٠،١٢	٥٠٦
مزمور ٨٣	٥٥
مزمور ٨٤،١١	٥٠١
مزمور ٨٦،٢	٣٧
مزمور ٨٧، ٦٨	٤٧
مزمور٧٦،٢	٥١
مكابي (١) ١،٣١	١٢٢

مكابي (١) ١٢،٣٦	١٢٢
مكابي (١) ١٣، ١٠	١٢٢
مكابي (١) ٤،٦٠	١٢٢
ملوك (١) ٢،١	١٢٠
ملوك (١) ٩،٥	١٢٠
ملوك (٢) ١٣،١٣	١٢٠
ملوك (٢) ٢٢،١٤	١٢١
ملوك (٢) ٢٥،١٠	١٢١
ملوك (٢) ٢٥،٣	١٢١
ملوك (٢) ٢٥،٤	١٢٩
ملوك ١٢،٢١	١٢٠
ميخا ٣،١٠	٢٨٥
ميخا ٣،١٢	٢٨٥
نحميا ٣،١١	١٢٨
نحميا ٣،١٣	١٢٩
نحميا ٣،١٥	١٢٩
نحميا ٦،١٥-١٢،٢٧	١٢٢
نشيد الأناشيد ٢،١٢	٤٥١

العهد الجديد

أعمال ١،١٤	٧١
أعمال ١،٣١	٦٩
أعمال ١،٨	٤٩
أعمال ١٠،٣٨	٧٣
أعمال ٣٧،٧	٧٣
أعمال ٤،٣٢-٣٥	٧١
أعمال ٤٢،٤٣	٧١
أعمال الرسل ١،٨	٣٨
أعمال الرسل ١،٨	٦٨
أعمال الرسل ٢،٤٢ - ٤٤	٥٣
أعمال الرسل ٢١،١٣	٣٩
أعمال الرسل ٨،١	٥١٦
اتسا ٤،١٧	٤٤٧
اعمال ٥،١٢-١٦	٧١
افسس ٢،١٤	٥٠٤
افسس ٢،١٤ - ١٨	٣٩
افسس ٤،٢٢-٢٤	٤٤٨
افسس ٤،٦	٥٠٣
رؤيا ١٢،٢	٥١٦
رؤيا ٢١،١ - ٣	٦١
رؤيا ٢١،١-٣	٧٧
رؤيا ٢١،١-٤	٥٣١
رؤيا ٢١،٤	٥١٦
رؤيا ٣،١٢	٥١٦
روما ١٥،٢٦	٣٩
رومه ٢٨،١٦	٦٨
عبرانيين ١١،٣	٥١٧
عبرانيين ١٢،٢٢	٥١٦
عبرانيين ١٣،١٢	١٣١

عبرانيين ٧،١ - ١٧	١٨٦
غلاطية ١،١٨-١٩	٦٨
غلاطية ١،٢-٩	٦٨
غلاطية ٤،٢٦	٥٩
غلاطية ٤،٢٦	٥٩
غلاطية ٤،٢٦	٥١٦
فيليبي ٢،٦-٧	٣٢
كولس ٣،١٠	٤٤٨
لوقا ١٣، ٣٣	٦٨
لوقا ١٣،١١	٦٨
لوقا ١٣،٢٢	٦٧
لوقا ١٣،٣٣	٨٠
لوقا ١٣،٣٤-٣٥	٥٣٠
لوقا ١٨،٣١	٣٨
لوقا ١٩،٣٨	٦٨
لوقا ١٩،٤١ - ٤٤	٦٧
لوقا ١٩،٤١-٤٤	٥٣٠
لوقا ١٩،٤٢	٥١٦
لوقا ٢،١٤	٥٠٤
لوقا ٢،٧	٤٤٠
لوقا ٢١،٥	٤٩
لوقا ٢١،٦	٤٩
لوقا ٢٣،٤٠-٤٢	٤٤٦
لوقا ٢٤	٦١
لوقا ٢٤،٤٧ - ٤٨	٣٩
لوقا ٣،٢٢	٥٣٣
لوقا ٩،٥١	٣٨
لوقا ٩،٥١	٨٠
لوقا ٩،٥٣	٦٧
متى ١٣،٤٧	٤٤١
متى ٢٣،٣٧	٦٧

متي ٢٣،٣٧-٣٨	٥٠٩
متي ٢٤،١	٤٩
متي ٢٤،٢	٤٩
متي ٢٥،٣١ - ٤٦	٦٣
متي ٢٨،٢	٥٣٤
متي ٣،١٧	٤٤٠
متي ٣،١٧	٥٣٣
متي ٣٨،١٩ - ٢٠	٥٠
متي ٥،٤	٥١
متي ٥،٩	٥٠١
متي ٥،٩	٥٠٤
مرقس ١٣،١	٤٩
مرقس ١٣،١	٦٦
مرقس ١٣،٢	٤٩
مرقس ١٥،٢٤	٢٨٦
يعقوب ٣،١٧-١٨	٥٠٥
يعقوب ٤،١	٥٠٥
يوحنا ١،١٤	٤٤٦
يوحنا ١،١٤	٥٠١
يوحنا ١١،٥١ - ٥٢	٤٨
يوحنا ١٤،٢٧	٤٥
يوحنا ١٤،٢٧	٥٠٤
يوحنا ١٥،١-٤-٥	٤٤٨
يوحنا ٢،١٩	٤٩
يوحنا ٣،٦و٨	٣٣
يوحنا ٤،٢٠ - ٢٤	٤٩
يوحنا ٤،٢٠-٢٣	٨١
يوحنا ٤،٨	٢٥٢
يوحنا ٨،٣١	٥٠٥

آيات قرآنية وأحاديث نبوية

آل عمران، ٢٠٠	١٢
الأنبياء، ١٠٧	٢١
الأنبياء، ٢٣	٢٨٦
الاسراء، ١	١١، ١٣، ٢٠، ١٩٠، ٤٥٥، ٤٨١، ٤٨٣، ٥٣١
البقرة ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥	١٦٦
البقرة، ١٤٢-١٤٤	٢٢
التوبة ١٧	١٤٧
التوبة، ١٨، ١٩، ٢٠	١٦٦
الحجرات ٩،١٠	١٦٦
الحجرات، ٢٧-٣٠	٢٨٥
حديث	٧
حديث	١٨
حديث	١٨
حديث	١٨
حديث	١٨
حديث	١٨
حديث	١٨
حديث	١٩
حديث	١٩
حديث	١٩
حديث	١٩
حديث	١٩
حديث	١٩
حديث	١٩
حديث	٩٢
حديث	٩٢
حديث	١٦٦
حديث	١٩٩
حديث	٢٠٠

حديث	٢٠٠
حديث	٢٥٥
حديث	٣٤٠
حديث	٤٨١
حديث	٤٨١
حديث	٤٨١
حديث	٤٨١
حديث	٤٨١
حديث	٥٠٩
حديث	٥٣١
حديث	٥٣١
الحشر ٥٩	٢٨٥
سبأ، ٢٨.	٢١
ص، ٢٦	١٦٧
المائدة، ١٠٩	١٤٨
المائدة، ٧٧–٨٨	٩٢
مريم ١–٥	١٦٧
المطففين، ٩،٢٠	١٦٠
النجم، ١–١٨	٢٠

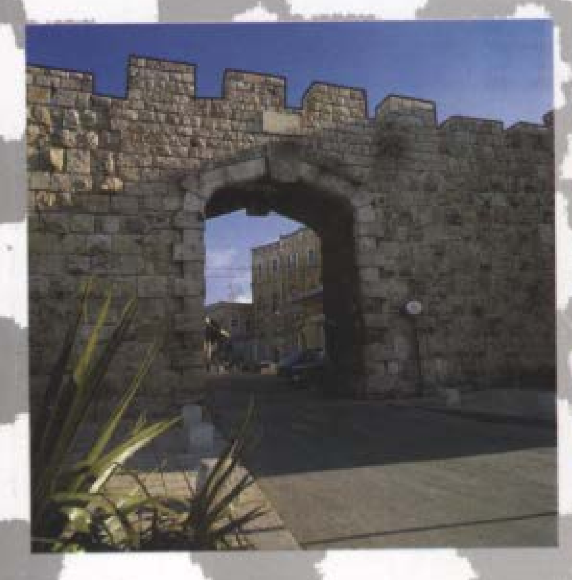
JERUSALEM

PALESTINIAN CHRISTIAN - MUSLIM STUDIES

Edited By
Geries S. Khoury

Adnan Musallam

Musa Darwish





Al - Liqa' Center for Religious and Heritage Studies in the Holy Land